تاريخ
المغرب الاسلامي في العصر الوسيط

(افريقية والمغرب . الاندلس . صقلية وأقريطش)

(27-719 هـ / 647-1319 م)

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

لأحمد بن عبد الوهاب المعروف بالنويري ت 732 هـ 1332 م

تحقيق وتعليق

الدكتور مصطفى ابو ضيف احمد

أستاذ التعليم العالي للتاريخ الاسلامي

بجامعة محمد الأول بوجدة - المغرب



تاريخ
المغرب الاسلامي في العصر الوسيط
(افريقية والمغرب . الاندلس . صقلية وأقريطش)
(27-719 هـ / 647-1319 م)

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب
لأحمد بن عبد الوهاب المعروف بالنويري ت 732 هـ 1332م

تحقيق وتعليق
الدكتور مصطفى ابو ضيف احمد
أستاذ التعليم العالي للتاريخ الاسلامي
بجامعة محمد الأول بوجدة ـ المغرب

نشر وطبع
دار النشر المغربية
الدار البيضاء

الاهداء

إلى أساتذة مدرسة التاريخ الاسلامي بجامعة الاسكندرية

سعد زغلول عبد الحميد
أحمد مختار العبادي
السيد عبد العزيز سالم

فهم أول من علمونا تاريخ المغرب ، أطال الله عمرهم ومتعهم بالصحة والعافية .

مقدمة المحقق

لقد درس التاريخ السياسي للمغرب الاسلامي في العصور الوسطى مرات عديدة دراسات مختلفة العمق والامتداد ، ابتداء من أمهات المصادر المغربية الاسلامية التي عاصرتها الاحداث حتى الدراسات الحديثة .

ومن المعلوم ان أية دراسة قيمة يجب عليها ان تضع في اعتبارها المصادر المتاحة، ومع ذلك فان أية دراسة تاريخية عامة لهذه الفترة غير ممكنة ـ كما انها غير معروضة على بساط البحث ـ الا اذا استحضرت المصادر القديمة المحفوظة .

وتكمن بين طيات عدد من المؤلفات المصرية، نصوص دفينة مغربية وأندلسية تكشف عن كثير من حقائق لا تزال غير معروفة عن التاريخ المغربي والاندلسي ، ومما أجدر امثال هذه النصوص بأن تمنح حق أولوية النشر حتى يمكن مقارنتها بالنصوص المغربية الموضوعية وبالتالي تصل الى نوعية الصلات الثقافية بين المغرب الاسلامي ومصر في العصور الوسطى.

واحدى هذه المصادر ، لاسباب مختلفة ، ذات أهمية عظيمة ولكنها بالرغم من ذلك لم تتوفر بعد بين يدي الباحثين، والمصدر الذي أشير اليه هو «الجزء الثاني والعشرون من كتاب نهاية الارب في فنون الادب لاحمد ابن عبد الوهاب المعروف بالنويري» ، ويشمل أخبار ملوك الاندلس

حتى انقـراض الدولـة العبادية واخبار افريقية وبـلاد المغرب حتـى الدولـة المرينيـة .

ويذكـر بالنثيـا في كتابـه تاريـخ الفكـر الاندلسى ان الجزئيـن اللذيـن يـدوران حـول تاريخ المغـرب والاندلـس من موسوعة هـذا المؤلف المصري هما الخامس والسادس من قسـم التاريخ ، وقد جمـع فيهمـا قطعـا من مؤلفات تاريخيـة ضاعت ، وصاغها في أسلوب معتـدل لا تحيـز فيـه .

ويضيف بالنثيا ان المستشرق جسبار ريميرو Mariano Gaspar Rimero قد قـام بنشـر هذين الجزءين وترجمهما الى الاسبانية في سنتى 1917 ، 1918 م . ولكن بمراجعة هذه المعلومـات اتضـح ان جسبـار ريميرو قـام بنشـر وترجمة الجـزء الخامس المتعلـق بأخبار ملوك الاندلـس حتى انقـراض الدولة العباديـة في العـدد السادس من

Revisto del Centro de Estudios Historicos de Granada 4 Su Reino : ANO 1916. P. 152-263.

وكذلـك الباب السادس الخاص باخبـار افريقيـة وبـلاد المغـرب بنفس المجلة لسنة 1917 ص 1 ـ 264 .

ولقـد اعتمد ريميـرو على مـا يبـدو على النسـخ المخطوطة بأوربـا وبصفـة خاصة في فرنسـا اذ يوجد بالمكتبة الوطنية نسخا ثلاثة تحت أرقـام 638 , 702 A 702 (1)

وقـام البارون دي سـلان De Slane بترجمة الجزء الخـاص بتاريـخ افريقية والمغـرب منذ الفتـح حتى نهايـة الدولـة الاغلبية الى اللغـة الفرنسية كملحـق بترجمته ، للقسـم الخاص بتاريخ المغـرب من كتاب العبـر لابن خلـدون

Histoire des berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionale - Paris 1925 I P.P. 314-441.

(1) أنظـر D. Slane : Histoire de Berbéres I. p. 313.

كما قــام ميخائيــل اماري M. Amari بنشر الجزء الخـــاص بصقليــة ضمن النصوص العربية التى جمعهــا حول تاريخ صقليـــه ونشرهــا في 1857 م ضمن كتابه «المكتبــة العربية الصقليـــة» من 425 الى 458 .

وكذلــك قــام M. Noël Des Vergers بترجمة الجزء الخاص بتاريـــخ امــارة الاغالبــة تحت اسـم
Histoire de l'Afrique sous la dynastie des Aghlabites - Paris, 1841.

ونظــرا لاعتماد كل من جسبــار ريميــرو Josi Pérs Larose وأمـــاري De Salane et M. Amari وغيرهم على المخطوطات المنتشرة في المكتبات الاوربية وهى تختلف من مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهــرة التى تضم البــاب الخامس والبــاب السادس في مجلد واحـــد وهى جيدة واضحة الخط مصورة عن مخطوط الاستانــة ، كما ان الحصول على ما نشره جسبــار ريميــرو اصبح صعبا (2). وأهميــة مخطـــوط النويري بالنسبــة لتاريخ افريقية والمغرب والاندلس ، خصوصا وان الدار المصرية التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة لم تــف بوعدها بعــد باصدار الجزء الخاص بالمغــرب والاندلس ، لذلك فقد اسعدنـــى تشجيع الزملاء والباحثين المهتمين بتاريخ المغرب والاندلس على تحقيقــه ونشره «وقل اعملوا فسيرى اللــه عملكــم ورسوله والمؤمنون» (3).

واخيرا لا أملك في النهايـــة، الا شكــر، كل من ساهم في هذا العمل، من عمال مطبعة دار النشر المغربية، على ما بذلــوه من جهد، حتى يخرج في المستــوى الــى النــور.

---

(2) ولذلك اننى اتوجه بشكرى الى كل من الدكتور صلاح فضل المستشار الثقافى ومدير المعهــد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد لتفضله بتصوير الباب الخامس مما نشره المستشرق جسبار ريميرو وارساله الى وكذلك الاستاذ خوسيه بيريث لاروز
Josi Pérs Larose
رئيس قسم التعاون الثقافى فى المعهد الاسبانى العربى للثقافة بمدريد لتصويره البـــاب السادس وموافاتى به فلهمــا الشكر والعرفان.

(3) ســـورة التوبة 9 آيــة 105.

أولا : ترجمة حياة النويري (4)

هو شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري المعروف "بالنويري"، ويتفق كل من المقريزي وابن تغري بردي وابن حبيب والسيوطي أنه: «شهاب الدين أبو العباس احمد بن عبد الوهاب بن احمد بن عبد الوهاب بن عبادة البكري النويري» (5) .

(4) مصادر حياة النويري هي :
— ابن حجر : الدرر الكامنة 1 : 197 ت 506.
— ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة 9 : 299، المنهل الصافي 1 : 361 — 362.
— السيوطي : حسن المحاضرة 1 : 266.
— ابن كثير : البداية والنهاية 14 : 164.
— الادفوي : الطالع السعيد 46، 47.
— ابن حبيب : درة الاسلاك احداث سنة 723.
— المقريزي : السلوك ج 2، ق 2 ص363.
— صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي : كتاب الوافي بالوفيات ج 7 (1979) ص 165 ترجمة رقم 3097.
اما الحديثة فهي :
— علي مبارك : الخطط التوفيقية 11 : 15.
— حاجي خليفة: كشف الظنون، 1985، جرجي زيدان 3: 241 — 242، كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي العربي 1 : 408.
— الزركلي : الاعلام 1 : 158، 159، عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين 1 : 306، عمر فروخ : تاريخ الادب العربي 3 : 742 — 745.
— أحمد الابياري : نهاية الارب في فنون الادب للنويري، تراث الانسانية ص 333 — 351
— نقولا زيادة : الجغرافية والرحلات عند العرب ص 95.
— د. عبد الرحمن حميدة : اعلام الجغرافيين العرب ص 439 — 441.
— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير 2 : 99.
— حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب 309 — 310.
— سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي 1 : 35 — 36.
— عبد القادر العبيدة : مع كتاب نهاية الارب في فنون الادب، مجلة البحث العلمي بالرباط ص 191 — 195.

Les manuscrits arabes de l'Escurial 3 : 180.
Kratschkowsky : Encyclopédie de l'islam III : 1035 - 1036.
De Slane : Catalogue des manuscrits arabes, 1 : 296 298.
Brockelman, G.A.L. II : 139 - 140, S. II : 173 - 174
An - nuwayri. Par Mounira chapant - Remadi, les Africains, Tome 10. P. 315 - 339.

(5) السلوك ج 2، ق 2 ص 363، النجوم الزاهرة 9 : 299.
— المنهل الصافي 1 : 361، درة الاسلاك : سنة 723 هـ.
— حسن المحاضرة 1 : 266.

بينما يذكر ابن حجر انه «شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ابن محمد بن عبد الدائم النويري» (6) وتبعه في ذلك على مبارك في الخطط التوفيقية .

ولكن النويري نفسه يحسم لنا هذه القضية بما كتبه بخطه في آخر السطر الاول من كتابه «نهاية الارب في فنون الادب» مؤيدا أصحاب الرواية الثانية .

«تنجز السفر الاول من كتاب (نهاية الارب في فنون الادب) على يد مؤلفه فقير رحمة ربه : احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التميمي القرشي ، عرف بالنويري ، عفى الله عنه».

وقد تكررت هذه العبارة في نهاية السفر الخامس ايضا» وجاءت في آخر الجزء التاسع بخط ناسخ له يدعى نور الدين بن شرف الدين بن احمد العاملي ، وذلك في سنة 967 هـ (7).

أما بالنسبة الى نسبه الى بكر فيروي ابن كثير انه ينسب الى أبي بكر الصديق ، بينما يذكر على مبارك انه ينسب الى قبيلة بكر وهي بطن من طيء (8) ولكنه يضيف «وقد ذكر النويري في بعض كتبه ترجمة والده فقال : هو تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أبي عبد الله محمد بن عبد الدائم بن منجى البكري، تيمي قريشي ، يلقب بالنويري» (9) .

اذن هناك روايتان الاولى تنسب النويري الى قبيلة تميم وقريش معا والثانية تنسبه الى تيم قريش ، ونظرا لان الرواية

(6) الدرر الكامنة 1 : 197 ترجمة 506، الخطط التوفيقية 11 : 15.
(7) يحدد ابراهيم الابيارى سنه النسخ في 766هـ اى بعد وفاة النويرى بنحو ثلاث وثلاثين سنة وهذا غير صحيح، اذ نجد في نهاية الجزء 17 : 379 ان سنة الفراغ من نسخه في 967 هـ.
(8) نظر ابن كثير : البداية والنهاية 14 : 165، على مبارك : الخطط التوفيقية 11 : 15
(9) الخطط التوفيقية 11 : 15 ، ابراهيم الابيارى : تراث الانسانية ص 334.

الاولى تفترض تلاقى قبيلتى تميم وقريش وهذا غير وارد بالرغم من اعتبار كل منهما من القبائل الشمالية العدنانية ، أما بالنسبة للرواية الثانية فهى على العكس من الاولى لوجود صلة قرابة بين قبيلتى قريش وتيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك ، ومنه تفرقت قبائل قريش ـ فهو أبوها كلها على حد تعبير ابن قتيبة الدينوري (10)، فاذا أضفنا الى ذلك أن تيم ابن مرة رهط أبى بكر الصديق (11) رجحنا ، احتمالية الرواية الثانية التى تنسب النويري الى تيم قريش من جهة وقرابة أبى بكر من جهة ثانية .

أما عن النويره (بلفظ تصغير النار) التى نسب اليها احمد فهى قرية بالصعيد الادنى من مصر ، كانت قديما من اقليم «بهنسا» وهى الآن من محافظة بنى سويف شرقى أهناس بنحو ثلاثة كيلومترات ونصف . ولم تكن النويره القرية التى ولد فيها احمد ونشأ، وانما كانت موطن لجدوده ، ويبدو أن لقب النويري هذا لم يطلق على مؤرخنا هذا فقط بل أطلق كذلك علي أبيه ، اذ يذكر على مبارك في ترجمته للمؤرخ ان والد احمد كان يلقب بالنويري، ويضيف الادفوي وهو يترجم لاحمد «النويري المحتد القوصى المولد والمنشأ» وهو يعنى ان النويره كانت موطن جدوده وأبائه وعنها نزحوا الى قوص (12) وهى مدينة قديمة قبطية يصفها الحموي «بأنها مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر ... اهلها أرباب ثروة واسعة ، وهى محط التجار القادمين من عدن وأكثرهم من هذه المدينة» (13)، لان الصحراء التى بين قوص وأسوان

(10) البلاذرى : أنساب الاشراف 1 : 38 ـ 39.
ـ ابن قتيبة الدينورى : المعارف ص 31، 32.
(11) ابن قتيبة الدينورى : المعارف ص 32.
(12) الادفوى : الطالع السعيد 46، 47. على مبارك : الخطط التوفيقية 11 : 15،
ـ احمد الابيارى : تراث الانسانية ص 334.
(13) الحموى : معجم البلدان 4 : 413.

يوجد بها معادن الذهب ويسيطر على هذه المنطقة تسعب البجاء وهم جنس من الحبشه ويجاورهم جماعة من العرب من ربيعة بسبب هذا المعدن (14) وفي هذه المدينة التجارية ولد المؤرخ احمد وتربى وبالرغم من ذلك فقد علقت نويرة باسم الاب والابن ولم تستطع ان تمحوها صلات أخرى ببلدان أخرى.

ومن الجدير بالذكر ان لقب «النويري» لطلق كذلك على آخرين من قريته ، منهم محمد بن قاسم بن محمد النويري الاسكندراني الذي استقر بالاسكندرية وتزوج من أهلها وعمل كناسخ المخطوطات لتجار الاسكندرية المسلمين الاثرياء اسوة بمؤرخنا والذي توفى بعد 777 هـ/ 1376 م ، وترك لنا مؤلفا ضخما «كتاب الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في وقعة الاسكندرية» . قام بنشره الدكتور عزيز سوريال عطية من سبعة أجزاء بدائرة المعارف العثمانية بحيدة آباد 1968 ـ 1976 م .

ووجيه الدين بن عبد الرحمن الذي توفى عام 716 هـ/1319 م وهو يقاتل في صفوف الجيوش الايوبية ضد الفرنجة، وربما كان ذلك في دمياط (مصر) ومن الواضح أن الثلاثة انتسبوا بأشكال مختلفة الى قرية النويرة (*).

أبوه : أبو محمد ، عبد الوهاب . ولد عبد الوهاب في الفسطاط سنة 618 هـ وتوفى في 22 من شهر ذي الحجة سنة 699 هـ بالمدرسة الصالحية النجمية في قاعة تدريس المالكية. وقد دفن في مقبرة قاضى القضاة زين الدين المالكى مما يرجح انه كان من علماء المالكية (15)،

(14) الحميرى : الروض المعطار ص 484 ـ 485.
* النويرى الاسكندرانى : الالمام بالاعلام ... 2 : 52، 3 : 102.
ـ انظر كتاب الالمام للنويرى الاسكندراني، دراسة نقدية تحليلية لعزيز سوريال عطية، ترجمة جوريف نسيم يوسف، بمجلة عالم الفكر ـ سبتمبر 1983 ص 127 ـ 164.
(15) على مبارك : الخطط التوفيقية 11 : 15، احمد الابيارى : تراث الانسانية 334، 335.

وقد اكتسب أبوه الشهرة ككاتب في مختلف دواوين الحكومة المملوكية (16)

ثانيا : شيوخ النويري المؤرخ :

ومن مدينة قوص حيث ولد المؤرخ وتربى ، تلقى العلوم الدينية في بلدته بالصعيد وسمع الحديث على عدد من كبار المحدثين ، اذ يذكر الادفوي من شيوخ المؤرخ الذين تلقى العلم عليهم :

1 ـ يعقوب بن احمد بن الصابونى (644 ـ 750 هـ) ويترجم ابن حجر في كتابه الدرر الكامنة ، الجزء الرابع ترجمة رقم 1203 ليعقوب بن أحمد بن يعقوب بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن عثمان الحلبى الاصل المعروف بابن المقرىء وبابن الصابونى شرف الدين، كان أبو حامد بن الصابونى زوج خالته فعرف به ولد سنة 644 هـ وقيل سنة 645 هـ وسمع من ابن عزون والمعين والنجيب وابن علاق وابن أبى اليسر وشيخ شيوخ حماة وجماعة وقرا وطلب بنفسه ومهر في الشروط ونسخ الاجزاء وولى مشيخة المنكوتمرية وسكن دمشق زمانا ومات بمصر في رجب سنة 750 هـ (17) .

2 ـ الشريف موسى بن على بن أبى طالب بن أبى عبد الله، ابن أبى البركات العلوي الحسينى ، عز الدين أبو القاسم الموسوي (628 هـ ـ 715 هـ) سمع حضورا من الفخر الاربلى ومن مكرم الموطأ وابن الصلاح والسخاوي وجده رشيد الدين النيسابوري مدرس المعينية وغيرهم وحدث بالموطأ وصحيح مسلم ... سكن مصر في سنة 700 هـ ومات وهم يسمعون عليه صحيح مسلم من ذي الحجة سنة 715 هـ (18) .

---

(16) كراتشكوفسكى : تاريخ الادب الجغرافى العربى 1 : 408.
(17) ابن حجر : الدرر الكامنة 4 : 433 ترجمة رقم 1202.
(18) ابن حجر : الدرر الكامنة 4 : 379 ترجمة رقم 1030.

3 ـ زينب بنت منجى ويطلق عليها ابن حجر «بنت المنجا» ويضيف في ترجمته رقم 1745 انها زينب بنت احمد بن محمد بن عثمان بن المنجا التنوخي سمعت على زينب بنت مكى والابرقوهى وغيرهما وحدثت وماتت سنة نيف وخمسين وسبعمائة هجرية (19).

4 ـ ابن جماعة (639 ـ 733 هـ) وهو بدر الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة بن على بن جماعة بن حازم بن صخر الكنانى الحموي الشافعى ، قاضى القضاة بالشام ومصر.

ولد في حماة وسمع على شيوخ الشام ثم مصر ، وحدث بالكثير وتفرد في وقته ، وكان قوي المشاركة في علم الحديث والفقه والاصول والتفسير ، تولى منصب قاضى القضاة والخطابة بالشام ومصر عدة مرات وفي آخر أيامه قل سمعه وكف بصره فانقطع في منزله الى أن توفى بمصر. وقد جاوز الاربع والتسعين وشهرا وصنف في علوم الحديث وفي الاحكام وله «رسالة في الكلام على الاسطرلاب» (20).

5 ـ احمد الحجار (622 ـ 730 هـ) ويذكر بكتب التراجم بعدة أسماء : بالحجار وتارة باسم أبى العباس احمد بن أبى طالب وأخرى بأبى العباس بن الشحنة وهو أبو العباس شهاب الدين أحمد ابن أبى طالب بن أبي النعيم نعمة بن الحسن بن على بن بيان الديرمقرنى ثم الصالحى الحنفى الشهير بابن الشحنة الحجار.

سمع الصحيح من لحسين بن المبارك الزبيري الحنفى وابن اللتى وأجاز له من بغداد القطيعى وابن روزبة والكاشغري وآخرون وذكر

(19) الادفوى : الطالع السعيد 46، 47، ابن حجر : الدرر الكامنة 1 : ت 1745.

(20) الواف 2 : 19، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة 9 : 298 ـ ابن حجر : الدرر الكامنة 3 : 280 ـ 283، محمد بن شاكر الكتبى : فوات الوفيات 3 :297 (ت 430)، ابن كثير : البداية والنهاية 14 : 163، طبقات السبكى 5 : 230، ـ الذهبى : ذيل تذكرة الحفاظ 107 ـ 109.

ابـن حجـر انه عمـر حتى الحـق الاحفاد بالاجداد فحـدث بالصحيح أكثر من سبعين مـرة بدمشـق وغيرها ورحل اليه من البلاد وتزاحموا عليه (21)

ومن الغريب ان الادفوي أو غيره ممن ترجموا للنويري المؤرخ لـم يذكروا أبيه ضمن شيوخه وقد كـان فقيها وشيخا ويعلل ذلك ابراهيـم الابيـاري بقوله «الـى ان الابن نشـأ بعيدا عن الاب ويكاد يكون اختلاف البـلاد ، بين النويره والفسطاط وقوص ، يؤكـد ما ذهبنـا اليـه . واذا صـح هذا كـان غير بعيـد ، الا نجـد الاب من شيـوخ الابـن ، وكـان غير بعيد أن نجد الابن شـافعيـا والاب مالكيـا» (22).

ويمكن تفسير ذلك بأن مؤرخنا تتلمذ على اقطاب المذاهب الفقهيـة، فعن طريـق شيخه احمـد الحجار الحنفى يتعـرف على مذهب أبى حنيفة (ت حوالى 150 هـ / 767 م). ومدرسة الكوفـة في الفقه . وهو مذهب حـر فلسفـي يعتمد على القرآن ويستخرج الاحكام منـه عن طريق الاستنتاج العقلى القائـم على المنطـق الدقيـق وهو «القيـاس» . وأما عـن طريـق شيخـه الشريف موسى بن على بن أبى طالـب بن أبى عبد اللـه العلـوي وكذا أبيـه عبد الوهـاب ، فقـد تعرف على مذهـب مالك ابـن أنـس (ت 179 هـ / 795 م) أمـام المدينـة الذي اعتمـد على القـرآن والسنـة كمصدرين أساسييـن لاستنبـاط الاحكـام . وقـد نشـأ الخلاف بين هذه المذاهب ومن ثم ظهـر مذهب وسـط بين هـذه الاطـراف المتباعـدة وضعـه الامـام الشافعـى (ت 204 هـ / 820 م) ، اذ نسـق أصـول الفقـه التى أخذت بهـا المذاهب المختلفـة «تنسيقا حكيمـا، وأوجـد بينهـا توازنا لا يصل الانسان الى أحسن منـه» فأخذ بالقـرآن والسنـة، وأخذ بالاجمـاع في المسائل التى جرى العمـل بهـا في كافـة بـلاد الاسـلام وذهب الشافعى كذلك الى تعميـم استعمال القياس وأعمال

(21) ذيل تذكرة الحفاظ للذهبى ص 134 — 135 — ابن حجر : الدرر الكامنة ج 1 : 142 — 143.

(22) ابراهيم الابيارى : تراث الانسانية ص 335.

الرأي . وهذا المذهب هو الذي درسه مؤرخنا على شيخه ابن جماعه الشافعي والذي ارتضاه لنفسه حتى أصبح شيخا من شيوخه ، مخالفا بذلك مذهب أبيه المالكي ، خصوصا ان الدولة المملوكية اتخذت من المذهب الشافعي مذهبا رسميا لها وكان مؤرخنا احد موظفيها الكبار (23)

ولد شهاب الدين النويري في 21 من ذي القعدة سنة 677 هـ (5 أبريل 1279 م) في بلدة قوص، وتوفى في 21 رمضان سنة 732 هـ 17 يونيو 1332 م في مدينة قوص (23 م) وفي رواية أخرى في القاهرة.

بدأ شهاب الدين النويري حياته الوظيفية كاتبا في ديوان الانشاء في الدولة المملوكية بمصر وبرع في الكتابة ثم تقلب في عدد من المناصب في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وحظى عنده ثم كان مدة رئيس لكتبة ادارة الجيش المملوكي بطرابلس الشام ثم تولى فيما بعد وظيفة ناظر الديوان في عدد من المقاطعات المصرية مثل منطقة الدقهلية ومنطقة المرتاحية (24) .

ومن الجدير بالذكر ان الرجل الذي قدم شهاب الدين النويري الى الناصر قلاوون وهو رافع بن عبادة ، هو نفس الرجل الذي أوشى للناصر به - بسبب ارتفاع مكانة النويري - وشاية بلغ من عنفها أن السلطان المملوكي أمر بضرب المؤرخ بالمقارع (25) وطرده من الديوان السلطاني ويبدو أنه منعه أن يحاضر أو يدرس اذ لا نجد له في ثنايا تراجمه المختلفة اشارة الى حضوره حلقة من حلقات

---

(23) أنظر نشاة المذاهب الفقهية وتطورها - احمد امين : ضحى الاسلام 2 : 177 - 179، 206 - 210، 218 - 224 ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام 2 : 331 - 335.

(23م) عمر فروخ : تاريخ الادب العربي 3: 743.

(24) الصفدى : كتاب الوافى بالوفيات 7 : 165 ترجمة 3097.

(25) الصفدى : كتاب الوافى بالوفيات 7 : 165 ترجمة 3097 ويذكر الصفدى أن ابن عبادة، عاد وعفا عنه، وتقلب فى الخدمة وباشر نظر الجيش.

التدريس كما رأينا لابيبا ، كما أننا نجد الرجل عاش - بعد هذه الغضبة - على النسخ لا يجد له متنفسا غيره.

اذ يذكر ابن كثير ان النويري «كان .. ناسخا مطبقا...» يكتب في اليوم ثلاثة كراريس، وكتب البخاري ثماني مرات، ويقابله ويجلده ويبيع النسخة من ذلك بالف ونحوه» (26) . ويضيف ابن حجر انه «جمع تاريخا حافلا باعه بخطه بألفي درهم وهو في ثلاثين مجلدة» (27) وكان بمقدوره أن يخط ثمانين صفحة في اليوم (28)

ويصف الادفوي حياته خلال هذه الفترة بأن المؤرخ كان يقضي نهاره في النسخ ، كما كان يقضي مساءه في العبادة ، فكان اذا ما صلى العصر أخذ في قراءة القرآن الى قريب من المغرب، واذا أمسى أخذ في القراءة والجمع يعد لتاريخه الكبير. اذ من المؤكد ان مكتبته قد زخرت بمجموعة هائلة من المخطوطات التى كان يقوم بنسخها وبصفة خاصة ، المخطوطات التاريخية التى اعتمد عليها في تاليف الشطر الاعظم من كتابه الموسوعى . وبهذا يمكن ان نستنتج انه استطاع كناسخ أن ينقذ أو يستظهر لنا أجزاء عديدة هامة من المادة التى قام بنسخها واستخدمها في تاليف كتابه «نهاية الارب» بشكل عام ، والقسم التاريخى بشكل خاص الى ان أصيب بالمرض.

وهكذا قست الحياة على مؤرخنا ، فقد ضيقت عليه بعد أن أفسحت له ، وآذيته بأصدقائه بعد أن آنسته بهم ، وفي النهاية أرهقت أصابع يمينه فاذا به يشكو وجعا بها ، يمهد الى غيره مما كان سبب موته اذ يقول الادفوي ثم حصل له وجع في أطراف أصابع يده وكان ذلك سبب وفاته (28 م).

(26) ابن كثير : البداية والنهاية 14 : 164 وقارن ماأورده ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى 1 : 361 — 362.
(27) ابن حجر : الدرر الكامنة 1 : 197، فرانز روز نثال : علم التاريخ عند المسلمين ترجمة صالح احمد العلى، بغداد 1963 ص 680.
(28) كراتشكوفسكى : تاريخ الادب الجغرافى العربى 1 : 408.
(28م) انظر الادفوى : الطالع السعيد ص 46، 47، ابراهيم الابيارى : تراث الانسانية، نهاية الارب فى فنون الادب للنويرى ص 336.

ثالثـا : عصـر النويـري السياسـى والعلمـى :

يلعب الزمن دورا أساسيـا في التاريخ ، ومع ذلك فلا تكون لـه صفـة الا بتحرك الانسان فيه وبالتالـى فلا يتسنى لنـا استعراض كتاب مؤرخنـا النويري الا اذا نعرفنـا على عصـره.

فقد عاش النويري في مصـر في عصـر دولة المماليـك وهى دولـة كان حاكمهـا وجيشها من مماليك مشتروات أو ما يسمى جنبان أو أجلاب وهى الفـاظ تعنـى جلبهم كرقيـق من بلاد أخـرى ، أو شرائهم حيـث يتربـون في الطبـق وهى مدرسة الحربية التى يتعلمون ميها الكتابـة وطـرق الحرب والفروسية. فكان الى آخر حكم هذه الدولـة توجد وظيفة تاجـر المماليـك ، مما كـان سببا في قيـام نظام دولـة لم يكن له نظير الا في ظـل الاسـلام وليس له مثيـل في خـارج الاسلام ولم يظهـر بشكلـه هذا الا في مصـر .

ومع ان غالبيـة المماليك كانوا من جنس التـرك الا انه قد انحرطت معهم جنسيات أخرى (29)، ولكن سرعان ما كانـوا يذبون جميعا في شكـل طبقة متماسكة، اقامت لنفسهـا وظائف ثابتة ومحددة، على راسها السلطـان ، الذي هـو واحد منهم يعتبـر الاول بين أقرانـه، تولـى غالبـا بناء على القهـر والعلبـة فمكنتهم هذه الوظائف من السيطرة على الحكـم ، ليـس فقط في مصـر وانمـا في امبراطورية مترامية، امتـدت من صحاري برقة الى الفـرات ، ومن قبرص الى مجاهل افريقيـا والجزيرة العربيـة .

وعلى الرغم من تغيير السلاطين المستمر بسبب طبيعة المماليـك انفسهم في عـدم قبولهم الحكم الوراثى فان كـل سلطان كان يشغـل

(29) مثل الجركس واليونان والاكراد وتركمان وغير ذلك على حد تعبير المقريزى، انظر الخطط 2 : 215.

الوظائف نفسها باعوانه حتى استمرت هذه الوظائف الثابتة والمحددة حكرا لهم الى آخر حكم دولتهم (30) .

ولعله بسبب ان المماليك كان ينقصهم نبل الاصل فانهم حرصوا منذ قيام دولتهم على اصباغ الشرعية على حكمهم عن طريق نقل الخلافة الى مصر وقد ساعدتهم الظروف على ذلك حينما قتل المغول بقيادة هولاكو المستعصم بالله فان بيبرس أسرع باعلان انتقال الخلافة الى مصر في 659 هـ / 1261 م حيث بقيت الخلافة العباسية في مصر(31) الى وقت مجيء العثمانيين ولكن نظام الخلافة العباسى هذا نشأ ضعيفا حتى كان الخليفة أمير في حاشية السلطان فكان عملهم الاول والاخير أسباغ الشرعية على حكم السلاطين والامراء التابعين لهم أو حتى ملوك الاسلام من أصدقاء دولتهم (32) .

وقد عاصر النويري من حكم دولة المماليك البحرية (648 ـ 784 هـ/ 1250 ـ 1382 م) التى كان غالبية مماليكها من عنصر التركمان وكانوا يسكنون في جزيرة الروضة ، فعرفوا بالمماليك البحرية (33)، سبعة من السلاطين المماليك أهمهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي يشاطر محمد الثامن من ملوك بنى نصر بالاندلس ، فضل التفرد في انه ارتقى كرسى الملك ثلاث مرات : (1293 ـ 1294 ، 1298 ـ 1308 ، 1309 ـ 1341 م).

---

(30) سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر والشام فى عصر الايوبيين والمماليك ص 204، حكيم أمين عبد السيد : قيام دولة المماليك الثانية ص 18.

(31) السيوطى : حسن المحاضرة 2 : 66، المقريزى . السلوك لمعرفة دول الملوك تحقيق محمد مصطفى زيادة 1 : 477 ـ 479.

(32) عبد المنعم ماجد : جلال الدين السيوطى 22 ـ 24.

(33) ويشك فى هذه النسبة محمد مصطفى زيادة فى بحثه «بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك»، مجلة كلية آداب القاهرة، المجلد الرابع 1936م ـ ويذكر أحمد مختار العبادى «وأغلب الظن أنهم سموا بحرية لانهم جاءوا من وراء البحار»، اعتمادا على رواية جوانفيل مؤرخ حملة لويس التاسع على مصر والذى أسره المماليك وعاش بينهم مدة. بالاضافة الى اسباب اخرى أنظر قيام دولة المماليك الاولى فى مصر والشام ص 97 ـ 99.

وقد كان محمد بن قلاوون في سن التاسعة أول ما اعتلى العرش ومن هنا فقد كان عهده أطول عهود سلاطين المماليك ، كما كان من أطول عهود الملوك في التاريخ الاسلامى . وفي ولايته جرت آخر غارات المغول بزعامة غازان محمود وأصبح الاسلام في عهد غازان دين الدولة في مناطق الايلخانات. وبرغم نجاح المغول في احتلال سوريية الا أن المماليك بقيادة الناصر محمد بن قلاوون تمكنوا من هزيمة غازان وطرده من الشام وهى المرة الرابعة التى تمكن المماليك فيها على التنكيل بأشد عدو عرفته مصر منذ الفتح الاسلامى ولم يجرؤ احد من خلفاء غازان على مقابلة المماليك بعد ذلك (34) .

ولكن الناصر في عهده الطويل اشتهر بمآثره في ميدان السلم لا الحرب . وكان الناصر قصير القامة اعرج الا أنه امتاز بتذوقه للجمال وبتمتعه بأنواع النعيم والبذخ في حياته وتزيينه جميع ما يحيط به بالزخارف الباهرة، ولذلك اهتم بالمنشآت العامة، وأقام منها ابنية عديدة جميلة سخر مهرة الصناع في بناء بعضها .

كما أمر بحفر قناة ربطت الاسكندرية بالنيل وأنشأ في مملكته نحو ثلاثين مسجدا عير عدد من الرباطات والسبل والحمامات والمدارس ولا تزال المدرسة التى أكملها سنة 1304 م المعروفة بالناصرية ـ على اسمه ـ قائمة في القاهرة الى يومنا هذا ومن هنا فقد حق لعهده ان يعتز بثقافة هى أرقى ما عرفه عهد المماليك (35) .

وبصفة خاصة بالنسبة للدراسات التاريخية فقد كان نتيجة لانقطاع سلسلة المؤرخين العباسيين الكبار اثر سقوط بغداد بأيدي المغول، وزوال الخلافة العباسيه ان أخذ زمام المبادرة لوصل ما انقطع من تلك السلسلة مؤرخون آخرون ينتمون الى اقطار شتى من العالم الاسلامى .

---

(34) ابن خلدون : العبر 5 : 473 ــ 475، 478 ــ 479.
(35) ابن خلدون : العبر 5 : 490، فليب حتى : تاريخ العرب ــ 2 : 308 ــ 804

وقد واصل أولئك المؤرخون الافذاذ نشاطهم العلمى في حركة رائعة ، تشكل أعمالهم مع أعمال من سبقوهم من المؤرحين الصورة التى بلغها العالم العربى الاسلامى من النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ولعل أبرز سمات حركة التدوين التاريخى في القرون المتأخرة التى اعقبت سقوط بغداد ويمكن حصرها فيما بين القرنين الثامن والعاشر للهجرة، الرابع عشر والسادس عشر للميلاد ، ظهور طائفة من المؤرخين كتبوا مؤلفاتهم على طريقة الحوليات وتدل وفرة المعلومات التى دونها على جهد عظيم من البحث والمراجعة والنقل والتأليف (36).

اذ يعتبر الغزو المغولى حدا فاصلا في تاريخ القسم الشرقى من العالم العربى ، فابتداء من تلك اللحظة أخذت مراكز الحضارة الاسلامية تتزحزح بسرعة نحو الغرب ولم تلبث بغداد التى كانت حتى تلك اللحظة محتفظة بمكانتها كمركز علمى رغما عن التدهور السياسى للخلافة العباسيه ، أقول لم تلبث بغداد ان تنازلت عن ذلك المركز لحلب ودمشق ثم بصورة نهائية للقاهرة (37).

وكان القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) قرن تفوق مصر الفكري في مختلف نواحى الادب ، فنحن نلتقى في العصر المملوكى بأدب حافل قل أن نجد له مثيلا في أي بلد من بلدان الشرق الاخرى على حد تعبير هارتمان Hartmann (38) وذلك يرجع الى نمط الموسوعات التى ازدهرت في تلك الآونة وتعتبر حير ما انتجه ذلك العصر .

---

(36) فاضل عبد اللطيف الخالدى : ابن اياس «دراسات وبحوث» ص 27.
(37) كراتشكوفسكى : تاريخ الادب العربى 1 : 335.
(38) — Hartmann : Z D M G, 70, P. 12.

ومن وجهة نظر التاريخ الادبى فان الموسوعات تنتمي الى طراز مصري صرف من المؤلفات الوصفية التى وضعها عمال وعلماء حكومة عصر المماليك . تحتوي على جغرافية كل من مصر والشام وادارتهما وأحوالهما . وقد ظهرت هذه الموسوعات نتيجة لتطور تاريخى طويل معقد لاشك انه يرتبط بعض الشيء بتلك المجموعات التى وضعت في الادارة والجغرافيا والمعروفة لنا في القرنين الثالث والرابع الهجري (التاسع والعاشر الميلادي) مثل : ابن خرداذبة واليعقوبى والبلاذري وابن الفقيه ومؤرخو المدن (مكة ، بغداد ، دمشق ، بخاري) ، ابن عبد الحكم ، الكندي ، ابن زولاق ، ولكنها تختلف عنها في أنه قد قصد بها دائرة أوسع من القراء.

وعلى الرغم من أنها عملت أساسا من أجل كتبه الدواوين الذين كانوا زينة الجهاز الكتابى والاداري لمصر آنذاك الا ان جميع المثقفين قد اهتموا بمطالعتها ، مما جعل مؤلفيها يولون اهتماما كبيرا للاسلوب الادبى . وهى بلا شك أوسع مجالا من المؤلفات السابقة لها ، كما أنها تعالج مسائل أعم وأكثر شمولا في جميع فروع العلوم التى يريد المؤلف ان يعرف بها ، ولا تقف أهميتها عند التاريخ فقط بل انها بنفس القدر تولي اهتمامها أيضا الى الجغرافيا والحضارة (39) .

والاختلاف الجوهري الذي يميزها عن غيرها هو أن هدفها الاول لم يكن الاعلام فقط بل والادب الفنى، كما أن مؤلفيها لم يروا في انفسهم علماء بل كتابا ، اعنى كتابا من موظفى ديوان الانشاء كل زادهم هو بعض الخبرة في الشئون الكتابية . وقد ادت وحدة الوسط الذي نشأت فيه الموسوعات الي تشابهها في الترتيب ، وهو

(39) - Kramers : E1, EP. P. 70 , Blanchére : P. 299-300
ـ كراتشكوفسكى : تاريخ الادب الجغرافى العربى 1: 405.

نرتيب يعكس احيانا بوضوح تام أثر التدريب الصارم فى الشؤون الكتابية (40) .

رابعا : كتاب النويري «نهاية الارب في فنون الادب» :

وأهم موسوعات القرن الثامن الهجري (14 م) هما موسوعتا النويري والعمري ، غير أنه وجد مؤلف سابق عليهما في هذا الميدان من الناحية الزمنية ويمكن بواسطته تتقصى اصل نمط الموسوعات وهو جمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى بن على الانصاري الوراق الكتبى المعروف بالوطواط (632 ـ 718 هـ / 1235 ـ 1318 م) ولقبه يدل على أنه كان يعمل في الوراقة ويؤخذ من الفاظه انه مغربى المولد ، مصري الوطن والدار وتوفي بالقاهرة . وكان الوطواط أديبا واسع الاطلاع حسن الذوق ومصنف له من الكتب :

أ ـ غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة (41) طبع في مصر عدة مرات .

2 ـ مباهج الفكر ومناهج العبر (في عدد من الفنون) (42) وقد تأثر النويري بالكتاب الثانى للوطواط الذي يرتبط ارتباطا مباشرا بموسوعته وبرهان ذلك ليس فقط من أن النويري ينقل عنه مرارا بل لانه من المحتمل أن يكون النويري قد استعار عنه طريقةالتبويب الى «فنون» محتفظا أحيانا بمحتويات الكتاب نفسها ، ففى القسم الخاص بالنبات مثلا يعيد النويري تصنيف النبات كما دونه الوطواط

---

(40) ـ Brockelmann : GAL, II, P. 54-55 N° 2 - SB II, P. 53-54.
Sarton : Introduction, P. 870.

(41) الغرة : مقدمة شعر رأس الحصان، البياض فى أعلى رأس الحصان، (البياض، الجمال) والعرة : الجرب، قروح مرضية فى عنق البعير وسائر بدنه، العيب.

(42) الوافى بالوفيات 2: 16 ـ 18، ابن حجر : الدرر الكامنة 3 : 385 ـ 386 (رقم 3318) ، جورجى زيدان 3 : 143 ـ الزركلي : الاعلام 6 : 187 ـ 188.
Brockelman : GAL II, P. 76, S, II, P. 53-54.

ومن هذا نجد ان التفاصيل من ناحيـة والتبويب من ناحية اخرى يشيران الـى ارتبـاط وثيـق بين الكتابيـن .

وموسوعة النويري «نهايـه الارب في فنـون الادب» تقع في ثلاثيـن مجلـدا . وقد أخذ النويري وقتا طويلا في تاليـف كتابه هذا يصـل الـى عشرين عامـا وهو امـر ليس بالغريب اذا أخذنا في الاعتبـار حجم الكتاب الهائـل . وهذا يفسـر لنا تفسيرا كافيـا السبـب الذي جعل الاقسـام المبكـرة من الكتـاب تضم زيـادات ترجع الى تاريـخ متاخـر وان المؤلف ظل يضيف الي القسـم التاريخى على هيئـة حوليات من عـام لآخـر الى قـرب وفاتـه .

وبفضل العـدد الكبير من اجزائـه المختلفة الذي وجـد طريقه الـى مجموعة المخطوطات بأوروبـا (43) فقـد بـدأ الاهتمام بموسوعة النويري منـذ القـرن الثامـن عشـر واجتذب الانظار بصـورة خاصـة الجـزء التاريخى منها . ولقد كان من افضل خدمات العلامة المصري احمد زكى (ت 1934 م) هو ما بذله من جهـد في سبيـل جمع نسخه كاملة من هذا الكتـاب في واحـد وثلاثين جـزء البعض منهـا مخطوط والبعض الآخـر مصـور من مخطوطـات استنبول والمكتبات الاوروبيـة . هذا وقد قامت دار الكتب المصريـة بطبع تلك الموسوعـة الكبـرى وحتى سنة 1955 م صـدر عن الـدار ثمانيـة عشـر جزءا . ثـم تولت الـدار المصريـة للتاليـف والترجمة عن دار الكتـب المصرية اصـدار سائـر اجزائـه الباقيـة وحتى 1983 م وصلـت الى الجـزء الواحد والعشرين وهو يتناول البـاب الرابـع من القسـم الخامـس «في أخبار الدولة العباسية بالعـراق ومصـر» .

ولقد أضـاف النويري لتقسيـم موسوعته الى جانب الفنـون الاربعة الموجودة لـدى الوطـواط ، «فنـا» خامسـا للتاريـخ كـالاتـى :

(43) على سبيل المثال مخطوطة باريس تحت رقم 1376 — أنظر فرانز روز نتال : علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلمى، بغداد 1963 ص 243.

الفــن الاول : في السمــاء والاثار العلويــه والارض والمعالم السفليه (الجـزء الاول المطبــوع) .

الفــن الثانــى : فن الانسان وما يتعلــق بــه (الاجـزاء من الثانــى الــى الثامــن).

الفــن الثالــث : فــن الحيوان الصامت (الجزآن التاسع والعاشر).

الفــن الرابــع : فــن النبات (الجزان الحادي عشر والثانى عشر) .

الفــن الخامس : فــن التاريــخ (اعتبارا من الجزء الثالث عشر الى الآخيــــر) .

وينقســـم كل فــن عنده الى خمسة «اقســام» يحتوي كل واحد منهما على عــدد من الابــواب ، يختلف مقدارها باختلاف حجم الاقسام . ولا تتفــق الفنــون في أحجامهــا فالقســم التاريخى الذي يصــل به المؤلــف الــى العام السابــق لوفاته (721 هـ / 1331 م) يشغل بالتقريب أكثر من نصــف الكتــاب ، وبيانــه حسب تقسيــم النويــري كــالاتــى .

الفــن الخامس : في التاريــخ ، ويشتمل على خمسة أقســام :

القســم الاول : في مبــدأ خلق آدم عليــه الســلام وحــواء وأخبارهما، ومن كــان بعد آدم الى نهايــة خبر اصحاب الرس وفيه ثمانية أبواب.

القسم الثانــى : في قصــة ابراهيم الخليــل عليــه الســلام ، وخبره مــع نمــرود ، وقصــة لــوط ، وخبر اسحاق ، ويعقوب ، وقصة يوســف وأيــوب، وذي الكفــل ، وشعيب عليهــم الســلام . وفيه سبعة أبــواب.

القســم الثالــث : يشتمــل على قصــة موســى بــن عمران عليــه الســلام وخبــره مع فرعــون ، وخبر يوشــع ومن بعــده، وحزقيــــل ، واليــاس واليســع... الــخ وفيه ستــة أبــواب .

القسم الرابع : في أخبار ملوك الاصقاع ، وملوك الامم . والطوائف ، وخبر سيل العرم، ووقائع العرب في الجاهلية ، وفيه خمسة أبواب .

القسم الخامس : في أخبار الملة الاسلامية ، وذكر شيء من سيرة نبينا محمد (ص)، وأخبار الخلفاء من بعده رضى الله عنهم، وأخبار الدولة الاموية ، والعباسية ، والعلوية ، ودول ملوك الاسلام، وأخبارهم... الخ وفيه اثنا عشر بابا ، وما يهمنا منها :

الباب الخامس : في أخبار الدولة الاموية بالاندلس ، وأخبار الاندلس بعد انقراض الدولة الاموية .

الباب السادس : في أخبار افريقية ، وبلاد المغرب ومن وليها من العمال ، ومن استقل منهم بالملك (44) .

ويبين لنا مؤرخنا النويري الطريق الذي سلكه في تأليف كتابه هذا فهو يذكر انه في بداية نشاطه الادبي قد أولى كل جهده الى الكتابة ثم تحول الى «الادب» بمفهومه العام عقب ذلك . وقد جعل هدف موسوعته تلخيص جميع العلوم الاجتماعية مما يحتاج اليه كبار الكتاب ، وهذا الوضوح في الهدف يتفق تماما مع ما هو ملحوظ في كتابه من الانتظام الشديد في العرض اذ يذكر النويري:

«وبعد فمن أولى ما تدبجت به الطروس والدفاتر ونطقت به الاقلام عن أفواه المحابر وأصدرته ذوو الاذهان السليمة وانتسبت اليه ذوو الانساب الكريمة ، وجعله الكاتب ذريعة يتوصل بها الى بلوغ مقاصده ومحجه لا يضل مسالكهما في مصادره وموارده، فن الادب الذي ما حل الكاتب بواديه الا وعمرت بواديه، ولا ورد مشارعه

(44) أنظر النويرى . نهاية الارب فى فنون الادب 1 : 22

الا واستعذب شرائعه، ولا نزل بساحته الا واتسعت له رحابها، ولا تأمل مشكلة الا وتبينت له أسبابها .

وكنت ممن عدل في مباديه على الالمام بناديه وجعل صناعة الكتابة فننه الذي يستظل بوارفه وفنه الذي جمع له فيه بين طريفه وتالده. معرفت جليها وكشفت خفيها ... ثم نبذتها وراء ظهري وعزمت على تركها في سري دون جهري وسالت الله تعالى الغنية عنها وتضرعت اليه في ما هو خير منها . ورغبت في صناعة الاداب ... وانتظمت في سلك أربابها. مرأيت غرضى لا يتم لا بتلقيها من أفواه الفضلاء شفاها...

فامتطيت جواد المطالعة وركضت في ميدان المراجعة وحيث ذل لى مركبها وصفا لى مشربيا اثرت أن أجرد منها كتابا استأنس به وأرجع اليه واعول في ما يعرض لي من المهمات عليه... وما أوردت فيه الا ما غلب على ظني ان النفوس تميل اليه وان الخواطر تشتمل عليه. ولو علمت ان فيه خطا لقبضت بناني وغضضت طرفى ، ولو خبرت طريق المعترض لعطفت عنانى ، وثنيت عطفى ، لكنى تبعت فيه آثار الفضلاء قبلى وسلكت منهجهم فوصلت بحبالهم حبلى. فان يكن اعتراض ، فعلى علاهم لا على العار» (45) .

ويعلق كراتشكوفسكى صاحب ترجمة النويري بدائرة المعارف الاسلامية على تاريخه بقوله : «وكتاب النويري مصدر من الدرجة الاولى بالنسبة للتاريخ والجغرافيا التاريخية المعاصرة له أو القريبة العهد منه» .

أما بالنسبة للجزء الثانى والعشرين الذي لم يتوفر بين أيدي الباحثين حتى الان فقد قام الدكتور حسين مؤنس بنقده كمصدر لبحثه عن فتح العرب للمغرب بقوله «لا نعرف بالضبط موقعه من تاريخه

(45) النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب 1 : 2 — 3، 25 — 26.

(نهايــة الارب) لانــه لم يصــل الينــا متصلا بما قبله وما بعده ، وانما وجدته جــزءا منفصلا في حــساب مخطوط قائم بذاته والغالب ان المؤلــف أورد هذه الاخبــار عقــب اخبار مصــر» وقد جانب الصــواب استاذنا فقــد اورد النويري الجــزء الخاص بتاريخ المغرب والاندلس عقب «البــاب الرابــع في أخبــار الدولــه العباسيــة بالعــراق ومصــر» وقد نسر تحت الجزء الواحــد والعشريــن بمصــر ، وقبل البــاب السابع «في اخبــار من نهض في طلــب الخلافــة من الطالبيــن ، في مدة الدولتين الاموية والعباسية فقتــل دونهــا ، بعد مقتــل الحسين بن على رضى اللــه عنهما» .

كما يضيف الدكتور حسين مؤنــس «ولــم يورد النويري المراجــع التى أخذ عنهــا في كثير من الاحيــان ، والغالب انه نقــل عن مؤلفات كانت موجــودة في أيامــه» (46) وبمراجعة مخطوط النويري اتضــح لنــا عــدم صحــة ذلــك .

فقــد اعتمــد النويري في البــاب الخامس الخاص بالاندلــس علــى المصــادر التاليــة :

- ابراهيم بن الرقيــق في تاريــخ افريقيــة (47) .
- أبــو عبد اللــه لحميــدي في كتابــه المترجم بالامانى الصادقة (48)
- حسين بن عاصم في كتابه المآثــر العامرية (49)
- عــز الدين ابــو محمد عبد العزيز بن شداد بن الامير تميــم بن المعز بن باديــس في تاريخه المترجم بالجمع والبيان في أخبــار المغــرب والقيــروان (50) .
- ابــن حــزم الاندلســي : نقط العــروس (51) .

(46) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ص 308.
(47) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 112، 114، 134، 274، 275، 284.
(48) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 121
(49) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 123
(50) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 150 ، 300
(51) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 152 ، 316.

- ابن اللبانة (52) [كتاب مناقل الفتنة ، نظم السلوك في وعظ الملوك ، سقيط الدرر ولقيط الزهر (في بنى عباد)] .
- الفتح بن خاقان القيسى : قلائد العقيان في محاسن الاعيان (54).

كما اعتمد النويري في الباب السادس الخاص بأخبار امريقية وبلاد المغرب على مصادر أخرى جديدة بالاضافة الى بعض ما سبق ذكره مثل:

- روايته عن الزهري عن ربيعة بن عباد الديلى (55) .
- ابن الاثير : الكامل في التاريخ (56) .
- روايته عن عبد الرحمن بن زياد بن انعم (57) .
- الواقدي : مغازيه (58) .
- البلاذري (59) (فتوح البلدان).

خامسا : اذن فسنتناول التعريف بمصادر النويري وتقييمها حتى يمكن بالتالى تقييم المعلومات التى أوردها النويري عن افريقية وبلاد المغرب والاندلس .

1 ـ روايته عن الزهري عن ربيعة بن عباد الديلى :

يذكر المالكي أن ربيعة بن عباد الديلى كان صاحبى له صحبة لرسول الله (ص) وحدث عنه (60) ودخل ربيعة مع عبد الله بن سعد

---

(52) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 157، 165.
(54) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 164.
(55) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 178
(56) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 196، 200.
(57) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 198،
(58) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 210.
(59) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 186.
(60) قال ربيعة بن عباد الدؤلى : رأيت رسول الله (ص) بذى المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم الى الله عز وجل، ووراءه رجل يعدو جنبه وهو يقول : «أيها الناس لا يغرنكم هذا من دينكم ودين آبائكم» قلت «من هذا ؟» قالوا : «عمه أبو لهب لعنه الله» ـ أنظر المالكى : رياض النفوس 1 : 51.

(ابن أبى سرح) افريقيه ، وشهد غزوها وكانت له بها آثار ومقامات (61) .

أما عن الزهري فقد حاول De Slane أن يتعرف على شخصيته، وانتهى الى أن النويري اصطنعه اصطناعا ليعطى لتاريخه هيئة التاريخ الصحيح المسند ، وكان ذلك من أقوى المآخذ التى أخذها De Slane على النويري (62) . ولكن النويري بريء من هذا التدليس، فالزهري شخصية حقيقية وراوية معروف وهو يسمى أبو عبد الرحمن المسور بن مخرمه بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب (63) صحب النبى (ص) وروي عنه، أسلم أبوه يوم فتح مكة ، وأمه اخت عبد الرحمن بن عوف الزهري ، وولد المسور في السنة الثانية من الهجرة ، دخل افريقيه غازيا مع ابن أبى سرح ، وشهد معه المغازي والمعارك ، وهو الذي حرض عثمان على غزوها، وتوفى في سنة 64 هـ / 683 م (64) .

ويذكر حسين مؤنس ان المسور هذا زهري من عرب زهرة ولا غبار على تسميته بالزهري اختصارا وما أورده البلاذري في كتابه انساب الاشراف يؤكد صحة هذا التعليل اذ يذكره «المسور بن مخرمه الزهري» (65) .

يضاف الى ذلك ان المالكى في كتابه «رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم» يترجم لابى عبد الرحمن المسور بن مخرمة ويروي طائفة كبيرة من أخباره عنه، أي أنه كان من

---

(61) المالكى : رياض النفوس 1 : 51.
(62) أنظر حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ص 309.
(63) أنظر ترجمة أبو عبد الرحمن المسور بن مخرمة فى المالكى : رياض النفوس 1 : 45 – 46.
(64) البلاذرى : فتوح البلدان ص 244، تاريخ خليفة بن خياط 1 : 321.
(65) البلاذرى : انساب الاشراف 1 : 327، 405.

الاخباريين اللذين أخذ عنهم أهل المغرب أخبار بلادهم ، لان المالكى في كتابه استوعب كثيرا من الاخبار التى وردت في الكتب المتقدمة التى كتبت في بلاد المغرب ، وعلى هذا فالزهري الذي أخذ عنه النويري بطريق مباشر أو غير مباشر ، شخصية معروفة لها قيمتها العلمية (66) .

2 ـ روايته عن أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن انعم المعافري السفيانى قاضى افريقية (74 ـ 161 هـ / 693 ـ 778 م) ترجم له كل من أبو العرب في كتابه الطبقات ص 27 ـ 33 وابن الناجى في المعالم 1 : 171 والمالكى في رياض النفوس 1 : 96 ـ 103.

وهو من جلة المحدثين منسوبا الى الزهد والورع صلبا في دينه، متفننا في علوم شتى ، وكان أول مولود ولد في الاسلام بعد فتح افريقية في 74 هـ / 693 م وكان مسكنه بالقيروان بقرب باب نافع وتوفى في رمضان 161 هـ / 778 م .

شارك في الحملات الاسلامية على جزيرة صقلية في 116 هـ / 734م وأسرته القوات البزنطية ولم يطلق سراحه الا في سنة 121 هـ / 739م عندما تم تبادل الاسرى بين العرب والروم .

وقيل ولى القضاء مرتين : الاولى في أيام بنى أمية ، ولاه عليها مروان بن محمد الجعدي آخر ملوك بنى أمية ، وأقام قاضيا حتى سقوط الدولة الاموية في 132 هـ . والثانية بعد قيام الخلافه العباسية وبعد استيلاء الصفرية على القيروان في 140 هـ وطردهم منها أجمع أهل القيروان على ولايته لما علموا من دينه وفضله وزهده، فسار فيهم بسيرة العدل ، وأقام فيهم الكتاب والسنة ولم يزل

(66) المالكى : رياض النفوس 1 : 51، حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ص 309.

على ذلـك حتى عزله يزيـد بن حاتـم والـى افريقية عن القضاء، فتـرك القيروان ورحـل الى تونـس (67) .

ولقـد شارك عبد الرحمن في الاحـداث السياسية التى حدثت في عهد، خصوصا انتقـال السلطـة من الامويين الى العباسيين ، واشتراكه ضمن وفـد علماء افريقيـة الى بغـداد بعد استيلاء الصفرية على القيروان في 140 هـ ، كما سافـر الى المشـرق للحج ومن الطبيعى أنـه تقابل مـع علمـاء مصـر المعاصرين لـه مثل ابـن لهيعة وعبد اللـه بن وهـب ومحمد بن عبد الحكـم فنقل اليهم روايات المغاربة كما تأثـر بروايات المصرييـن حـول بـلاد المغـرب ويعلـق سعـد زغلـول عبـد الحميـد انـه يمكن التقرير بنـاء على الـروايات القليلـة التى وصلت الينا عـن طريـق المتأخرين مثل البكري وصاحب الاستبصـار وابن عذاري أن عبـد الرحمن كان لـه عنايـة خاصـة بالروايـات الاسطورية أو القصـص الشعبى العجيـب . بينما نجـد النويري ينقـل عنه دور الكاهنة في تخريب افريقيـة وعزل حسان وتولية موسى بن نصيـر اللخمى (68) .

3 ـ روايته عن الواقـدي (130 ـ 207 هـ / 747 ـ 823 م) ولـد الواقدي في المدينـة ، وكان من الحناطين (بائعى الحنطة)، وكان الخليفة هـارون الرشيـد قد حج مـع وزيره يحيى بن خالـد البرمكى ، فـورد المدينـة فأراد رجـلا عارفا بالمدينة والمشاهـد، فدله النـاس علـى الواقـدي ، فأزارهما كل المشاهـد وعجب منه الرشيد وأمر له بعشـرة آلاف درهم وطلب منـه الوفود الى بغـداد . وفعلا انتقل الواقدي الـى حيث عين قاضيـا في الجانـب الشرقى من بغـداد ثـم نقله المامون الى معسكر المهـدي وهى محلة بغـداد التى عرفت بعـده بالرصافـة ومـات بهـا وكان الواقدي شيعيا ولكنه أنكـر التشيع تقية في مصنفاته (69) .

---

(67) : تاريخ خليفة بن خياط 2 : 362، ابـو العـرب: الطبقـات ص 27 ـ 33، ـ المالكى : رياض النفوس 1 : 96 ـ 103 . ابن ناجى : معالم الايمان 1 : 171.

(68) انظر النويرى : نهاية الارب 22 198، 199، 200
ـ سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى 1 : 24.

(69) انظر للمحقق : دراسات فى تاريخ الدولة العربية ص 20 .

وأهم كتبه «فتوح افريقية» ويذكر حسين مؤنس ان «الادلة قليلة على ان كتاب الواقدي هذا عمر كثيرا ، فلو أنه بقى حتى القرن الثامن الهجري لاخذ عنه النويري» وبالطبع هذا غير صحيح فقد اعتمد عليه النويري (70) وغيره ، ويذكر استاذنا سعد زغلول عبد الحميد، ان هذا الكتاب أخذ يتطور مع مرور الوقت حتى وصل في الشكل الاسطوري الذي هو عليه الآن (71) ، ولكن عند مقارنة ما أورده النويري عن الواقدي بخصوص مآساه آل موسى بن نصير والقضاء على نفوذهم فما ورد من معلومات بفتوح افريقية المنسوب للواقدي والذي تنشر في جزئين بتونس سنة 1966 ، لا نجد أية صلة بل ان المعلومات التى أوردها النويري لا توجد بتاتا في المنشور مما يدل على أن ما نقله المؤرخين أمثال البلاذري والنويري وغيرهم عن الواقدي من كتاب مفقود الآن ، لا اعتقد انه يتم بصلة للكتاب الذي بين أيدينا الآن (72) .

ويلاحظ أنه في الوقت الذي يعتمد النويري على الواقدي بشكل جزئى نجده يعتمد على الرقيق القيروانى بشكل كلى سواء بالنسبة لتاريخ المغرب من سنة 69 هـ الى نهاية الدولة الاغلبية (73) وتاريخ الاندلس من سنة 273 هـ في نهاية ولاية محمد بن عبد الرحمن الاموي الى ما قبل 424 هـ حيث يبدأ النويري في الاعتماد على تاريخ ابن شداد الصنهاجى (74) ويفسر حسين مؤنس ذلك بأن كتاب الواقدي ظل مستعملا حتى ظهر كتاب الرقيق فأهمله ، ولما كان ابن الرقيق

(70) انظر النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب 22 : 210.
— حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ص 310.
(71) انظر سعد زغلول عبد الحميد : «فتح المغرب بين الحقيقة التاريخية والاسطورة الشعبية» دراسة ونقد لمخطوط فتوح مدينة افريقية — مجلة كلية الاداب بالاسكندرية ، المجلد العاشر، سنة 1963.
(72) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : فتوح افريقية المنسوب للواقدى جـ1، 2 (تونس 1966م).
(73) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 112، 114، 134، 274، 275، 284.
(74) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 150، 300.

قد توفى في أوائل القرن الخامس الهجري فانه يمكن القول أن كتاب الواقدي كان ذائعا حتى القرن الرابع الهجري (75) .

4 ـ البلاذري وهو أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ت 279 هـ/ 892 م كان نديما للخليفتين المتوكل والمستعين العباسيين وعمل مؤدبا لعبيد الله بن المعتز ، وكتابه الذي ينقل منه النويري هو فتوح البلدان (الصغير) ، «ولا يعلم في فتوح البلدان أحسن منه» حسب «تعبير المسعودي» (76) ونقل النويري من فتوح البلدان المروات الاولى لجزيرة صقلية (77) .

5 ـ أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني وأيضا بالرقيق النديم ، صاحب ديوان الرسائل بالدولة الزيريه الصنهاجية بافريقية لمدة نيف وعشرين سنة . ولا نعلم تاريخ مولد هذا المؤرخ وكذا تاريخ وفاته ولكن المنجعى الكعبى وأحمد الجندي يرجحان وفاته بعد 417 هـ / 739 م (78) ونظرا لان النويري ينقل عن الرقيق حتى سنة 423 هـ ثم يبدأ في الاعتماد على كتاب ابن شداد اعتبارا من سنة 424 هـ فيما يخص أخبار الاندلس ، فيمكن لنا أن نرجح أن وفاة الرقيق القيرواني كانت بعد 423 هـ بدلا من 417 هـ (79) .

وهو يعتبر أشهر مؤرخي افريقية وبلاد القيروان (80) ولذلك اعتمد عليه كل من المشارقة مثل : ابن الاثير والنويري أو من المغاربة

(75) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ص 310.
(76) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر 1 : 22، المحقق : دراسات فى تاريخ الدولة العربية ص 24.
(77) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 186.
(78) الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص 30، قطب السرور فى اوصاف الخمور، تحقيق احمد الجندى المقدمة ص، ج، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى 1 : 26.
(79) انظر النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب 22 : 134.
(80) له عدة مؤلفات منها تاريخ افريقية والمغرب، وكتاب النساء، كتاب الراح والارتياح، وقطب السرور فى الانبذة والخمور، نظم السلوك فى مسامرة الملوك فى اربع مجلدات.
ـ أنظر الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص 23، محمد بن شاكر الكتبى : فوات الوفيات والذيل عليها 1 : 41 (ت 12).

مثل : ابـن عذاري وابن خلدون ، ولتقييم كتاب الرقيـق تكفى شهـادة ابـن الاثيـر له عندما ينقـل عنه أخبار المغرب ، فيرجحها على غيرهـا، قائـلا : ورب البيت أدرى بما فيـه (81) .

وبمراجعة القطعة الخاصة بتاريخ افريقية والمغرب المنسوبة لرقيـق القيروانى والتى قام بتحقيقها المنجى الكعبى بتونس سنة 1968 والتـى تبـدأ من ذكـر ولايـة عقبة بن نافع الثانيـة ص 139 من مخطـوط النويري وتنتهى بذكـر جزء من ولايـة ابـن العباس عبد اللـه بن ابراهيم ابـن الاغلـب ص 213 من مخطوط النويـري ، يتضـح ان هذه القطعـة تحتـاج الى اعـادة نشـر مـرة أخرى أولا : لمـلأ الفجوات والكلمات الغير واضحـة أو التى أكلتهـا القرضـة في مخطوط الرقيـق وثانيا لتصحيـح الكثير من الكلمات التى لـم يـوفـق في قراءتها المنجى الكعبـى ، ولـو اطلع على مخطوط النويري لوفر على نفسه الكثير من الجهد والاستنتاج(82)

وعلى سبيل المثـال لا الحصر : ففى الرقيـق حسب تحقيـق المنجى الكعبى ص 45 «دلنى على **حال** البربر والـروم» وصحتها في النويـــري ص 141 «دلنـى على **رجال** البربر والـروم» وفي ص 46 بالرقيق نقـص كبير، موجـود بالنويـري ص 141 وما بعدها . وفي الرقيـق ص 131 «كـانت ابنة عمها **(تحب)** اليـاس بن حبيب» ويعلق المحقق انها **(عنـد)** في البيـان وهذا خطـأ . وفي النويري ص 76 «وكانت ابنة عمهما **(تحت)** اليـاس بـن حبيـب» وبالطبع «تحت» او «عنـد» أصح من تحب التـى استنتجهـا المحقق . في ص 188 بالرقيـق «قول علينا من ترضـاه (موضـع ثـلاث كلمات غير واضحة لان بهـا تاريـض)» في ص 199 بالنويـري «قـول علينـا من ترضـاه **والا نظرنا لانفسنـا**» ، وفي ص 233 بالرقيـق لما مـات ابراهيـم بن الاغلـب [**انتقلت الولايـة من**] بعده. وفي 213 بالنويـري ولما مات ابراهيم بن الاغلب **صار الامر** بعده».

(81) انظر سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى 1 : 26.
(82) انظر النويرى : نهاية الارب في فنون الادب 22 : 190 الى 256.

6 ـ روايته عن «المآثر العامرية» وهو لاحد مؤرخي دول الطوائف التي قامت بعد اندثار الخلافة الاموية الاندلسية فانصرفوا الى ذكر اخبارها ، وهو حسين بن عاصم المتوفى في سنة 449 هـ / 1058 م، والكتاب يدور حول سيرة المنصور محمد بن أبي عامر وغزواته وأوقاتها (83) .

7 ـ روايته عن أبي عبد الله الحميدي وكتابه المترجم بالامانى الصادقة ، وهو أبو عبد الله محمد بن فتوح الازدي الحميدي (419 ـ 487 هـ / 1029 ـ 1095 م) ومن المعروف أن له مؤلف وحيد وهو «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس» وقد نشر بالقاهرة في 1966 م وهو عبارة عن معجم أبجدي لعلماء الاندلس قدم له الحميدي بموجز في تاريخ جزيرة الاندلس . ويروي ان الحميدي كتب هذا المعجم في بغداد بعيدا عن المراجع اللازمة ، مما أدى الى عدم الدقة في كثير من التواريخ الواردة به وقلة قيمة المعلومات الواردة حول تراجمه بالنسبة لما سبقه وما الف من بعده من كتب التراجم (84) .

اما بالنسبة لكتاب «الامانى الصادقة» فهو غير معروف ولم يعثر بعد على نسخة منه .

8 ـ عز الدين أبو محمد (أو أبو غريب) عبد العزيز بن شداد ابن الامير تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى وتاريخه المترجم «بالجمع والبيان في أخبار المغرب والقروان»

لقد اعتمد النويري على ابن شداد في تاريخ المغرب والاندلس، وبالنسبة لبلاد المغرب فاعتبارا من تاريخ الدولة الزيرية الصنهاجية بافريقية في 362 هـ. أما بالنسبة للاندلس فاعتبارا من تاريخ ملوك الطوائف في 424 هـ ويستمر النويري في النقل من ابن شداد حتى

(83) بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ص 240.

(84) انظر مقدمة الحميدى : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الاندلس، بالنثيا : الفكر الاندلسى ص 210.

سنة 595 هـ حيث يذكر «انتهى تاريخ ابن شداد .. في أخبار المغرب الى هذه الغايه» (85) .

وكما هو واضح من اسمه ينتمي بالقرابة الى ابن أخى أمير افريقية يحيى بن تميم المتوفى في سنة 509 هـ / 1215 م ويذكر بروكلمان ان الكتاب ألف في سنة 540 هـ / 1145م بعنوان «كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان فيمن فيها وفي سائر بلاد المغرب من الملوك والاعيان. ولكن النويري يصحح لنا هذا التاريخ بما نقله عن ابن شداد حتى سنة 595 هـ. وبالتالى يمكن لنا أن نقرر أن ابن شداد انف كتابه بعد سنة 595هـ/ 1199م. ولم يكن النويري المؤرخ الوحيد الذي اعتمد على ابن شداد ، بل أخذ منه كل من ابن الاثير في كتابه الكامل وابن خلكان في وفيات الاعيان والمقريزي في الخطط (86) .

ولقد اعتمد ابن شداد فيما أورده عن المرابطين على أبو الحسن على ابن قنون قاضى مراكش للموحدين وهو على بن أبى القاسم بن عبد الرحمن المعروف بابن أبى قنون (حنون) التلمسانى تولى قضاء مراكش وسكن تلمسان روي عن أبى عبد الله الخولانى وأبى عمران بن أبى تليد وأبى على بن سكرة .

وكان عالما سيدا ، جوادا ، له مختصر في أصول الفقه وروي عنه أبو عبد الله بن عبد الحق التلمسانى وعقيل بن عطية وأبو الخطاب بن الجميل . ويروي ابن الابار في كتابه التكملة لكتاب الصلة أنه كان حيا في حدود الثمانين ثم يضيف في المعجمن أصحاب أبى على الصدفى «وقيل توفى سنة 577 هـ وهو أحد المعمرين» (87).

(85) انظر النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب 22 : 446.

(86) انظر De Salane : Histoire des Berbéres II, P. 483-484.

ـ بروكلمان : تاريخ الادب العربى، ترجمة عبد الحليم النجار، 6: 93.

(87) انظر ابن الابار : التكملة 2 : 285 ـ 286 ترجمة رقم 1916.

ـ المعجم ص 300 ـ 301 ترجمة رقم 271.

ـ العباس بن ابراهيم : الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام 9 : 60 ـ 61 ترجمة رقم 1312، ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الاول ص 159، 160 القسم الثانى ص 553.

9 ـ ابن اللبانة (ت 507 هـ / 1113 م) كاتب وشاعر بنى العباد، الوفى لهم بعد قضاء المرابطين على دولتهم بالاندلس وله عدة مؤلفات منها : كتاب مناقل الفتنة، نظم السلوك في وعظ الملوك، سقيط الدرر ولقيط الزهر (في بنى عباد) (88) فاضافة الى ما أورده النويري من شعر المعتمد بن عباد وابن اللبانة . ينقل عن الاخير مقارنته للدولة العبادية بالدولة العباسية ودور بنى العباد في موقعة الزلاقة وانهيار الدولة العبادية وما آل اليه أمر بنات المعتمد وخسه تصرف يوسف بن تاشفين (89) .

10 ـ ابن حزم (ت 456 هـ / 1063 م) وكتابة نقط العروس في أخبار بنى امية بالاندلس ، وقد نشر الكتاب زيبولد Seybold سنة 1911 ، ثم أعاد شوقى ضيف نشره في مجلة كلية الاداب بالقاهرة 1954 م ، كما ترجمه الى الاسبانية لويس سيكو L. Seco de Lucena (90)

وهو عبارة عن تراجم متفرقة لخلفاء بنى أمية في الاندلس مع الاهتمام بالاحداث المغربية النادرة التى وقعت في عهدهم، ويعتمد النويري بصفة خاصة على ما أورده ابن حزم بخصوص سقوط الدولة الاموية وسرعة انهيارها نظرا لمشاركته في الاحداث السياسيه في أواخر الدولة الامويه وبعد سقوطها ، كما يعتمد النويري فيما يخص تاريخ المغرب على ما أورده حول الدولة الصنهاجية وعصبيتها وكثرة عدد افراد اسرتها (91) .

11 ـ ابن الاثير ، عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجزري (555 ـ 630 هـ / 1160 ـ 1233 م) وهو

---

(88) - Encyclopédie de. l'islam I. P. 853 عمر فروخ : تاريخ الادب العربى 3 : 81.
(89) انظر النويرى : نهاية الارب 22 : 164 — 167.
(90) أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلسى ص 485.
(91) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 152، 316.

مؤرخ موهوب قام بتلخيص كتاب الطبري في تاريخ الامم والملوك اذ انه كان عمدة التواريخ بالنسبة للقرون الثلاثة الاولى للهجرة ، بعد حذف الاسناد الذي كان يثقل الرواية التاريخية ويقطع أوصالها. وانتقاء الروايات الموثوق بها، وسد الثغرات التى وجدها (92) مثل عدم اهتمام الطبري بأخبار المغرب والاندلس ، مما أثار دهشة ابن الاثير عند حديثه عن فتح الاندلس ، فبعد ان أورد الاسطر القليلة التى سجلها الطبري قال : هذا جميعه ذكره أبو جعفر في فتح الاندلس وبمثل ذلك الاقليم العظيم والفتح المبين لا يقتصر فيه على هذا القدر ، وانا أذكر فتحها على وجه أتم من هذا ، ان شاء الله تعالى – من تصانيف أهلها اذ هم أعلم ببلادهم ، ولكنه أهمل الاشارة الى مصادره مثل محمد بن يوسف الوراق والبكري .

هذا كما يتضح ان ابن الاثير اعتمد على مصادر تحتوي على معلومات من كتب افرنجية قديمة في تاريخ المغرب والاندلس قبل الاسلام (93) وخلال الفتح العربى للاندلس لذلك تجد النويري يعتمد على ابن الاثير حينما يريد أن يقارن به ما ورد عند ابن الرقيق، فحينما يتناول النويري ولاية حسان بن النعمان الغسانى وارساله الى افريقية يذكر «قال ابن الاثير في تاريخه الكامل انه استعمله في سنة أربع وسبعين بعد مقتل عبد الله بن الزبير وقال ابن الرقيق انه ندبه الى افريقية بالجيوش في سنة تسع وستين» (94) ، أو حينما ينفرد ابن الاثير بمعلومات لا يجدها النويري في المصادر الاخرى بنفس الاستيفاء مثل قوله «وقد ذكر ابن الاثير في تاريخه الكامل أخبار الاندلس وابتداء امرها فاخترنا ايراد ذلك لانها من أعظم

(92) للمحقق : دراسات فى تاريخ الدولة العربية ص 37، 38.
(93) ابن الاثير : الكامل الجزء الرابع، احداث سنة 92 هـ.
– سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ص 34.
(94) انظر النويرى : نهاية الارب 22 : 196.

الفتوحات الاسلامية» (95) ثم حينما يعتمد النويري على المؤرخ ابن شداد الصنهاجي وكتابه الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان عند تناوله للدول البربرية ببلاد المغرب : الزيرية الصنهاجية ، المرابطية، الموحدية حتى سنة 595 هـ للمقارنة والمقابلة اذ يذكر النويري في نهاية هذه السنة «انتهى تاريخ ابن شداد وابن الاثير في أخبار المغرب الى هذه الغاية» (96) .

12 ـ الفتح بن خاقان الاشبيلي (ت 529 هـ / 1134 م) وهو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن محمد بن خاقان القيسي الاشبيلي ، ولد في قرية يقال لها صخرة الولد قرب قلعة يحصب من أعمال غرناطة . وكتابه «قلائد العقيان» قد ألفه بين سنة 506 هـ وسنة 521 هـ ، وقدمه الى الامير أبي اسحق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين . أراد الفتح أن يقلد ابن بسام في الذخيرة، باختيارات من أشعار معاصريه مع نتف طريفة من أحداث حياتهم من غير التزام منهاج أو استقصاء ، مصوغة في نثر فني أنيق ، غير أنه لم ينجح في هذا (97) .

سادسا : قيمة الجزء الثاني والعشرون من نهاية الارب :

هذه هي مصادر النويري ويلاحظ أنه اعتمد ، اعتمادا كليا على كل من ابن الرقيق وابن شداد فيما يخص تاريخ المغرب والاندلس ، كما تميز باعتماده على مؤلفات اندلسية فيما يخص تاريخ الاندلس مثل المآثر العامرية ومؤلفات ابن اللبانة وابن خاقان . أي أن النويري كتب تاريخه في عصر كثرت فيه الاخبار والمؤلفات عن افريقية والمغرب

(95) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 200، 201.
(96) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 446.
(97) أنظر الحموى : معجم الادباء 16 : 186 — 192، ابن خلكان : وفيات الاعيان، 4 : 23 — 24. عمر فروخ : تاريخ الادب العربى 3 : 186 — 187.
Encyclopedie de l'Islam II, P. 836 , Brokelman, G.A.L. 1 : 413 , S. 1 : 579.

والاندلس وصنفها نفر من ثقات أهل البلاد مثل ابن الرقيق وينتمون بالقرابة الى الاسر الحاكمة مثل ابن شداد الصنهاجى وغيرهم ممن تصدروا للكتابة في المغرب الاسلامى ، وذلك كله مكن النويري من أن يكتب الجزء الخاص بالمغرب والاندلس ، كتابة مسهبة مستفيضة ، تحتوي على تفصيلات لا نجدها في المصادر التى بين أيدينا.

ويذكر حسين مؤنس «بيد ان ما بين النويري وايام الفتح من طول الامد جعل الاحداث تختلط بكثير من القصص ، محفلة رواية النويري بطائفة عظيمة من الاقاصيص والاساطير» (٩٨) ، ويضيف المنجى الكعبى «حتى انه من فرط كثرة المادة التاريخية أمامه لم يستطع أن يستبعد كثيرا مما تحفل به من القصص والاساطير العجيبة (99) مثل رواية خوف عبد الله بن سعد بن أبى سرح قائد حملة العبادلة واضطجاعه في فسطاطه والحرب دائرة بين المسلمين والروم خوفا من القتل والاغتيال (100) . وقصة دعاء عقبة عند بناء القيروان لكى ترحل الحيات والسباع وغيرها من الحيوانات من موضع البناء ، وقصة الطريقة التى تم بها اختيار قبلة مسجد القيروان (101) ، وقصة ماء الفرس خلال غزوته للمغرب الاقصى (102) .

وهذه الروايات لم تكن مقصورة فقط على النويري ، بل كانت منتشرة في معظم المصادر التاريخية ، واذا تصفحنا كتب التاريخ التى تناولت الفتوحات المغربية ، نلاحظ أنها أحاطت هذه الفتوح بهالة من الخيال والتنبؤات ، ونسبت الى المسلمين وقوادهم أعمالا خارقة للبشر،

(98) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، ص 309.
(99) النويرى : نهاية الارب 22 : 187، 188.
(100) النويرى : نهاية الارب 22 : 180.
(101) أنظر الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب، مقدمة المحقق ص 19.
(102) أنظر النويرى : نهاية الارب 22 : 192، 193.

لان العناية الالهية كانت معهم تنقذهم وترعاهم رغم قلتهم ، وتقودهم الى النصر دائما كما لو كان الامر يتعلق بمعجزة من المعجزات (103).

والحقيقه ان هذه الصورة ، لا تنطبق تماما على ما اورده النويري الذي يذكر «وما اوردت فيه (تاريخه) الا ما غلب على ظني ان النفوس تميل اليه وان الخواطر تشتمل عليه» «ولو علمت ان فيه خطا لقبضت بناني وعصصت طرفي» (104).

لذلك نجد ان الباحث لا يحتاج الى كبير جهد لتتبع قصه الفتح العربى للمغرب والاندلس من خلال ما اورده النويري من احداث.

فتاريخ المغرب والاندلس كما اورده النويري اشبه ما يكون بكتاب حديث فهو مرتب منسق ، ما عدا ما يخص تقديمه للدوله الامويه بالاندلس على الفتح العربى للمغرب والاندلس وفترة حكم الولاة للدولة الاموية بدمشق والعباسيه ببغداد (105) وهو لا يهتم كثيرا بايراد اختلافات الرواة، بل ياخذ بالرواية التى يفضلها ويعلق استاذنا سعد زغلول عبد الحميد على ذلك بقوله :

«واذا كان ذلك يمكن ان يعتبر من حسناته بصفته سهل التناول، يقصد الى الغرض مباشرة ، الا انه يضعف من قيمته كمصدر أصيل، اذا ما قورن بغيره من الكتاب الذين اعتنوا بتسجيل اختلاف الرواة في المسألة الواحدة ، تاركين الامر لتقدير الباحث ، أو مرجحين بعض الروايات على غيرها» (106) ولقد أصاب استاذنا في الشق الاول من تعليقه ولكنه ظلم النويري وكتابه في الشق الثانى . فالنويري

(103) حول هذه التنبؤات راجع ابن الاثير : الكامل 4 : 269 — ابن خلكان : وفيات الاعيان 4 : 403، تاريخ عبد الملك بن حبيب فى مجلة الدراسات الاسلامية بمدريد سنة 1957 ص 221 ابن الكردبوس فى مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد سنة 1965م عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص 77 (حاشية 3) .

(104) أنظر النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب 1 : 25.

(105) أنظر النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب 22 : 49 وما بعدها.

(106) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى 1 : 35 — 36.

لم يقصد الكتابة عن المغرب والاندلس فقط ، بل قصد الى تأليف موسوعة شاملة من احدى وثلاثين مجلدا وبالتالى سوف تختلف طريقة تناوله لاحداث لمغرب والاندلس عن الباحث المتخصص الذي يريد أن يتناول تاريخهما فقط ويكفيه أنه احتفظ لنا بنقول أو ملخصات مصادر مفقودة الآن مثل ابن الرقيق وابن شداد الصنهاجي. كما أنه لم يكتف بالنقل فقط ، بل تعداه الى تمحيص الحقائق والتعليق عليها فحينما ينقل عن ابن الرقيق في ذكر قيام خلافة عبد الرحمن بن محمد يذكر لنا أن ابن الرقيق يروي «انه اخ لعبد الله بن محمد» ويعلق على روايته قائلا : «وليس بصحيح ، وينقض ذلك عليه أنه قال انه ولي وهو ابن اربع وعشرين سنة ، ووفاة محمد بن عبد الرحمن قبل مولد عبد الرحمن هذا باربعة سنين ، واظنه اشكل عليه امره والتبس عليه محمد بن عبد الله بجده محمد بن عبد الرحمن والله تعالى أعلم» (107) .

وفي الوقت الذي لا نجد بين أيدينا مؤلفات خاصه بتاريخ الدولة الاغلبية ، اذ ان كتاب الامير محمد بن زيادة الله بن الاغلب الذي دون فيه أخبار اسرته الى ما قبل وفاته سنة 283 هـ / 896 م لم يصل الينا ، لا نجد أمامنا غير بعض المصادر العامة على رأسها كتاب النويري . وتظهر اهمية تاريخ النويري بالنسبة للاغالبة في الروايات المستفيضة التى ينقلها من كتاب الرقيق ، فكأنه لم يترك من كتاب القيرواني شيئا . وهذا ما يميز روايته عن رواية ابن الاثير الذي اكتفى بتلخيص الرقيق والوراق والقاضي النعمان ، وغيرهم من مؤرخي المغرب (108) ، ولذلك نجد De Slane يقوم بترجمة الجزء الخاص بفتوحات العرب لافريقية والمغرب وعصري الادارتين الاموية والعباسية والدولة الاغلبية من كتاب النويري الى

(107) انظر النويرى : ذكر قيام الخليفة عبد الرحمن بن محمد.
(108) انظر سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى 1 : 36.

الفرنسيــة كملحق لترجمته لتاريخ المغرب من كتاب العبر لابن خلــدون موضحا ان معلومــات النويــري تتميز بالتفصيل والاسهاب عن معلومــات ابــن خلــدون (109) .

وكذلك بالنسبــة لتاريخ الدولــة الزيرية الصنهاجيـــة بالقيروان وافريقيــة التى اعتمد فيها على كتــاب الجمع والبيان في اخبار القــروان فيمن فيها وفي سائر بلاد المغرب من الملوك والاعيان، لابى محمد عبد العزيز ابن شداد بن الامير تميم بن المعــز بن باديــس الصنهاجي، منذ قيــام الدولة في 362 هـ الى سقوطها في 543 هـ / 1148 م (109 م) واذا كانــت الدولة الاغلبية شغلت 50 صفحة من المخطوط فالدولة الزيريــة شغلــت ضعف هذه الصفحات من المحطوط ، وتناول النويري بالتفصيل أخبــار زيــري بن منــاد وابنــه يوسف بلكين بن زيــري ، والمنصور بن يوسف ابن زيــري ، وبــاديــس بن المنصور، والمعــز بن باديــس ، وتميم بــن المعــز بن باديــس وغيرهم حتى انقراض دولة بنى زيري من افريقية.

كما يتنــاول ابتداء دوله الملثمين وأخبارهم وأسباب خروجهم مــن الصحراء الى الســوس وما قيل في سبب لثــام المرابطين وانتقالهم الــى الاندلس ثم ظهــور دولة الموحدين بالمغــرب والاندلس ونتمير معلوماتــه عن المهدي بن تومــرت وعبد المؤمن بن على بالاستفاضــة . وان كانــت الروايــات التى أوردها عن الدولــة الزيرية تمتــاز بالاصالة والجدية اد تكــاد تكون اما منقولــة عن ابن شــداد بالكامــل أو ملخصة بشكل جيد عنــه فــان معلوماتــه التى أوردتهــا عن المرابطين والموحدين بالمغــرب والاندلس تشكل عاملا ايجابيــا عند مقارنتها بما أورده المؤرخين المغاربة مثل كتاب الانيس المطرب المنسوب لابن أبى زرع وأعمال الاعلام لابن الخطيــب بقسميــه المغربى والاندلسى وغيرهم.

(109) انظر De Slane : Histoire des berbéres et des Dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionale, P. 314.

(109م) وانهارت الدولة الحمادية فى 547هـ بعد ذلك.

ويلاحظ ان النويري حينما يبدأ في تناول الدولة سواء كانت الاموية في الاندلس أو الاغلبية بالقيروان ورقادة أو الزيرية في آشير أو القلعة أو المرابطية والموحدية ، يتناول التاسيس ومراحل الحكام الاولى باسهاب شديد ثم يبدا في التلخيص والتدبير وبه ينسى نفسه ثم يتدارك الامر ويدرك الهدف الذي من اجله يؤلف كتابه الموسوعى ويعود للتلخيص مرة اخرى.

وأخيرا يتناول النويري في كتابه هذا ذكر أخبار جزيرتى صقليه واقريطش واول من غزا صقليه في الاسلام واسباب فتح الجزيرة ودور الاغالبة وولاتهم بها ثم بداية ثورات أهل الجزيرة واستيلاء الفرنج عليها . ثم ينتقل الى اخبار جزيرة اقريطس الاسلامية وكيفية ارتدادها الى النصرانية .

ويقيم فازيلييف هذا القسم بقوله : «ان نهاية الارب في ترجم من تأخر عصره يحوي اخبارا خطيرة عن صقليه نقلها عن مؤرخين قدماء لم يصل الينا كتبهم مثل ابن الرقيق وابن رشيق وابن شداد وغيره» (110)

ومؤرخنا النويري امين في روايته فبعد ذكر ولاية أبى محمد عبد العزيز بن يوسف بن عبد المؤمن أحد خلفاء الدولة الموحدية يقول : «هذا ما وقفت عليه من اخبار ملوك دولة الموحدين مما دون لهم على ما فيه من الاختصار **ثم انقطعت أخبار ملوك المغرب عن الديار المصرية فلم يصل الينا من خبرهم الا ما نتلقاه من أفواه الناس ولم يتحقق من أخبارهم ما نورده فتكون العمدة عليه** ، لكن علمنا من ولى الامر من ملوك هذه الدولة بعد محمد بن عبد العزيز هذا واحدا بعد واحد الى أن انقرضت الدولة وقامت دولة زناتة من غير أن يتحقق تاريخ ولاية أحد منهم ولا وفاته فرأينا أن نذكر ذلك مجردا عاريا من الاخبار والوقائع **ونقلت ذلك عن ثقة أخبرنى أنه نقله عن ثقات**» (111).

(110) عن عبد الحميد حميدة : اعلام الجغرافيين العرب ص 438.
(111) أنظر النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب 22 : 451.

أما حينما يتعرض ذكر بداية الدولة المرينية ويعتذر عن قلة معلوماته يقول : «وانما اقتصرنا من أخبارهم على هذه السدة لانهم منعوا في ابتداء دولتهم أن يؤرخ لهم أو تدون أخبارهم وقتلوا محمد ابن عبد الله بن أبى بكر القضاعى المعروف بابن الابار وكان قد أرخ اخبارهم وأخبار غيرهم واعدموا ما وجدوه عنده وعند غيره من أوراق التاريخ المنسوبة لهم ولغيرهم فهذا هو الذي منع من انتشار أخبارهم» (112) ، ولكن النويري يجانبه الصواب ، اذ أن ابن الابار كان كاتبا لامراء الموحدين في الاندلس وبعد سقوط موطنه بلنسية بأيدي نصارى الاسبان هاجر الى افريقية واستقر بتونس عاصمة الدولة الحفصية ، وحظى عند الامير أبى زكريا الحفصى، «ورشحه لكتب علامته في صدور رسائله ومكتوباته ، فكتبها مدة» ثم عزل وأمر بلزومه بيته ، فلما مات أبو زكريا وخلفه المستنصر رفع من شأنه واتخذه وزيرا ولكنه اتهم بالاشتراك في التدبير على الامير فحنق عليه المستنصر وأمر بامتحانه ثم قتله فقتل طعنا بالرماح في 658 هـ وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سماعه وروايته واحرقت معه (113) ، ومن المرجح أن الذي أدى الى هذا الخلط خصوصا بعد سنة 620 هـ هو اعتماد النويري على ما يتلقاه من أفواه الناس الذين وصفهم بأنهم «ثقات» .

سابعا : وصف المخطوط :

لقد اعتمدت على ثلاث نسخ لتحقيق الجزء الثاني والعشرين من كتاب نهاية الارب في فنون الادب للنويري وهى كالاتى :

1 ـ النسخة الاولى وأشرت اليها بالرمز (د) : وهى نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم 547 معارف

(112) النويرى : نهاية الارب 22 : 456.

(113) أنظر ابن الابار : الحلة السيراء (نشر حسين مؤنس) 1 : 39، 45، الزركشى: تاريخ الدولتين ص 27، الوليد بن الاحمر : مستودع العلامة ومستدع العلامة ص 11، بالنثيا : الفكر الاندلسى ص 277 ـ 278.

عامة ، وبالرغم من أن هذه النسخة لا تحمل تاريخ النسخ أو حتى ناسخها ، اذ ان موسوعة النويري والمكونة من (31 مجلدا) ، قام العلامة أحمد زكي باشا بجمعها من مخطوطات استنبول والمكتبات الاوروبية وقد أشار المحقق محمد أبو الفضل ابراهيم الى النسخ الموجودة بدار الكتب المصرية (114) الاولى كاملة في (31) مجلدا والثانية غير متصلة الاجزاء وناقصة في ثمانية عشر مجلدا .

واذا علمنا ان ما نشر من موسوعة النويري اعتمد على نسختين مصورتين : الاولى بخط المؤلف (الجزء 17 : 379 ووافق الفراغ من كتابته في يوم الاثنين المبارك لسبع خلون من شهر رمضان المعظم عام 722 هـ ، الجزء 18 : 407 ووافق الفراغ من كتابته في يوم السبت المبارك لاربع بقين من شهر رمضان المعظم عام 722 هـ . **الجزء 21 : 540 ووافق الفراغ من تاليفه وكتابته في يوم الاثنين المبارك لتسع خلون من جمادي الآخرة عام 718 هـ .**

والنسخة الثانية بخط عدة نساخ (الجزء 17 : 379 كان الفراغ منه يوم الاثنين المبارك سلخ جمادى الاولى من شهور سنة 967 هـ، وذلك على يد كاتبه نور الدين بن شرف الدين العاملى بلدا ، الشافعى مذهبا ، الجزء 18 : 407 وكان الفراغ منه يوم الاثنين المبارك تاسع جمادى الاولى سنة 967 هـ ، على يد كاتبه نور الدين

(114) وهى كالاتى :
ا ـ النسخة المصورة عن مكتبة كبريلى بالاستانة وهى نسخة كاملة تقع فى 31 مجلدا، محفوظة بالدار تحت رقم 549 معارف عامة.
ب ـ النسخة المصورة عن مكتبة أيا صوفيا بالاستانة وهذه النسخة كسابقتها تقع فى (31 جزءا) أيضا ويظن أنها بخط المؤلف، الا أنها ناقصة، والاجزاء الموجودة منها بدار الكتب ثمانية عشر جزءا غير متصلة محفوظة بدار الكتب ثمانية عشر جزءا غير متصلة محفوظة بدار الكتب برقم 551 معارف عامة. أنظر النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم 19 : 5 ـ 6.

ابن شرف الدين العاملي ، الجزء 21 : 540 وكتبه محمد بن ابي النصر المنوفي الحنفي) (115) .

ادركنا أن النسخة المصورة التي بين ايدينا اما أن تكون بخط المؤلف نفسه أو بخط نور الدين بن شرف الدين العاملي أو بخط محمد بن أبي النصر المنوفي الحنفي ولكن من الممكن لنا آن نرجح أن النسخة التي بين أيدينا بخط المؤلف نفسه لانه في نهاية الفن الخامس من المجموعة التي تنتمي اليها هذه النسخة كتب (كمل السفر الخامس من كتاب نهاية الارب في فنون الادب على يد مؤلفه .. ووافق الفراغ من كتابته في يوم الاحد المبارك لثمان بقين من شهر ربيع الاول سنة 722 هـ) .

وتتالف هذه النسخة من (242) ورقة ، (22 × 17 سم) وعدد سطور الصفحة سبعة عشر سطرا وهي مكتوبة بخط كبير واضح، نسخ جميل ، وان كانت تنقصها بعض نقاط الكلمات .

2 ـ النسخة الثانية وأشرت اليها بالرمز (ج) : وهي ما قام المستشرق جسبار ريميرو Mariano Gaspar Rimero بنشره في سنتي 1916 ـ 1917 في Revisto del Centro de Estudios Historicos de Granada y su Reino Ano 1916 P. 152-263 , Ano 1917 P. 1-264.

والسبب الذي دفعني الى اعتبار ما نشره جسبار مخطوطة ثانية، لانه اعتمد على عدة مخطوطات أوروبية وبالتالي فسوف تظهر الفائدة بعد مقارنة كل منهما اذ أن جسبار لم يوفق في قراءة الكثير من الكلمات العربية سواء كان ذلك بسبب رداءة المخطوطات التي اعتمد عليها أو عدم توفيقه مع لغة غريبة عليه .

(115) ومن الجدير بالذكر أن ابراهيم الابياري يذكر انه جاء في آخر الجزء التاسع بخط ناسخ له يدعى نور الدين بن شرف الدين بن أحمد العاملي وذلك في سنة 766 هـ. اي بعد وفاة المؤلف بنحو 33 سنة. انظر تراث الانسانية ص 334.

3 ـ النسخة الثالثة وأشرت اليها بالرمز (م) : وهى ما نشره ميخائيل أماري M. Amari للجزء الخاص بصقلية من كتاب النويري ضمن النصوص العربية التى جمعها حول تاريخ صقلية ونشرها في 1857 م ضمن كتابة «المكتبة العربية الصقلية» من ص 425 الى ص 458 وبالرغم من أن ما نشره اماري لا يتجاوز 33 صفحة الا انه ذوي فائدة كبرى لمقارنة الجزء الخاص بصقلية بالمخطوط .

4 ـ النسخة الرابعة وأشرت اليها بالرمز (ع) : وهى النسخة الخاصة بالجامعة العربية والمصورة عن نسخة أمانة خزينة استنبول رقم 1369، والمنسوبة للمؤلف، اذ ذكر في نهايتها أنه كمل «على يد مؤلفه الفقير الى عفو ربه أحمد بن عبد الوهاب... ووافق الفراغ منه في يوم الثلاثاء لخمس ليال بقين من صفر سنة 724 هـ». ونظرا لتشابه خط هذه النسخة مع خط النويرى الثابت في بعض الاجزاء المحفوظة بدار الكتب المصرية وكذا النسخة الاولى التى أشرت اليها بالرمز (د) . نرجح انتماء كل من النسختين الى النويري.

ولذلك فقد اتخذنا من النسخة (د) المصورة عن دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم 547 معارف عامة أصلا للتحقيق واتخذنا من نسخه الجامعة العربية التى رمزنا لها بالرمز (ع) مع باقى النسخ الباقية أصول معاونه.

الجزء الثاني والعشرون

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للعبد
الفقير إلى الله تعالى أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن
عبد الدائم البكري التيمي القرشي المعروف بالنويري عفا الله عنه
يشتمل على بقية الباب الخامس من القسم
الخامس من الفن الخامس في أخبار الدولة [illegible]
العلويين والأمويين [illegible]
الدولة العباسية وعلى الباب الثامن [illegible]
إفريقية وبلاد المغرب

[illegible] رحمه الله تعالى

[illegible]

[illegible]

[illegible] حوادث السنين [illegible]

الله تعالى ه [illegible]

[illegible] بلاد [illegible]

كمل الجزء الثاني والعشرون من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء

الثالث والعشرين منه أوله

[illegible]

[illegible]

[illegible] الطالبيين [illegible]

[illegible]

[illegible] وصلى الله على سيدنا محمد [illegible]

تسليما كثيرا ه وحسبنا الله ونعم الوكيل

[1] الجــزء الثــانــى والعشرون

من كتاب نهــايه الارب، فى فنون الادب

تاليــف العبــد الفقيــر ، الــى عفــو ربــه القديــر ، أحمــد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم البكرى التيمى القرشى المعــروف، بالنويري عفى الله عنــهم .

يشتمــل هذا الجــزء على البــاب (1) الخامس من الفن الخامس من القسم الخامس على أخبــار ملوك الاندلس من العلويين والامويين ومــن ملك بعد بنى أميــة الى حين انقــراض الدولة العبادية وعلى البـــاب الســادس منه في أخبــار افريقيــة وبــلاد المغــرب .

---

(1) «باب» فى ج ص 152.

[2] بسم الله الرحمن الرحيم (2)

الباب الخامس

من القسم الخامس من الفن الخامس في أخبار الدولة الاموية ببلاد الاندلس

---

(2) «وبه نستعين» زيادة في ج ص 154.

كان ابتداء هذه (3) الدولة في سنة ثمان وثلاثين وقيل تسع وثلاثين ومائة في خلافة أبى جعفـر المنصور الثانى من خلفاء الدولة العباسية وأول من ملـك بـلاد الاندلس من بنى اميـة.

أبو المظفر عبد الرحمن بن معاوية

ابن هشام بن عبد الملك بن مروان وقيل في كنيته أبو المطرف وقيل أبو سليمـان وقيل أبـو زيـد وأمه بربريـة من سبى افريقية واسمها راح (4) ولقب عبد الرحمن بالداحل عند دخوله بـلاد الاندلس . وكان استيلاء عبد الرحمن على الاندلس في سنـة ثمان وثلاثين ومائة وقيل تسع وثلاثين وكـان سبب دخوله اليهـا واستيلائه عليها انه لما قتـل مـروان بن محمد وانقرضت الدولة الامويـة وقتل من قتـل من بنى أميـة وتشتتوا في البـلاد كـان عبد الرحمن هذا بذات الزيتـون (5) ففر منهـا الى فلسطين فأقام بها هو ومولاه بـدر يتجسس [3] له الاخبار فحكى عنه أنه قال : «لما اعطينا الامان ثم نكث بنا بنهر أبي فطرس (6) أتانـى الخبر وكنـت منتبـذ (7) عن النـاس فرجعت الى منزلى آيسـا ونظرت فيما يصلحنـى

---

(3) «هذا» فى (ج) ص 154.

(4) «راج» فى (د) وصححتها من (ج) ص 154. وابن عذارى : البيان المغرب ج2 ص 47، والمقرى : نفح الطيب 1 : 333.

(5) ذات الزيتون : قرية على الفرات ذات شجر وغياض.

(6) نهر ابى فطرس : بضم الفاء، وسكون الطاء، وضم الراء، وسين مهملة : موضع قرب الرملة من أرض فلسطين على اثنـى عشر ميلا من الرملة ومخرجه من أعين فى الجبل المتصل بنابلس وينصب فى البحر الملح (الميت) بين مدينتى ارسوف ويافا، انظر الحموى : معجـم البلدان 5 : 315.

(7) «منتبذا» فى (ج) ص 155.

وأهلي وخرجت خائفا حتى صرت الى قرية على الفرات ذات شجر وغياض فبينا أنا ذات يوم فيها وولدي سليمن يلعب بين يدي وهو يومئذ ابن اربع سنين مخرج عنى ثم دخل علي باكيا فزعا فتعلق بى وجعلت ادفعه وخرجت لانظر فاذا بالخوف قد نزل بالقرية والرايات السود منحطة عليها واخ لي حدث يقول لي النجاة النجاة ، فأخذت دنانير معى ونجوت بنفسي واخي واعلمت اخواتي بمقصدي وامرتهن ان يلحقنى مولاي بدرا» . قال : «واحاطت الخيل بالقرية فلم يجدوا لي اثرا فأتيت رجلا (8) من معارفى وامرته فاشترى لى دواب وما يصلحنى فدل علي عبد له العامل فاقبل في خيله يطلبني فخرجنا على ارجلنا والخيل تبصرنا فدخلنا الفرات فسبحنا فنجوت أنا والخيل ينادون بالامان وأنا لا أرجع واما اخي فانه عجز عن السباحة في نصف الفرات فرجع اليهم (9) بالامان فقتلوه وأنا أنظر اليه وهو ابن ثلاث عشر سنة فاحتملت ثكله ومضيت وتواريت في غيضة حتى انقطع الطلب عنى وخرجت (10) فقصدت المغرب فبلغت افريقية ، ثم الحقتنى اختى ام الاصبغ مولاي بدرابنفقة وجوهر» .

قال المؤرخ ولما بلغ افريقية كان بها عبد الرحمن بن حبيب الفهري عاملا لمروان بن محمد فظن عبد الرحمن بن معاوية ان ابن حبيب [4] يرغاهم ويحوطهم ويحسن مجاورتهم ، فلما علم ابن حبيب ان مروان قد قتل وأن أهله وولده تفرقوا وان رجاله قد استأمنوا الى (11)

(8) «رجالا» فى (ج) ص 155.
(9) «اليم» فى (د) وصحتها من (ج) ص 155.
(10) «فخرجت» فى (ج) ص 156.
(11) «على» فى (ج) ص 156.

عمال أبي العباس السفاح (12) طلب لنفسه السلامة وكتب (13) بالسمع والطاعة واراد قتل عبد الرحمن بن معاوية ومن معه والتقرب بهم الى عمال السفاح وارسل في طلبه فهرب منه واتى مكناسة (14) وهي قبيلة من البربر عندهم مدة ثم هرب منهم وأتى نفزاوة (15) وهم أخواله وقيل أتى قوما من الزناتيين فأحسنوا قبوله وأقام فيهم وأخذوا في التدبير والمكاتبة الى الامويين من أهل الاندلس يعلموهم بقدومه ويدعوهم الى عبد الرحمن ووجه بدرا مولاه اليهم ، وكان أمير الاندلس يوم ذاك يوسف بن عبد الرحمن الفهري (16) فسار بدر

---

(12) هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن على، الخليفة العباسى الاول (132 – 136هـ) ويلاحظ وجود تشابه بين اسمه واسم عمه عبد الله بن على الذى كان واليا على الشام، وكذلك جرت العادة تلقيب هذا الخليفة بالسفاح بمعنى السفاك للدماء وقد علق عبد الحميد العبادى على ذلك بأن لقب السفاح المقصود به العم وليس الخليفة. انظر الادلة التى استند عليها فى صور وبحوث من التاريخ الاسلامى 2 : 70.

(13) «ولبث» فى (ج) ص 156.

(14) مكناسة : تقع مواطن هذه القبيلة فيما بين المغرب الاوسط والمغرب الاقصى، وعلى طول وادى ملوية تنتشر من المصب قرب تلمسان الى المنبع بالقرب من سجلماسة قبل أن تزاحمها قبائل أخرى من زناتة خلال حياة ابن خلدون. ومن فروع مكناسة قبائل جرسيف ومليله واليهما تنسب المدينتان المعروفتان بهذين الاسمين، كما ينسب اقامة رباط تازا أيضا الى قبائل مكناسة. أنظر الحموى : معجم البلدان مواد جرسيف ومليلة ومكناسة، الحميرى : الروض المعطار نفس المواد
E. F. Gautier : Le passé de l'Afrique du Nord, les siécles obscurs [Paris 1942] P 233.

(15) «نفزة» فى ج ص 156، ونفزاوة من القبائل البربرية البترية ومنها ولهاصة وتيرغاش وورفجومة، وقد اعطت نفزاوة اسمها الى الاقاليم الجنوبية من البلاد التونسية وما يتاخمها من بلاد طرابلس شرقا وصحراء قسنطينة غربا ومنها قبائل سدراتة التى اعطت اسمها للمنطقة فى جنوب وارجلا (واركلان)، راجع الحموى : معجم البلدان 5 : 296، الحميرى : الروض المعطار ص 578، 600 Gautier : Le passé de l'Afrique p. 230

(16) تولى يوسف بن عبد الرحمن الفهرى في 129هـ/746م بعد وفاة ثوابة بن سلامة زعيم جذام ولخم بتدبير من الصميل ابن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن الزعيم القيسى بالاندلس، ولذلك اضطر يوسف الفهري الى صرف الامور (مرغما) الى الصميل وأوقف عليه الرئاسة والتدبير فكان ليوسف الاسم وللصميل الرسم. أنظر ابن الاثير : الكامل 5 : 375، ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 53، ابن الابار : الحلة السيراء 2 : 341 – 343، المقرى : نفح الطيب 3 : 25، وللمحقق، القبائل العربية فى الاندلس حتى سقوط الدولة الاموية ص 70، 74.

اليهـم واعلمهم حال عبد الرحمن ودعاهـم اليه فأجابوه (17) ووجهـوا اليـه مركبا فيه تمـام بن علقمـة (18) ووهب ابـن الاصفـر وشاكـر بن ابـي الاشمط (19) فوصلوا اليـه وابلغـوه طاعتهم واخذوه ورجعـوا بـه الى الاندلس فارسى بالمرحب بالجزيـرة في شهر ربيع الاول سنـه ثمان وثلاثيـن ومائة ، فأتـاه جماعة من رؤسائهم من اهل اشبيلية ثـم انتقـل الى كورة رية فبايعه ابراهيم بـن شجره عاملها ثـم سار الـى اشبيلية فبايعه ابو صالح يحى بـن يحى ونهـد الى قرطبـه فبلغ خبـره يوسف بن عبد الرحمن وكان غائبـا عن قرطبة بنواحي طليطلة فاتـاه الخبـر وهو راجـع الى قرطبـة ، فتراسل هو ويوسف في الصلح مخادعه فلـم ينسـك أصحابِ يوسف في انتظـام الصلـح [5] وذلك في يوميـن أحدهما يـوم عرفة فاقبل يوسف في اعـداد الطعام لياكلـه الناس في يوم الاضحى وعبد الرحمن يرتـب خيله ورجاله (20) وعبر النهر في اصحابه ليـلا وانشب القتـال ليلـة الاضحى وصبـر الفريقان حتى ارتفـع النهار وركب عبد الرحمن على بغله واسـرع القتل في اصحاب يوسف فانهـزم وظفـر عبد الرحمن بن معاويـة .

ولمـا انهـزم يوسـف أتـى مـاردة وأتـى عبـد الرحمن قرطبـة وأخـرج حشـم يوسـف وأهلـه من القصـر على تـؤدة (21) ورفـق ودخلـه (22) بعـد ذلـك ثـم سـار في طلـب يوسـف، فلمـا أحس بـه يوسف سار الى قرطبة فدخلها وملك قصرها وأخذ جميع أهله ومالـه ولحق بمدينـة البيـرة ورجع عبد الرحمن الى قرطبـة فلم يجده فسار الى البيرة

(17) بعد رفض الصميل زعيـم القيسية تأييد عبد الرحمن بن معاوية، عرض بدر ومواليه بالاندلس الامر على القبـائل اليمنية فسارعت الى تأييد عبد الرحمن ومناصرته حتى تتمكن من أخذ ثارهـا من القبـائل القيسية لهزيمة شقندة في 130هـ/747م. انظر مجهول : اخبار مجموعة ص 73، دوزى : تاريخ مسلمى اسبانيا 1 : 192.

(18) هو تمام بن علقمة الثقفى الذى شارك فى فتح الاندلس وكان له فيه جهد مشكور.

(19) هو شاكر بن أبى الاشمط مولى هشام بن عبد الملك.

(20) «رجلة» فى د وصححتها من (ج) ص 157.

(21) «دور» فى (ج) ص 157.

(22) «فى» عند (ج) ص 157.

وتراسلوا في الصلح فاصطلحوا على أن ينـزل يوسف هو ومن معه بأمان وأن يسكن مع عبد الرحمن بقرطبة ويرهنه يوسف ابنه أبا الاسود محمدا (23) ، وسار يوسف مع عبد الرحمن الى قرطبة ، فلما دخل قرطبة تمثل :

فبينا نسوس الناس والامر امرنا اذا نحن فيهم سوقة نتنصف (24)

قال واستقر عبد الرحمن بقرطبة وبنى القصر والمسجد الجامع وانفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه .

ذكر مقتل يوسف بن عبد الرحمن الفهري :

قال وفي سنة احدى وأربعين ومائة نكث يوسف بن عبد الرحمن الفهري وكان سبب ذلك ان عبد الرحمن كان يضع عليه من يهينه وينازعه في أملاكه [6] فاذا أظهر حجته الشرعية لا يعمل بها ففطن لما يراد منه فقصد ماردة واجتمع عليه عشرون الفا فسار نحو عبد الرحمن، وخرج عبد الرحمن من قرطبة نحوه الى حصن المدور ثم رأى يوسف ان يسير الى عبد الملك بن عمر بن مروان ، وكان واليا على اشبيلية والى ابنه عمر بن عبد الملك وكان على مورور فسار نحوهما فخرجا اليه واقتتلو اقتتالا شديدا فانهزم اصحاب يوسف وبقى مترددا في البلاد فقتله بعض أصحابه في شهر رجب سنة اثنتين وأربعين ومائة بنواحى طليطلة وحمل رأسه الى عبد الرحمن فنصبه بقرطبة وقتل ابنه عبد الرحمن بن يوسف الذي كان عنده رهينة ونصب رأسه مع رأس أبيه وبقى ابنه أبو الاسود عند عبد الرحمن (25) .

---

(23) ويضيف صاحب اخبار مجموعة ابنه الثانى أبا زيد عبد الرحمن. انظر ص 93 — 94، وللمحقق : القبائل العربية فى الاندلس ص 109.

(24) ابن الابار : الحلة السيراء 2 : 350، ابن الاثير : الكامل 5 : 495، 498 — 499

(25) أنظر ابن الاثير : الكامل 5 : 495، 498 — 499، ابن عذارى : البيان المغرب 2: 49، المقرى : نفح الطيب 3 : 35 (احسان).

وفي سنة ثلاث وأربعين ومائة ثار رزق بن النعمان الغساني وكان على الجزيرة الخضراء ، فاجتمع اليه خلق كثير فسار الى شذونه فملكها ودخل مدينة اشبيلية وعاجله عبد الرحمن فحصره بها وضيق على من فيها فتقربوا اليه بتسليمه له، فقتله وأمنهم ورجع عنهم (26) .

وفي سنة اربع واربعين ومائة ، ثار هشام بن عذرة الفهري (27) بطليطلة فحاصره الامير عبد الرحمن وشدد عليه الحصار فمال الى الصلح وأعطاه ابنه أفلح رهينة فأخذه عبد الرحمن ورجع الى قرطبة ثم عاد هشام وخلع عبد الرحمن فعاد اليه وحاصره ونصب المجانيق عليها فلم تؤثر (28) فيها لحصانتها فقتل ابنه افلح ورمى برأسه الى أبيه في المنجنيق ورحل الى قرطبة ولم [7] يظفر بهشام في هذه السنة واستمر الى سنة سبع وأربعين، فبعث عبد الرحمن مولاه بدرا وتمام بن علقمة فحصرا طليطلة وضيقا على هشام ثم اسراه هو وحيوه بن الوليد اليحصبي وعثمان بن حمزة بن عبيد الله ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتى بهم الى عبد الرحمن في جباب صوف وقد حلقت رؤوسهم ولحاهم وركبوا الحمير وهم في السلاسل فصلبهم بقرطبة (29) .

ذكر خروج العلاء وقتله :

وفي سنة ست وأربعين ومائة سار العلاء بن مغيث اليحصبي من افريقية الى مدينة باجة (30) من الاندلس ولبس السواد وقام بالدعوة

(26) مجهول : اخبار مجموعة ص 101، العذرى : ترصيع الاخبار وتنويع الاثار ص 120، ابن الاثير : الكامل 5 : 512.

(27) «وهو من بنى عم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى» زيادة فى (ج) ص 159. ويذكر ابن الاثير أنه من عرب بنى عمرو ومن أسرة لها مصالحها بحكم ان احد افرادها سبق أن تولى ولاية الاندلس وهو عذره بن عبد الله الفهرى فى 107هـ/725م. انظر الكامل 5 : 527، للمحقق : القبائل العربية فى الاندلس ص 112

(28) «يوثر» فى (ج) ص 159.

(29) قارن ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 53.

(30) باجة : Beja وهى من بلاد البرتغال حاليا وهى من اقدم مدن الاندلس بنيانا فى التاريخ القديم ويصفها الحميرى بقوله : «وهى من الكور المجندة نزلها جند مصر (من طالعه

العباسية. وخطب لابي جعفر المنصور واجتمع اليه خلق كثير فخرج اليه الامير عبد الرحمن فالتقيا بنواحي اشبيلية وتحاربا زمانا ، فانهزم العلاء وأصحابه ، وقتل منهم في المعركة سبعة آلاف ، وقتل العلاء . فأمر عبد الرحمن بعض التجار بحمل رأسه ورؤوس أصحابه الى القيروان والقائها في السوق سرا ففعل ذلك. ثم حمل منها الى مكة ومعها لواء أسود فوصلت والمنصور بمكة ومعها كتاب كان المنصور قد كتبه الى العلاء (31) .

وفي سنة سبع وأربعين ومائة قدم رسول عبد الرحمن الذي أرسله الى الشام في احضار ولده الاكبر سليمن وحضر معه سليمن» .

ذكر خروج سعيد اليحصبي المعروف بالمطري وقتله :

[8] قال كان خروجه في سنة ثمان وأربعين ومائة بمدينة لبله (32) من الاندلس وسبب ذلك ان سكر يوما فتذكر من قتل من قومه اليمانية مع العلاء، فعقد لواء ، فلما صحا رآه معقودا فسأل عنه ، فأخبروه فأراد حله ثم قال ما كنت لاعقد لواء ، ثم أحله بغير شيء. وشرع في الخلاف فاجتمعت اليمانية اليه وقصد اشبيلية وتغلب عليها وكثر جمعه فبادره عبد الرحمن في جموعه فامتنع المطري في قلعة زاعواق (33) لاحدى

= بلج بن بشر القشيري) وكان لواؤهم في الميسرة بعد جند فلسطين... فحمل الامير عبد الرحمن بن معاوية لواءهم وأسقط جندهم وواخمل ذكرهم» وكان سبب ذلك ان العلاء ابن مغيث اليحصبي، كان راس جند باجة فثار بها. أنظر الروض المعطار ص 75.

(31) ابن القوطية : افتتاح الاندلس ص 57، ابن الاثير: الكامل 5: 575، ابن عذارى: البيان المغرب 2 : 52. ابن الخطيب : الاعلام في من بويع قبل الاحتلام (الاندلس) ص 9.

(32) لبلة (Niebla) : ويذكر العذرى ان «مدينة لبلة من جند حمص» وتعرف بالحمراء وهي أولية قديمة، وفيها اثار للاول» ويضيف الحميرى : «وتقع في غرب الاندلس.. وبها ثلاث عيون... حسنة متوسطة القدر لها سور منيع، ونهرها يأتيها من ناحية الجبل ويجاز عليه من قنطرة الى لبلة وبها أسواق وتجارات وبينها وبين البحر المحيط ستة أميال». انظر ترصيع الاخبار ص 110، الروض المعطار ص 507 — 508.

(33) «زاعوق» في (د)، وصحتها من (ج) ص 161. ويطلق كل من العذرى وابن الاثير على القلعة «زعواق» اما ابن عذارى فيطلق عليها أسم «زعواق» انظر ترصيع الاخبار ص 111 الكامل 5 : 588، البيان المغرب 2 : 53. وهذه القلعة تقع على بعد ثمانية أميال من منبع الوادي الكبير من اشبيلية Dozy : Recherches II, P. 26, note (2).

عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول فحصره بها وضيق عليه ومنع أهل الخلاف من الوصول اليه ، وكان قد وافقه على الخلاف (34) علقمة اللخمى وكان بمدينة شذونة (35) وقد انضاف اليه جماعة من رؤساء القبائل وهم يريدون امداد المطري في جمع كثير ، فلما سمع عبد الرحمن ذلك سير اليهم بدرا مولاه في جيش ، فحال بينهم وبين المطري وطال الحصار عليه وقلت رجاله بالقتل وفارقه بعضهم فخرج يوما من القلعة فقاتل فقتل وحمل رأسه الى عبد الرحمن ، فقدم أهل القلعة عليهم خليفة بن مروان فدام الحصار عليها (36) فأرسل أهلها يطلبون الآمان من عبد الرحمن على أن يسلموا اليه خليفة فأجابهم الى ذلك واتسلم الحصن وخربه وقتل خليفة وخلق كثير ممن معه ثم انتقل الى غياث الازدي (37) وكان ممن وافق المطري على الخلاف فحصره ومن معه وضيق عليهم فطلبوا الامان فأمنهم الا نفرا فقبض عليهم وعاد الى قرطبة ، فلما عاد اليها خرج عليه عبد الله ابن خراشة الاسدي (38) بكورة جيان (39) واجتمع [9] اليه جموع فأغار على قرطبة فسير اليه عبد الرحمن جيشا فتفرق جمعه فطلب الآمان فأمنه ووفا له .

---

(34) «غياث ابن» زيادة فى (ج) ص 161.

(35) شذونة (Sidona) : ويطلق الاسم على الكورة والمدينة عاصمتهسا وهى من الكسور المجندة، نزلها جند فلسطين من العرب، ومساحتها خمسون ميلا فى مثلها وهى جليلة القدر، جامعة لخيرات البر والبحر. أنظر الحميرى : الروض المعطار ص 339، الحموى : معجم البلدان 3 : 329.

(36) «عليهم» فى (ج) ص 161.

(37) «الازرى» فى (ج) ص 161.

(38) «عبد الرحمن» فى (ج) ص 162، ويرجح كل من ابن الاثير وابن خلدون صحة اسم النويرى. أنظر الكامل 5 : 588 — 589، العبر 4 : 266 — 267.

(39) كورة جيان (Jaen) : يذكر الحميرى انها «كثيرة الخصب رخيصة الاسعار كثيرة اللحوم والعسل، ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها فيها دود الحرير، وبها جنات وبساتين ومزارع وغلات القمح والشعير والباقلي وسائر الحبوب... ومن أمثال العامة، : يذكر البلدان ويسكن جيان» ويضيف الحموى أنه ينسب اليها جماعة والمسرة. منهم : الحسين بن محمد بن أحمد الغساني... وكان رئيس المحدثين بقرطبة (427 — 498 هـ)، أبو الحجاج بن محمد بن فاروا رحل الى المشرق وبلغ خراسان واقام ببلخ (499 — 545هـ). انظر الروض المعطار 183، معجم البلدان 2 : 195.

وفي سنة تسع وأربعين ومائة اغزا عبد الرحمن مولاه بدرا الى بلاد العدو فأخذوا الجزية منهم ، وفيها عزل عبد الرحمن أبا الصباح يحي ابن يحي عن اشبيلية فدعا الى الخلاف فخدعه عبد الرحمن حتى حضر عنده فقتله ، وفيها خرج غياث بن المسيبر الازدي (40) ، فخرج اليه عامل عبد الرحمن وقاتله فانهزم غياث ومن معه وقتل وحمل رأسه الى عبد الرحمن بقرطبة وفيها أمر عبد الرحمن ببناء سور مدينة قرطبة.

ذكر أخبار شقيا بن عبد الواحد وخروجه بالاندلس :

كان خروجه بشرق الاندلس في سنة احدى وخمسين ومائة وكان من بربر مكناسة يعلم الصبيان وكانت امه تدعى فاطمة فادعى انه من ولد فاطمة رضى الله عنها وانه من ولد الحسين ويسمى بعبد الله ابن محمد ، وسكن شنتبرية (41) واجتمع عليه خلق كثير من البربر وعظم أمره ، فسار اليه عبد الرحمن فلم يقف له وراغ في الجبال (42) حيث يصعب طلبه فاستعمل عبد الرحمن على طليطلة حبيب بن عبد الملك واستعمل حبيب على شنتبرية سليمن بن عثمان بن مروان بن ابان ابن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وأمره بطلب شقيا فنزل شقيا الى سليمن وقتله فاشتد ذكر شقيا [10] وطار اسمه وغلب على ناحيه توريه (43) وأفسد في الارض ، فعاد عبد الرحمن غزاه في سنة اثنتين وخمسين ومائة بنفسه فلم يثبت له شقيا فأعياه أمره فعاد عنه وسير اليه في سنة ثلاث وخمسين بدرا مولاه فهرب شقيا وأخلا حصنه

(40) «الاسدى» فى (ج) ص 162.

(41) شنتبريه (Santaver) وكانت كورة وقد ذكرها ابن حزم من ضمن منازل البربر من هوارة بالاندلس ويصفها الحموى «بأنها مدينة كبيرة، كثيرة الخيرات، لها حصون كثيرة وفيها شجر الجوز، والبندق» انظر العذرى : ترصيع الاخبار ص 14، 142، جمهرة انساب العرب ص 465، معجم البلدان 3 : 366.

(42) «لمكان اذا امن تبسط واذا خاف صعد الجبال» زيادة فى (ج) ص 163.

(43) تورية (Coria) : مدينة من نواحى ماردة بغرب الاندلس يصفها الحميرى بقوله : «ولها سور منيع، وهى أولية البناء واسعة الفناء، من أحصن المعاقل واحسن المنازل، ولها بواد شريفة حصيبة وضياع طيبة واصناف من الفواكه كثيرة، واكثرها العنب والتين» الروض المعطار ص 485، معجم البلدان 4 : 412.

شبطـران (44) ثم غزاه عبد الرحمن بنفسه في سنة اربع وخمسين فلـم يثبت له معاد عنه وبعث لحربه أبا عثمـان عبد الله بن عثمان فخدعه شقيا وأفسد عليه جنده فهرب عبد الله وغنم شقيا عسكره وقتل جماعة من بني امية كانوا في العسكر وذلك في سنة خمس وخمسين وسار شقيا الى حصن الهواريين (45) وبه عامل لعبد الرحمن فمكر به شقيا حتى خرج اليه فقتله وأخذ خيله وسلاحه وما كان معه ولم يـزل شقيـا كذلك وعبد الرحمـن يغـزوه تـارة بنفسه وتـارة بجيوشه الى سنة ستين ومائة فاغتاله (46) أبـو معـن (47) وأبو خريم وهما من اصحابه ، فقتلاه وأخذا رأسه ولحقا بعبـد الرحمن واستـراح الناس من شـره.

ذكـر عصيـان أهل اشبيليـة على الاميـر عبد الرحمـن :

قال : وفي سنة خمس وخمسين ومائـة خرج أهل اشبيليـة عن الطاعـة (48) مع عبد الغفار وحيـوة بن ملامس (49) ، وكان عبد الرحمن قد خرج (50) من قرطبة لحرب شقيا واستخلف عليها ابنه سليمن فأتـاه كتابـه بخروجهم عن طاعتـه وعصيانهم عليـه واتفاق من بها من اليمانية على ذلـك فرجع عبد الرحمـن اليها ولم يدخـل قرطبة وهالـه ما سمـع من اجتماعهـم وكثرتهم فقـدم [11] ابن عمه عبد الملك بن عمـر فلما قارب عبد الملك اشبيلية قدم ابنـه امية ليعلمه حالهم فرأهم متيقظين فرجـع الى ابيـه فلامـه أبـوه على رجوعه واظهار الوهن فضـرب عنقه

(44) «سبطران» في (د) و (ج) وصححتها من ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 54، الحموى معجم البلدان 3 : 321 «حصن من أعمال طليطلة».

(45) حصن الهواريين : يذكر ابن القوطية أن جماعة من الهواريين نزلت خلال عصر الولاة على مقربة من جيان ويبدو أن هذا الحصن استقر بعضهم فيه فنسب اليهم. انظر افتتاح الاندلس ص 53.

(46) «فاغتالاه» في (ج) ص 163.

(47) «ابو معو» في (ج) ص 164.

(48) «على» في (ج) ص 164 .

(49) همـا عبد الغفار الحمصى (من جند حمص) وحيوة بن ملامس الحضرمـى. انظـر العذرى : ترصيع الاخبار ص 101، Levi Provencal : Histor. I, P. 111

(50) «قد خرج» تكملة من (ج) ص 164.

وجمع بنيه وخاصته ، وقال : «طردنا من الشرق الى اقصى هذا الصقع ونحسد على لقمه تبقى الرمق ، اكسروا جفون سيوفكم (51) فالموت أولى أو الظفر» ففعلوا «وحمل امامهم» (52) فهزم اليمانية وأهل اشبيلية فلم يقم بعدها لليمانية قائمة ، وخرج عبد الملك وبلغ الخبر عبد الرحمن فأتاه وجرحه يجري دما وسيفه يقطر وقد لصقت يده بقائم سيفه فقبل بين عينيه وجزاه خيرا وقال له يا ابن عم قد انكحت ابني ولي عهدي هشاما ابنتك فلانة واعطيها كذا وكذا واعطيتك كذا وكذا واقطعتك وأياهم كذا وكذا ووليتك الوزارة وعبد الملك هذا هو الذي الزم عبد الرحمن بقطع خطبة المنصور ، وقال له تقطعها والا قتلت نفسي ، وكان قد خطب له عشرة أشهر وقطعها .

قال : وفي سنة سبع وخمسين سار عبد الرحمن الى اشبيلية وقتل خلقا كثيرا ممن كان مع عبد الغفار ، وبسبب هذه الوقعة ، وغش العرب مال عبد الرحمن الى اقتناء العبيد .

وفي سنة ست وخمسين سخط الامير عبد الرحمن على مولاه بدر لفرط ادلاله عليه وأخذ ماله وسلبه نعمته ونفاه الى الثغر، ولم يرع له حقوق الحرمة .

وفي سنة ثمان وخمسين ومائة، غزا الامير عبد الرحمن مدينة قورية وقصد البربر الذين كانوا [12] أسلموا عامله الى شقيا فقتل منهم خلقا كثيرا من أعيانهم .

ذكر عبور الصقلبي الى الاندلس وما كان من أمره الى أن قتل :

وفي سنة احدى وستين ومائة وقيل سنة ستين عبر عبد الرحمن ابن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي ولم يكن صقلبيا وانما سمى بذلك

(51) «السيوف» في (ج) ص 164.
(52) «وحملوا وحمل بين أيديهم» في (ج) ص 165.

لطوله ورقته وشقرته ، من افريقية الى الاندلس ليحارب عبد الرحمن ويدعوه الى طاعة المهدي بن أبي جعفر المنصور ، وكان عبوره في ساحل تدمير ، وكاتب سليمن بن يقظان بالدخول معه وكان سليمن ببرشلونة فلم يجبه فاغتاظ الصقلبي ، وقصد بلده فيمن معه من البربر فقصده سليمن والتقوا واقتتلوا فهزمه سليمن ، فعاد الصقلبي الى تدمير وجاء عبد الرحمن نحوه وأحرق السفن ليمنعه من الهرب فقصد الصقلبي جبلا (53) منيعا بناحية بلنسية (54) ، فبذل عبد الرحمن الف دينار لمن يأتيه برأسه ، فاغتاله رجل من البربر وحمل رأسه الى عبد الرحمن فأعطاه الف دينار وكان قتله في سنة اثنين وستين ومائة.

وفي سنة اثنتين وستين ومائة أرسل عبد الرحمن ، شهيد بن عيسى الى دحية الغساني وكان عاصيا في بعض حصون البيرة ، فقتله وسير بدرا مولاه الى ابراهيم بن شجرة ، وكان قد عصى عليه فقتله ، وسير تمام بن علقمة الى العباس البربري وهو في جمع من البربر وأظهر العصيان فقتله [13] ايضا وفرق جموعه وفيها سير جيشا مع حبيب ابن عبد الملك القرشي الى القائد السلمي ، وكان حسن المنزلة عند عبد الرحمن فشرب ليلة وقصد باب القنطرة ليفتحه على سكر منه فمنعه الحرس ، فعاد فلما صحا من سكره خاف فهرب الى طليطلة واجتمع اليه كثير ممن يريد الخلاف والشر فعاجله الامير عبد الرحمن بايفاذ الجيوش فحصروه في مكان كان قد اتحصن به فطلب السلمي البراز فبرز اليه عبد أسود فاختلفا ضربتين فوقعا صريعين وماتا جميعا .

---

(53) «جبالا» في (ج) ص 166.

(54) بلنسية : تطلق على الكورة وعاصمتها ويصفها العذري بقوله : «بلنسية كورة الارفاق لمن انتجعها، وينبت أكثر أرض بلنسية الزعفران ويحسن فيها، ويزرع فيها الارز» أما المدينة، اليها ينسب الكورة، وهي مدينة التراب ويضيف الحموي : وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار... وأهلها خير اهل الاندلس، يسمون عرب الاندلس. انظر ترصيع الاخبار ص 17، معجم البلدان 1 : 490، الحميري ص 97.

وفي سنة ثلاث وستين ومائة أظهر الامير عبد الرحمن التجهز الى الخروج لقصد الشام لطلب الثأر من بنى العباس فعصى عليه سليمن ابن يقظان والحسين بن يحيى بن سعيد بن عبادة الانصاري بسرقسطة واشتد امرهما فرجع عن ذلك وترك ما كان اظهره منه.

وفي سنة خمس وستين ومائة غدر الحسين بن يحيى سرقسطة ونكث فسير اليه عبد الرحمن غالب بن تمام بن علقمة في جند كثيف (55) فاقتتلوا فأسر جماعة من أصحاب الحسين فيهم ابنه عيسى فسيرهم الى عبد الرحمن فقتلهم وأقام تمام بن علقمة يحاصر الحسين ثم سار عبد الرحمن في سنة ست وستين الى سرقسطة فحصرها وضايقها ونصب عليها ستة وثلاثين منجنيقا فملكها عنوة وقتل الحسين اقبح قتلة ونفى أهل سرقسطة منها ليمين كانت تقدمت منه ثم ردهم اليها.

وفي سنة ست وستين ومائة قتل عبد الرحمن ابن أخيه (56) المغيرة ابن الوليد بن هشام (57) [14] وهذيل بن الصميل وسمرة ابن حبلة لاجتماعهم على خلعه مع العلاء .

ذكر مخالفة أبى الاسود محمد بن يوسف الفهري :

وفي سنة ثمان وستين ومائة ثار أبو الاسود محمد بن يوسف ابن عبد الرحمن الفهري بالاندلس وكان من خبره أنه كان في السجن بقرطبة منذ هرب أبوه على ما تقدم فأظهر انه عمى وصار لا يطرف عينه لشيء وبقى دهرا طويلا حتى صح عند عبد الرحمن ذلك وكان في اقصى السجن سرداب يفضى الى النهر الاعظم يخرج منه المسجونون يقضون حوائجهم من غسل وغيره وكان الموكلون يهملون أبا الاسود

(55) «كثيف» ف (ج) ص 167.

(56) «ابن أخته» ف (د) ، (ج) ص 168 وصحتها من ابن الاثير : الكامل 6 : 74، ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 57.

(57) هو المغيرة بن الوليد بن معاوية بن هشام. أنظر للمحقق : القبائل العربية ف الاندلس ص 142.

لعماه فاذا رجع من النهر يقول من يدل الاعمى الى موضعه وكان مولا له يحادثه على شاطىء النهر فلا ينكر عليه مواعده أن يأتيه بخيل يحمله عليها ، مخرج يوما ومولاه ينتظره فعبر النهر سباحة وركب الخيل ولحق بطليطلة فاجتمع اليه خلق كثير فرجع بهم الى قتال عبد الرحمن فالتقيا على الوادي الاحمر بقسطلونة (58) واشتد القتال فانهزم ابن الفهري وقتل من أصحابه اربعة آلاف سوى من تردى في النهر واتبعه عبد الرحمن فقتل من لحق حتى جاوز قلعة رباح (59) ثم جمع أبو الاسود الرجال وعاد الى قتال عبد الرحمن في سنة تسع وستين فخرج اليه عبد الرحمن فلما أحس بمقدمه (60) انهزم اصحابه وانهزم هو وقتل أكثر رجاله، وبقى الى سنة سبعين ومائة فهلك بقرية (61) من أعمال طليطلة وقام بعده أخوه قاسم [15] وجمع جمعا فغزاه عبد الرحمن فجاء اليه بغير آمان فقتله (62).

وفي سنة سبعين ومائة امر عبد الرحمن ببناء جامع قرطبة وكان موضعه كنيسة واخرج عليه (63) مائة الف دينار ولم يتم بناءه في حياته فأتمه ابنه بعده .

---

(58) قسطلونة : قرية تسمى Cazlona الى جوار بلده لينارس Linares ؛ ال٣٠١ فى شمال مديرية جيان، وكان اسمها فى القديم Castulone Castulo . ونهر الوادى الاحمر هو المعروف اليوم Guadalimar نهير من نهيرات الوادى الكبير، وينبع من جبال شقورة. انظر معجم الاماكن الملحق بالترجمة الاسبانية للاخبار المجموعة ص 250، ابن الابار: الحلة السيراء 2 : 351 تعليق (3).

(59) قلعة رباح : وهى غربى طليطلة وبين المشرق والجوف من قرطبة، وهى مدينة حسنة، لها حصن حصين على نهر آنة، ولها عدة قرى ونواح ويسمونها الاجزاء، يقوم مقام الاقليم، منها جزء البكريين وجزء اللخميين وغير ذلك. أنظر فرحة الانفس لابن غالب ص 20، الحموى 3 : 23، الحميرى ص 469.

(60) «بمقدمته» فى (ج) ص 169.

(61) قرية ركانة من أعمال طليطلة، ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 58 ويذكر العذرى أن ركانة من نواحى بلنسية، ترصيع الاخبار ص 11. وكذا الحموى الذى يقول انها «مدينة لطيفة من عمل بلنسية بالاندلس» 3 : 63.

(62) يتفق ابن الاثير مع النويرى فى قتل قاسم، بينما يذكر ابن الابار ان عبد الرحمن تقبله وأمنه ونقله الى قرطبة وأحسن اليه. انظر الكامل 6 : 79، الحلة السيراء 2 : 352، 353.

(63) «اليه» فى (ج) ص 169.

ذكـــر وفـــاة عبـــد الرحمـــن وصفته وشيء من أخباره وسيرته :

كانت وفاتـــه بقرطبة في يوم الثلاثاء لســـت بقين من شهـــر ربيع الآخر سنة احدى وسبعين ومائة وقيل توفي في غـــرة جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين ومائة وهو الصحيح وصلى عليه ابنه عبد الله ، وكان قد عهد الى ابنـــه هشـــام وهو بمدينة مـــاردة واليا عليها وابنـــه سليمن بطليطلة واليـــا عليهـــا فلم يحضـــرا موت ابيهما .

وكان مولـــد عبد الرحمن بديـــر حنا من عمل دمشـــق وقيل بالعلياء من ناحيـــة تدمـــر (64) في سنة ثلاث عشـــرة ومائة وكان عمـــره سبعـــه وخمسين سنة ومـــدة ولايته بالاندلـــس ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهـــر وأربعة عشر يومـــا ، وكان أصهب خفيف العارضين طويل القامـــة نحيـــف الجســـم اعـــور .

وكان فصيحا لسنـــا شاعـــرا حايما عالما حازمـــا سريع النهضة في طلـــب الخارجين عليه لا يخلـــد الى راحـــة ولا يستكن الى دعة ولا يكـــل أموره الى غيره ولا يتفرد في ابرامها برأيه، وكان يشبه بأبي جعفر المنصور في حزمه وشدته وضبطه لملكه وبنى الرصافة بقرطبة تشبها (65) بجـــده [16] هشـــام حيث بنى الرصافة بالشام . قال وكان عبد الرحمـــن من ذوي الاداب ، وله شعـــر حسن فمن شعـــره ما قاله بالاندلس يتشـــوق معاهـــده بالشـــام :

أيهـــا الراكب (66) الميمـــم أرضي أقـــرا من بعضـــي الســـلام لبعضـــي

ان جسمـــي كما علمـــت بـــأرضي وفـــؤادي كمـــا علمـــت (67) بأرضي

قـــدر البيـــن بيننـــا فـــافترقنـــا وطوى البيـــن عـــن جفونـــي غمضـــي

قد قضى الله بالفـــراق علينـــــا فعسى باجتماعنا سوف يقضي (68)

---

(64) ويذكر الحموى ان دير حنة، دير قديم بالحيرة منذ أيـــام بني المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم بنو ساطع، تقابلـــه منارة عالية. انظر معجم البلدان 2 : 507.

(65) «تشبيها» في (ج) ص 170.

(66) «الركب» في (ج) ص 170.

(67) «ومالكية» في (ج) ص 170.

(68) لاحظ الاختلافات في ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 60، ابن الخطيب : أعمال الاعلام (الاندلس) ص 10.

ومن شعـره ما قاله لما عمـر الرصافة بقرطبة وقد رأي فيها نخلة منفـردة فقـال :

تبـدت لنا وسط الرصافة نخلـه تناءت بأرض الغرب عن بلد النخـل
فقلت شبيهـي في التغرب مثلهـا وطول اكتئابى عن بنى وعن أهلـى
نشـأت بأرض أنـت فيها غريبـة فنتلك في الاقصاء والمنتاء مثلـى
سقتـك غوادي المزن من صوبها الذي يسح ويستمري السماكين بالويل(69)

ولـه غيـر ذلك من الشعر وسار أحسـن سيـرة.

وكان نقش خاتمـه بالله يثق عبد الرحمن ويعتصم .

وكان له من اولاد الذكـور أحد عشر ولـدا وهم : ايوب الشامـى ولد بالشام ، وسليمن ، وهشـام ولى عهـده وهو الوالى بعـده، ولد بالاندلس، وعبد الله ولـد ببلنسيـة وعرف بالبلنسى ، ومسلمة المعروف بكليـب، وامية ويحيى والمنـذر ، وسعيد الخير ، ومحمد والمغيرة ومعاوية، وتسع بنـات .

حاجبه تمـام بن علقمـة وعير ، كتابه [17] أبـو عثمان وعبد اللـه ابن خالد وغيرهما ، قضاته يحيى بن يزيـد التجيبى ومعاوية بن يوسف الحضرمى وعمر بن شراحيل وعبد الرحمن بن طريف اليحصبى.

ذكر قيـام الخليفة هشام

هو أبـو الوليد هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشـام بن عبد الملـك بن مـروان ، وأمه أم ولـد اسمهـا حوراء (70) ، وهـو الثانـى من امراء بنـى أميـة بالاندلس ، بويـع له في غـرة (71) جمادى الاولـى

(69) قـارن الاختلافات فى ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 60، ابن الخطيب : أعمال الاعلام (الاندلس) ص 10.
(70) «حلل» فى (ج) ص 172، وفى المقرى : نفح الطيب (احسان) 1 : 334. ويتفق الحميدى فى جذوة المقتبس مع النويرى. «جمال» فى البيـان المغرب 2 : 61.
(71) «عشرة» فى (ج) ص 172.

سنة اثنتين وسبعين ومائة عند وفاة أبيه وقيل في يوم الثلاثاء لست بقين من شهر ربيع الاخر سنة احدى وسبعين ومائة والله اعلم.

وكان بماردة متوليا عليها كما ذكرنا وكان ابوه قد عهد اليه قبل وفاته وقدمه على سليمن وهو اكبر منه لانه كان يتوسم فيه الشهامة والاضطلاع بهذا الامر فلذلك عهد اليه فبايع له أخوه عبد الله وكاتب (72) اليه ينعى (73) أبيه ويعزيه (74) ويعرفه أنه بايع الناس له فلما وصل اليه الكتاب سار من ساعته الى قرطبة فدخلها في ستة أيام واستولى على الملك وخرج عبد الله الى داره مظهرا لطاعته ، وفي نفسه خلاف ذلك.

ذكر خروج سليمان وعبد الله ابني عبد الرحمن على أخيهما هشام :

[18] وفي سنة ثلاث وسبعين ومائة خرجا على أخيهما وكان عبد الله عند أخيه هشام وهو يؤثره ويبره ويقدمه ، فلم يرضه ذلك ولا (75) قنع الا بمشاركته في الامر ثم خاف فهرب الى أخيه سليمن وهو بطليطلة فأرسل هشام جمعا في أثره ليردوه فلم يدركوه فجمع هشام عساكره وسار الى طليطلة فحصر أخويه (76) بها وكان سليمن قد حشد وجمع جمعا كثيرا فلما حصرهما هشام سار سليمن من طليطلة وترك ابنه واخاه عبد الله يحفظان البلد وسار هو الى قرطبه ليملكها فعلم هشام به فلم يفارق الحصار وسار سليمن فوصل الى شقندة فدخلها وخرج اليه أهل قرطبة مقاتلين له ودافعيه (77) عن المدينة وبعث هشام في أثر سليمن، عبد الملك في قطعة من الجيش ، فلما

---

(72) «اخوه» زيادة في (ج) ص 172.
(73) «عن» زيادة في (ج) ص 172.
(74) «به» زيادة في (ج) ص 172.
(75) «فلا» في (ج) ص 173.
(76) «اخوته» في (ج) ص 173.
(77) «ودافعين» في (ج) ص 173.

قاربه (78) هرب سليمن فقصد مدينة ماردة فحاربه واليها فانهزم سليمن وبقى هشام على طليطلة شهرين وأياما محاصرا لها ثم عاد عنها وقد قطع أشجارها وسار الى قرطبة وأتاه أخوه عبد الله بغير أمان فأكرمه واحسن اليه ثم سير هشام ابنه معاوية في جيش كثيف في سنة أربع وسبعين الى تدمير وبها سليمن ، فحاربه وخرب أعمال تدمير فهرب سليمن منها فلجأ الى البربر بناحية بلنسية فاعتصم بتلك الناحية الوعرة المسلك وعاد معاوية الى قرطبة ثم استقرت الحال بين هشام وسليمن، ان يأخذ سليمان أهله وأولاده وأمواله (79) ويفارق الاندلس وأعطاه هشام ستين الف دينار مصالحة عن ميراث أبيه عبد الرحمن وسار الى بلد البربر فأقام به.

[19] ذكر خروج جماعة أخرى على الامير هشام :

وفي سنة اثنتين وسبعين خرج عليه ايضا سعيد بن الحسين ابن يحيى الانصاري بشاغت (80) من أقاليم طرطوشة في شرق الاندلس وكان قد التجأ اليها حين قتل أبوه ودعا الى اليمانية وتعصب لهم فاجتمع له خلق كثير فملك مدينة طرطوشة وأخرج عاملها يوسف القيسي فعارضه موسى بن فرتون ، وقام بدعوة هشام ووافقته مضر فاقتتلا فانهزم سعيد وقتل وسار موسى الى سرقسطة فملكها فخرج عليه مولى الحسين بن يحيى واسمه جحدر في جمع كثير فقاتله ، فقتل موسى وخرج أيضا مطروح بن سليمن بن يقظان (81) بمدينة برشلونة وخرج معه جمع كثير فملك مدينة سرقسطه ومدينة وشقه (82) وتغلب على تلك الناحيه وقوى أمره وكان هشام اذ ذاك في حرب

(78) «قاربوه» فى (ج) ص 173.
(79) «وامواله واولاد وامولهم» فى (ج) ص 174.
(80) «ببساعت» فى (ج) ص 174، ساغنت عند ابن عذارى 2 : 62.
(81) «يقطان» فى (ج) ص 174 و «يقظين» فى (د) وصححتها من العذرى : ترصيع الاخبار صفحة 25.
(82) «اسقه» فى (د) وصححتها من ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 62.

اخويه سليمـن وعبد الله لما خلا وجهه من أمـر اخوته، «انتدب لمطروح جيشـا» (83) كثيفا وجعل عليهم أبـا عثمان عبد الله بن عثمان ، «فساروا الى مطروح» (84) وهو بسرقسطة فحصروه بها فلم يظفروا بـه فرجـع عنه أبو عثمـان ونـزل بحصن طرسونة بالقرب من سرقسطة ورتـب سراياه يغيرون (85) على اهل سرقسطـة ويمنعون عنهم الميرة ثـم خرج مطروح الى الصيـد في بعض الايـام ، فلما كان آخر النهـار ارسل البازي على طائـر فاقتنصه (86) فنـزل مطروح ليذبحه بيـده ومعـه صاحبان له (87) وقد انفـرد بهما [20] من أصحابه فقتـلاه وأتيـا برأسه الى ابـن عثمـان فسـار الى سرقسطـة فكاتبه أهلها فقبـل منهم وأرسل الـرأس الـى هشـام .

قـال : وأخـذ ابـو عثمـان الجيـش وسـار بهـم الـى بـلاد الفرنـج فأوقـع بهم وظفـر وقتل منهم خلقـا كثيـرا ، وبعث هشـام يوسف بن بخت في جيش الى جليقيـة فلقى ملكهـم فاقتتلـوا قتـالا شديدا فانهزمـت الجلالقـة وقتل منهم خلـق كثيـر ، وفيها أيضا سجـن هشـام ابنـه عبد الملك لشيء بلغـه عنه فبقى في السجن مـدة حيـاة أبيـه وبعض ولاية أخيـه الى أن توفى في سنـة ثمـان وتسعين ومائة.

وفي سنـة ست وسبعيـن ومائة غزا عبـد الملك بن عبد الواحد بلاد الفرنـج فغنـم وظفـر ، وفيهـا استعمل هشام ابنـه الحكـم على طليطلة وسيره اليها فضبطهـا وأقام بها وولـد له بها ابنه عبد الرحمـن.

(83) ما بين قوسين فراغ في (د) والزيادة من (ج) ص 175.
(84) ما بين قوسين فراغ في (د) والزيادة من (ج) ص 175.
(85) «يغزون» في (ج) ص 175.
(86) «فاقتنصه» في (ج) ص 175.
(87) يذكر العذرى انهما عمروس بن يوسف وشرحبيل بن صلتان الزواغى، أنظر ترصيع الاخبار صفحة 26.

ذكر غزو الفرنج :

وفي سنة سبع وسبعين ومائة أغزا هشام ، عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث في جيش ، فدخلوا بلاد الفرنج فبلغوا اربونة (88) وجرندة (89) فبدا بجرندة وبها حامية الفرنج فقتل رجالها وهدم اسوارها واشرف على فتحها ورحل عنها الى اربونة ففعل مثل ذلك واوغل في بلادهم ووطىء ارض بريطانيه (90) واستباح حريمها وقتل مقاتلتها وجاس البلاد شهورا يخرب الحصون ويحرق ويغنم وجفل العدو بين يديه وأوغل في بلادهم ، ورجع ومعه من الغنائم مالا يحصى كثرة وهى أشهر [21] مغازي المسلمين بالاندلس .

وفي سنة ثمان وسبعين ومائة بعث هشام جيشا مع عبد الكريم ابن عبد الواحد بن مغيث الى بلاد الفرنج فغزا البة والقلاع فغنم وسلم وسير جيشا آخر مع اخيه عبد الملك بن عبد الواحد الى بلاد الجلالقة فخرب دار ملكهم وكنائسه وغنم ، فلما قفل المسلمون ضل الدليل بهم فنالهم مشقة شديدة ومات منهم خلق كثير ونفقت دوابهم وتلفت آلاتهم وعاد من سلم منهم، ثم بعثه في سنة تسع وسبعين في جيش كثيف فساروا حتى أنتهوا الى استرقة (91) ، وكان ملك الجلالقة قد جمع وحشد واستمد جيرانه من الملوك وصار في جمع عظيم فلما قدم عبد الملك رجع ملك الجلالقة هيبة له وتبعهم عبد الملك يقفوا اثرهم ويخرب ، وهتك حريم ملك الجلالقة وبلغه انه احتمى بواد فصار اليه وواقعه يوم الجمعة لليلتين بقيتا (92) من جمادى الآخرة،

(88) أربونة «نربونة» (Narbonne) مدينة فى جنوب فرنسا، استولى عليها العرب وجعلوها قاعدة تنطلق منها الحملات لاستكمال فتح فرنسا . ويذكر الحميرى : «هى آخر ما كان بأيدى المسلمين من مدن الاندلس وثغورها مما يلى بلاد الافرنجية (فرنسا)، وقد خرجت عن أيدى المسلمين .... مع غيرها مما كان فى أيديهم من المدن والحصون» الروض المعطار ص 24.

(89) «جريدة» فى (د) وصححتها من (ج) ص 176.

(90) «سرطانية» فى (د) وصححتها من (ج) ص 176.

(91) «استوقه» فى (د) وصححتها من (ج) ص 177.

(92) «بقيا» فى (ج) ص 177.

فهزمه وقتل من قمامصتهم ورؤسائهم كثيرا ورجع سالما ، وكان هشام قد سير جيشا آخر من ناحية أخرى فدخلوا البلاد أيضا على ميعاد من عبد الملك فأخربوا ونهبوا وغنموا، فلما أرادوا الخروج من بلاد العدو عارضهم عسكر الفرنج فنال منهم وقتل نفرا من المسلمين ثم تخلصوا وعادوا (93) .

ذكر فتنة تاكرنا (94) :

وفي سنة ثمان وسبعين ومائة هاجت فتنة تاكرنا بالاندلس وخلع البربر الطاعة وأظهروا الفساد وأغاروا على البلاد [22] وقطعوا الطريق مسير هشام اليهم جيشا كثيفا عليهم عبد القادر بن ابان بن عبد (95) الله مولى معاوية بن أبي سفيان فقصدوها وتابعوا قتال من فيها الى أن أبادوهم ، قتلا وسبيا وفر من بقى منهم فدخل في ساير القبائل وبقيت كورة تاكرنا خالية سبع سنين .

ذكر وفاة هشام بن عبد الرحمن وشيء من أخباره وسيرته :

كانت وفاته في ليله الخميس لثلاث عشرة ليله خلت من صفر سنة ثمانين ومائة بقصر قرطبة ، وكان عمره تسعا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ، ومدة ولايته على القول الاول سبع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما، وكان أبيض مشربا بحمرة اسهل (96) بعينة حول، وكان عاقلا حازما ذا رأي وشجاعة وعدل ، محبا لاهل الخير والصلاح راغبا في الجهاد ، وكان يعود المرضى ويشهد الجنائز ، ومن محاسن أعماله

---

(93) «نمادوا» فى (ج) ص 177.

(94) تاكرنا : نقع بالرقب من استجه وهى مدينة أوليه قديمه اليها تنسب الكورة، واقليم تاكرنا منضاف الى اقليم استجة ومن مدن تاكرنا رندة استقر بها بنو الخليع من بربر مديونة انظر ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص 465 الحميرى : الروض المعطار ص 129 ابن المغرب : 2 : 96.

(95) «عبيد» فى (د) وصححتها من (ج) ص 178.

(96) «اسهل» فى (ج) ص 178 «بمعنى ان هشام كان يستعمل السهولة مع الناس» ولكن ابن الاثير يتفق مع النويرى فى أنها «اشهل» بمعنى ان عينى هشام كان يشوب سوادها زرقة . أنظر الكامل 6 : 148، المنجد مادتى سهل وشهل.

انه احرج متصدما يحذ الصدقة على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي تمم بناء جامع قرطبة ، وبنى عدة مساجد وبلغ من عز الاسلام في ولايته وذل الكفر ان رجلا مات وأوصى بفك أسير من المسلمين من تركته فطلب ذلك فلم يوجد في دار الكفار اسيرا من المسلمين يشتري ويفك لضعف العدو.

وله مناقب كثيرة بالغ أهل الاندلس فيها حتى قالوا كان يشبه بعمر بن عبد العزيز (97) .

وكان [23] نقش خاتمه بالله يثق هشام ويعتصم

وكان له من الاولاد عبد الملك الاكبر، والحكم الوالي بعده، ومعاوية والوليد وعبد العزيز وخمس بنات.

وزراؤه : أبو عثمان صاحب الارض ويوسف بن بخت وشهيد بن عيسى وغيرهم .

حجابه : عبد الواحد بن مغيث (98) الى أن توفي ، ثم ولده عبد الملك وهو رجل الاندلس جمع الحجابة والوزارة والكتابة والتقدم على الجيوش مع حسن الادب والعفاف والدين والتواضع والكرم والمروءة كتابه : فطيس بن سلمة (99) وخطاب بن يزيد (100) ، قاضيه : المصعب بن عمران الهمداني ، أصحاب شرطته : الحسن بن بسام ثم علي بن حزيم المزني (101) ثم سعيد بن عياض اليحصبي.

---

(97) ابن الاثير : الكامل 6 : 148، ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 61، 65.
(98) «عبد الرحمن» بن مغيث في ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 61.
(99) «فطيس بن عيسى» في ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 61.
(100) «خطاب بن زيد» في ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 61.
(101) «على بن حزين المدنى» في (ج) ص 179.

ذكر قيام الخليفة الحكم بن هشام الملقب بالمرتضى

هو أبو العاصي الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان وأمه أم ولد اسمها زخرف (102) ، وهو الثالث من امراء بني امية بالاندلس . بويع له في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثمانين ومائة وتولى أخذ البيعة له عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث . ولما ولى الحكم كان اول ما بدأ به الغزو في سبيل الله تعالى (103) .

ذكر غزو الفرنج :

[24] في هذه السنة اعنى سنة ثمانين ومائة . بعث الحكم جيشا مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث الى بلاد الفرنج ، فدخل البلاد وبث السرايا وسير سرية فجازوا خليجا من البحر كان الماء قد جزر (104) عنه ، وكان الكفار قد جعلوا أموالهم وأهاليهم وراء ذلك الخليج ظنا منهم أن أحدا لا يقدر أن يعبر اليهم فجآهم ما لم يكن في حسابهم فغنم المسلمون جميع أموالهم وأسروا الرجال وقتلوا منهم فأكثروا القتل وسبوا الحريم والذرية وعادوا سالمين . وما اشبه هذه الواقعة بفتح طرابلس الشام ، فانه لما فتحها السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاون الصالحى قدس الله روحه في سنة ثمان وثمانين وستمائة جزر (105) البحر ساعة الفتح وانطرد عنها حتى دخل المسلمون بخيلهم الى جزيرة النخلة وهى بعيدة من الميناء وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى في موضعه.

---

(102) المقرى : نفح الطيب (احسان) 1 : 341.
(103) ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 68.
(104)،(105) «حدر» فى (ج) ص 180. ويتفق ابن الاثير مع النويرى بأن الكلمة «جزر» أى رجع البحر وهى عكس «المد» الكامل 6 : 150.

قـال : وعـاد المسلمون الى عبد الكريـم وقد ملئوا ايديهم من الغنائم وسيـر طائفة أخرى فخربوا كثيرا من بـلاد فرنسية (106) ، وغنمـوا الاموال وأسـروا الرجـال فأخبرهم بعض الاسرى ان جماعة من ملـوك الفرنـج قد سبقـوا المسلمين الى واد وعـر المسلـك على طريقهـم وبلغ ذلك عبد الكريـم فجمع عساكـره وسار على تعبيه وجـد السير فلـم يشعـر الكفـار الا وقد خالطهم المسلمـون ووضعوا السيف فيهم فانهزموا وغنـم المسلمون ما معهم وعـادوا بالظفـر والغنيمة والسلامـة (107).

ذكـر خـلاف بهلـول بن مـرزوق وغيـره :

[25] وفي سنة احدى وثمانين ومائة خالف بهلـول بن مرزوق المعروف بأبـى الحجاج في ناحية الثغـر ، ودخل مدينة سرقسطة فملكهـا وقـدم على بهلـول ، عبد الله بن عبد الرحمن عم الحكم وهو المعروف بالبلنسي وكان متوجها الى الفرنج ثـم سار الى مدينة وشقـة (108) فنـزل بها مـع عمران والعرب فسار اليهم بهلـول وحاصرهم فتفـرق العرب عنهـم ودخل بهلـول مدينة وشقـة (109) وسار عبد الله (110) الى مدينة بلنسيه فأقام بها وذلك في سنة اربع وثمانين ومائة ، وخالف عبيد بن حميد(111) بطليطلـة فأمـر الحكم القائـد عمروس بن يوسف وهو بمدينة طلبيـرة أن يحارب أهل طليطلـة ففعل وضيـق عليهم وكاتب رجالا من أهلها يعرفون ببنى مخشـى (112) واستمالهم فوثبوا على عبيدة فقتلوه وحملوا رأسه الـى عمروس فأنزلهم عنده وكان بينهم وبين البربر الذين بمدينة طلبيـرة

(106) «قوسنة» فى (د) وصححتها من ابن الاثير : الكامل 6 : 150.
(107) انظر ابن الاثير : الكامل 6 : 149 ــ 150.
(108) ــ (109) «اسفه» وصححتها مدينة وشقة .
(110) «ابن عبد الرحمن» زيادة فى (ج) ص 181.
(111) «حمير» فى (د) وصححتها من ابن الاثير : الكـامل 6 : 158، ابن عـذارى : البيان المغرب 2 : 69.
(112) «مجتى» فى د وصححتها من ابن الاثـير : الكـامل 6 : 158، ابن عـذارى : البيان المغرب : 2 : 69.

دحول (113) فتسور البربر عليهم فقتلوهم فسير عمروس رؤوسهم مع رأس عبيدة الى الحكم وأخبره الخبر (114) .

ذكر مسير (115) سليمن بن عبد الرحمن لقتال ابن أخيه الحكم وقتل سليمن:

وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة جاز سليمن بن عبد الرحمن الى بلاد الاندلس من الشرق لحرب ابن أخيه الحكم فسار اليه الحكم في جيوش كثيرة ، «وقد اجتمع الى سليمان كثير» (116) من أهل الشقاق ومن يريد الفتنة والتقيا واقتتلا وأشتدت [26] الحرب فانهزم سليمن واتبعه عسكر الحكم وعادت الحرب بينهم ثانية في ذي الحجة فانهزم سليمن واعتصم بالاوعر والجبال ، فعاد الحكم ثم عاد سليمن فجمع برابر وأقبل الى جانب استجة (117) فسار اليه الحكم فالتقوا واقتتلوا في سنة ثلاث وثمانين واشتد القتال فانهزم سليمن واحتمى بقرية فحصره الحكم فانهزم ولحق بناحية فريش (118) فسار اليه الحكم في سنة خمس وثمانين وقاتله فانهزم سليمن وقصد جهة ماردة واتبعته (119) طائفة من عسكر الحكم فأسروه وأحضروه الى الحكم فقتله وبعث برأسه الى قرطبة وكتب الى أولاد سليمن وهم بسرقسطة كتاب امان واستدعاهم فحضروا عنده بقرطبة (120) .

---

(113) دحول : ثار، تقول «لى عندهم ذحول» اى ثأر.
(114) انظر ابن الاثير : الكامل 6 : 158. وقارن ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 69
(115) «مسير» فى (ج) ص 182.
(116) ما بين قوسين قد سقط من الناسخ للنويرى والتكملة من ابن الاثير : الكامل 6 : 162.
(117) استجة : اسم لكورة متصلة بأعمال رية وهى قديمة واسعة الرساتيق والاراضى على نهر شنيل ويتميز أهلها بالجنوح الى الثورة. انظر الحموى : معجم البلدان 1 : 174، الحميرى : الروض المعطار ص 53.
(118) «قريش» فى (د) وصحتها من (ج) ص 182، ابن الاثير : الكامل 6 : 162 وفريش : تقع على بعد 4 ميل شمال غرب قرطبة وتتصل بأحواز فحص البلوط وتشتهر بمعادن الحديد والرخام وأشجار القصطل. انظر الادريسى : صفة المغرب ص 207، ياقوت الحموى : معجم البلدان مادة فريش، الحميرى : الروض المعطار ص 440.
(119) «فتبعته» فى (ج) ص 182. ابن الاثير : الكامل 6 : 162.
(120) أنظر ابن الاثير : الكامل 6 : 161 — 162، 168 — 169.

ذكـر استيـلاء الفرنـج على برشلونـة (121) :

وفي سنة خمس وثمانين ومائة ملـك الفرنج لعنهم اللـه مدينـة برشلونـة (122) بالاندلـس وأخذوها من المسلمين ونقلوا حماة ثغورهم اليهـا وتأخر المسلمـون الى ورائهم وكان سبب ذلك اشتغـال الحكـم بمحاربـة عميـه (123) .

ذكـر الاتفـاق بين الحكـم وبين عمـه عبد اللـه البلنسـي :

وفي سنة ست وثمانين حصل الاتفـاق بين (124) الحكم بـن هشام وبين عمه عبد الله بـن عبد الرحمن بن معاوية وذلك أن عبد اللـه لمـا سمـع بقتل أخيـه سليمن عظم عليـه وفت في عضده وخاف على نفسه ولزم بلنسية ولم يتحرك [27] لاثـارة فتنـة، وأرسل الى الحكم يطلـب المسالمـة والدخول في الطاعـة وقيل بأن الحكـم راسلـه في ذلك ، وبـذل له الارزاق الواسعـة ولاولاده فأجـاب الى ذلك واستقـر الصلـح بينهما على يـد يحيى بن يحيى (125) صاحب الامـام مالك بـن انـس وزوج الحكـم اخواتـه من أولاد عمه عبد اللـه وأكـرم عمه واجـرى له ولاولاده الارزاق الواسعـة والصلات السنيـة وقيل كانت المراسلة في هذه السنة واستقـر الصلـح في سنة سبـع وثمانيـن (126) .

---

(121) برشلونه : نقع على الساحل الشرقي لاسبانيا، بينهـا وبين طركونه 50 ميلا، ويذكر الحميرى ان «مرساها ترش لا تدخله المراكب الا عن معرفه.. ويسكن برشلونة ملك الفرنجة وهى دار ملكهم ولـه مراكب تسـافر وتغـزو.. وبرشلونة كثيرة الحنطة والحبوب والعسل واليهود بها يعدلون النصارى كثرة». انظر الروض المعطار ص 86 — 87

(122) «برشلون» فى (ج) ص 183.

(123) انظر ابن الاثير : الكامل 6 : 169.

(124) «الامير» زيادة فى (ج) ص 183..

(125) يحيى بن يحيى الليثى الفقيه المحدث : اصله من برابرة مصمودة، راوى الموطأ عن مـالك، انتهت اليه الرياسة بالاندلس، وبـه اشتهر مذهب مالك فى تلك الديار وتفقه بـه جماعة لا يحصون عددا، وكان يحيى معظما عند الامراء، عفيفا من الولايات، متنـزهـا عن القضـاء، وكان أعلى من القضـاة قدرا عند ولاة الامر بالاندلس لزهده فى القضاء وامتناعه. أنظر المقرى : نفح الطيب 2 : 217 — 219.

(126) لاحظ التطابق مع ابن الاثير : الكامل 6 : 172.

ذكـــر استيـــلاء الفرنـــج على مدينـــة تطيلـــة (127) :

وفي سنة سبع وثمانين ومائة ملك الفرنج لعنهـم الله مدينة تطيلة بالاندلـــس ، وسبب ذلك ان الحكم استعمل على ثغـــور الاندلس قائدا كبيرا من قـــواده وهو عمروس بن يوسف، فاستعمل عمروس ابنه يوسف علـــى تطيلة ، وكان قد انهـــزم من الحكم أهل بيـــت من بيوت الاندلس أولوا قـــوة وبـــأس وخرجوا عن طاعته والتحقوا بالمشركين فقوى أمرهـــــــم واشتدت شوكتهم وتقدموا الى مدينـــة تطيله فحصروهـــا وملكوهـــا مـــن المسلمين وأسروا اميرها يوسف بن عمروس وسجنوه بصخرة قيس (128) واستقر عمروس بمدينة سرقسطة ليحفظها من الكفار وجمع العساكـــــر وسيرها مع ابن عم له فلقى المشركين فقاتلهم وفض جمعهم وقتل أكثرهم وسار الى صخرة قيس بالجيش فحصرها وافتتحها وخلص يوســـــــف منها (129) .

ذكـــر ايقـــاع الحكـــم بأهـــل قرطبـــة :

[28] كان ذلك في سنة سبع «وثمانين ومائة» (130) وسببه ان الحكم في صدر ولايته كان قد تظاهر بشرب الخمر والانهماك على الملذات وكانت قرطبة دار علم وبهـــا فضـــلاء أهل علـــم وورع منهم يحيى بن يحيـــى الليثي راوى موطا مالك بن أنـــس وغيره ، فثار أهل قرطبة وأنكـــروا

---

(127) تطيلية و تطيلة (Tudela) وهى حاليا تقع فى مقاطعة نفار «نبرة» على بعد 78كم الى الشمـــال الغربى من سرقسطة. ويذكر الحميرى انه يحيط «بجنات تطيلة نهر كالش وهى من اكـــرم تلـــك الثغـــور تربة يجود زرعهـــا ويـــدر ضرعها وتطيب ثمرتها... وأهل تطيلة لا يغلقون ابواب مدينتهم ليـــلا ولا نهارا، وقـــد انفـــردوا بذلك من بين سائر البـــلاد». أنظر الروض المعطار ص 133.

(128) صخرة قيس : قرية تقع بين مدينتى تطيلة وبمبلونة ويذكر كل من ابن حيان وابن عذارى فى أحداث سنة 311هـ أنه كانت بها كنيسة شيدها شانجة بن غرسية وأتقنها. فتـــام الامير عبد الرحمـــن الاموى بهدمهـــا واشعلت النار بالقرية. انظـــر المقتبـــس (شالميتا) 5 : 194، البيان المغرب 2 : 188.

(129) لاحظ التطابق مع ابـــن الاثير : الكامل 6 : 187 – 188.

(130) مـــا بيـــن قوسين زيـــادة من (ج) ص 184.

فعل الحكم ورموه بالحجارة وأرادوا قتله فامتنع منهم ثم سكن الحال واجتمع بعد ذلك بأيام وجوه أهل قرطبة وفقهاؤها وحضروا عند محمد بن القاسم القرشى المروانى عم هشام بن حمزة وأخذوا له البيعة على أهل البلد وعرفوه أن الناس قد ارتضوه كافة فاستنظرهم ليله ليرى رأيه ويستخير الله تعالى فانصرفوا وحضر هو عند الحكم وأعلمه الحال وأنه على بيعته له لم يتغير فطلب الحكم تصحيح ذلك عنده وسير مع محمد بن القاسم بعض ثقاته فأجلسه محمد في قبة في داره وأخفى أمره وحضر عنده القوم يستعلمون منه هل يتقلد أمرهم أم لا فأراهم المخافة على نفسه وعظم عليهم الخطب وسألهم تعداد أسمائهم ومن معهم فذكروا له جميع من معهم من اعيان البلد وصاحب الحكم يكتب اسماءهم فقال لهم محمد بن القاسم يكون هذا الامر يوم الجمعة ان شاء الله في المسجد الجامع ، فانصرفوا ومشى الى الحكم مع صاحبه فأعلماه جلية الحال ، وكان ذلك يوم الخميس فما جاء الليل حتى حبس الجماعة عن آخرهم ثم أمر بهم بعد ايام فصلبوا عند قصره وكانوا اثنين وسبعين رجلا ، وكان يوما شنيعا (131) ثم كانت وقعة الربض بعد ذلك على ما نذكره ان شاء الله تعالى .

ذكر ايقاع الحكم بأهل طليطلة وهى وقعة الحفرة :

[29] قال وفي سنة احدى وتسعين ومائة أوقع الحكم بأهل طليطلة فقتل منهم ما يزيد على خمسة آلاف رجل من اعيان أهلها ، وكان سبب ذلك أن أهل طليطلة كانوا قد طمعوا في الامراء وخلعوهم مرة بعد أخرى وقويت نفوسهم لحصانة بلدهم وكثرة أموالهم فلم يكونوا يضيعون أمراءهم طاعة مرضية فلما أعيا الحكم شأنهم أعمل الفكرة فاستعان بعمروس ابن يوسف المعروف بالمولد ، وكان قد ظهر في هذا الوقت بالثغر الاعلى

(131) ويضيف ابن الاثير ان من الذين صلبوا : اخو يحيى بن يحيى، وابن ابى كعب، الكامل 6 : 188، 189.

وأظهر طاعة الحكم ودعا اليه فاطمأن اليه بهذا السبب واستقدمه فقدم عليه فبالغ الحكم في اكرامه وأطلعه على عزمه في أهل طليطلة فوافقه عليه وكتب الى أهلها يقول : انى قد اخترت لكم فلانا وهو منكم لتطمين قلوبكم اليه وأعفيتكم ممن تكرهون من عمالنا ومو الينا ولتعرفوا جميل رأينا بكم .

ومضى عمروس ودخل طليطلة فأنس أهلها به وأطمأنوا اليه وأحسن عشرتهم ، وكان أول ما احتال به عليهم انه أظهر موافقتهم على بغض بنى امية وخلع طاعتهم فمالوا اليه ووثقوا به ورضوا بفعله . ثم قال لهم : «ان سبب الشر بينكم وبين أصحاب الامراء اختلاطهم بكم، وقد رأيت ان ابنى بناء اعتزل فيه ، انا وأصحاب السلطان ، رفقا بكم» فأجابوه الى ذلك، فبنى في وسط البلد ما أراد فلما مضى لذلك مدة كتب الحكم الى عامل له على الثغر الاعلى سرا يأمره ان يرسل اليه يستغيث من جيوش الكفرة ، وطلب النجدة والعساكر ففعل ذلك فحشد الجيوش واستعمل عليهم ابنه عبد الرحمن [30] وجهز معه القواد والوزراء.

فسار الجيش حتى اجتاز بمدينة طليطلة فلم يتعرض عبد الرحمن لدخوله اليها وأتاه وهو عندها خبر العامل على الثغر الاعلى يقول أن عساكر الكفر قد تفرقت وكفى الله شرها فوقف العسكر وعزم عبد الرحمن على العودة الى قرطبة فقال عمروس عند ذلك لأهل طليطلة : «ما ترون نزول ولد الحكم الى جانبى وانه يلزمنى الخروج اليه وقضاء حقه ، فان نشطتم الى ذلك والا سرت اليه وحدي» فقالوا : «بل نكون معك» فخرج ومعه وجوه أهل طليطلة فأكرمهم عبد الرحمن وأحسن اليهم .

وكان الحكم قد أرسل مع ولده خادما له ومعه كتاب لطيف الى عمروس فلقيه الخادم وصافحه وسلم الكتاب

اليـه من غير أن يحـادثه ، فلما قـرا عمروس الكتاب رأى فيه كيف تكون الحيلـة على أهل طليطلـة فاشـار الى عيـون أهلهـا أن يسألوا عبـد الرحمن الدخول اليهم ليـرى هو وأهل عسكره كثرتهم وقوتهم ومنعتهم فظنـوه بنصحهـم ففعلوا ذلك وادخلـوا عبد الرحمن البابـ فنـزل مـع عمروس في داره وأتـاه أهل طليطلـة ارسـالا يسلمون عليه وأشـــاع عمروس أن عبد الرحمن يريـد أن يتخـذ لهم وليمه عظيمـة وشـرع في الاستعداد لذلـك وواعدهم يومـا ذكره لهم وقـرر معهم انهم يدخلون من بـاب ويخرجون من بـاب آخر ليقـل الزحام ففعلوا ذلك وأتـى النـاس افواجـا عند الميعـاد فكـان اذا دخل فـوج اخذوا وحملوا الى جماعـة من الجنـد على حفـرة كبيـرة في القصر فتضرب رقابهم ، فلما تعالى النهـار أنسـى بعضهم فلـم يرى احدا فقـال : [131] «اين النـاس» فقيل له : «انهم يدخلون من هذا البـاب ويخرجون من الآخر» ، فقال : «لم الق منهم احدا» وعلـم الحال فعاد وصـاح بالناس وأعلمهم هـلاك أصحابه فكـان سبب نجـاة من بقـى منهم ودانوا وحسنت طاعتهم بقية أيـام الحكم وأيـام ولده عبد الرحمـن (132) ثم كان منهم بعد ذلك ما نذكره ان شاء اللــه تعالـى .

ذكـر عصيان أهل مـاردة على الحكم وما فعله بأهـل قرطبـة :

وفي سنة احدى وتسعين ومائة عصى اصبـغ بن عبد الله على الحكم ووافقه أهل مدينـة مـاردة وأخرجوا عامله عنها فاتصـل الخبـر بالحكـم فسـار اليها وحاصرها فبينما هو في ذلـك أتـاه الخبر على أهل قرطبـة انهم أعلنـوا العصيـان لـه فرجـع الى قرطبـة مبـادرا فوصلها في ثلاثة أيـام وكشف عن الذين اثـاروا الفتنـة فصلبهم منكسين وضرب اعناق جماعة فارتـدع الباقون بذلك واشتدت كراهتهم للحكم ولـم يـزل أهـل

---

(132) أنظر التطابق مع ابـن الاثير : الكامل 6 : 199 — 201 وقارن ابن عذارى البيـان المغرب 2 : 74، 75، ابن الخطيب : اعمال الاعلام (الاندلس) ص 14 — 15

مـاردة تارة يطيعون وتـارة يعصون الى سنـة اثنتين وثـمـين فضعـف أمـر اصبغ بن عبد الله لان الحكم تابـع ارسال الجيوش(133) واستمال جماعـة (134) من آهل مـاردة وثقات أصحابه فمالوا الى الحكـم وفارقوا اصبـغ حتى اخـوه فضعفت نفسه فطلب الامان فأمنـه ففارق مـاردة وحضر الى الحكـم وأقام بقرطبـة (135) .

ذكـر غـزو الفرنـج (136) :

وفي هذه السنة تجهـر لذريـق ملك الفرنـج وجمع جموعه ليسير الى مدينة [32] طرطوشـة (137) ليحصرها فبلغ ذلك الحكم فجمع العساكـر وسيرها مع ولده عبد الرحمن فاجتمعوا في جيش عظيم وتبعهم كثير مـن المتطوعة فساروا حتى لقـوا الفرنـج في أطراف بلادهم قبـل ان ينالوا من بـلاد المسلمين شيئا ، فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده واستنفـد وسعـه فانـزل الله تعالى نصـره على المسلمين وهزم الكفـار وكثر القتل فيهم والاسار وانتهبت أموالهم ورجع المسلمون بالظفر (138) .

(133) «اليه» زيادة فى (ج) ص 188.
(134) «أعيان» زيادة فى (ج) ص 188.
(135) لاحظ التطابق مع ابن الاثير. الكامل 6 : 201 — 202 وقارن ابن عذارى : البيـان المغرب 2 : 73.
(136) يقصد بالفرنج الدولة الكارولنجية التى نجحت فى انشـاء ما يسمى بالثغر الاسبانى لحمـاية حدودها الجنوبية مع المسلمين. فاستولى الفرنج على برشلونة فى 185هـ/801م حسب روايـة ابن الاثير وفى 803 م حسب رواية ليفى بروفنسال، وفى السنوات التالية حـاول الكارولنجيون التقـدم باتجاه الغرب واحتلال وشقة الحالية، كما تقدموا باتجاه الشاطىء فاحتلوا طركونـة (Tarragone) الحـاليه فى 192هـ/808م ثم توجهـوا الى طرطوشـة فانهزموا أمامها. انظر الكامل 6 : 169،
Levi Provençal : Histoire . . I.P. 180.
(137) طرطوشـة : تقع على الساحل الشرقى لاسبانيا وتقع على بعد 20 ميلا من البحر، تبعـد منها بلنسية بـ 110 ميل، وطركونة بـ 50 ميلا تصنع المراكب الكبار من خشب جبـالهـا حيث أشجار الصنوبر الذى لا يوجـد لـه نظير فى الطول والغلظ، ومنـه تتخذ الصوارى والقرى. ولهـا سور حصين وأربعة أبواب ملبسة بالحـديـد ولهـا اربـاض من جهـة الجوف والقبلة، ودار الصنـاعة. ومن أهل طرطوشـة الفقيه الزاهد أبو الوليد الطرطوشى الفهرى نزيل الاسكندرية صاحب كتابى «الحوادث والبدع»، «سراج الملوك».
انظر الحميرى : الروض المعطار ص 391 — 392، بالنثيا : الفكر الاندلسى ص 174.
(138) لاحظ التطابق مع ابن الاثير : الكامل 6 : 202.

ذكر عصيان حزم على الحكم :

وفي هذه السنه خالف حزم بن وهب بناحيه باجه ووافقه غيره وقصدوا لشبونة (139) فلما بلغ الحكم الخبر سار اليه الحكم في جمع كثير فنازله وقطع الاشجار وضيق عليهم حتى اذعنوا الى طلب الامان فامنه (140) واخذ رهاينه على المصالحه والطاعه وعاد عنه الى قرطبه.

ذكر عود اهل ماردة الى العصيان وغزو الحكم بلد الفرنج :

قال ثم عاد أهل ماردة الى العصيان والخلاف على الحكم في سنه أربع وتسعين ومائة فسار الحكم بنفسه اليهم وقاتلهم ولم تزل سراياه وجيوشه تتردد وتقاتلهم الى سنة ست وتسعين ومائة فطمع الفرنج في ثغور المسلمين وقصدوها بالغارات والقتل والنهب والسبى ومد [33] شغل الحكم بأهل ماردة عنهم حتى أتاه الخبر بشدة الامر على أهل الثغر وما نال العدو منهم ، وسمع ان امرأة مسلمة اخذت اسيرة فقالت : «واغوثاه يا حكم» (141) فعظم الامر عليه وجمع العساكر واستعد وحشد وسار الى بلد الفرنج» في سنة ست وتسعين ومائة ، فأثخن في بلادهم وافتتح عدة حصون وخرب وقتل الرجال وسبى الحريم ونهب الاموال وقصد الناحية التى كانت بها تلك الامرأة فأمر لهم من الاسرى بما يفادون به أسراهم وبالغ في الوصية في تخليص تلك المرأة فخلصت من الاسر وقتل بقية الاسرى فلما فرغ من غزاته ، قال لاهل الثغور :

---

(139) «الشبونة» فى (د) وصححها من (ج) ص 189، ابن الاثير : الكامل 6 : 202.

(140) ويذكر ابن الاثير ان الحكم كان يسمى حزما «النبطى»، ولاحظ التطابق فى بقية المعلومات، الكامل 6 : 202.

(141) ويروى ابن الاثير فى سنة 223 هـ. أى بعد سبعة وعشرين عاما من غزوه الحكم هذه أن ملك الروم غزا أهل زبطرة من الدولة العباسية وبلغ المعتصم الخليفة العباسى أن امرأة هاشمية صاحت وهى أسيرة فى أيدى الروم : وامعتصماه ! فأجابها وهو جالس على سريره. لبيك لبيك ! ونهض من ساعته، وصاح فى قصره : النفير النفير وزحف الى بلاد الروم، الكامل 6 : 480.

«اغاثكم الحكم» قالوا : «نعم» واثنــوا عليه خيرا وعاد الى قرطبة مظفرا منصورا (142) .

وفي سنــة سبع وتسعين ومائة اشتد الغــلاء بالاندلس وعم البــلاد ومات كثير من الخلــق وكان اكثــر النــاس يطئون من العــدم (143).

ذكر وقعــة الربــض بقرطبة :

وفي سنة ثمان وتسعين ومائة كانت وقعة الربض بقرطبة وسببها ان الحكــم كان كثير التشاغل بالشرب واللهو والصيد وغير ذلك ، ممــا يجانسه وقد قدمنا ما كان قد فعلــه بأهل قرطبة لما أرادوا خلعه ومــن صلب منهم فزادت كراهــة أهلها فيه وصاروا يتعرضون لجنده بــالاذى والسب وبالغوا حتى أنهم كانوا ينادون عند انقضاء الاذان الصلاة يــا مخمــور الصلاة وشافهه بعضهم بالقول [34] وصفقوا عليه بالاكف فشــرع في تحصين قرطبــة وعمارة اسوارهــا وحفر خنادقــها وارتبــط الخيل على بابــه واستكثــر من المماليك ورتب جمعا لا يفارقون بــاب قصره بالسلاح فزاد ذلك في حقد أهل قرطبــة وتحققوا انه يفعل ذلك للانتقام منهــم .

ثم وضع عليهم عشر الاطعمة في كل سنة من غير حرص فكرهوا ذلك. ثــم عمــد الى عشــرة من رؤســاء سفهائها فقتلهــم وصلبهم فهــاج لذلــك أهــل الربــض وانضاف الى ذلك أن مملوكــا له سلــم الى صيقل سيفا ليصقله فمطلــه الصيقــل فأخذ ذلك المملوك السيف ولم يــزل يضرب به الصيقل الى أن قتله وذلك في شهــر رمضان من هذه السنة.

فكان أول من شهر السلاح أهل الربض القبلي واجتمع أهل الارباض جميعهم بالسلاح واجتمع الجند والامويون والعبيد بالقصر وفرق الحكم الخيل والســلاح وجعل أصحابه كتائب ووقع القتــال بين الطائفتين فغلبهم أهل

(142) ابن الاثير : الكامل 6. : 236 — 237.
(143) قــارن ابن الاثير : الكامل 6 : 277.

الربض وأحاطوا بالقصر منــزل الحكم من أعــلا القصر ، ولبس سلاحه وحرض الناس على القتـــال فقاتلوا قتـــالا شديدا ثم امـــر ابن عمه عبيـــد الله فثلـــم من السور ثلمـــة وخرج منها بقطعـــة من الجيش واتى أهـــل الربـــض من وراء ظهورهم فلم يشعـــروا به وأضـــرم النـــار في الربـــض فانهزم أهله وقتلوا قتـــلا ذريعـــا وأســـر من وجد في المنـــازل والـــــدور. فانتقى الحكـــم ثلثمائة من وجـــوه الاسرى فصلبهم منكسين ودام النهـــب والقتل والحريق في اربـــاض قرطبة ثلاثـــة [35] أيـــام.

ثم استشار الحكم فيهم عبد الكريم بن عبد الواحد بن عبد المغيث(144) فاشار عليه بالصفح عنهم والعفو واشار غيره بالقتل، فقبل قول عبد الكريم وأمر فنودي بالامان على أنه من بقى من اهل الربض بعد ثلاثة ايام قتل وصلب فخـــرج من بقى منهم بعد ذلـــك مستخفيـــا وتحملوا على الصعب والذلول وخرجوا من حضـــرة قرطبة بنسائهم وأولادهم وما خف من أموالهم وقعد لهم الجند والسفلـــة بالمراصد ينهبون أموالهم ومن امتنع عليهـــم قتلـــوه ، فلما انقضـــت الايـــام الثلاثـــة أمـــر الحكم بكف الاذى عن حـــرم الناس وجمعهن الى مكان واحد وأمر بهـــدم الربض القبلي.

وكان بزيغ مولى أميه بن الامير عبد الرحمن بن معاويه محبوسا في حبس الدم وفي رجله قيد ثقيل، فلما رأى أهل قرطبة قد غلبوا الجند سأل الحرس أن يفرجوا عنه فاخذوا عليـــه العهـــد أن يعـــود واطلقـــوه ، فخرج وقاتل قتـــالا شديدا لم يكن في الجيش من قاتـــل مثله ، فلما انهـــــزم أهل الربض عـــاد الى السجن فانتهى خبـــره الي الحكم فاطلقه وأحســـــن اليـــه ، وقيـــل أن هذه الوقعة كانـــت في سنـــة اثنتين ومائتين واللـــــه أعلـــم (145) .

(144) «مغيث» في (ج) ص 191.

(145) لاحظ التطابق مع ابن الاثير : الكامل 6 : 298 — 300 . وقارن ابن عذارى : البيـــان المغرب 2 : 75 — 77، ابن الخطيب : أعمـــال الاعلام (الاندلس) ص 15 ومـــا بعـــدهـــا.

قال بعض المؤرخين اجتمع في الربض أربعة آلاف فقيه وطالب وكان ممن خرج عليه من الفقهاء يحيى بن يحيى الليثي فهرب ونزل على حي من البربر ثم أمنه الحكم بعد ذلك وحظى (*) عنده ومنهم الفقيه طالوت بن عبد الجبار مفر واستتر عند رجل يهودي عاما كاملا وكان بينه وبين أبى البسام صداقة فقصده (146) فأخبر الحكم به وأحضره اليه [36] فعنفه الحكم على خروجه عليه ثم أمنه وصرفه الى منزله وسأله أين استتر ، فأخبره باليهودي وبأبى البسام فاغتاظ على أبى البسام وعزله عن وزارته وكتب عهدا أن لا يخدمه أبدا ، ومنهم عبد الملك بن حبيب وغيرهم(147) .

ذكر غزو الفرنج :

وفي سنة مائتين جهز الحكم جيشا مع عبد الكريم الى بلاد الفرنج فسار حتى توسط بلادهم فخربها ونهبها وهدم عدة من حصونهم واستنفد خزائن ملوكهم ، فلما رأى ملكهم ذلك كاتب جميع ملوك تلك النواحي واستنصر بهم فاجتمعت اليه النصرانية من كل مكان وأقبل في جموع عظيمة ونزل بآزاء عسكر المسلمين وبينهم نهر فاقتتلوا عدة أيام والمسلمون يريدون عبور النهر اليهم وهم يمنعونهم من ذلك . فلما رأى المسلمون ذلك تأخروا عن النهر فعبر المشركون النهر واقتتلوا اعظم قتال فانهزم الكفار الى النهر وأخذهم السيف والاسر فأسر جماعة من ملوكهم وكنودهم (148) وقمامصتهم وعاد الفرنج يلزمون (149) جانب النهر يمنعون المسلمين من عبوره فأقاموا ثلاثة عشر يوما يقتتلوا في كل يوم فجاءت الامطار وزاد النهر فتعذر تجاوزه فقفل عبد الكريم عنهم في سابع ذي الحجة من السنة (150) :

* وحضر فى ج ص 192.
(146) «معتصدة» فى (ج) ص 192.
(147) هذه المعلومات غير واردة بابن الاثير.
(148) العصاة .
(149) «لزموا» فى (د)، «يلزموا» فى (ج) ص 192 وصححتها من ابن الاثير : الكامل 6 : 318.
(150) لاحظ التطابق مع ابن الاثير : الكامل 6: 317 — 318، وقارن ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 75.

ذكــر خــروج البربر بناحية مــورور (151) :

وفيها خرج خارجى من البربر بناحية مورور ومعه جماعة فوصــــل [37أ] كتاب العامل بها الى الحكم يخبـره فأخفــى الحكم امـره واستدعى من ساعته قائدا من قــواده فاخبــره بذلك ســرا وقال له سـر من ساعتك الى هذا الخارج وأتنى برأســه والا فرأسك عوضه وأنا قاعد في مكانى هذا الى ان تعــود فسار القائــد الى الخارج فلما قاربه سال عنــه فاخبــر انه في احتيــاط كثير واحتراز شديد فعجز عنه ثم تذكــر (152) قــول الحكــم فاعمل الحيلــة حتى دخل عليه وقتله وأتــى برأسه الى الحكم فرآه بمكانــه ذلك لم يتغيــر وكانت غيبتــه أربعــة أيــام فاحسن الى القائد ووصلــه واعــلا محلــه (153) .

ذكــر وفـــاة الحكـــم :

كانت وفاتــه في يــوم الخميس (154) بعد الظهر لاربع بقين من ذي الحجــة سنة ست ومائتين وكان عمـره اثنتيــن وخمسين سنة وقيــــل ثلاثة وخمسين وقيــل أقل من ذلك الى تسعــة وأربعين . ومــدة امارتــه ستــا وعشرين سنـة وعشــرة أشهــر وثلاثة عشر يومــا.

وكان طويلا اسمــر نحيفــا وله شعــر جيــد وهو اول من جند الجنود المرتزقــة بالاندلس وجمع الاسلحة والعدد واستكثر الحشم والحواشــى وارتبط الخيــول على بابه واتخذ المماليك وجعلهم في المرتزقة ، فبلغــت

(151) مورور (Moron de la Frontera) : كورة متصلة بأحواز قرمونــة، وهى فى الغرب والجوف (شمال) من كورة شذونة واحوازها متصلة بأحوازها وهى من قرطبة بين القبلة والمغرب ومدينة «قلب» قــاعدة مورور ودار الامـــارة بها وكانت جباية كورة مورور ايــام الحكم بن هشـــام بن عبد الرحمن احدى وعشريـــن ألف دينــار. انظــر الحميرى : الروض المعطار ص 564.
(152) «فتذكر» فى (ج) ص 193.
(153) لاحظ التطابق مع ابن الاثير : الكامل 6 : 318 — 319. وقارن ابن عذارى : البيــان المغرب 2 : 79.
(154) «الخمس» فى (ج) ص 193.

عدتهم خمسة آلاف وكانوا يسمون الخرس لعجمة السنتهم ، وكانوا نوابا (155) على باب قصره ، وكان يطلع على الامور بنفسه ما قرب منها وما بعد ، وكان له نفر من ثقات أصحابه يطالعونه بأحوال الناس فيردع الظالم (156) وينصف المظلوم ، وكان شجاعا مقداما مهيبا [38] وكان يقرب الفقهاء وأهل العلم ، وكان له من الاولاد أبو مطرف عبد الرحمن وثمانية عشر ولدا ذكرا ، كاتبه الوزير أبو البسام (157).

ذكر قيام الخليفة عبد الرحمن بن الحكم

هو أبو المطرف وقيل أبو المظفر عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن الداخل ، وأمه أم ولد يقال لها حلاوة وهو الرابع من أمراء بنى أمية بالاندلس .

بويع له بعد وفاة أبيه في يوم الخميس لاربع بقين من ذي الحجة سنة ست ومائتين ، وذلك في خلافة المامون بن الرشيد العباسى قال : ولما ولى خرج عليه عم أبيه عبد الله البلنسى من بلنسية وطمع في الملك فوصل الى تدمير يريد قرطبة فتجهز له عبد الرحمن . فلما بلغ ذلك عبد الله خاف وضعفت نفسه فرجع الى بلنسية (158) .

ذكر ايقاع عبد الرحمن بأهل البيرة وجندها :

كان ذلك في سنة سبع ومائتين وسبب ذلك أن الحكم كان قد بلغه عن عامل اسمه ربيع انه ظلم سيما أهل الذمة فقبض عليه وصلبه فلما توفى الحكم وولى عبد الرحمن وسمع الناس بصلب ربيع اقبلوا

---

(155) «يوما» فى ابن الاثير : الكامل 6 : 378، نوبا فى (د) وصححتها نوابا من (ج) ص 194.

(156) «فيرد عنهم المظالم» فى (ج) ص 194.

(157) قارن ابن الاثير : الكامل 6 : 377 — 378. وقارن ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 68، 79.

(158) ابن الاثير : الكامل 6 : 379، 379.

الى قرطبة من النواحي يطلبون الاموال التى كان ظلمهم (159) ربيع فيها ظنا منهم انها سترد اليهم وكان جند البيرة اكثرهم طلبا وأشدهم الحاحا [39] وتألبا فأرسل عبد الرحمن من يسكنهم (160) فلم يقبلوا ودفعوا من أتاهم فخرج اليهم جمع من الجند من اصحاب عبد الرحمن يقاتلوهم فانهزم جند البيرة ومن معهم وقتلوا قتلا ذريعا ونجا من بقى منهم وأدركهم الطلب فقتل كثير منهم .

وفيها ثارت بمدينة تدمير فتنة بين المضرية واليمانية فاقتتلوا بلورقة فكان بينهم وقعة تعرف بيوم المصارة (161) فقتل بينهم ثلاثة آلاف رجل ودامت الحرب بين الفريقين سبع سنين فوكل عبد الرحمن بكفهم ومنعهم يحيى بن عبد الله بن خالد وسيرة في جمع من الجيش فكانوا اذا احسوا بقرب يحيى افترقوا وتركوا القتال وادا عاد عنهم رجعوا الى الفتنة حتى أعياه أمرهم (162) .

وفيها كان بالاندلس مجاعة شديدة ذهب فيها خلق كثير وبلغ المدى (163) في بعض المدن ثلاثين دينارا (164) .

وفي سنة ثمان ومائتين جهز عبد الرحمن جيشا الى بلاد المشركين واستعمل عليهم عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث فساروا الى بلاد البة والقلاع فنهبوا بلاد البة وخربوها وأحرقوها وفتح حصونا

(159) «طلبهم» فى (ج) ص 195.

(160) «يسكتهم» فى (ج) ص 195.

(161) المصابرة فى د وصحتها من ج ص 195 والمصارة اسم علم يطلق على الفضاء المجاور للمدن فلعل المصارة هنا هى مصارة ورقة على غرار مصاره قرطبة. ومن الطريف أن سبب هذه الفتنة أن رجلا من اليمانية ملأ قلته ماء من وادى لورقة ثم اخذ ورقة من دالية عنب لمضرى فجعلها فى فم القلة فنهاه المضرى وقال انما صنعت ذلك هوانا بى اذ قطعت الورقة من كرمى فتقاتلا حتي انتهى الامر بمقتل اليمنى واندلعت الفتنة بين الحيين. أنظر العذرى : ترصيع الاخبار ص 6، ابن عذارى : البيان 2 : 122، 124، الحميرى : الروض المعطار ص 181، وللمحقق : القبائل العربية فى الاندلس ص311

(162) قارن العذرى : ترصيع الاخبار ص 5، ابن الاثير : الكامل 6 : 384، ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 81.

(163) المد : ضرب من المكاييل، سمى بذلك لانه يمد المكيل بالميكل مثله. ويتجزأ الى نصف مد وربعيه وثمنيه والمد يساوى ثمانية عشر (18) لترا تقريبا (المنجد).

(164) ابن الاثير : الكامل 6 : 384.

وصالحهم أهل حصون أخرى على مال واطلاق اسرى المسلمين وذلك في جمادى الآخر وفيها توفى عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بالبلنسى (165)

وفي سنة عشر ومائتين سير عبد الرحمن سرية كبيرة الى بلاد الفرنج واستعمل عليهم عبيد الله بن عبد الله البلنسى فسار ودخل بلادهم وتردد فيها بالغارات والسبى والقتل والاسر ولقى جيوش الاعداء فهزمهم [40] وأكثر القتل فيهم وكان فتحا عظيما.

وفيها افتتح عسكر سرية عبد الرحمن أيضا حصن القلعة من أرض العدو في شهر رمضان .

وفيها أمر ببناء المسجد الحامع بجيان . وفيها أخذ عبد الرحمن مقدم اليمانية بتدمير وهو رجا بن أبى الشماخ (166) ليسكن الفتنة بين المضرية واليمانية فلم تسكن ودامت «فلما رأي عبد الرحمن ذلك أمر العامل» (167) بتدمير أن ينتقل منها ويجعل مرسية منزله العمال ففعل ذلك وصارت مرسية قاعدة تلك البلاد (168) .

وفي سنة اثناتى عشرة ومائتين سير عبد الرحمن جيشا الى برشلونة من بلاد العدو فأقام الجيش شهرين يخربون وينهبون ، وفيها كانت سيول عظيمة وامطار متتابعة فخربت أكثر أسوار مدن الاندلس وخربت قنطرة سرقسطة ثم جددت عمارتها وأحكمت (169).

وفي سنة ثلاث عشرة ومائتين قتل أهل ماردة عاملهم فثارت الفتنة عندهم فسير اليهم عبد الرحمن جيشا فحصرهم وأفسد زرعهم

(165) ابن الاثير : الكامل 6 : 386 — 387 وقارن ابن عذارى 2 : 81، 82. وابن الخطيب ص 19 — 20.
(166) «ابو الشماخ محمد بن ابراهيم» فى ابن الاثير : الكامل 6 : 400.
(167) ما بين قوسين زيادة من ابن الاثير : الكامل 6 : 400 اذ يبدو سقط من الناسخ
(168) قارن ابن الاثير : الكامل 6 : 400. وما أورده عن تطور الصراع بين المضرية واليمانية فى سنة 213هـ.
(169) ابن الاثير : الكامل 6 : 408.

وأشجارهم فعادوا للطاعة وأعطوا رهائنهم وعاد الجيش عنهم بعد ان خربوا سور المدينة ثم أرسل البرم من ينقل احجار السور الى النهر لئلا فطمع أهلها في عمارته فلما رأوا ذلك عادوا الى العصيان وأسروا العامل عليهم وبنو السور وانتقنوه فسار عبد الرحمن اليهم بجيوشه في سنة أربع عشرة ومعه رهاين أهلها فراسله أهلها وافتكوا رهائنهم بالعامل الذي اسروه وغيره وحصرهم وأفسد بلدهم ثم رحل عنهم ثم سير اليهم جيشا في سنة سبع عشرة فحصروها وضيقوا [41] على أهلها ودام الحصار ثم رحلوا عنهم وسير اليهم جيشا في سنة ثمان عشرة ففتحها وفارقها أهل الشر والفساد .

وكان من أهلها رجل اسمه محمود بن عبد الجبار الماردي في جماعة من الجند فمضى فمن سلم من أصحابه الى منت سالوط (170) فسير اليه عبد الرحمن جيشا في سنة عشرين ومائتين فهرب بمن معه الى جليقية فأرسل سرية في طلبهم فقاتلهم محمود وهزمهم وغنم ما معهم وقتل عدة منهم ثم مضى لوجهه فلقيه جمع من أصحاب عبد الرحمن مصادفة فقاتلوهم ثم كف بعضهم عن بعض وساروا فلقيته سريه أخرى فانهزمت السرية وغنم محمود ما معهم ووصل الى بلاد المشركين فاستولى على قلعة لهم فأقام بها خمسة أعوام وثلاثة أشهر فحصره اذفونش ملك الفرنج فملك الحصن وقتل محمود ومن معه وذلك في سنة خمس وعشرين من شهر رجب (171) .

وفي سنة أربع عشرة ومأتين سار عبد الرحمن الى مدينة باجه وكانت عاصية عليه (172) فملكها عنوة وفيها خالف هاشم الضراب

---

(170) «منت شالوط» فى (د) وصححتها من ابن الاثير : الكامل 6 : 411.

(171) انظر ابن الاثير ولاحظ التطابق مع النويرى، الكامل 6 : 400 — 401.

وراجع للمحقق، دراسته حول هذه الثورة وزعيمها البربرى الاصل وتحالفه مع المولدين بمدينة ماردة، فى القبائل العربية فى الاندلس حتى سقوط الخلافة الاموية ص 191 — 192 .

(172) «من حين فتنة منصور الى الان (214 هـ) زيادة فى ابن الاثير : الكامل 6 : 415.

(173) بمدينة طليطلة ، وكان هاشم ممن خرج من طليطلة لما أوقع الحكم بأهلها وسار الى قرطبة، فلما كان الآن سار الى طليطلة فاجتمع اليه أهل الشر والفساد ، فسار الى وادي تحونية (174) وأغار على البربر وغيرهم فطار اسمه واشتدت شوكته وكثر جمعه فأوقع بأهل شنت بريـة (175) وكانت بينه وبين البربر وقعات كثيرة فسير اليه عبد الرحمن جيشا فقاتلوه فلم تستظهر أحد الطائفتين على الاخرى وغلب [42] هاشم على عدة مواضع وجاوز بركة العجوز وابعدت غارة خيله فسير اليه عبد الرحمن جيشا (176) في سنة ست عشرة ومائتين فلقيهم هاشم بالقرب من حصن شميطا المجاور لدورقة (177) فدامت الحرب بينهم عدة أيام ثم انهزم هاشم وقتل هو وكثير ممن معه (178) .

ذكر محاصرة طليطلة وفتحها :

وفي سنة تسع عشرة ومأتين جهز عبد الرحمن جيشا مع ابنه امية الي مدينة طليطلة فحصرها وكانوا قد خالفوا وخرجوا عن الطاعة فاشتد في حصارهم وقطع اشجارهم وأهلك زرعهم فلم يذعنوا الى الطاعة فرحل عنهم وترك بقلعة رباح جيشا عليهم ميسرة المعروف بفتى أبى أيوب فلما ابعد أمية خرج جمع كثير من أهل طليطلة لعلهم يجدون فرصة وغفلة فينالون منه ومن أصحابه غرضا ، وكان قد بلغه الخبر فكمن في عدة مواضع فلما وصلوا الى قلعة رباح خرج الكمين عليهم من جوانبهم ووضعوا السيف فيهم فأكثروا القتل وعاد من سلم منهزما الى طليطلة ، وجمعت رؤوس القتلى وحملت الى ميسرة فلما رأى

(173) يذكر ابن عذارى انه سمى بالضراب لانه حينما كان بقرطبة عمل اجيرا يضرب بالمعول فى الحدادين. أنظر البيان المغرب 2 : 83.

(174) «تحويية» فى ابن الاثير 6 : 416، «حونية» فى (د) وصححتها من (ج) ص 198.

(175) «سيرية» فى (د) وصححتها من ابن الاثير : الكامل 6 : 416.

(176) «جيشان» فى (ج) ص 198.

(177) «حصن سمسطا بمجاورة رورية» فى ابن الاثير : الكامل 6 : 416.

(178) قارن ابن الاثير : الكامل 6 : 415 — 416. وابن عذارى : البيان المغرب 2 : 83.

كثرتها (179) عظم عليه وارتاع لذلك ووجد في نفسه غما شديدا فمات بعد أيام يسيرة .

ثم سير عبد الرحمن جيشا في سنة عشرين رمانيين فقاتلوا ولم يظفروا منها بشيء ، فلما كان في سنة احدى وعشرين حرج جماعة من أهلها الى قلعة رباح وبها عسكر لعبد الرحمن فاجمعوا [43] كلهم على حصار طليطلة وضيقوا على أهلها واشتدوا في حصارهم الى سنه اثنتين وعشرين ومائتين فسير عبد الرحمن أخاه الوليد بن الحكم فرأى أهلها وقد بلغ بهم الجهد كل مبلغ وأشتد عليهم طول الحصار وضعفوا عن القتال والدفع ففتحها عنوه يوم السبت لثمان خلون من شهر رجب منها وأمر بتجديد القصر على باب الجسر (180) الذي كان هدم أيام الحكم وأقام بها الى آخر شعبان سنة ثلاث وعشرين ومأتين حتى استقرت قواعد أهلها (180 م) .

وفي سنة ثلاث وعشرين سير عبد الرحمن جيشا الى البة والقلاع فنازلوا حصن القرابة (181) وقتلوا أهله وغنموا ما فيه وسبوا النساء والذرية وعادوا .

وفي سنة أربع وعشرين سير جيشا عليهم عبيد الله بن عبد الله البلنسي الى بلاد العدو فوصلوا البه والقلاع ، فالتقوا هم والمشركون وكانت بينهم حروب شديدة وقتال عظيم ، فانهزم (182) أهل الشرك وقتل منهم ما لا يحصى كثرة وجمعت الرؤوس حتى كان الفارس لا يرى من يقابله ثم سار عبد الرحمن في سنة خمس وعشرين في

(179) «كثرتهم» فى (ج) ص 199.
(180) «الخيل» فى (ج) ص 199 «الحصن» فى ابن الاثير 6 : 475 ويتفق ابن عذارى مع (د). انظر البيان المغرب 2 : 85.
(180م) لاحظ التطابق مع ابن الاثير : الكامل 6 : 444، 454، 475، وقارن ابن عذارى: البيان المغرب 2 : 83 — 85.
(181) «حصن الغرات» فى ابن الاثير : الكامل 6 : 494.
(182) «انهزم» فى (د) وصححتها من (ج) ص 199.

جيش كثيف الى بلاد المشركين فدخل بلاد جليقية فافتتح منها عدة حصون وغنم وسبى وقتل وخرب ثم عاد الى قرطبة ولم تطل مدة هذه الغزاة (183) .

وفي سنة سبع وعشرين ومائتين سير الامير عبد الرحمن جيشا الى ارض العدو فامن كانوا بين اربونة (184) وسرطانية تجمعت الروم عليهم واحاطوا بهم وقاتلوهم الليل كله ، فلما أصبحوا [44] أنزل الله تعالى نصره على المسلمين ، وهزم عدوهم وأبلى موسى ابن موسى في هذه الغزوة بلاء حسنا ، وكان على مقدمة العسكر وهو العامل على تطيلية (185) وجرى بينه وبين جرير بن موفق (186) وهو من أكابر الدولة أيضا شر فخرج موسى عن الطاعة (187) .

ذكر الحرب بين موسى بن موسى والحارث بن بزيغ وما كان من أمره :

قال : ولما بلغ عبد لرحمن خروج موسى عن الطاعة (188) سير اليه جيشا واستعمل عليهم الحارث بن بزيغ ، فسار اليه والتقوا عند برجه (189) واقتتلوا فقتل اكثر أصحاب موسى وقتل ابن عم له وعاد الحارث الى سرقسطة فسير موسى ابنه الى برجه فعاد الحارث اليها فحصرها وملكها وقتل ابن موسى وتقدم الى مدينة تطيلية (190) فحصرها

(183) انظر ابن الاثير : الكامل 6 : 494، 507، 516 حيث يخالف النويرى ويذكر أن عبد الرحمن «اطال المقام فى هذه الغزاة». وقارن ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 85.
(184) «أوشونه» فى (د) وصحتها من ابن الاثير 6 : 529، ابن عذارى 2 : 86.
(185) «تطلية» فى (د) وصحتها من (ج) ص 200.
(186) «حرر» فى (د) وصحتها من (ج) ص 200، ابن الاثير 6 : 529.
(187) يذكر العذرى أن خروج موسى بن موسى عن الطاعة بسبب تولية عبد الرحمن لبنى كليب بالثغر الاعلى واساءتهم معاملة بنى موسى. أنظر ترصيع الاخبار ص 29، قارن كل من ابن الاثير : الكامل6 : 529، ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 96.
(188) «طاعته» فى (ج) ص 200.
(189) برجة Jrja : وهى مركز فى سرقسطة انظر العذرى : ترصيع الاخبار ص 33، 44، 155، ويضيف الحموى ان برجة بفتح الباء من أعمال البيرة وينسب اليها أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله الجذامى المقرى، توفى بالمرية سنة 506هـ، معجم البلدان 1 : 374.
(190) «تطلبة» فى (د) وصحتها من (ج) ص 200.

فصالحـــه موسى على أن يخرج عنها فانتقـــل موسى الى ارنيط (191) وبقي الحارث بتطيلية (192) اياما ثم سار الى موسى ليحاصره فارسل موسى الى غرسيـــة وهو من ملوك الاندلس المشركيـــن واتفقا على الحـــــرب واجتمعا وجعلا للحارث كماين في طريقه وأعدا له الخيل والرجال (193) بموضع قال له ثلمة (194) على نهر هناك ، فلما جاوز الحارث النهر خرج اليـــه الكمناء وأحدقوا به وكانت وقعة عظيمة وأصابته ضربة في جبهته قلعت عينه ثم أســـر وذلك في سنة ثمان وعشرين.

فلما بلغ خبره عبد الرحمن عظم عليه وجهز جيشا [45] عظيما وجعل عليه ابنه محمدا وسيره لقتال موسى في شهر رمضان سنة تسع وعشرين. فوصل الى تطيليـــة (195) وحصرها وضيـــق على أهلهـــا وأهلك زرعهـــا فصالحه موسى وتقـــدم محمد الى بنبلونـــة فاوقع عندها بجمع كبير (196) من المشركين وقتـــل غرسية ممن قتل ، ثم عـــاد موسى الى الخـــلاف على عبد الرحمن فجهـــز جيشـــا كبيرا وسيرهم الى موسى فطلـــب المسالمة فأجيب اليها وأعطـــى ابنـــه اسمعيل رهينـــة وولاه عبد الرحمن مدينـــه تطيليـــة فســـار موسى اليهـــا وأخرج منها من يخافه واستقر بها (197).

ذكـــر خروج المشركين الى بـــلاد الاسلام بالاندلـــس :

قـــال : وفي سنة ثلاثين ومـــائتين خرج المجـــوس (198) من اقـــاصي

(191) «اريط» فى (د) وصححتها من (ج) ص 201، ابن الاثير : الكامل 7 : 8.
(192) «تطليه» فى (د) وصححتها من (ج) ص 200.
(193) «الرجل» فى (د) وصححتها من (ج) ص 201.
(194) «بلمسة» فى ابن الاثير 7 : 8.
(195) «تطلية» فى (د) وصححتها من (ج) ص 200.
(196) «كثير» فى (ج) ص 201.
(197) أنظر ابن الاثير : الكامل 7 : 7 — 9، وقارن ابن عذارى : البيان المغرب 2:87
(198) المجوس : وتطلق بعض المصادر الاسلامية عليهم الاردمانيين ويقصد بهم النورمان، امـــا تسمية المجوس فقـــد اطلقها المسلمون عليهم لانهم كانوا يشعلون النيران فى كل موضع يمرون بـــه فحسبهم المسلمون مجوسا لهذا السبب. أنظر حسين مؤنس : غارات النورمانيين على الاندلس بين سنتى 229، 245 هـ، المجلة التاريخية المصرية، مايو 1949 عـــدد 1 مجلد 2 ص 24، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ص 152.

بـلاد الاندلس الى بـلاد المسلمين وكان اول ظهورهم في ذي الحجة سنة تسع وعشرين عند لشبونة، فاقاموا بهـا ثلاثة عشر يوما كان بينهـم وبين المسلمين فيهـا وقائـع ثم ساروا الى قـادس (199) ثم الى شذونة وكان بينهم وبين المسلمين وقعـه عظيمـة ، ثم قصدوا اشبيلية في ثامـن المحـرم فنزلوا على اثنى عشر فرسخا منها فخرج اليهـم المسلمون فهزمهم العـدو في ثانى عشـر المحرم وقتل كثير منهم ثم نزلوا على ميلين منهـا فخرج أهلهـا اليهـم وقاتلوهم فانهزموا في رابع عشر المحـرم وكثـر القتل والاسر فيهم ولـم نرفع المجـوس السيف عن احـد ولا عن دابـه، ودخلوا حاضرة اشبيلية واقاموا بها يوما وليله وعادوا الى مراكبهـم موافاهـم عسكر عبد الرحمن [46] فبادر اليهم المجوس فثبت المسلمـون وقاتلوهم فقتـل من المشركين سبعون رجلا وانهزموا ودخلوا مراكبهـم. واحجـم المسلمـون عنهـم .

فسيـر عبـد الرحمـن جيشـا آخـر فقـاتلهـم المجـوس قتـالا شديدا ورجعوا عنهم فتبعهم العسكر في ثانى شهـر ربيع الاول وقاتلهم وآتاهم المـدد من كل نـاحية فنهضوا لقتـال المجوس من كـل جانب فانهـزم المجوس وقتل منهم نحـو خمس مائة رجـل وأخذوا منهم أربعـة مراكب فأخذوا ما فيهـا وأحرقوها ثـم خرج المجوس الى لبلـه فاصابوا سبيا ونزلوا بجزيرة بالقرب من قوريش (200) فقسموا ما كان معهم مما غنمـوه فدخل المسلمـون اليهم في النهـر فقتلوا رجلين ثم رحـل المجوس فطرقوا شذونة فغنموا اطعمة وسبيـا وأقاموا يومين فوصلـت مراكب عبد الرحمن الى اشبيلية ، فلما أحس بها المجوس لحقوا بلبلـه فاغاروا وسبـوا ثم لحقـو باكشونبة ، ثم مضوا الى باجه ثم قفلوا الى

---

(199) «قابس» فى د وصححتها من ج ص 202، ابن الاثير : الكامل 7 : 16.
(200) قوريس فى د وصححتها من العذرى : ترصيع الاخبار ص 100.

مدينة اشبونة (201) ثم ساروا فانقطع خبرهم عن البلاد فسكن الناس (202) .

وفي سنة احدى وثلاثين ومائتين سار جيش للمسلمين بقرطبة الى بلاد المشركين ، وقصدوا جليقية فغنموا وأسروا وسبوا ووصلوا الى مدينة ليون (203) فحصروها ونصبوا عليها المجانيق فخاف أهلها وخرجوا هاربين وتركوها بما فيها فغنم المسلمون منها ما ارادوا وأحرقوا الباقى ولم يقدروا على هدم سورها لان عرضه سبعة عشر ذراعا ، فمضوا وقد ثلموا فيه ثلما كثيرة.

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين [47] غدر موسى بن موسى فسير اليه عبد الرحمن جيشا مع ابنه محمد وفيها كان بالاندلس مجاعة شديدة فهلك خلق كثير من الناس والدواب ويبست الاشجار فاستسقى الناس فسقوا وزال القحط .

وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين سير عبد الرحمن ابنه المنذر في جيش كثيف الى غزو الروم فبلغوا البه والقلاع . وفيها كان سيل عظيم بالاندلس فخرب جسر استجة والارحاء وغرق نهر اشبيلية ستة عشر قرية وخرب نهر تاجه (204) ثمانية عشر قرية وعرض حتى صار عرضه ثلاثين ميلا ، وكان هذا حدثا عظيما وقع في جميع البلاد في شهر واحد .

---

(201) «اشنوبية» فى (د) وصححتها من (ج) ص 203، ابن الاثير 7 : 17.

(202) راجع تفاصيل خروج المجوس من البحر الى ناحية اشبيلية بالعذرى : ترصيع الاخبار وتنويع الابار ص 98 — 100 ويلاحظ اعتماد كل من العذرى والنويرى على مصدر واحد ولكن رواية العذرى تتميز بالتفصيل. وانظر ابن الاثير: الكامل 7:16 — 17، وقارن ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 87، 88. ابن الخطيب : أعمال الاعلام (الاندلس) ص 20.

(203) ليو Leon : يصفها الحميرى بقوله : «قاعدة من قواعد قشتالة عامرة، بها معاملات وتجارات ومكاسب ولاهلها همة ونفاسة» وهى تقع فى شمال غرب أسبانيا. انظر الروض المعطار ص 514.

(204) «باحة» فى (د) وصححتها من (ج) ص 203، وابن الاثير 7 : 51.

وفي سنة سبع وثلاثين ومائتين سارت جيوش المسلمين الى بلاد العدو وكانت بينهم وقعة عظيمة كان الظفر فيها للمسلمين ، وهى وقعة البيضاء (205) .

ذكر وفاة عبد الرحمن ونسيء من أخباره :

كانت وفاته في ليلة الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين ومائتين وقيل في شهر ربيع الاخر منها وكان مولده في شعبان سنة ست وسبعين ومائة ، فكان عمره اثنتين وستين سنة ومدة ولايته احدى وثلاثين سنة وشهرين وستة أيام ، وكان اسمر طويلا أعين (206) أقنى عظيم اللحية (207) يخضب بالحناء وكان له من صلبه من الاولاد الذكور والاناث سبعة وثمانون ولدا منهم خمسة وأربعون [48] ذكرا وكان عالما أديبا شاعرا يعرف علوم الفلاسفة وفي أيامه دخل زرياب (208) المغنى الى الاندلس فحضر يوما عند عبد

(205) راجع ابن الاثير : الكامل 7 : 24، 34، 35، 51، 66. وقارن ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 88، 89.

(206) «أغر» فى (د) وصححتها من (ج) ص 204، ابن الاثير : الكامل 7 : 69، ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 81.

(207) «الجبهة» فى (د) وصححتها من (ج) ص 204، ابن الاثير : الكامل 7 : 69، ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 81.

(208) زرياب : مغنى عراقى فارسى الاصل اسمه ابو الحسن على بن نافع ويلقب بزرياب، وهى كلمة فارسية تطلق على طائر اسود حسن التغريد، وهذه الصفات تنطبق على زرياب اذ كان اسود اللون حسن الصوت فصيح اللسان. انتقل الى الاندلس بسبب حسد استاذه اسحاق الموصلي (ابن حيان) او بسبب الصراع بين الامين والمامون، وانتصار المامون وتتبعه لحاشية اخيه (ابن القوطية). ونقل زرياب الى الاندلس الحياة العراقية بمظاهرها الفنية والاجتماعية ولقيت مدرسته الموسيقية الممثلة فى شخصه وفى ابنائه وبناته وجواريه، نجاحا كبيرا. فقد جعل مضراب العود من قوادم النسر بدلا من الخشب واضاف وترا خامسا الى العود. كذلك علم الاندلسيين طريقة الطهى العراقى، وضرورة الترتيب فى تقديم الاطعمة بدلا من وضعها دفعة واحدة، واستعمال الاوانى الزجاجية بدلا من الاوانى الفضية والذهبية. كذلك علم القرطبيين طريقة تصفيف شعورهم ولبس الملابس فى اوقاتها المناسبة من حيث اللون او الخفة والثقل... انظر بالنثيا : الفكر الاندلسى 53 — 54. احمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلسى ص 341 وما بعدها.

الرحمن وغنى وعبيد الله بن قرلمان (209) الشاعر حاضر فقال زرياب :

قالت ظلوم سمية الظلم ما لى رأيتك ناحل الجسم

يا من رمى قلبى فأقصده انت العليم بموضع (210) السهم

فقال عبد الرحمن البيت الثانى منقطع من الاول غير متصل به فقال : ابن قزمان بديهة بعد البيت الاول :

فاجبتها والدمع منحدر مثل الجمان وهى على (211) النظم

فكساه عبد الرحمن وحياه ، وهو أول من رتب اختلاف الفقهاء الى قصره وأمرهم بالكلام بين يديه .

وكان عبد الرحمن بعيد الهمة اخترع قصورا ومستدرهات كثيرة وزاد في الجامع بقرطبة رواقين ، وكانت أيامه أيام عافية وسكون وكثرت الاموال عنده وانشأ ابهة المملكة ورتب رسومها، وكان يشبه بالوليد بن عبد الملك في ابهته ، وهو أول من اجتلب الماء العذب الى قرطبة وأدخله قصوره وجعل لفضل الماء مصنعا كبيرا يرده الناس اذا خرج من قصوره رحمه الله تعالى (212) .

---

(209) «عبيد الله بن قزمان» فى (د) وفى (ج) ص 204، ولكن صحتها عبيد الله بن قرلمان وهو أحد خواص وموالى الامير عبد الرحمن بن الحكم الاموى. أنظر ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 118 — 119 اما بالنسبة الى ابن قزمان فهناك ابو بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان الاصغر (460 — 554هـ/1068 — 1160م) وعمه وشبيهه فى الاسم وزير المتوكل صاحب بطليوس، وكان شاعرا أيضا توفى فى 507هـ/1114م وكليهما من بيوت قرطبة العريقة .أنظر بالنثيا : الفكر الاندلسى ص 158.

(210) «بموقع» فى (ج) ص 204.

(211) «وهى من» فى (ج) ص 204.

(212) قارن ابن الاثير : الكامل 7 : 69 — 70 وحذفه لما ورد فى (د) من الشعر، وكذا ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 81، 92، 93.

ذكر قيام الخليفة محمد المنعوت بالامين (213)

هو أبـو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخـل بـن معاوية بن هشـام بن عبـد الملك بن مـروان . وامـه ام ولـد اسمهـا بهير (214) [49] وهو الخامس من أمـراء بنـى اميـة بالاندلـس .

قـام بالامـر بعد أبيه في يـوم الخميس لثلاث خلـون من شهـر ربيع الاول سنـة ثمـان وثلاثيـن ومائتيـن ، وقيل في شهـر ربيع الاخر منها. وكانت ولايته في خلافة المتوكل الى بعض أيام المعتمد (214 م).

قـال ولما ولى جرى في العدل على سيـرة أبيه ، واتمم بنـاء زيـادة ابيـه في جامـع قرطبـة (215) .

ذكـر الحـرب بين المسلميـن والفرنـج :

وفي سنة أربعيـن ومائتين كان بين المسلمين والفرنج حرب شديدة وسببها أن أهل طليطلـة كانوا على ما ذكرنـاه من الخلاف على الملـوك فلمـا ولى محمد هذا سـار بجيوشه اليها فراسـل أهلهـا ملك جليقيـه يستمدونـه (216) فأمدهم بالعساكر الكثيـرة ، فبلغ محمد ذلك وقد قارب طليطلـة فعبى أصحابه وكمن الكمائن (217) بناحية وادي سليط وتقـدم اليهـم في قلة (218) من العسكـر فطمع فيه أهل طليطلـة والفرنـج واسرعوا اليه فلمـا نشبت الحـرب خرجت الكمائن (219) من كل جهـة

(213) «الامى» فى ج ص 205 ويصفه ابن الابار بقوله :«وكان أيمن الخلفاء بالاندلس ملكا، وأسراهم نفسا، وأكرمهم تثبتا وأناة... يجمع الى هذه الخلال الشريفة البلاغة والادب» ولذلك تستبعد عنه صفة الامية انظر الحلة السيراء 1 : 119.

(214) «تهتز» فى (د) وصحتها من (ج) ص 205، ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 93، وفى ابن الاثير بهتز، انظر الكامل 7 : 70.

(214م) اى غطت فترة حكمه، ستة عهود من الخلفاء العباسيين المتوكل، والمستنصر والمستعين والمعتز والمهتدى والمعتمد. انظر حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام 3:2.

(215) انظر ابن الاثير : الكامل 7 : 69 ــ 70، قارن ابن عذارى : البيان المغرب 2: 93 ــ 94.

(216) «ليستمدونه» فى (ج) ص 206.

(217)، (219) «الكمائن» فى (ج) ص 206.

(218) «بلك» فى ج ص 206.

فقتـــل من المشركين ومن اهل طليطلـــة ما لا يحصـــى وجمع من الرؤوس ثمانية آلاف رأس ، وذكـــر اهل طليطلـــة ان عدد القتلى (220) عشرين الفا .

قال : وفي سنة احدى وأربعين ومائتين ، استكثر محمد الرجال بقلعه رباح ليضيق على اهـــل طليطلـــة ، وسيـــر الجيوش الى غزو الفرنـــج مع موسى بن موسى فدخلوا بلادهم ودوخوها ووصلوا الـــى البـــه والقـــلاع فافتتحوا بعض حصونها [50] وعـــادوا (221) .

وفي سنـــة ثلاث وأربعيـــن خرج أهل طليطلـــة واقتتلوا هم ومسعود ابـــن عبد الله العريـــف (222) ، فانهـــزم أهل طليطلـــة وقتل اكثرهم وحمل الى قرطبـــة سبـــع مائـــة رأس.

ذكـــر خـــروج المجـــوس الـــى بـــلاد الاســـلام بالاندلـــس :

وفي سنـــة خمس وأربعين ومائتين خـــرج المجوس في المراكـــب الى بـــلاد الاندلـــس فوصلوا الى (223) اشبيلية وحلوا بالحـــاضـــرة (224) وأحرقوا الجامـــع ثـــم جـــازوا الى العـــدوة ثم عادوا الى الاندلـــس فانهزم

---

(220) من الطائفتين كما يروى ابن الاثير : الكامل 7 : 74، وقارن ابـــن عـــذارى : البيـــا المغرب 2 : 94 — 95، ابن الخطيب : أعمال الاعلام (الاندلس) ص 20 — 21.

(221) «لاحظ التطابق مع ابن الاثير : الكامل 7 : 80 وقارن ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 95.

(222) «العارف» فى (ج) ص 206. ويذكر ابن الاثير ان مسعود كان عـــامل على مدينة طلبيرة، الكامل 7 : 83.

(223) «بلاد» زيادة فى (ج) ص 207 وصحتها «مصب نهر» كمـــا فى ابـــن عـــذارى : البيـــان المغرب 2 : 97.

(224) «بالحاضر» فى د وصحتها من العذرى : ترصيع الاخبار ص 119.

اهل تدميـر (225) ودخلوا حصن اريولـه (226) ثم تقدموا الى حائط (227) افرنجة فاغاروا واصابوا من النهب والسبى كثيرا ، ثم انصرفوا فلقيهم مراكب الامير محمد فقاتلوهـم واحرقوا مركبيـن من مراكـب المجـوس واخذوا مركبين وغنموا ما فيها فجد المجـوس عند ذلك في القتال فاستشهد جماعـة من المسلميـن ومضـت مراكـب المجوس حتى وصلوا الى مدينة بنبلونـة فأصابوا صاحبها غرسيـة الفرنجى ففدى نفسه بتسعين الـف دينـار (228) .

وفي سنــة ست وأربعين ومائتيــن سار محمد في جيوش عظيمه الى بلـد بنبلونة فوطى بـلادها ودوخهـا وخرب (229) ونهب وقتل وافتتح حصونـا وأصاب في بعضها فرتون (230) بن غرسية فحبسه بقرطبـة عشرين سنة ثـم أطلقـه الى بلـده ، وأقام محمد بارض بنبلونة اثنيـن وثلاثيـن يومـا (231) .

وفي سنة سبـع وأربعين سار جيش المسلمين الى بـلاد برشلونة وهى للفرنـج [51] فأوقعوا بأهلها فأرسل صاحبهـا الى ملك الفرنـج يستمده فأرسل اليه جيشـا كثيفا وأرسل المسلمون يستمدون فأتاهـم المدد فنازلوا برشلونـة وقاتلوا قتـالا شديدا فملكوا ارباضهـا وبرجيـن

(225) تدمير : وكورة تدمير متناهية فى كرم البقعة وطيب الثمرة وقاعدتها مدينـة لورقة واستقر بهـا جند مصـر من طـالعة بلج بن بشر القشيرى الشامية، وأرضها يسقى بنهـر كالنيل بمصر ونهرها يجرى الى الشـرق وبساحل تدمير معادن الفضة.. وفيـه معادن الرصاص، وكان يخرج منها الف فرس من كل لون من الوان الخيل أنظر العذرى: ترصيع الاخبار وتنويع الاثار ص 1 — 2.
(226) ارتـوالة فى د وصحتها من العذرى : ترصيع الاخبار ص 119.
(227) «حايط» فى د وصحتها من العذرى : ترصيع الاخبار ص 119، ابـن الاثـير : الكامل 7 : 90، وحائط افرنجة المقصود به جبال البرانس ودوزى يترجمها Frontières أنظر أبحاثه 2 : 280.
(228) يتفق ابن الاثير مع (د) بينما يذكر العذرى ان غرسية بن ونقـة صاحب بنبلونة، افتدى نفسـه بسبعين الف دينـار، ارتهن فى بعضها اولاده. أنظر ترصيع الاخبار ص 119، الكـامل 7 : 90.
(229) «وهرب» فى (ج) ص 207.
(230) «قرفون» فى (د) وصحتها من ابن الاثير : الكامل 7 : 94.
(231) ابن الاثير : الكامل 7 : 94. وقارن ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 97.

من ابـراج المدينة ، وقتل من المشركين ما لا يحصى كثرة ، وعــاد المسلمـون بالظفـر والغنيمـة (232) .

وفي سنـة تسع وأربعين ومائتين جهز محمد جيشا مع ابنه الـى مدينة البة والقلاع من بلـد الفرنج فغنموا وافتتحوا حصونا منيعة (233).

وفي سنة احدى وخمسين ومائتين سيـر محمد جيشا الـى بـلاد المشركين في جمادى الاخيـرة وقصدوا الملاحة وكانت أموال لذريـق بناحية البـة والقلاع فلما عم المسلمون بلدهم بالخراب والنهب جمـع لذريـق عسكره وسار اليهم فالتقوا بموضع يقال له فج المركـوز (234) بـه تعرف هذه الغـزاة واقتتلوا فكانت الهزيمة على المشركين ثم اجتمعوا بهضبة بالقـرب من موضع المعركة فاتبعهم المسلمون وحملوا عليهـم واشتد القتـال فانهزم الفرنج لا يلوون على شيء وتبعهم المسلمون يقتلون منهـم ويأسرون ، وكانت هذه الوقعة في ثاني عشـر شهـر رجب، وكان عدد ما أخذ من رؤوس القتلى الفين وأربع مائة راس واثنين وتسعين رأسـا ، وكان فتحا عظيمـا (235) .

وفي سنة تسع وخمسين ومائتين سار محمد الى طليطلـة وحصرهـا وكان أهلها قد خالفـوا عليه فطلبـوا الامان فأمنهم وأخذ رهاينهم .

وفيها خرج أهل طليطلـة الى حصن سكيان (236) ومعه سبـع مائة من البربر وأهل طليطلـة في عشـرة آلاف [52] فلما التحمت الحـرب بينهم انهزم مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب وهو احد مقدمى أهـل طليطلـة

(232) ابن الاثير : الكامل 7 : 109 — 110.

(233) ابن الاثير : الكـامل 7 : 125. وقارن التفصيلات الواردة فى ابـن عذارى : البيان المغرب 2 : 98.

(234) «المركوز» فى أصل (ج) ص 208 تعليق (4) وصححها جاسبار «المركوين» حسب ابـن الاثـير : الكامل 7 : 162 ولكن ابن عذارى يذكرها «المركويز» مما يرجح صحة النويرى «المركوز» التى يبدو أنها آتية من «المركز».

(235) أنظر ابن الاثير : الكامل 7 : 162 — 163.

(236) حصن سكيان : يذكر ابن حيان فى احداث سنة 303هـ أن بربر كتامة البرانس كانوا مستقرين بحصن سكتان ثم انتقلوا الى حصن الحبش فهل هناك علاقة بن سكيان بجوار طليطلة وسكتان بجوار ماردة. أنظر المقتبس 5 : 122.

فتبعه (237) أهلها في الهزيمة وانما انهزم لعداوة كانت بينه وبين مقدم آخر اسمه طريشة (238) فأراد أن يوهنه بذلك ، فقتلوا اعظم قتل (239).

وفيها عاد عمروس بن عمروس الاندلسي الى طاعة الامير محمد وكان مخالفا عليه عدة سنين فولاه محمد مدينة وشقة (240).

وفي سنة ست وستين ومائتين أمر محمد بانشاء مراكب بنهر قرطبة وحملها الى البحر وسيرها الى البحر المحيط لتسير منه الى بلاد جليقية ، فلما دخلته تقطعت فلم تجتمع منها مركبان ولم يرجع منها الا اليسير (241) .

وفي سنة سبع وستين ومائتين خالف عمر بن حفصون على الامير محمد «بناحية رية» (242) فخرج اليه جيش تلك الناحية وعاملها فقاتلوه فهزمهم ، وقوى أمره وشاع ذكره واتاه من يريد الشر والفساد فسير اليه محمد عاملا آخر ، في جيش فصالحه عمر وطلب العامل كل من كان له مساعدة لعمر فأهلكه ومنهم من أبعده واستقامت تلك الناحية (243) .

وفي سنة ثمان وستين سير محمد جيشا الى المخالفين مع ابنه المنذر فقصد مدينة سرقسطة فأهلك زرعها وخرب بلدها وافتتح حصن روطة وأخذ منه عبد الواحد الروطي وهو من اشجع أهل زمانه وتقدم

(237) «وتبعه» فى (ج) ص 208.
(238) «طريبشة» فى (د) وفى ابن عذارى 2 : 101 وصحتها فى (ج) ص 208، ابن الاثير : الكامل 7 : 265.
(239) ابن الاثير : الكامل 7 : 265.
(240) «أسفه» فى د وفى ج ص 209، وفى ابن الاثير 7 : 265 «امشتة» وصحتها من العذرى : ترصيع الاخبار ص 63.
(241) ويذكر ابن الاثير ان سبب هذه الحملة انه قيل له أن جليقية ليس لها مانع من جهة البحر المحيط، وان ملكها من هناك سهل. انظر الكامل 7 : 334، ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 103 — 104.
(242) ساقطة من (ج) ص 209، ابن الاثير : الكامل 7 : 361 ويضيف ابن عذارى «تاكرنا والجزيرة»، البيان 2 : 104.
(243) انظر ابن الاثير : الكامل 7 : 361 وقارن ابن عذارى : البيان المغرب 2 :104

الى دير بروجه (244) و سكها بالغارة وقصد مدينة لاردة وفرطانيه (245)
واخذ رهاينهم ثم قصد مدينة البـة والقلاع فافتتح بهما حصونا [53] وعاد
بالظفـر والنصـر والسـلامـة (246) .

ذكـر وفـاة محمـد بن عبـد الرحمـن :

كانت وفاته في سلـخ صفـر سنـة ثلاث وسبعين ومائتين وقيل في
يـوم الاحد غـره شهر ربيـع الاول منها وأنـه خرج في يـوم الاحد الى
الرصافة متنزها ومعه هشام بن عبد العزيز فقال له : «يا سيدي ما أطيب
الدنيا لولا الموت» فقال له : «يا ابن اللخناء وهل ملكنا هذا (247) الـذي
نحن فيه الا الموت ولو بقى من كان قبلنا من اين كان يصل الينا» (248)
ورجع من نزهته فحم ومـات في بقية يومـه : **نقله ابن الرقيـق في تاريخ
افريقيـة .**

وكان مولد محمد في ذي القعـدة سنة سبع ومائتين وعمـره خمسـا
وستين سنة وثلاثة أشهـر وأيامـا.

وكانت ولايته اربعـا وثلاثين سنة وأحد عشر شهرا .

وكان أبيـض مشربا بحمـرة ربع القامـة أوقص يخضب بالحنـا
والكتم ، وولـد له مائة ولد ذكـور ، مات عن ثلاث وثلاثين منهم ، وكان
ذكيـا فطنـا بالامـور المشبهة محبا للعلـوم مؤثـرا لاهل الحديث عارفا

(244) «تروجة» فى ابـن الاثير : الكامل 7 : 369.
(245) «ترطنية» فى (ج) ص 209، «ترطاجنة» فى ابن الاثير : الكامل 7 : 369.
(246) انظر ابن الاثير : الكامل 7 : 369. وقارن ابن عذارى : البيان المغرب 2 :105
(247) «الملك» زيادة فى (ج) ص 210.
(248) انظر ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 111.

حسن السيرة (249). وقال ابن مخلد الفقيه (250) ما كلمت احدا من الملوك أكمل عقلا ولا ابلغ من الامير محمد بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى، وكانت وفاة محمد في خلافة المعتمد على الله العباسي.

ذكر قيام الخليفة المنذر بن محمد

هو أبو الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن الداخل ، وأمه أم ولد اسمها ايل (251) ، وهو السادس من أمراء بني أميه بالاندلس ، قام بالامر في يوم وفاة أبيه في غرة شهر ربيع الاول سنه ثلاث وسبعين ومائتين ، وقيل بويع له بعد وفاة أبيه بثلاث ليال ، وخالف عليه ابن حفصون وقد ذكرنا خلافه على ابيه وتحصن عمر بن حفصون ببشتر (252) فسار المنذر اليها وأحدق بها فاعمل ابن حفصون الحيلة وسلك طريق المكر والخديعة وسأل الامان وأظهر الرغبة في سكن قرطبة بأهله وولده ، فأمنه المنذر وكتب له بما أراد وفصل لاولاده الثياب ثم سأل في مائة بغل يحمل عليها أثقاله وعياله الى قرطبة فأمر له (253) المنذر بها وسلمت اليه وعليها عشرة من العرفاء وارتحل العسكر فأخذ ابن حفصون البغال وقتل

---

(249) ابن الاثير : الكامل 7 : 424.

(250) بقي بن مخلد الفقيه (201 — 272هـ/817 — 886م) من اكبر المفسرين الذين اعتمد الناس عليهم وكان رجلا صالحا متقللا من الدنيا، متواضعا، من اهل قرطبة، رحل الى المشرق في طلب العلم، وسمع عددا عظيما من الشيوخ في مكه والمدينه ومصر ودمشق وبغداد وغيرها من مراكز العلم، ولم يتبع مذهبا بعينه، وانما كان يصدر آراءه في المسائل بحسب ما يتراءى له، معتمدا على آى كتاب، ولذلك غضب عليه فقهاء المالكية واثاروا عليه الامير محمد بن عبد الرحمن الذى أنصفه وقال لبقي : «انشر علمك وارو ما عندك، ونهاهم ان يتعرضوا له» أنظر ابن بشكوال : الصلة رقم 275، الضبي : بغية الملتمس رقم 584، المقري : نفح الطيب (محى الدين) 3 : 273 — 275، 4 : 162. بالنثيا : الفكر الاندلسي ص 407 — 408.

(251) «ايل» في (ج) كذلك ص 211، «أثل» في ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 113.

(252) «طليطلة» في د وصححتها من ج ص 211. وابن عذارى البيان المغرب (ببشتر) 2 : 114.

(253) «نائزله» في (ج) ص 211.

العرفــاء وعاد الى سيرته الاولى ، فعقد المنــذر على نفسه انه لا اعطاء صلحا ولا عهدا الا أن يلقى بيده وينزل على حكمه وأمر بالسكنى (254) وان تــرد اســواق قرطبة الى ببشتــر ودام الحصار ، فمــات المنــذر وهــو يحاصــره .

وكانت وفاته في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة خمــس وسبعين ومائتين ، وقيل في نصف صفر وعمــره نحو من ستــة وأربعين سنــة [55] وولايته سنة وأحد عشــر شهرا وأياما ، وكان اسمر طويلا جعد كث اللحية بوجهــه أثــر جدرى وخلف ستة أولاد ذكور (256) نبــل لــم يعقب فولــى بعــده أخــوه .

ذكر قيــام الخليفة عبد الله

هو أبــو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمــن الداخل ، وأمه أم ولــد اسمها عشــار (257)، وهو السابع من امــراء بنى اميــة ببــلاد الاندلس . بويع له بعد وفــاة أخيه المنــذر في يــوم السبت لثلاث عشــرة ليلــة خلت من صفــر سنة خمس وسبعين ومائتين ، وقيل في منتصف صفر منها وذلك في حلافة المعتمد على الله العباسى ، ولما بويــع له كان بالمعسكر على ببشتــر ، فرحــل نحو قرطبــة ودخل القصــر بها لثلاث بقين من صفــر المؤرخ .

قــال ابراهيم بن الرقيق : ولما تولى الب ابن حفصون عليه وحشد كور الاندلس حتى لم يبق منها الا قرطبة وأقبل فيمن أطاعه من أهل الكور وخرج اليه الامير عبد الله في أربعة عشــر الفا من أهل قرطبة حاصــة وأربعة آلاف من حشمــه ومواليه فبــرز اليه ابن حفصون في سفــح الجبل

(254) «بالسكين» فى (ج) ص 211.

(256) انظر ابن الاثير : الكامل 7 : 424، 235، وقارن ابن عذارى : البيان المغرب 2: 113، 119.

(257) يتفق ابن حيان مع النويرى انظر المقتبس 3 : 3 وقيل تسمى بهار. ابن عذارى: البيان المغرب 2 : 113، 119.

ونازله فلم تكن الا صدمه صادقة حتى أزالوهم عن مراكزهم ودخل ابن حفصون الحصن كانه يحرج من بقى فيه (258) فثلم فيه ثلمة اخرج منها أهله وما كان له، فلما انتهى ذلك الى أهل عسكره ولوا مدبرين لا يلوي أحد منهم على أحد فقتلوا قتلا ذريعا ودخل منهم جماعة في [56] عسكره فأمر بالتقاطهم وجلس لهم في مظلة فقتل بين يديه الف صبرا .

وكانت في أيامه فتن عظيمة وكثر قيام الثوار (259) عليه حتى لم يبق في يده الا مدينة قرطبة وحدها وحالف عليه أهل اشبيليه وشذونة ولم تبق مدينة الا خالفت عليه وعزموا على الدعاء على منابر الاندلس للمعتضد بالله العباسى (260) فكتبوا الى ابراهيم بن احمد ابن الاغلب يسألونه ان يبعث اليهم رجلا من قبله فتثاقل عنهم ابراهيم وشغله ايضا اضطراب اهل افريقية عليه فأمسكوا عن ذلك ، وقلت رجال عبد الله بن محمد وذهب من كان يصول به هو وأباؤه من مواليهم وأصحابهم وقلت الاموال في يده لخروج أهل المدن وامتناعهم من أداء الخراج اليه، وكان خراج الاندلس الذي يؤدى الى ابائه ثلثمائة الف دينار في كل سنة ، فكانوا يعطون رجالهم وخدمهم مائة الف دينار وينفقون في أمورهم ونوائبهم وجميع ما يعرض لهم مائة الف ويدخرون مائة الف ، فلما امتنع أهل مدن الاندلس عن أداء الخراج اليهم رجعوا الى تلك الذخائر فنفقوها ، واتصلت عليهم الحروب خمس عشرة سنة فنفدت ذخائرهم واحتاجوا للقروض. وكانت أيامه على هذا الحال الى أن توفى .

---

(258) ويروى ابن حيان «وضاق باب الحصن بأصحابه فى انهزامهم» فلم يجد اللعين (ابن حفصون) منفذا للدخول عليه حتى استقاه اصحابه من فوق السور من صهوة فرسه» راجع خبر غزوه حصن بلاى وفتحه والتفصيلات بالمقتبس 3 : 93 — 96.
(259) «البوار» فى (ج) ص 212 وصحتها فى (د).
(260) «المعتمد» فى (ج) ص 212 وصحتها المعتضد العباسى الذى تولى فى الفترة (279 — 289هـ/892 — 902م) بعد المعتمد. انظر حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام 3 : 2 — 3.

وكانت وفاته في يوم الثلاثاء غرة شهر ربيع الاول سنة ثلثمائة وعمره سبعون سنة الا شهورا ، ومدة ولايته خمس وعشرون سنة ونصف شهر ، وكان مستبدا بأرائه ، مخالف لنصحائه، لين الجانب جدا بلغ من [57] لينه أن ابنه مطرفا قتل أخاه محمد بن عبد الله والد الناصر فلم ينكر عليه ذلك (261) بل قال له قد سوغتك قتل أخيك مالله الله في ابن أمية يعنى وزيره فانك ان قتلته قتلتك به ، ثم حذر ابن أمية من مطرف ، وكان مطرف قد عزم على خلعه فلم يمكنه ذلك لمكان ابن أمية فعمل عليه حتى قتله ولما مات عبد الله ولى بعده ابن ابنه عبد الرحمن .

ذكر قيام الخليفة عبد الرحمن بن محمد

هو ابو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وأمه أم ولد اسمها مزنة (262) ، وهو الثامن من أمراء بنى أمية بالاندلس . بويع له بعد وفاة جده في مستهل شهر ربيع الاول سنة ثلثمائة

وقال ابن الرقيق : انه أخ لعبد الله بن محمد وليس بصحيح ، وينقض ذلك عليه انه قال انه ولي وهو ابن اربع وعشرين سنة ، ووفاه محمد بن عبد الرحمن قبل مولد عبد الرحمن هذا بأربعة سنين وأظنه اشكل عليه امره والتبس عليه محمد بن عبد الله بجده محمد بن عبد الرحمن والله تعالى أعلم .

---

(261) يذكر ابن الاثير أن الامير عبد الله الاموى هو الذى أمر بقتل محمد والد عبد الرحمن الناصر «قتله فى حد من الحدود». أنظر الكامل 8 : 73 بينما يروى ابن عذارى ان محمد اتهم بمخاطبة ابن حفصون ومداخلته فى ثورته مما دفع أباه الى سجنه ثم أخوه مطرف بقتله بالسجن. أنظر البيان المغرب 2 : 150، ابن الابار: الحلة السيراء 2 : 367.

(262) تتفق د مع ج ص 213 مع ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 156 ان امه تسمى «مزنة»، بينما يذكر ابن الاثير : الكامل 8 : 73 أن اسمها «مرتة».

قال ولما ولى عبد الرحمن هذا ، تلقب بامير المؤمنين الناصر لدين الله (263) ، وهو اول من لقب بامير المؤمنين ببلاد الاندلس وكان من قبله يسمون ببني الخلائف ويسلم عليهم ويخطب لهم بالامارة فقط وانما سمى هذا بامير المؤمنين لما بلغه ضعف الخلافة [58] بالعراق في أيام المقتدر بالله (264) وظهور الشيعه بالقيروان ودعاؤهم للمهدي (265) فكان في ذلك الوقت ثلاث خلائف نقب كل منهم بامير المؤمنين ، فالمقتدر بالعراق ، والمهدي بالقيروان ، وهذا الناصر بالاندلس .

قال : وولى والاندلس نار تضطرم وجمرة تتقد شقاقا ونفاقا فاخمد نيرانها وسكن زلازلها وغزا غزوات كثيرة ، وكان يشبه بعبد الرحمان الداخل ولم يجد من المال ما يستعين به على مصالح جيشه فاتفق ان صاحب الدوير اغار على قرطبة في نحو ثلثمائة فارس فهزمه عبد الرحمن واسره فسلم اليه الحصن بجميع ما فيه فتقوى به ثم التقى مع ابن حفصون في وادي التفاح بجيان وكان ابن حفصون في عشرين الف فارس فهزمه عبد الرحمن وافنى أكثر من معه قتلا وأسرا وبعث الى المغرب الاقصى (265 م) فملك سبتة وفاس وسجلماسة وغيرها، وغزا الروم بعد ذلك اثنى عشر غزوة حتى دوخ بلادها ووضع عليهم جاليه يؤدونها وكان فيما شرط عليهم اثنى عشر الف صانع يصنعون له في

(263) تولى عبد الرحمن بن محمد لمدة خمسين عاما تنقسم الى مرحلتين : الاولى الامارة من 300 — 316 هـ والثانية الخلافة من 316 الى 350هـ. ففى 316 هـ أعلن عبد الرحمن نفسه أميرا للمؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله وهذا لا يمنع حسب رواية الحلل الموشية أن الاندلسيين خاطبوه بهذا اللقب قبل اعلانه رسميا.. حتى اضطروه الى حمله. انظر الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية ص 19، ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 198. للمحقق : القبائل العربية فى الاندلس ص 293.

(264) هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد والملقب بالمقتدر (295 — 320هـ/908 — 932م) وتولى وله من العمر ثلاثة عشر عاما (13) وكان كالريشة فى مهب الريح وقد وصف صاحب الفخرى ص 235 عهده بقوله : «واعلم ان دولة المقتدر كانت دولة ذات تخليط كثير لصغر سنه، ولاستيلاء أمه ونسائه وحرمه عليه، فكانت دولة تدور أمورها على تدبير النساء والخدم وهو مشغول بلذاته، فخربت الدنيا فى أيامه، وخلت بيوت المال، واختلفت الكلمة، فخلع، ثم أعيد، ثم قتل».

(265) هو أبو محمد عبيد الله المهدى (297 — 322هـ/969 — 934م) مؤسس الدولة الفاطمية ببلاد المغرب.

(265م) «الاوسط» فى د ،ج.

مدينته التى بناها وسماها الزهراء وهى على ثلاثة أميال من قرطبة اسندها الى سفح الجبل وساق المياه اليها وقسمها أثلاثا فالثلث الذي يلي الجبل لقصوره. ومنازله، والثلث فيه دور خدمه وكانوا اثنى عشر الفا بمناطق الذهب والسيوف المحلاة يركبون لركوبه وينزلون لنزوله ، والثلث بساتين تحت مناظره وقصوره ، وجلب اليها انواع الفواكه .

قال : ومن غريب ما بناه فيها مجلس [59] مشرف على البساتين مرفوع على العمد مبنى بالرخام المجزع مصفح بالذهب مرصع باليواقيت والجواهر (266) وصنع أمام المجلس بحرا ملاه بالزئبق فكان النور ينعكس منه الى المجلس ، فحضر اليه القاضى بقرطبة الفقيه منذر بن سعيد البلوطي (267) فقرأه : «**ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، (ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا وان كل ذلك متاع الحياة الدنيا)** (268) **والاخرة عند ربك للمتقين**» (269) فقال له : وعظت فأحسنت ، وأمر بنزع الصفائح، قال : وكمل بناء الزهراء في اثنى عشر سنة بألف بناء في كل يوم مع كل بناء اثنا عشر رقاصا وسكنها خمسا وعشرين سنة وطالت أيام الناصر وتمكن وأتسعت مملكته .

---

(266) «المجموع» زيادة فى ج ص 215.

(267) هو منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن البلوطى (272 — 355 هـ/ 886 — 966م) أصله من فحص البلوط وهى اليوم Campo de Calatrava رحل منذر الى المشرق ودرس على شيوخه، وعندما عاد الى بلده انكر تقليد المالكيين ومال الى المذهب الظاهرى الذى ظهر فى منتصف القرن الثالث الهجرى فى الاندلس. اذ يروى ابن الفرضى انه «كان يميل الى رأى داود بن خلف العباسى» مؤسس المذهب الظاهرى بالمشرق. ونولى المنذر قضاء لاردة وطرطوشة ثم ولاه الناصر، الصلاة والخطابة فى المسجد الجامع بالزهراء ثم تولى قضاء الجماعة بقرطبة واقره على الصلاة بالزهراء. أنظر علماء الاندلس، ترجمة رقم 1452، المقرى : نفح الطيب (محى الدين) 2 : 228، بالنثيا : الفكر الاندلسى ص 439 — 440.

(268) مابين القوسين زيادة من القرآن الكريم.

(269) سورة الزخرف رقم 43 : آية 33 — 35.

وكانت وفاته في ليلة الاربعاء لليلتين وقيل لثلاث خلت من شهر رمضان المعظم سنة خمسين وثلثمائة بالزهراء ، وحمل الى مدينة قرطبة فدفن بها مع اسلافه من بنى أمية ومولده في يوم الخميس لنسع بقين من شهر رمضان سنة سبع وسبعين ومائتين ، فكان عمره ثلاثا وسبعين سنة ، ومدة ولايته خمسون سنة وستة أشهر وأياما وكان شهما صارما لم يزل منذ ولى يستنزل المتغلبين حتى خلصت له جميع الاندلس في خمس وعشرين سنة من ولايته ، وكان له من الاولاد الحكم ولى عهده وعبد الجبار وسليمن وعبد الملك وعبد الله والمغيرة . ولما مات ولى بعده ابنه (270).

ذكر قيام الخليفة الحكم المستنصر بالله

[60] هو أبو العاص الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وأمه أم ولد اسمها مرجان (271) وهو التاسع من أمراء بنى أمية بالاندلس.

بويع له في شهر رمضان سنة خمسين وثلثمائة في جميع مدن الاندلس وثغورها ، فأحسن الى الرعية وعدل فيهم وضبط الثغر وغزا الروم في سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ففتح مدنا جليلة وسبى وغنم وانصرف سالما ثم أصابه الفالج فتغيب عن الناس فلما كان في يوم السبت لعشر خلون من المحرم سنة ست وستين وثلثمائة اظهر موته وقيل توفى فجأة ليلة الاحد لاربع خلون من صفر منها.

ومولده في يوم الجمعة مستهل شهر رجب سنة اثنتين وثلثمائة، فمات وله من العمر ثلاث وستون سنة وستة أشهر وعشرة أيام ، ومدة ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وأياما.

---

(270) انظر ابن الاثير : الكامل 8 : 73 — 74، 535 — 536، 674 — 675.

(271) يتفق ابن حيان مع النويرى انظر المقتبس 5 : 7، 8، 9، «مهرجان» فى ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 233، «مرجانة» فى (ج). ص 216 وابن الاثير : الكامل 8 : 536، والمقرى : نفح الطيب (احسان) 1 : 361.

وكان حسن السيـرة جامعا للعلـوم مكرما لاهلهـا ، وجمع من الكتب على اختلاف أنواعها ما لم يجمعه غيره من الملوك قبله واشتراها من سائـر الاقطـار وغـالا في أثمانها فحملت اليه من كل جهـة (272) ، وكان قد رام قطـع الخمـر من الاندلس وأمر باراقها وشدد في استيصال شجرة العنب من جميع أعماله فقيل له انها تعمل من التين وغيره فتوقف في ذلك وهو الذي رحل اليه أبو على القالـى البغدادي (273) صاحب الامالى وأبو بكـر الزبيدي (274) مختصر كتاب العيـن.

وكـان منـذر بـن سعيـد البلـوطـى (275) قاضيـه وقاضـى أبيـه [61] فلمـا توفـى ولـى القضـاء ابـن بشيـر الفقيـه فاشترط على المستنصـر نفـوذ الحكم فيه فمن دونه ، فكان من اخبـار،

---

(272) ابن الاثير : الكامل 8 : 536، 677، ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 233، 253، المقرى : نفح الطيب (محي الدين) 1 : 361، 362. ويروى ابن حزم : «اخبرنى تليد الخصى — وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بنى مروان — ان عدد الفهارس التى فيها تسمية الكتـب أربع واربعون فهرسة، وفى كل فهرسة عشرون ورقة، ليس فيهـا الا ذكر أسمـاء الدواوين لا غير» ويذكر بعض المؤرخين : «انها كانت أربعمائة الف مجلد، وانها لمـا نقلوها أقاموا ستة أشهر فى نقلها»، أنظر نفح الطيب 2 : 362، 371.

(273) أبو على القالى (288 — 356هـ/901 — 967م) من أهل الادب المشارقة الذين وفـدوا على الاندلس فى سنة 330هـ/941م خلال عصر عبد الرحمن الناصر. وقد اتقن القـالى علوم اللغة والنحو وتصدر بالاندلس لتدريس الحديث واللغة العربية وآدابها، ثم عهد اليه عبد الرحمـن النـاصر فى تأديب ولده وولى عهده الحكم وله من المؤلفات : «كتاب العالم» وهو فى الحديث ثم «كتاب الامالى». بالنثيا : الفكر الاندلسى ص 172 — 173.

(274) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدى (306 — 379 هـ/918 — 989م) تلميذ أبى على القـالى كـان مؤدبـا للخليفة هشـام المؤيـد فى صباه ، فكان الذى علمـه الحساب والعربية ونفعه نفعـا عظيمـا، وألف فى النحو والتاريخ كتبا لها قدرهـا، وكـان شاعرا يميل فى شعره الى الحكمة والزهد. انظر بالنثيا : الفكـر الاندلسى ص 64.

(275) كان من شيوخ البلاط (273 — 355هـ/886 — 966م) وكان رجلا ذكيـا فصيحا سريع الخاطر، درس دراسة قصيرة فى الاندلس ثـم رحل الى المشرق، فسمع فى الحجاز ومصر وعـاد بعد ثلاث سنوات وأربعة أشهر وتعلق بمذهب داود بن على، دون أن يخرج عن مذاهب أهل السنة، وولى قضاء ماردة ثم قضاء الثغور الشرقية ثم أصبح مقربا الى عبد الرحمن الناصر . انظر المقرى : نفح الطيب (محمد محى الدين) 2 : 223، 224، 228، حسين مؤنس : شيوخ العصر فى الاندلس ص 70، 71.

ان امرأة منقطعة كان لها اريضه (276) تجاور بعض قصور الامير فاحتاج اليها ليبتنى فيها شيئا مما أراد بناءه ، فساومها الوكيل في البيع فامتنعت فأخذها الوكيل قهرا وبنى فيها منظرة بديعة وأنفق عليها جملة وافرة ، فوقفت المرأة (277) لابن بشير القاضى وقصت عليه قصتها فركب حماره وجعل عليه خرجا كبيرا (278) لا يطيق حمله الا جماعة من الرجال وقصد الزهراء والمستنصر في تلك المنظرة فدخل عليه فقال : «ما جاء بالقاضى في هذا الوقت» فقال : «أريد ملء هذا الخرج من تراب هذا الموضع» فعجب (279) منه الحكم وأمر فملىء الخرج ثم خلا القاضى به فقال : «ادل عليك ادلال (280) العلماء على الملوك الحلماء ان لا (281) يتقل هذا الخرج على الحمار الا أنت» فضحك الحكم وقال : «كيف تطيق ذلك أيها القاضى» فبكى ابن بشير وقال : «فكيف تطيق أن نطوق هذا المكان اجمعه من سبع أرضين في حلقى وحلقك (282) يوم القيامة وأنا شريكك في الاثم ان رضيت هذا الحكم» ، وقص عليه القضية فبكى الحكم ، وقال : «وعظت فابلغت أيها القاضى» ، ثم خرج عن المكان وسلمه الى المرأة بكل ما بنى فيه وغرس .

قال : وكتب اليه (283) العزيز بن المعز صاحب مصر كتابا يشتمه فيه ويسبه ، فكتب اليه : «أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لهجوناك (284) والسلام» وكتب اليه قصيدة يفتخر فيها ، منها : [62]

السنا بنى مروان كيف تبدلت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت له الارض واهتزت اليه المنابر

(276) «ارضية» فى (ج) ص 217، اريضة : كثيرة العشب مزدهرة، تحسن فى العين. انظر المنجد.
(277) «الامرأة» فى (ج) ص 217.
(278) «كثيرا» فى (ج) ص 217 والخرج وعاء معروف يوضع على ظهر الدابة.
(279) «فتعجب» فى (ج) ص 217.
(280) «اذل عليك اذلال» فى (ج) ص 217.
(281) «الا» فى (ج) ص 217.
(282) «خلقى وخلقك» فى (ج) ص 217.
(283) «الى» فى (ج) ص 217.
(284) «لهجوناك» فى (ج) ص 217.

وكان للحكم من الاولاد هشام وسليمن وعبد الله .

وحاجبه جعفر الصقلبى المعروف بالفتى .

ذكر قيام الخليفة هشام المؤيد بالله

هو أبو الوليد هشام المؤيد بالله بن الحكم المستنصر بالله وهو العاشر من أمراء بنى أمية «ببلاد» (285) الاندلس.

بويع له بولاية العهد في حياة أبيه في غرة جمادى الاولى سنة خمس وستين وثلثمائة وجددت له البيعة في يوم الاحد لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة ست وستين وثلثمائة، وقيل في يوم الاثنين لخمس خلون من صفر منها وهو ابن اثنتى عشرة سنة باتفاق من الوزراء، وعلموا أن عمه المغيرة بن عبد الرحمن ينازعه في الامر ويتطاول الى بعض ما عقد له ويرى أنه أحق بذلك منه لصغر سنه فهجم عليه في منزله فذبح وكان الذي تولى قتله محمد بن أبى عامر الوزير فصفت الامور لهشام ولما ولى احتيج الى مدبر للمملكة فوقع الاختيار على جعفر بن عثمان المصحفى (286) فقلده هشام حجابته وتدبير أمره واشترك معه في الحجابة غالب بن عبد الرحمن (287) ، وقلد المنصور

(285) ما بين قوسين زيادة فى (د)

(286) جعفر بن عثمان المصحفى البربرى وينتمى الى قبيلة قيس العربية بالمحالفة. انظر ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 257، 259، ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 387، ابن الخطيب : أعمال الاعلام (الاندلس) ص 60، المقرى : نفح الطيب (احسان) 1 : 382، 397.

(287) غالب بن عبد الرحمن مولى الحكم المستنصر وصاحب مدينة سالم ثم قائد الثغر الاعلى، حالفه المنصور وصاهره لكى يقضى على منافسه الاول جعفر بن عثمان المصحفى وما ان تم له ما أراد حتى خطط لتخلص منه هو أيضا «لأن غالبا كان يستطيل على ابن أبى عامر بأسباب الفروسية ويفايته بمعانى الشجاعة ويعلوه من هذه الجهة التى لم يتقدم لابن أبى عامر بها معرفة» بالرغم من كبر سن غالب الذى جاوز الثمانين. أنظر ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 416، ابن الخطيب : أعمال الاعلام (الاندلس) ص 63، المقرى : نفح الطيب (احسان) 1 : 396، 397، 3 : 88، 89. وللمحقق : القبائل العربية فى الاندلس ص 370 ومابعدها.

ابـن ابى عامر الوزارة ، وكان على الشرط والسكـة فانحط المصحفى [63]
وارتفع ابن أبى عامر ثم عـزل المصحفى عن الحجابة في يوم الاثنيـن
لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة سبع وستين وحوقق وطولـب
بمائة الـف دينار ، وتوفى في المطبق بعد خمسة اعـوام ، فكانت مـدة
ولايتـه سنـة أشهـر وثلاثة أيـام .

ذكـر اخبـار المنصـور محمد بن أبـى عامـر :

قال : ولما عزل المصحفى ، اتفق الرأي على تقديـم محمد بن ابـى
عامر المعافري ، فولى الحجابة في يـوم الاثنين المؤرخ وبقى غالب شريكه
الى ان قتـل وانفـرد المنصور بالامـر .

قال بعض المؤرخين : كان محمد بن أبى عامر من الجزيرة الخضراء
وله بها قـدر وأبوه ورد وهو شـاب الى قرطبـة واشتغل بالعلم والادب
وسمع الحديث وتميـز ، وكانت له همة (288) تحدث بها نفسه بادراك
معالـى الامـور وكان يحـدث من يختص به مما يقـع له من ذلك ولـه
اخبـار كثيـرة أورد منهـا **أبـو عبد اللـه الحميدي في كتابـه المترجم
بالامانـى الصادقـة** (289) كثيـرا .

قـال : ثم علـت حالـه وتعلـق بوكالـة صبـح أم هشـام
المؤيـد والنظـر في أموالها فـزاد أمـره في الترقى الى أن مـات الحكـم

---

(288) «هيئة» فى (ج) ص 218.
(289) هو أبـو عبـد اللـه محمد بن فتوح الازدى الحميدى (419 — 487 هـ/ 1029 — 1095م) صاحب كتـاب جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الاندلـس نشر بالقاهرة 1966م. وهو معجـم أبجـدى لعلمـاء الاندلس قـدم له الحميدى بموجز فى تاريـخ الجـزيرة — وقـد ترجـم المستشرق جايانجوس الجزء الخاص بعصر الخلافة من ذلـك الموجز — وقد كتب الحميدى هذا المعجم فى بغـداد بعيدا عن المراجع اللازمة، فجـاء مجموعـا قليل القيمة من تراجـم الرجال يشوبه غلط كثير فى تحديد التواريـخ ويبدو أنه بسبب اسـم كتاب الحميدى «جذوة المقتبس» امتقد حاجب خليفة فى «كشـف الظنون» ان الحميدى وضع مختصرا للمقتبس الخـاص بابن حيان مؤرخ الاندلس بلا منازع. انظـر بالنثيـا : الفكر الاندلسى ص 210. ويضيف النويرى أن للحميدى كتاب يسمى «الامانى الصادقة» يدور حول أخبار المنصور محمد بن عامر.

وولى ابنهـا هشام فخافت اضطراب الامر عليه فضمن لها سكون الحال وزوال الخـوف واستقرار الملك لابنها فساعدته المقادير وأمدته المـرأة بالاموال فاستمـال العساكر اليه فصار صاحب التدبير والمتغلب علـى الامـر [64] وحجب هشامـا وتلقـب بالمنصور وأقام الهيبة فدانت لـه اقطـار الاندلس كلها ولم يضطـرب عليه شيء منها لعظم هيبته وحسـن سياسته وكان يدخل الى القصـر ويخرج فيقول ، أمر أمير المؤمنيـن بكـذا ونهى عن كـذا فـلا يعترض عليه في مقـال ولا ينـازع في افعـال،

وكان اذا غـزا بلد الروم وكل بهشام من يمنعه من التصرف والظهور والاذن في دخـول احـد من النـاس الى ان يعـود من سفـره فـاذا كان بعـد سنيـن اركبـه وجعل عليه برنسـا والبـس جواريـه البرانس حتى لا يعـرف منهـن ويوكل بالطرقات من يطرد الناس عنها حتى ينتهى الـى الزهـراء او غيرها من المستنزهات ثم يعيـده على مثل ذلك وليـس لـه من الملك الا الدعاء على المنابـر واثبـات اسمه على السكة والطرز (290) والمنصـور على اتم ما يكون من الحـزم وسـد (291) الثغور واقامـة العـدل وشمـول الناس بالاحسـان والفضـل فلم يـر في الضبط وحسـن السياسـة وأمن السبيل وتوفية (292) حقـوق الرياسـة بجزيـرة الاندلـس كايامـه (293) ودامت له هذه الحـال بضعا وعشرين سنـة الى أن توفى وكانت وفاتـه في اقصى الثغـور بمدينة سالم في سنـة ثلاث وتسعيـن وثلثمائـة في طريـق الغـزو .

قال : وكان رحمه الله تعالى له مجلس في الاسبـوع يجمع فيه أهل العلـم للكلام بحضرته مـده مقامـه (294) بقرطبـة .

(290) «المطرد» فى (ج) ص 219.
(291) «شـد» فى (ج) ص 219.
(292) «وبوفيه» فى (ج) ص 219.
(293) «كايامه» فى (ج) ص 219.
(294) «بقـائه» فى (ج) ص 219.

قال : وختن اولاده .حين منهم من اولاد اهل دولته خمس مائة صبي ومن أولاد الضعفاء ما لم يحصى عدتهم وانفق فيه خمس مائة الف دينار.

وكان ذا همة عالية في الجهاد مواصلا [65] لغزو الروم وربما خرج لصلاة العيد فيقع له فيه الجهاد فلا يرجع الى قصره ويركب من فوره بعد انصرافه من الصلاة فلا يصل الى أوائل الدروب الا وقد لحقه كل من أراد من العساكر وغزا نيفا وخمسين غزاة ، ذكرت في المآثر العامرية (295) بأوقاتها وفتح فتوحا كثيرا ووصل الى معاقل جمة امتنعت (296) على من كان قبله . وملا الاندلس بالغنائم والسبى .

قال : وكان اذا انصرف من قتال العدو الى سرادقه يأمر بأن تنفض غبار ثيابه التى شهد فيها الحرب ويجمع ويحتفظ به (297) فلما حضرته الوفاة أمر أن ينثر (298) على كفنه ما جمع من ذلك اذا وضع في قبره .

قال : وبنى مدينة الزاهرة بقرب قرطبة وانتقل اليها بأهله وولده وحواشيه وكان قد تخوف من بنى أمية ان يثوروا به فأخذ في تقاتيلهم (299) صغارا وكبارا عملا في الباطن لنفسه وفي الظاهر اشماقا على المؤيد منهم ، حتى أفنى من يصلح منهم للولاية وفرق الباقين في البلاد والبوادي (300) ، فكان ممن هرب الوليد بن هشام

---

(295) يذكر بالنثيا ان حسين بن عاصم المتوفى سنة 449هـ/1058، صنف كتاب «المآثر العامرية» في سيرة المنصور محمد بن أبي عامر وغزواته وأوقاتها. انظر الفكر الاندلسي ص 240.

(296) «امتنعت» في (ج) ص 220.

(297) «ويحفظ» في (ج) ص 220.

(298) «ينشر» في (ج) ص 220.

(299) «مقتيلهم» في (ج) ص 220.

(300) «البوادى» في (ج) ص 220.

الخارج على الحاكم بمصر الملقب بأبى ركوة (301) ، وأخبار المنصور طويلة مشهورة ، لو استقصيناها لطال الكتاب ، وفيما نبهنا عليه من أخباره وذكرناه من اثاره كفاية (302) .

وأخبرنى بعض أهل الاندلس ان على قبره مكتوبا :

آثاره تنبئك عن اخباره حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتى الزمان بمثله أبدا ولا يحمى الثغور سواه

ولما مات رحمه الله قام بالامر بعده ولده .

[66] المظفر أبو مروان عبد الملك (303) :

قال : وكأن الناس قد تجمعوا وقصدوا الزهراء ، وقالوا لابد من ظهور المؤيد وولايته الامر بنفسه ، فلما بلغه ذلك اثر الراحة والدعة وأحضر عبد الملك وخلع عليه وقلده ما كان بيد ابيه من الولاية ونعته بالحاجب المظفر سيف الدولة وأمر فاتن الصغير الخادم أن يخرج الى المجتمعين فيصرفهم ويخبرهم برضاه بحجابه المظفر ، فأخبرهم

---

(301) كنى اباركوة لركوة كان يحملها فى اسفاره، سنة الصوفية، وهو من ولد هشام ابن عبد الملك بن مروان هرب من الاندلس وقد زاد عمره على العشرين سنة وقصد مصر وكتب الحديث، ثم سار الى مكة واليمن وعاد الى مصر حيث ثار بأقاليم برقة واتبعته قبيلة بنى قرة العربية وغيرهم بسبب سياسة الحاكم بأمر الله تجاههم فقد حبس جماعة من أعيانهم، وقتل بعضهم وانضمت اليه قبيلة زناتة البربرية وهددت جيوشه الدولة الفاطمية بمصر، اذ ترددت سراياه الى الصعيد وارض مصر وكاتبه أهلها يستدعونه. ولكن القائد الفضل بن عبد الله على رأس الجيش الفاطمى تمكن من ايقاع الهزيمة بقوات أبى ركوة بالجزيرة عند الهرمين. فعادت بنو قرة الى حللهم وهرب أبو ركوة الى النوبة حيث قبض عليه وقتله الحاكم فى 397 هـ. انظر ابن الاثير : الكامل 9 : 197 ــ 203، ابن عذارى : البيان المغرب 1: 57 ــ 258، المقرى : نفح الطيب (احسان) 2 : 658 ــ 659.

(302) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 418، 419، ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 268، 272 ــ 275، ابن الاثير : الكامل 8 : 677، 678، ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 256 وما بعدها، المقرى : نفح الطيب 1 : 396 ــ 404، 407 ــ 429، 529 ــ 532، 576 ــ 603، 3 : 76 : 98.

(303) انظر ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الاول، المجلد الاول ص 60، ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 23.

فأتوا وخرج المظفر فقاتله ألفئة المجتمعة فهزمهم وأقام في الحجابة الى ان توفى لاثنى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة تسع وتسعين وثلثمائة بموضع يقال له الصران في غزوته ، فحمل في تابوت ودفن بالزاهرة وعمره ستا وثلاثون سنة ومدة ولايته ستة أعوام وأربعه أشهر واياما (304) ، وغزا الروم ثماني غزوات ، وبأيامه يضرب المثل بالاندلس عدلا وأمنا ولما مات ولي الحجابة :

عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر :

وهو أخو المظفر ونعت بالحاجب المامون ناصر الدولة وتلقب بشنشول (305) .

فافتتح امسوره بالخلاعة والمجانة ، وكان يخرج من منية الى منية ومن متنزه الى متنزه بالملاهى والمضحكين ويجاهر بشرب الخمر والتهتك، ثم طلب من المؤيد ان يدعو له ويوليه العهد بعده ويهدده بالفتك (306) به ان لم يفعل ، وكثر الارجاف بذلك ، ثم ركب شنشول من الزاهرة [67] ومعه سائر اهل الخدمة بسلاحهم والوزير وقاضي الجماعة والفقهاء والعدول وأصحاب الشرط (307) ووجوه الناس على طبقاتهم وسار الى باب القصر بقرطبة وحضر المؤيد هشام وأخرج كتاب قريء بحضرته وهو بخط الوزير أبو عمرو (308) فيه :

(304) يتفق ابن عذارى مع النويرى وراجع التفصيلات فى البيان المغرب 3 : 3 وما بعدها. ويذكر ابن الاثير ان فترة ولايته كانت سبع سنين انظر الكامل 8 : 678.

(305) وهو الابن الثاني للمنصور من زوجته الاميرة النافارية التى سماها «عبدة» وقد غلب عليه لقب شنجول أو شنشول Sanchuelo الذى كانت تدعوه بـه امه لشبهه بأبيها . وهو اسم تصغير فى الاسبانية لشانجة Sancho اسم الجد. أنظر ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 38، ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 272 تعليق (1)، ابن الخطيب، أعمال الاعلام (الاندلس) ص 66. وانظر تعليق محمود مكى على القصيدة رقم 107 من ديوان ابن دراج ص 395
Levi - Provencial : Histoire .... II, P. 241-242, 292.

(396) «بالقتل» فى ج ص 221. انظر التطابق مع رواية ابراهيم بن القاسم. ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 39.

(307) «الشركاء» فى (ج) ص 221.

(308) «أبو عمر» فى (ج) ص 221. ويروى ابن حيان أن الكتاب من انشاء كاتب الرسائل أبى حفص أحمد بن برد الوزير المعروف بابن برد الاكبر، تمييزا له عن حفيده ابن برد الاصغر. وكان الجد رئيسا مقدما فى الدولة العامرية توفى سنة 418هـ. انظر الحميدى : جذوة المقتبس : 111، ابن الخطيب اعمال الاعلام (الاندلس) ص 91.

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما عهد هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين الى الناس عامة وعاهد الله عز وجل عليه من نفسه خاصة واعطى به صفقة يمينه بيعة تامة بعد ان أمعن النظر واطال الاستخارة وأهمه ما جعله الله اليه من الامانة وعصب به من أمره واتقى حلول القدر بما لا يؤمن ، وخاف نزول القضاء بما لا يصرف وخشى ان هجم محتوم ونزل مقدور به ، ولم يرفع لهذه الامة علما تأوي اليه وملجاء تنعطف عليه ان يكون بلقاء ربه تبارك وتعالى مفرطا فيها ساهيا عن اداء الحق اليها ، ونفض عند ذلك من طبقات الناس من احياء قريش وغيرها ممن يستحق ان يسند هذا الامر اليه ويعول في القيام به عليه ممن يستوجبه بدينه وامانته وهديه وصيانته بعد اطراح الهوى والتحري للحق والتزلف الى الله جل جلاله بما يرضيه ، وان قطع الاواصر واسخط الاقارب فلم يجد أحدا هو أجدر ان يقلده عهده ويفوض اليه الخلافة بعده بفضل نفسه وكرم خيمه وشرف مركبه وعلو منصبه مع تقواه وعفافه ومعرفته واشرافه وحزمه وثقافه [68] من المامون الغيب الناصح الحبيب أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد المنصور أبي عامر بن أبي عامر وفقه الله ، اذ كان أمير المومنين أيده الله قد ابتلاه واختبره ونظر في شأنه واعتبره فرآه مسارعا في الخيرات سابقا في الحلبات جامعا للمآثرات ومن كان المنصور أباه والمظفر أخاه ، فلا غرو ان يبلغ في سبيل البر مداه ويحوي من سبيل الخير ما حوياه مع ان أمير المومنين أكرمه الله بما طالع من مكنون العلم ووعاه من مخزون الاثر امل ان يكون قد ولي عهده القحطاني الذي حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص وابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق العرب بعصاه» ، فلما استوى له فيه الاختصار ، وتقابلت عنده فيه الآثار ولم يجد عنه مهربا ولا الى غيره معدلا خرج اليه من تدبير الامور في حياته وفوض اليه الخلافة بعد وفاته طائعا راضيا

مستخيرا مجتهدا ، وأمضى أمير المومنين عهده هذا وأجازه وأنفذه ولم يشترط فيه مثنويه ولا خيارا ، وأعطى على الوفاء به في سر وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه وذمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء الراشدين من آله وآياته وذمة نفسه ان لا يبدل ولا يغير ولا يحول ولا يزول وأشهد الله تعالى وملائكته على ذلك وكفى بالله شهيدا، واشهد من وقع اسمه في هذا وهو حائز الامر ماضي القول والفعل بمحضر من ولى عهده المامون [69] ابى المطرف عبد الرحمن ابن المنصور وفقه الله وقبوله ما قلده والزامه نفسه ما الزمه ، وذلك في شهر ربيع الاول سنة تسع وتسعين وثلثمائة (309) ، ثم كتب الوزراء والقضاة والفقهاء شهاداتهم بذلك.

فلما تم له ما أراد من ولاية العهد ودعى له على المنابر أخذ في التخليط وارتكاب المحرمات ثم عزم على الغزاة واتقدم اليه هشام ان يتعمم هو وسائر الجند ففعل وعقد الويته وخرجوا في العمايم وكانوا بها في أقبح زي لمخالفة العادة وذلك في يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلت من جمادى الاولى وسار للغزاة وهى المعروفة (310) بغزوة الطين وقيل انه انتهى الى طليطلة فأتاه الخبر بقيام محمد بن هشام ابن عبد الجبار وخلعه للمؤيد ، وانه اخرب الزاهرة فحلف الناس لنفسه ثم تفرقوا عنه والتحقوا محمد بن هشام وكان من أمره وأمر المؤيد ما نذكره في أيام محمد بن هشام بن عبد الجبار.

---

(309) قام جاسبار ريميرو بتصحيح نسخته على العهد الذى ورد بالمقرى : نفح الطيب 1 : 424 وما بعدها ونظرا لوجود اختلافات لفظية وتقديم وتأخير فى صورة العقد الذى ورد فى ابن الخطيب : أعمال الاعلام (الاندلس) ص 91 وما بعدها، ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 44 فقد فضلت أن أترك نص النويرى كما أورده دون تعديل اذ حذف النويرى بعض الكلمات التى لا تؤثر فى المعنى تمشيا مع طريقته فى التلخيص.

(310) «وهو المعروف» فى ج ص 224. وانظر التفاصيل الواردة بابن عذارى : البيان المغرب 3 : 48، 49.

ذكر قيام الخليفة محمد المهدى

هو أبو الوليد محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر وهو الحادي عشر من ملوك بنى امية بالاندلس . استولى على الامر في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلثمائة ونحن نذكر سبب ذلك وكيف كان خروجه وكيف استولى على الامر لان في ذلك من الغرائب والحوادث ما يتعين (311) ايراده بسببه ويفيد [70] تجربة (312) ويعتبر به من يتأمله (313) ويعلم ان المقادير تجري على غير قياس ، واذا اراد الله أمرا هيأ أسبابه .

وكان ابتداء هذا الامر أن هشام بن عبد الجبار والد محمد المهدي هذا قد ترشح لطلب هذا الامر لنفسه وعزم على خلع هشام المؤيد فبلغ ذلك المظفر عبد الملك فقتل هشام بن عبد الجبار قبل ان يستحكم أمره في سنة تسع وتسعين .

وكان محمد بن هشام جسورا مقداما شجاعا ولم يتهيأ له أمر لهيبة عبد الملك واجتماع جنده فلم يزل محمد يترصد الامر (314) حتى مات عبد الملك وولى عبد الرحمن وتطاول لولاية العهد ونالها وخرج للغزاة على ما قدمناه فخلا البلد من الجند وقوى عزم محمد رجلان وهما حسن بن الفقيه ومطرف بن ثعلبة ، وكان محمد يعاشر في مدة استتارة (315) قوما من الصعاليك لهم اقدام على كل عظيمة فدس بعضهم الى بعض وأعطاهم من خمسة مثاقيل الى عشرة وأكثر من ذلك فاجتمع له منهم نحو أربع مائة رجل وطاوعه على ذلك جماعة من المروانيين لخروج الامر عنهم وصرفه الى بنى أبى عامر (316) .

(311) «سانعين» فى (ج) ص 224.
(312) «تجربته» فى (ج) ص 224.
(313) «يتأمل» فى (ج) ص 224.
(314) «الاثر» فى (ج) ص 225.
(315) «أستاذه» فى (ج) ص 225.
(316) «بنى عامر» فى ج ص 225.

وكان عبد الرحمن قد رتب أمور البلد قبل مسيره وجعل النظر في الاموال وتدبير البلد الى أحمد بن حزم (*) وعبد الله بن سلمة (**) المعروف بابن الشرس ، وجعل على المدينة عبد الله ابن عمرو المعروف بابن عسقلاجه وهو أحد بنى أبى عامر (317) وظن شنشول ان الامور لا تتغير وان دولتهم قد استحكم أمرها هذا ومحمد في تقرير حاله فشنع الناس ان قائما يقوم على بنى الاغلب فبلغ ابن [71] عسقلاجة الخبر فأظهر البحث وبالغ في الكشف فلم يتبين له شىء وهجم دورا كثيرة فلم يقف على أمر واضح .

فلما كان في يوم الثلاثاء النصف من جمادى الاخرة بات ابن عبد الجبار (318) بقرطبة وتقدم الى ثلاثين رجلا من كفاه (319) اصحابه ان يشتملوا على سيوفهم ويدخلوا من باب القنطرة متفرقين حتى يقفوا على الستره التى تشرف على الرصيف والوادي (320) كما يفعل من يريد التفرج بذلك المكان وأمرهم ان لا يحدثوا حدثا حتى يأمرهم وأنذر سفهاه (321) وواعدهم ساعة قبل زوال الشمس ففعل أولئك النفر ما أمرهم به، وكان من سواهم على انتظار الوقت الذي حده لهم وركب محمد بعلته وعبر القنطرة وحده حتى انتهى الى باب الشكاك ومعه نفر من أصحابه كانوا قياما على باب القنطرة فاقتحموا فأنكرهم حرس الباب وأرادوا منعهم فبادر محمد ودخل وسل أولئك النفر سيوفهم وقصدوه فقصد بهم (322) صاحب المدينة ابن عسقلاجة فيقال ، انه كان يشرب مع جاريتين له فأتاه محمد وهو على غير أهبة فقتله واجتزوا رأسه وتتابع أصحاب محمد من جهاتهم اليه واتصل الخبر بأهل الزاهرة

* هو أبو عمرو أحمد بن سعيد بن حزم أنظر ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 79، 80
** عبدالله بن مسلمة صاحب المدينة بالزاهرة انظر ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 58
(317) عبد الله بن عمرو بن أبى عامر فى ابن عذارى : البيان المغرب : 3 : 26.
(318) «ابن عبد الرحمن» فى (ج) ص 225.
(319) «كفاة» فى (ج) ص 225.
(320) «الوالى» فى (ج) ص 225.
(321) «سفائه» فى (ج) ص 225.
(322) «لتصدهم» فى (ج) ص 225.

عند العصر وقد عظم جمع محمد من اصحابه ومن اجتمع اليه من العوام واهل البادية فنقب القصر من ناحية باب السباع ومن ناحية باب الجنان ولم يقدر حرس القصر على مقاومته ووصل محمد الى القصر من جهة باب السدة وأهل الزاهرة غير مصدقين بالامر وظنوا انه أمر يرفعه صاحب المدينة الى ان قوى عندهم الخبر بدخول محمد القصر فكان [72] حسبهم اعتصامهم (323) بالزاهرة في ليلتهم .

فلما صار محمد داخل القصر، أرسل اليه المؤيد هشام يقول له «دأمني على نفسى وانخلع لك من الامر» فقال : «سبحان الله أتراذى انما قمت في هذا الامر لاقتل اهل بيتى وانما قمت غضبا له ولنفسى وبنى عمى فان خلع نفسه طائعا قبلت ذلك وليس له عندي الا مايحب» وارسل محمد (324) الى الفقهاء ووجوه الناس فأحضرهم وكتب كتاب الخلع والبيعة لمحمد وبات تلك الليلة في القصر وأهل بالس وهى الزاهرة لم يتحرك منهم أحد وكانوا جمعا كثيرا منهم ابو عمرو بن حزم وعبد الله بن سلمه وابن أبي عبيدة وابن جهور وجماعة من الفقهاء والوزراء والصقالبة وهم الخصيان (325) ونفر من الجند والخزان والكتاب .

وأصبح محمد يوم الاربعاء فجعل حجابته الى ابن عمه محمد بن المغيرة وجعل على المدينة ابن عمه أمية بن اسحق وأمرهما باثبات كل من جاءهما في الديوان فلم يبق أحد حتى اثبت نفسه حتى الزهاد والعباد وأئمة المساجد وغيرهم وقبضوا العطاء ، وكذلك التجار الاغنياء واتبعه سائر أهل البوادي والاطراف وأرسل حاجبه محمد بن المغيرة في خلق من العامة لمحاربة أهل بالس فردوه أقبح رد وهزموه الى [illegible] قرطبة ثم كثر العامة فهزموهم الى بالس ودخلها الحاجب ونهبت فسأل الوزراء والصقالبة الامان فأمنهم محمد فساروا اليه فوبخهم ثم عفا عنهم

(323) «حبسهم اعتقاتهم» فى (ج) ص 226.
(324) «هشام» فى (ج) ص 226.
(325) «الحصان» فى (ج) ص 226.

ورد (326) ابن البشرس مع الحاجب لنقل ما ببالس من الاموال والامتعة والاثـاث ، وقد نهب منه ما لا يحصى كثرة ونهبت [73] في ليلة الاربعاء دور كثيرة للعامرية ونهب ما جاور بالـس من دور الوزراء ، وأنتهب ما في الزاهـرة حتى قلعت الابـواب والاخشاب والحاجب مع ذلك ينقل ثم أمـر محمد بعـد أربعة أيـام بكف ايـدي العامة عن النهب فمنعوا وتفرد بنقل مـا يريـد .

فيقـال ان الذي وصـل اليـه من الزاهـرة في ثلاثـة أيـام الـف الف وخمس مائة الف دينـار ومن الدراهم الاندلسية الفى الف ومائـة الـف ، ووجـد بعد ذلك خوابى فيها نحـو مـن مائتـى الـف دينـار واطلقت النـار في الزاهـرة لعشـر بقين من جمادى الاخـرة وخطب لمحمـد بالخلافة وقطعت خطبـة هشام وشنشـول وقري بعد صـلاة الجمعـة كتـاب يلعن شنشول وذكر مساوئه ، وقريء كتاب آخر من محمد باسقـاط رسوم جارية وقبالات محدثه وصلى محمد بالناس الجمعة لاربع بقيـن من جمادى الاخرة ودعا لنفسه وتلقب بالمهدي وقرى بعد نزوله كتاب على المنبـر بالنفير لقتـال شنشـول ووصل أهل الاقاليم من أقصـى الاندلس مظهرين عـدة الحرب وولى محمد جنده قـوادا من طبيب وحائك وجـزار وسراج وخرج بهم ونـزل بفحص السرادق وأمر أهل النواحى بالنـزول حـول سرادقـه (327) .

ذكـر أخبـار شنشـول ومقتلـه :

قـال : واما شنشـول فانه لما بلغه الخبر وكان قد انتهى الى طليطلة [74] فعاد الى قلعة رباح وقد تخاذل عنه الناس فعزم على استحلاف (328) الناس لنفسه فامتنعوا، وقالوا : «قد حلفنا مرة ولا نحلف أخرى» فعلم أنهم

(326) «وورد» فى (ج) ص 226.

(327) قارن ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 55 ومابعدها، ولاحظ التطابق بين رواية النويرى ورواية ابن عذارى عن كتاب الرقيق.

(328) «استجلاب» فى (ج) ص 227.

خاذلوه فدعا محمد بن يعلى الزناتي (329) وكان ممن عزم على خذلانه فقال له : «ما ترى فيما نحن فيه» فقال له : «أصدقك عن نفسي وعن الجند ليس والله يقاتل معك أحد منهم» ، قال : «ما الدليل على ذلك» قال : «تأمر بتقديم مطبخك الى طريق طليطلة وتظهر الرحيل اليها فتعلم من يتبعك ممن يتخلف عنك» ، قال : «صدقت» وكان ابن غومس القومس مع شنشول يريد قرطبة معاقدا له يستنصر به على من يناوئه من القمامسة فلما رأى اضطراب حال شنشول اشار عليه أن يرحل معه الى بلده ويكونوا يدا واحدة ويلجوا الى مكان فأبى ذلك وقال : «لابد من الاشراف على قرطبة فأني ارجوا انني اذا طلعت عليها اختلفت كلمة محمد ولي أيضا أنصار يميلون الى سلطاني ويحبون ظهوري» فقال له القومس «خذ باليقين ودع الظن ، أمرك والله مختل وجندك عليك لا لك» فقال : «لابد من المسير الى قرطبة» فقال : «معك على كراهية لرايك وعلم بخطائك» (330) .

وسار شنشول من قلعة رباح والاخبار تتواتر بتظافر أهل قرطبة مع ابن عبد الجبار ، فلما بلغ منزل هانيء (331) فارقه عامة البربر ليلا وذلك في سلخ جمادى الاخرة ، ثم فارقه الناس بعد ذلك وبقي في نفر يسير من خدمه وابن غومس في نفر من النصارى ، فقال له «سر بنا من هاهنا قبل ان يدهمنا (332) ما يمنعنا من ذلك» **[75]** فأبى شنشول وقال قد بعثت التناضي في طلب الامان لي ثم تحير في امره وسار الى دير يعرف بدير شوش ليلة الجمعة لثلاث خلون من شهر رجب وبلغ خبره محمد ، فأرسل اليه حاجبه في مائتي فارس فأرسل الحاجب ابن ذري مولى الحكم فسبقه الى الدير فصبحة (333) في يوم

(329) يتفق ابن عذارى مع النويرى أنظر البيان 3 : 66؛ الرباحي في ج ص 228.
(330) قارن ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 70.
(331) من أرملاط بالقرب من قرطبة ابن الخطيب : أعمال الاعلام (الاندلس) ص 98.
(332) «يرهقنا» في (ج) ص 228.
(333) «فصبحا» في (ج) ص 228.

الجمعــة ، فقال شنتشول لما عاينــه ومن معه «مالكم على سبيل أنا في طاعة المهدي» (334) فاستنزلوه من الدير ومعه ابن غومس ومن تبعهما (335) وأخذ نســاء شنشــول وهن سبعون جارية فبعث بهن الى قرطبة ولحــق الحاجب بابن ذري قبــل العصر من يــوم الجمعة ، فلما اشرف عليهم نزل شنشــول فقبل الارض بين يدي الحاجب مــرارا فقيل له قبــل حافــر فرسه، ففعل، وقبل رجله ويده، ثم حمل على غير فرسه وابن غومس ساكت لم ينطق وأشار الحاجب بانتزاع قلنسوة شنشول عن رأسه فانتزعت.

ورجع يريد قرطبة فسار الى أن غربت الشمس فنزل وأمر ان يكتف شنشول فعطفت يــده عطفا شديدا فقــال نفسوا عنى واطلقوا يــــدي لاستريح ساعة فنفسوا عن يده فأخرج من خفه سكينا كالبــرق فعوجــل قبل ان يصنع شيئا ثم أضجعه الحاجب وذبحه وقتل ابن غومس وأخــذ رأسيهما وحمل جثة شنشــول وسار بهم الى القصر بقرطبة فأمر محمــد بشــق بطنه ونزع مافيه وحشى بعقاقير تحفظه ثم نصب رأسه على قناة ووقف به على بــاب الســدة ثم ركب على جسده وكسى قميصا وسراويل واخرج فسمــر على خشبــه [76] على بــاب السدة وأمــر الرسان (336) صاحب شرطة شنشــول أن ينادي هذا شنشــول المامون ثم يلعنه ويلعن نفسه وذلك في يــوم السبت لاربع خلون من شهر رجب .

وكانت مدة ولاية شنشول أربعة أشهــر وأياما وكان قبيح الفعال كثير التخليط متجاهر بالفسق شهد عليه بأشياء لا تصدر عن مسلم منها انه سمع المؤذن يقول حي على الصلاة فقال لو قال حي على الكبير لكان خيرا وكثير من هذا القول وما يناسبه وانقرضت الدولة العامرية بقتل شنشول (337).

---

(334) «المهدى» زيادة فى (د)ص 228.

(335) «معهما» فى ج ص 228، لاحظ تطابق رواية النويرى مع ابن الخطيب : اعمال الاعلام (الاندلس) ص 97 — 98.

(336) لانه خلال غزوة شنشول «كان ينادى فى عسكره هذا أمير المؤمنين المأمون بأمركم بكذا» ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 73.

(337) راجع تفصيلات ابن عذارى ولاحظ التطابق مع روايات الرقيق 3 : 66 — 73.

قال ابراهيم بن الرقيق : ومن اعجب ما رأيناه انه كان من نصف نهار يوم الثلاثاء لاربع عشرة بقيت من جمادى الاخرة الى نصف نهار يوم الاربعاء الذي يليه فتحت مدينة قرطبة وهدمت مدينة الزاهرة وخلع خليفة وهو هشام بن الحكم وولى خليفة وهو محمد بن هشام بن عبد الجبار ، وزالت دولة بنى ابى عامر وحدثت دولة بنى أمية وقتل وزير وهو ابن عسقلاجة واقيمت جيوش من العامة ونكب خلق من الوزراء، وولى الوزارة آخرون ، وكان ذلك كله على أيدي عشرة رجال حجامين (338) وجزارين وحاكة وزبالين وهم جند ابن عبد الجبار ،

قال : وفي يوم الخميس لسبع خلون من شهر رجب وصل كتاب واضح من مدينة سالم الى محمد بسمعه وطاعته واظهار الاستبشار بقتل شنشول فسر به محمد وشكر ذلك لواضح وحمل اليه مالا كثيرا وكسا وفرسا وطرائف [77] وولاة سائر الثغر (339) .

قال ولما استوثق الامر لمحمد اسقط من جنده نحوا من سبعة آلاف وعادوا الى مهنتهم فانتفع بهم الناس ثم بقى جماعة من الصقالبة العامرية ، ثم اخرج بعد ذلك صقالبة القصر وسد أبوابه وأظهر محمد (340) من الخلاعة واللهو والشرب ما كان يفعله شنشول واستعمل مائة عود ومائة بوق .

وفي شعبان توفى رجل يهودي فأخذه محمد وأوقف عليه رجالا من اصحابه وكان يشبه بهشام فشهدوا عند العامة انهم وقفوا على هشام ميتا لا جرح به ولا أثر وانه مات حتف انفه وحضر الفقهاء والعدول وخلق من العامة الى القصر وصلوا عليه يوم الاثنين لاربع بقين من شعبان وأخفاه عند وزيره الحسين بن حي .

---

(338) «الحامين» فى (ج) ص 229. وانظر ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 74.

(339) قارن التطابق مع ابن عذارى البيان المغرب 3 : 76، 77.

(340) حذفت «من» اذ يبدو أن الناسخ كررها سهوا فى (د)

وفي شهـر رمضان سجن محمد، سليمان بن عبد الرحمن، وكان قد جعله ولـي عهـده وسجن جماعة من قريـش وأظهر بعض البربر فكـان يسبهـم في مجلســه (341) .

ذكر قيام هشــام بن سليمــان على محمد وما كان من أمــره الى أن قتــل

قــال : ولما شرع محمد بن عبد الجبار في اطـراح البربر ودبر في قتـل عشـرة منهم سعى هشــام بن سليمان بن عبد الرحمن في خلـع محمد ووافقـه جماعة من الجنـد واحتفل امـره وخرج الى فحص السرادق وانضم اليه الذين اسقطهم محمد من جنـده فراسله محمد وقبح عليه فعله

فقال : سجن والدي على غير شيء ولا أدري ما صنع به فأطلقه محمد فلـم يرجع [78] هشام عن رأيه واتحرك بالجنـد وأحرق سوق السراجين ثـم خذله جنده وأخذوه اسيرا هو وأخوه أبو بكـر وأبوه سليمان فسلموهم الى محمد فقتل هشاما وأبو بكر صبرا وذلك لاربع بقين من شــوال ونهبت دور البربـر ونودي في البلـد من أتـى برأس بربري فلـه كذا وكذا فشرع أهل قرطبـة في قتـل من قدروا عليـه منهم وسبيت نسائهم وهرب من سلم من البربر الى أرمـلاط (342) ثم جلـوا الى الثغـر وكان ممـن فـر بعـد قتل هشام ، سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر فنصبـه البربـر خليفـة (343) .

---

(341) راجع ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 77، 78، 80. وقارن ابن الخطيب : اعمال الاعلام (الاندلس) ص 112 — 113.

(342) «وادى ملاط» فى (ج) ص 231، وصحتها «أرملاط» فى النويرى والمقرى : نفح الطيب 3 : 260.

(343) أنظر ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 89 — 81 وابن الخطيب : أعمال الاعلام (الاندلس) ص 113.

ذكر قيام سليمان بن الحكم المستعين بالله

كان من أمره ان استمر مدة قليلة وهرب فدخل المهدي قرطبة في دولته الثانية عند انهرام المستعين بالله في شوال سنة اربع مائة ثم لما قتل المهدي وأحضر برأسه بين يديه فأمر ان يوجه بها الى البربر ثم لما كانت دولة المستعين بالله سليمان بن الحكم وقبض على أخيه وقت هجومه القصر ووضع البربر ايديهم في الناس فاستباحوا الاموال والحريم ولم يزل الامر كذلك الى ان وثب الفائد على ابن حمود من أولاد على بن ابى طالب رضى الله عنه في سنة سبع وأربعمائة طالبا بدم المؤيد وكان قد ولاه المستعين بالله بلاد (344) العدوة ، فعاد الى الاندلس وترك الجزيرة الخضراء وقال للمستعين بالله لابد من خروجك لنقاتل بين يديك فركب المستعين بالله وخرج فلما قربوا من عسكر على بن حمود قادوا المستعين بالله [79] بلجام بغلته وسلموه لعلى بن حمود فأمر بضرب عنقه في سنة سبع واربعمائة والله تعالى أعلم (344 م) .

ذكر قيام الخليفة المستظهر بالله

أبو المظفر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار وهو اخو المهدي بن الناصر بويع له بقرطبة سنة اربع عشرة واربع مائة وقتل في قرطبة (345) بدار الملك .

ذكر قيام الخليفة المستكفى بالله

أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر بويع له بعد قتل المستظهر وخلع سنة ست عشرة وأربع مائة وعمره ثمان وأربعون

(344) «بلاد» زيادة فى د.

(344م) راجع تفصيلات فترة حكم سليمان بن الحكم فى ابن الابار : الحلة السيراء 2 : 5 — 12 ، ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 91 — 95، 113 — 118، ابن الخطيب: اعمال الاعلام (الاندلس) ص 114 — 115، 119 — 127 .

(345) «الحمام» فى ج ص 231، سبتة فى د وصححتها من ابن بسام : الذخيرة : قسم 1 مجلد 1 ص 34 وما بعدها، ابن عذارى. البيان المغرب 3 : 136، 137، 139.

سنة وخرج دن قرطبة يريد الثغر فمات في قرية من قرى شنة مرية(346) في هذه السنة بسم اطعمه في طعام .

ذكر قيام الخليفة المعتد (347) بالله

ابو بكر وهو أخو المرتضى هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر مولده سنة اربع وستين وثلثمائة بويع له بقرطبة سنة ثمان عشرة واربع مائة فاقام اربع سنين ثم خلع ثم مات سنة ثمان وعشرين وأربع مائة وكان خلع المعتد (348) في ايام القائم العباسي ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

ذكر قيام الخليفة عميد الدولة

زهير العامري ثم تغلب على قرطبة أبو الحزم جهور وانقطعت دولة بنى امية من آفاق الارض في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وكانت مدة ملك بنى امية بالغرب مائتين (349) وتسعين سنة وذلك من سنة ثمان وثلاثين ومائة الى سنة ثمان وعشرين وأربع مائة.

ذكر امارة الناصر على بن حمود

ابن ميمون بن احمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن ادريس «بن ادريس» بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (350) رضى الله عنه ملك قرطبة لسبع بقين من المحرم سنة سبع وأربعمائة على ما

(346) «سبتة» فى (د) وصححتها من (ج) ص 232. يتفق كل من ابن عذارى وابن الخطيب انها اقليج (اتليش) بينما يذكر النويرى بعد ذلك انها تشمنت انظر البيان المغرب 3 : 142 اعمال الاعلام (الاندلس) ص 136.

(347) ، (348) «المقتدر» فى د وصححتها من ج ص 232، وابن عذارى : البيان المغرب 3 : 145.

(349) «مـ ـئة» فى (ج) ص 232.

(350) نسب بنى حمود كما أورده النويرى يتفق مع ابن الابار وابن عذارى وهو أوفى من رواية ابن حيان بالذخيرة وابن الخطيب، أنظر الذخيرة : القسم الاول، المجلد الاول ص 78، الحلة السيراء 2 : 26، البيان المغرب 3 : 119، أعمال الاعلام (الاندلس) ص 128.

ذكرناه وخوطب بأمير المومنين وتلقب بالناصر ولما دخل قرطبة احضر الفقهاء والوزراء وسال سليمان بحضرتهم عن المؤيد فقال . مات فالزمه ان يريه قبره فاخرجه له دفينا لا اثر فيه فامر على تكفينه ودفنه بالروضة ثم استفتى الفقهاء في قتل سليمان فقتله هو واباه الحاكم واخاه عبد الله وولده سليمان في وقت واحد وتم لعلى ما اراد واستقامت اموره . وفي سنة ثمان واربع مائة حانت عليه العبيد الذين كانوا بايعوه وقدموا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر وسموه المرتضى وزحفوا به الى غرناطة ثم ندموا على اقامته لما راوا من صرامته وخافوا عواقب تمكنه فانهزموا عنه ودسوا عليه من قتله غيلة وبقى على بن حمود بقرطبة الى آخر سنة ثمان [81] وأربعمائة فقتله صقالبته في الحمام فكانت مدة ولايته سنة واحدة وعشرة اشهر، وكان له من الولد يحيى وادريس (350 م) .

ذكر ولاية المأمون القاسم بن حمود ((بن ميمون)) (351) بن حمود الفاطمي

ولى بعد مقتل اخيه الناصر في أواخر سنة ثمان واربعمائة وكان أسن من الناصر بعشرة أعوام ونعت نفسه بالمامون وكان يحب الموادعة فأمن الناس معه وكان يذكر عنه انه يتشيع ولم يظهر ذلك ولا غير للناس عادة ولا مذهبا ، وكذلك ساير من ولى منهم بالاندلس فبقى القاسم الى شهر ربيع الاول سنة اثنتى عشرة وأربعمائة فقام عليه ابن اخيه يحيى بن على بن حمود بمالقة فهرب القاسم عن

(350م) راجع ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 120 — 122، ابن الخطيب : أعمال الاعلام (الاندلس) ص 128 — 129.

(351) مابين قوسين زيادة من ج ص 233، ابن الخطيب : أعمال الاعلام (الاندلس) ص 128.

قرطبــة بغير قــتال ، وصار الى اسبيليه وزحف ابــن اخيه المذكــور من مالقــة بالعساكــر ، فدخل قرطبة دون مانــع وتسمى بالخلافه وتلقــب،

فبقى كذلك الى ان اجتمع للقاسم امــره واستمال البربــر ورحــل بهم الى قرطبة فدخلهــا في سنــة ثلاث عشرة واربعمائة ، وهرب يحيــى ابــن على الى مالقــة فبقى القاســم بقرطبة شهــورا ثم اضطرب امــره وغلب ابن اخيه يحيى على الجزيرة الخضراء ، وكانت معقل القاسم [82] وبها كانت امرأته وذخائره وغلب ابن اخيه ادريس بن على صاحب سبتــة على طنجــة وكانت عــدة القاسم يلجــأ اليهــا ان راي ما يخاف وقــام عليــه جماعة أهل قرطبــه في المدينة واغلقــوا ابوابها دونــه فحاصرها نيفــا وخمسيــن يوما ثــم زحف اهل قرطبة الى البربر فانهزموا عــــن القاسم ولحقــت كل طائفــه ببلــد فغلبــت عليه وذلك في شعبــان سنــه اربــع عشــرة وأربعمائــة ، واعــاد أهل قرطبة الدولة الامويــة على ما نذكــره ان شــاء اللــه تعالــى .

قــال : وأمــا القــاسـم فقصــد اشبيليــة وبهــا ابنــاه محمــــد والحســن ، فلمــا عرف هــل اشبيليــة خروجــه عــن قرطبــة ومجيئــه اليهــم (352) طــردوا ابنيــــه ومن كــان معهمــا مــــن البــربــــر وضبطوا بلدهم وقدموا على انفسهم ثلاثــة رجــــال منهــــم القاضــى أبــو القاسم محمــد بن اسمعيل بن عبــاد اللخمى ومحمــد بن مريــم الالهانــى (353) ومحمد بن محمد بن الحســن الزبيدي ومكثــوا كذلــك اياما مشتركين في سياســة البلــد وتدبيــره ثم انفــرد القاضـــى «ابو القاسم بن عبد بالامر على ما نذكره انشاء الله ولحق القاسم» (354) بشــريش (355) .

---

(352) «مجيئهم اليه» فى د..

(353) «يريم الالهانى» فى (ج) ص 234.

(354) مابين قوسين سطر كامل يبدو انه سقط من الناسخ فى (د) ونقل من (ج) ص234

(355) «بشرش» فى (د) وصححتها من (ج) ص 234.

واجتمع البربر على تقديم ابن اخيه (356) وانفرد يحيى بولاية البربر ، وبقى القاسم أسيرا عنده وعند أخيه ادريس الى ان مات ادريس فقتل القاسم خنقا في سنة احدى وثلثين واربعمائة وحمل الى ابنه محمد بن القاسم بالجزيرة فدفنه هناك وكانت ولاية القاسم منذ تسمى [83] بالخلافة بقرطبة الى ان اسره ابن أخيه ستة اعوام ثم كان مقبوضا عليه ست عشرة سنة عند ابني اخيه الى ان قتل ومات وهو ابن ثمانين سنة وله من الولد محمد والحسن وأمهما اميرة بنت الحسن بن قنون بن ابراهيم العلوي (357) .

ذكر ولاية المعتلى بن على

وكنيته أبو اسحق* وقيل أبو محمد تسمى بالخلافه بقرطبة في سنة ثلث عشرة وأربعمائة ثم هرب منها الى مالقة في سنة اربع عشرة ثم سعى قوم من المفسدين في اعادة دعوته بقرطبة في سنة ست عشرة ولم يدخلها واستخلف عليها عبد الرحمن بن عطاف ثم قطعت خطبته من قرطبة في سنة سبع عشرة ، وبقى يتردد اليها بالعساكر الى أن اتفق جماعة البربر على طاعته وسلموا اليه الحصون والقلاع والمدن وعظم امره فصار بقرمونة ليحاصر مدينة اشبيلية فخرج يوما وهو سكران الى خيل ظهرت من اشبيلية بقرب قرمونه فلقيها وقد كمنوا له كمينا فلم يكن باسرع من ان قتل وذلك

---

(356) «يحيى وحصروا القاسم حتى صار فى قبضته ابن اخيه» زيادة فى (ج) ص 234

(357) قارن وساورد بابن عذارى : البيان المغرب 3 : 124، 130 — 135، 144، ابن الخطيب : أعمال الاعلام (الاندلس) ص 130، 131، 136 — 137.

(*) «أبو زكريا» فى ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 131.

في يوم الاحد لسبع خلون من المحرم سنة سبع وعشرين واربعمائة وكان له من الولد الحسن وادريس (*) .

ذكر عودة الدولة الاموية [84] بمدينة قرطبة ومن ولي منهم :

ذكر امارة المستظهر بالله

هو أبو المطرف عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار اخو المهدي محمد ، بويع له بالخلافة بقرطبة لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربع عشرة واربعمائة وذلك أن اهل قرطبة لما هزموا البربر واخرجوا القاسم كما قدمناه اتفق رأيهم على رد الامر الى بنى أمية فاختاروا منهم ثلاثة وهم عبد الرحمن هذا وسليمن بن المرتضى ومحمد ابن عبد الرحمن ، فاتفق رأيهم على امارة عبد الرحمن مبايعوه وتلقب بالمستظهر وكان مولده في ذي القعدة سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة وقام عليه محمد بن عبد الرحمن مع طائفة من ارذال العوام فقتل عبد الرحمن لثلث بقين من ذي القعدة منها وقيل لثلث خلون منه وكان في غاية الادب وله شعر ، وزيره الفقيه أبو محمد على بن احمد ابن حزم (**) .

ذكر امارة المستكفى بالله

هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر بن هشام المستظهر وامه ام ولد اسمها حوراء **[85] ولي بعد قتل** المستظهر لثلث خلون أو بقين من ذي القعدة سنة اربع عشرة وأربع مائة وله ثمان وأربعون سنة وكان والده ممن قتله الوزير محمد ابن

* انظر ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 131 — 133، 144 — 145 وقارن ابن الخطيب : اعمال الاعلام (الاندلس) ص 136 — 137.

** قارن رواية ابن حيان بابن بسام : الذخيرة، القسم الاول، المجلد الاول ص 34 وما بعدها، ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 135 — 140، ابن الخطيب : اعمال الاعلام (الاندلس) ص 134 — 135.

ابى عامـر في أول دولـة المؤيد هشـام لسعيـه في القيـام وطلبه الامـر فولى محمد هذا عشـرة اشهـر وأيامـا وخلع وقيل بـل خلـع في يـوم الثلثاء لخمس بقين من شهر ربيـع الاول سنـه ست عشرة وخـرج من قرطبـة يريـد الثغـر فمـات بقريـة من قرى شنت برية في أول شهـر ربيـع الاخـر منها فكانـت مـدة مملكتـه بقرطبـة على هذا القـول سنة وأربعـة أشهـر وكان الحاكم في أيامـه صاحب المظالم محمد بن عبـد الرؤوف وكان محمد بن عبد الرحمن في نهايـة التخلـف صاحب اكـل وشـرب ونكاح ولم يـزل متغلبـا عليه طـول ولايته لا ينفذ لـه أمر ولا عقب لـه وقيل في وفاتـه أنـه لما هـرب من قرطبـه سار حتـى انتهى الى قريـة يقال لهـا شمنـت (357) من اعمـال مدينة سالـم فجلـس ليأكل وكان معه عبـد الرحمن بن محمد بن السليم من ولد سعيد بن المنذ. فكـره التمـادي معه فسمـه في دجاجـة فمـات لوقتـه فقبـره هنـاك ولما خلـع اعيدت خطبة يحيى بن على الفاطمى ثم قطعت وأعيـدت الخطبـة للدولـة الامويـه (358) .

ذكر امـارة المعتـد بالله (359)

هو أبـو بكـر هشـام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمـن الناصر وهو أخو المرتضـا .

بويع له في شهـر ربيع الآخـر منها وذلك انه لما قطعـت خطبة يحيى ابن على في سنـة سبع عشـرة وأربعمائة اجتمـع رأي أهل قرطبـة على رد الامـر الي بنـى أميـة وكان عميدهم (360) في ذلك الوزيـر أبـو الحـزم جهـور بن محمد بن جهـور ، فراسـل أهل الثغـور في ذلـك

(357) «سمويت» في (د) وصحتها من (ج) ص 237.
(358) ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 140 — 143، ابن الخطيب : اعمال الاعلام (الاندلس) ص 136.
(359) «المعتمد» في (د) وصحتها «المعتد» من (ج) ص 237، المقرى : نفح الطيب 1: 301، 432، 438، ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 145.
(360) «عهدهم» في (ج) ص 237.

فاتفقوا عليه بعد مدة فبايعوا لابى بكر وهو بالثغر في حصن البونت (361) عند أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم ، فبقى يتردد في الثغور سنتين وعشرة أشهر وقيل وسبعة أشهر وثارت هناك فتن كثيرة يطول شرحها واضطراب شديد بين الرؤساء بها، الى ان اتفق رأيهم على ان يسير الى قرطبة قصبة الملك فسار اليها ودخلها في يوم منى (*) ثامن (362) ذي الحجة سنة عشرين وأربعمائة ولم يقم الا يسيرا حتى قامت عليه فرقة من الجند فخلع.

قال بعض المؤرخين : كان سبب خلعه ان وزيره ومدبر امره أبا العاصى الحكم بن سعيد كان فاسد الطريقة ولم تكن له سابقة رياسة فكرهه الناس فدسوا عليه في بعض [87] الطرق من قال نصيحه فقربه منه وكان اطروشا فاصغى اليه ليقولها (363) في اذنه عجره (364) عن دابته فقتل وخلع المعتد (365) وخرج الى الثغر لينتزعه من يد المنذر ابن يحيى فمات بلاردة وهي في مملكة سليمن بن هود في يوم الجمعة لاربع بقين من صفر سنة ثمان وعشرين واربعمائة (366) .

قال : وولى قرطبة بعده قريبا (367) من سنة، ثم دعى للمؤيد هشام وذكر انه حى في يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وعشرين،

---

(361) «البويب» فى (د) وهو موضع بالعراق قريب من الكوفة وصحتها «البونت» وهى قرية من اعمال بلنسية من (ج) ص 237، انظر الحميرى : الروض المعطار ص 115 — 116.

* هو موضع بمكة، سميت بذلك لما يمنى فيها من الدماء اى يراق فى موسم الحج.

(362) «يوم الثامن» فى (ج) ص 237.

(363) «ليتولها» زيادة فى (د) ص 237

(364) «فحيدة» فى (ج) ص 238.

(365) «المعتمد» فى (د) وصحتها من (ج) ص 238.

(366) انظر ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 145 — 146. ابن الخطيب : أعمال أعمال الاعلام (الاندلس) ص 147.

(367) وهو أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المعروف بأمية بن العراقى ثم اتفق زعماء قرطبة برئاسة ابا الحزم بن جهور على اسقاط الخلافة الاموية بالاندلس «ونودى فى الاسواق والارباض لايبقى برقطبة أحد من بنى أمية ولا يكنفهم أحد» انظر ابن عذارى : البيان المغرب 3 : 151 — 152.

واربعمائة الى ان أشيع دوت هشام هذا نتغلب على قرطبة أبو الحزم ابن جهور على ما سنورده .

وانقطعت دعوة بنى أمية من سائر البلاد الى هلم.

وكانت مدة ملك بنى أمية ببلاد الاندلس من سنة ثمان وثلثين ومائة والى هذا التاريخ مائتى سنة وتسعين سنة . وعدة من ملك منهم خمسة عشر ملكا وهم عبد الرحمن بن معاوية الداخل، هشام بن عبد الرحمن، الحكم بن هشام المرتضى ، عبد الرحمن بن الحكم ، محمد بن عبد الرحمن الامين ، المنذر بن محمد بن عبد الرحمن ، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن ، هشام المؤيد بالله دفعتين ، محمد ابن هشام بن عبد الجبار [88] المهدي دفعتين ، سليمن بن الحكم بن المستعين بالله دفعتين . ثم انقطعت دعوتهم بقيام العلويين سبع سنين وعادت بقرطبة بامارة المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام ابن عبد الجبار ، ثم المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله، ثم المعتد بالله (368) أبو بكر هشام بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم .

(368) «المعتمد» فى (د) وصححنها من (ج) ص 238.

ذكر أخبار الاندلس ومن ملكها بعد انقطاع الدعوة الاموية

قال : ولما انقطعت دعوة بنى امية بخلع هشام تغلب كل رئيس على بلد واستولى عليها ونحن نذكر ذلك على سبيل الاختصار .

فأما قرطبة فاستولى عليها :

الوزير أبو الحزم جهور بن محمد :

ابن جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر ابن أبى عبيدة (1) .

قال : وكان من وزراء الدولة العامرية قديم الرياسة موصوفا بالدهاء والعقل لم يدخل في شىء من الفتن [89] قبل ذلك فلما خلا له الجو، وامكنته الفرصة وثب عليها فتولى الامر واستقل به ولم ينتقل عن رتبة الوزارة الى الامارة ظاهرا بل دبر تدبيرا حسنا لم يسبق اليه وجعل نفسه ممسكا للموضع الى ان يجىء مستحق يتفق عليه الناس فيسلمه اليه ورتب البوابين والحشم على أبواب تلك القصور على ما كانت عليه أيام الدولة ولم يتحول عن داره اليها وجعل ما يرفع من الاموال السلطانية بأيدي رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم وصير اهل الاسواق جندا وجعل أوراقهم (2) رؤوس اموال يكون بأيديهم يأخذون ربحها خاصة ، ورؤوس الاموال باقية

---

(1) أنظر الاختلافات فى نسبه، ابن عذارى : البيان المغرب ص 3: 185، ابن الخطيب: الاعلام (الاندلس) ص 147.

(2) «أرزاقهم» فى (ج) ص 239، ابن الاثير : الكامل 9 : 285. وأوراق ج الورق وهى الدراهم المضروبة .

يؤخذون ويراعـون في الوقت بعـد الوقت كيف حفظهم لهـا وفـــرق السـلاح عليهم وأمرهم أن يجعلـوه في الدكاكيـن والبيـوت حتـى اذا دهـم أمـر ليـلا أو نهارا كـان سلاح كل واحد معه وكان يشهد الجنائـز ويعـود المرضى وكانت قرطبـة في أيامـة حرما (3) يأمـن فيه كل خائف ولـم تـزل أيامـه على احسـن نظـام وأكمـل اتسـاق الى ان توفـى في صفـر سنـة خمس وثلثيـن واربعمائة وتولـى بعده ابنه محمد (4).

ذكـر ولايـة أبـى الوليـد محمد بن جهـور :

[90] ولـى بعد ابيه فجرى على سنته في تدبير الامور ورعاية قلـوب الرعيـة الى أن مـات وغلب عليهـا الاميـر الملقـب بالمأمون صاحـب طليطلـة الى أن مـات ثم استولى ابـن عبـاد على قرطبة على ما تذكـره ان شـاء اللـه (5) .

أخبار مدينة طليطلة ومن ملكها

بعـد بنى اميـة وكيف كان استيلاء الفرنج عليها ، أول من تغلـب عليهـا بعـد بنى أميـة مع بقائهم بقرطبـة رجل يقـال له ابن يعيـش وذلك ان أهلهـا لما خلعـوا طاعـة بنى أميـة قدموه على انفسهم وولـوه أمرهـم فلـم تطـل مدتـه (6) .

---

(3) «محرما» فى (ج) ص 240.

(4) انظر الحمدى : جذوة المقتبس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ص 28، وروايـة الحميدى بابن الابار : الحلة السيراء 2 : 32 ـ 33، ابن الاثير : الكامل 9 : 284، 285 .

(5) ابـن الاثير : الكامل 9 : 285.

(6) «تطيل» فى (ج) ص 240 وابن يعيش هو يعيش بن محمد بن يعيش أحـد رؤسـاء طليطلة، تمكن فى خلال الفتنة أن يصبح الرئيس الفعلى لها ولكنه لم يستطع الاستمرار فى الحكم اذ اختلف الناس عليه واخرجوه وخاطبوا اسماعيل ابن ذى النون والى مدينـة اقليش وكونكة، فأقبـل بجنده ودخل البلد واستبد بأمره وأعلن انفصاله عن قـرطبـة والجماعة .

Antonio Prileto y Vives :

Los Reyes de taifas. estudio histori conumis màtico de los musulmanes espanoles en elsiglo V. de la hégira (xio de J.c) madrid.1928 P.51 - 52

وصارت رئاسته الى اسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطـرف ابـن ذي النون الهواري فتغلب على طليطلـة ولم تـزل بيده الى ان توفى في سنة خمس وثلثين واربعمائة فقـام بعـده ابنـه (7) .

ذكـر ولايـة المامـون يحيى بن اسمعيـل :

ولـى طليطلـة بعد أبيـه ولما ولى اراد أن يستعين بالفرنج علـى مـا حوله من المدائـن والحصون لينتزعها ممن هى(8) بيده فكتب الـى ملـك من ملوك الفرنج ، كان قريبا منه وبينهما مودة ومراسلة يقال لـه سنشكند وقال له : «اخرج الى في مائة من فرسانك [91] وأتنى في مكان كـذا لاجتمع بك في أمـر لـك فيه راحـة» فخرج اليه سنشكند في ستة آلاف فارس وخرج ابـن ذي النـون في مائة فارس من عسكر طليطلة وكمن الفرنجي اصحابه خلف جبل بالقرب من الموضع ، وقال لهم : «اذا رأيتمونا قد اجتمعنا فاخرجوا الينـا بأجمعكم» ، فلمـا فعلوا ذلك ورأهم المأمون سقـط في يـده وحيل بينه وبين عقلـه فقال له سنشكند : «يـا يحيـى وحق الانجيل ما كنت أظنك الا عاقلا (9) واذ أنك (10) احمق خلق اللـه خرجت الي في هذا العدد القليل وسلمت الى مهجتك بغير عهد كان بينـي وبينك قبل خروجك ولا دين يجمعنا وقد أمكننى الله منك وحق الانجيل لا تجوت منى حتى تعطينى الحصن الفلانـى والحصن الفلانى وسمـى حصونا من حصون المسلمين بين طليطلـة وبينه وتجعل لى مالا في كـل سنـة» فأجابـه يحيى الى ما طلب وسلـم اليـه الحصون ورجع الـى طليطلة شر رجوع وتواتر الخذلان عليه الى ان مات في سنة سبعة (11) وستين وأربعمائة (*) ، وصارت ولايته الى «حفيده وسميه» (**).

(7) أنظر ابن الاثير حيث ترد هذه المعلومات مفصلة بعض الشيء، الكامل 9 : 288
(8) «بنـى اميـة» فى (ج) ص 240.
(9) «غافلا» فى (ج) ص 241.
(10) «واذاك» فى (ج) ص 240 وفى (د) وتصحيحها «واذ انك» حتى يستقيم المعنى.
(11) مابين قوسين زيادة من ابن الخطيب : أعمال الاعلام (الاندلس) ص 178 .
* ولقد حكم يحى بن اسماعيل الملقب بالمامون (435 — 467هـ/1043 — 1075م).
** «ابنة فى د، ج ص241 وصحتها من ابن اخطيب : اعمال الاعلام (الاندلس) ص178

القادر يحيى بن اسماعيل بن المامون يحيى (*) :

فدام بطليطلة الى ان ملكها الفرنج ، قال : ولما ملك امتدت يده الى أموال الرعية واستعمل السفلة وأهل الثغور ولم يزل النصارى تطوي حصونه [92] حصنا بعد حصن حتى استولوا على طليطلة في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بعد ان حاصرها الفنش سبع سنين ، وملكها واتخذها دار ملك وغير جامعها كنيسة ورد المسلمين الى مسجد غيره وعوضهم مالا وقال هذه كنيسة كانت لنا فردها الله علينا وانتقل القادر بالله الى بلنسية فقتله القاضي الاحنف بن جحاف (**) .

ذكر أخبار دولة بنى عباد

وابتدأ أمرهم ومن ملك منهم الى ان انقضت مدتهم وانقرضت دولتهم.

أول من قام منهم القاضي محمد بن اسمعيل بن قريش بن عباد ابن عمرو بن عطاف بن نعيم ، ونعيم وابنه عطاف هما دخلا الى الاندلس من المشرق وهم من لخم من بنى المنذر بن المنذر وفيهم يقول الشاعر :

من بنى المنذرين وهو انتساب زاد في فخره بنوا عباد
فتيه (12) لم تلد سواها المعالى والمعالى قليلة الاولاد

وكان محمد بن اسمعيل هذا قد تقدم باشبيلية الى ان ولى القضاء فأحسن السياسة مع الرعية والملاطفة بهم فرمقته العيون ومالت اليه القلوب ، فلما كان في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، ولى يحيى ابن على الفاطمى قرطبة وكان من أمره وأمر عمه القاسم [93] ما ذكرناه ثم ان اهل قرطبة اخرجوا القاسم بن حمود فقصد مدينة اشبيلية ثم

---

* «القادر بن يحيى» فى د، ج ص 241 وصحتها من ابن خلدون : العبر 4 : 207 ويذكر محمد عبد الله عنان أن الحفيد تولى، ذلك أن هشام ولد المأمون توفى قبل وفاة أبيه أو أنه قد حكم بضعة أشهر فقط ثم توفى، أنظر دول الاسلام ص 106.

** قارن ابن الاثير حيث يلاحظ أنه يخلط بين كل من ولايتى يحيى وحفيده القادر كما تتميز معلوماته بالاختصار الشديد، الكامل : 9 : 288 — 289.

(12) «فئة» فى د وصحتها من ج ص 242 وابن الابار : الحلة السيراء 2 : 35.

فارقها وقصدها (13) يحيى بن على المعتلى ونزل بقرمونة لحصار مدينة اشبيلية وكانت الرئاسة بها بين ثلثة كما ذكرنا ذلك فاجتمع وجوه المدينة وغيبهم حبيب بن عامر القرشي ومحمد بن مريم الاهانى (14)، ومحمد الزبيدي وغيرهم وأتوا الى أبى القاسم محمد بن اسمعيل وقالوا ما ترى ما نحن فيه وما حل بنا من هذا الكافر وما افسد من أموال الناس فقم بنا نخرج اليه ونملكك ونجعل الامر لك وننتصر لهشام ففعل وخرجوا لقتال يحيى بن على المعتلى فركب اليهم وهو سكران فقتل كما قدمناه .

وملك محمد بن اسمعيل اشبيلية ، وقالوا له نخرج الى قرمونة من قبل ان يسبقك اليها اسحق بن عبد الله البرزالى (14 م) فهم محمد بذلك فسبقه اسحق وملكها فكتب محمد الى يحيى بن ذي النون الهواري صاحب طليطلة يقول : «اخرج بعسكرك وابعث الى عسكرا مع قائد من عندك حتى اخرج اسحق بن عبد الله من قرمونة وأنا اعينك على أخذ قرطبة واجعلها لك ملكا فلما وصل كتابه الى المأمون خرج اليه بنفسه في عسكر كبير (15)» فاجتمعا وتولا على قرمونة وحاصراها وأخرجا عنها اسحق وأخذها محمد بن اسمعيل [94] وادخل ولده اليها وسارا الى قرطبة وحاصراها فلما رأي أهلها ما حل بهم كاتبوا محمد ابن اسمعيل وقالوا : «انت أولى من المامون بالبلد واحب الينا منه» فاستوثق منهم ودخلها ليلا ويحيى لا علم له بذلك ، فلما اصبح وعلم الحال رجع بعسكره الى طليطله .

(13) «بعد ذلك» زيادة فى (ج) ص 242.

(14) «يريم الالهانى» فى ج ص 242. انظر ابن بسام : الذخيرة، القسم الثانى، المجلد الاول ص 15، المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص 94 — 95، ابن الابار : الحلة السيراء ج 2 ص 37.

(14م) نسبة الى بنى برزال أو البرازلة احدى بطون زناتة بالمغرب الاوسط «الزاب الاسفل وحينما هاجر الزعيم جعفر بن على بن حمدون الاندلسى من المغرب الى الاندلس، استقدم بنو برزال الى الاندلس فى عهد الخليفة الحكم والمستنصر، وعندما انهارت الدولة الاموية سيطر البرازلة على قرمونة واستجة وتصارعوا مع بنى عباد بأشبيلية. أنظر ابن عذارى البيان المغرب 3 : 267 — 268.

(15) «كثير» فى (ج) ص 243.

وكتب الى ابن عكاشة وهو رجل شجاع كان بيده بعض حصون الاندلس يقطع حوله السبيل ويقتل التجار ويأخذ الاموال وهو يظهر ليحيى طاعة مشوبة بمعصية فأمره ان يجمع اصحابه وعضده بعسكر كثير ووجههم الى قرطبة فتوجهوا اليها وقد فارقهما محمد بن اسمعيل الى اشبيلية ونزل ولده بها فدخلها ابن عكاشة ليلا ودخل القصر وقتل كل من وجد من الحرس وذبح ولد محمد بن اسمعيل بيده ، فلما بلغ ذلك محمد اجمع العساكر وخرج الى قرطبة فحصر ابن عكاشة وضيق عليه فخرج هاربا واستوثق من الرعية وعاد الى اشبيلية فوصل اليها يحيى بن ذي النون وتغلب عليها فدس عليه محمد بن اسمعيل طبيبه فسمه فمات فعندها خلص (16) الامر لمحمد بن اسمعيل وذلك في سنة اربع وعشرين **هكذا نقل عز الدين عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس في كتابه المترجم بالجمع والبيان** ، وذكر أيضا في هذا الكتاب ان يحيى توفى في سنة ستين وأربعمائة [95] وهذا فيه تناف (16م) والله تعالى أعلم

ذكر اخبار خلف الحصري المشبه بالمؤيد هشام :

وقيام دعوته بمملكة محمد بن اسمعيل وما قيل في ذلك، فأما قيام دعوته فان محمد بن اسمعيل لما استولى على الامر في سنه اربع وعشرين وأربعمائة وتعاظم امره حسده أمثاله وكثر الكلام فيه وقالوا قتل «يحيى بن علي الحسني من أهل البيت وقتل (17) يحيى بن ذي النون ظلما واتسع القول فيه فبقي يفكر في ما يفعله فبينما هو كذلك ، اذ جاءه رجل من أهل قرطبة فقال له : «انى رأيت هشاما في قلعة رباح» ، فقال له : «انظر ما تقول» ، فقال : «أي والله رأيته

(16) «خلا» في (ج) ص 243.

(16م) سبق أن اوضحنا في تعليقنا السابق أن التاريخ الذى أورده ابن شداد لوفاة يحيى المأمون غير دقيق وصحته 467هـ انظر ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص 178، ابن خلدون: العبر 4 : ص 207.

(17) ما بين قوسين زيادة من (ج) ص 244.

وهو هشام وبلا شك» وكان عند محمد بن اسمعيل عبد من عبيد هشام يسمى تومرت وهو الدي كان يقوم على رأس هشام فقال له محمد «اذا رأيت مولاك تعرفه» فقال : «نعم ولى فيه علامات» ، فأرسل محمد رجلان من الذين ذكروا ، انهم رأوا هشاما وقال توجها الى قلعة رباح واتيانى بهشام واسرعا فتوجها فوجداه في مسجد في قلعه رباح فدخلا عليه وأعلماه انهما رسولا القاضى محمد بن اسمعيل اليه فسار معهما الى اشبيلية .

فلما دخل على (18) القاضى قام اليه وسلم عليه وأنزله ووكل بخدمته تومرت مولاه فلما رآه تومرت قبل يديه [96] ورجليه ، وقال للقاضى : «هو والله يا مولاي هشام بن الحكم» فعند ذلك قام اليه محمد بن اسمعيل وقبل رأسه ويديه وأمر بنيه فدخلوا عليه وفعلوا كفعله وسلموا عليه بالخلافة وأخرجه محمد ابن اسمعيل في يوم الجمعة الى الجامع بمدينة اشبيلية ومشى هو وبنوه بين يديه رجالة حتى أتى المسجد فخطب الناس وصلى بهم الجمعة وبايعه محمد بن اسمعيل وبنوه وجميع أهل البلد ورجع الى موضعه واتولى محمد بن اسمعيل الخدمة بين يديه وجرى في ذلك على طريقة ابن أبى عامر غير أنه يخرج الى الجمعة والاعياد ويصلى طول مدته ومحمد في رتبة الوزارة آمرا وناهيا عنه واستقام لمحمد اكثر مدن الاندلس ، فهذا كان سبب قيام دعوته (18 م).

وأما ما نقل من اخباره :

فقد ذكرنا في اخبار بنى امية ان المستعين بالله سليمن بن الحكم لما فتح قرطبة المرة الثانية في شوال سنة ثلاث وأربعمائة ، احضره ووبخه

(18) «الى» فى (ج) ص 244 .
(18م) يفطن النويرى هنا الى لجوء ابن عباد لاستغلال شبيه الخليفة المؤيد الاموى فى عامة أهل قرطبة من جهة واعتماده على سند شرعى فى صراعه مع غيره من ملوك الطوائف، انظر ابن بسام : الذخيرة، القسم 2 المجلد 1 ص 17 — 18 وابن عذارى : البيان المغرب 3 : 198، ابن الخطيب : أعمال الاعلام (الاندلس) ص 179.

وان المؤيد فقد لخمس خلون من شوال وذكرنا أيضا ان الناصر على ابن حمود الفاطمى لما ملك قرطبة احضر المستعين وسأله بحضرة الفقهاء والوزراء عن المؤيد هشام ، فقال مات، فألزمه ان يريه قبره، فاخرجه دفينا لا اثر فيه فأمر الناصر [97] بتكفينه ودفنه في الروضة.

وقيل بل هرب بنفسه الى المشرق مستخفيا حتى وصل الى مكة شرفها الله وكان معه كيس فيه جوهر وياقوت ونفقة فشعر به حرابة مكة فأخذوه منه فمال الى جهة من الحرم وأقام يومين ، لم يطعم طعاما فمضى الى المروة .اتاه رجل ، فقال له تحسن عمل الطين، قال نعم فمضا به الى تراب ليعجنه ووافقه على درهم وقرصة ، فقال له عجل القرصة فانى جائع فأتاه بها فأكلها ثم عمد الى التراب فكان مرة يعجن ومرة يجلس فلما طال عليه ذلك تركه ومضى هاربا على وجهه .

وخرج مع القافلة الى الشام على اسوا حال فوصل الى البيت المقدس فمشا في السوق فرأى رجلا يعمل الحصر الحلفا فنظر اليه فقال له الحصري كانك تحسن هذه الصناعة، قال لا، قال فتقيم عندي تناولني الحلفا واجعل لك أجرة على ذلك، قال افعل، فأقام عنده يناوله ويعاونه على ما يأمره من أمور صناعته فتعلم هشام صناعة الحصر فصار يعملها ويتقوت منها وأقام بالبيت المقدس اعواما كثيرة لم يعلم به احد ثم رجع الى الاندلس في سنة اربع وعشرين واربعمائة هكذا روي جماعة من مشايخ الاندلس.

[98] **وقال الامام الحافظ أبو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم في كتابه المسمى نقط العروس** : في هذه الحكاية اخلوقة لم تقع في الدهر مثلها وانما ظهر رجل يقال له خلف الحصري بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم بن المؤيد وادعى انه هشام وبويع له وخطب له على جميع منابر الاندلس في أوقات شتى وسفك الدماء

وتصادمت الجيوش في امره، وعدل ابو محمد ابن حزم : ومصيحة لم يقع في الدهر مثلها اربعة رجال في مسافة ثلاثة ايام في مثلها يسمى كل واحد منهم بأمير المؤمنين ويخطب لهم في زمن واحد احدهم خلف الحصري المذكور باشبيليه على أنه هشام بن الحكم المؤيد . والثانى محمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء ، والثالث محمد بن ادريس ابن على بن حمود بمدينة مالقة ، والرابع ادريس بن يحيى بن على بببشتر (19) . وأقام المدعى أنه هشام بن الحكم نيفا وعشرين سنة والقاضى محمد بن اسمعيل في رتبة الوزير بين يديه والامر اليه وقد استقام لمحمد أكثر بلاد الاندلس ودفع به كلام الحساد وأهل العناد الى أن اتوفى هشام المذكور ، فاستبد القاضى بالامر بعدد مدة وملك اكثر مدن الاندلس وحصونها ولم ينتقل عن مدينة اشبيلية بل جعلها دار ملكه واستقامت له [99] الامور واطاعته المدن والثغور واجتهد في جهاد الفرنج ، وكان له في ذلك المقام المشهور ومات محمد في عشر الخمسين واربع مائة (19 م) وولى بعده ابنه عباد.

ذكر ولاية أبى عمرو عباد بن محمد :

وتولى بعد أبيه وتلقب بالمعتضد بالله ، وكان فيه كرم وبأس فطابت أيامه وحسنت افعاله واستقامت له الاحوال ودفعت له من بلاد الاندلس الاموال .

قال : واتفق له واقعة غريبة في سنة سبع وأربعين وأربعمائة وهى انه شرب ليلة مع رجاله وندمائه فلما عمات فيه الخمر

(19) «بسنترين» فى (د)، «بسبتة» فى (ج) ص 246 ولكن ابن حزم فى نقط العروس يذكر انها «ببشتر» نظر مجلة كلية الاداب، ديسمبر 1951 ص 83، 84، ابن الخطيب: اعمال الاعلام (الاندلس) ص 143، محمد عبد الله عنان : دولة الطوائف ص 38.

(19م) تتفق بعض المصادر على أن وفاة القاضى محمد بن اسماعيل فى سنة 433هـ مما يوضح عدم دقة تاريخ النويرى أنظر ابن الابار : الحلة السيراء 2 : 41، ابن خلدون : العبر 4 : 200. ابن الاثير : الكامل 9 : 286 بينما يحدد البعض الاخر تواريخ أخرى فالحميدى القريب من الاحداث فى 430هـ وابن عذارى فى 431هـ، أنظر جذوة المقتبس ص 81 والبيان المغرب 3 : 203.

صرفهم وخرج في الليل ومعه رجل واحد من عبيده وسار نحو قرمونة وهى عن مدينة اشبيلية ثمانية عشر ميلا وكان صاحب قرمونة اسحق ابن سليمن البرزالى ، وقد جرت بينه وبينه حرب فسار عباد حتى أتى قرمونة وكان اسحق تلك الليلة في جماعة من أهل بيته يشربون فدخل عليه بعض خدامه فقال : ان صاحب الحرس ذكر ان المعتضد عباد قائم على باب المدينة ليس معه الا رجل واحد وهو يستاذن عليك فعجب القوم من ذلك غاية العجب وخرج اسحق ومن معه الى باب المدينة فسلم على عباد وأدخله الى القصر وأمر بتجديد [100] الطعام والشراب .

فلما شرع عباد في الاكل تذكر ما فعل فسقط من يده ولم يطق ان يسغه وندم على ما فعل لما يعلم بينه وبين بنى برزال من الحرب وسفك الدماء ماظهر التجلد والانشراح ثم قال لاسحق أريد أن أنام فرفعه على الفراش فأراهم عباد انه نائم فقال بعض القوم لبعض هذا كبش سمين حصل لكم والله لو انفقتم عليه ملك الاندلس ما قدرتم على حصوله في أيديكم وهو شيطان الاندلس واذا منه خلصت لكم البلاد فقام معاذ بن قرة وكان من كبرائهم فقال والله لا فعلنا هذا ولا رضينا به ، رجل قصدنا ونزل بنا ولو علم انا نرضى فيه بقبيح لما اتانا مستأمنا الينا كيف تتحدث القبائل عنا أننا قتلنا ضيفنا وخفرنا ذمتنا نعلى من يرضى هذا لعنه الله وهو يسمع منزل عن السرير فقام القوم باجمعهم فقبلوا رأسه وجددوا السلام عليه، فقال لحاجبه أين نحن ، قال في منزلك وبين أهلك واخوانك ، فقال : ايتونى بدواة وقرطاس ، فأتوه بهما فكتب أسماء القوم وكتب لكل واحد بخلعة ودنانير وافراش وعبيد وجواري وأمر أن يرسل كل واحد منهم رسولا ليقبض ذلك ثم ركب وخرج القوم يشيعونه الى قرب لشبيلية فصرفهم ودخل وأرسلوا من قبض لهم ما [101] كتب به.

ثم أغفلهم ستة اشهر وكتب اليهم يستدعيهم لوليمة، فجاءه ستون رجلا منهم فأنزلهم عند رجاله وأنزل معاذا عنده وأمر بهم فأدخلوا حماما وبني عليهم بابه فماتوا جميعا (*) فعز ذلك على معاذ بن أبى قرة فقال له عباد : لا ترع فانهم قد حضرت آجالهم وقد أرادوا قتلي ولولاك ما كنت ناجيا منهم وانما جعل الله صيانة دمى بك فان اردت أن أقاسمك في جميع ما أنا فيه فعلت وان احببت الرجوع الى بلدك رددتك على اجمل الوجوه واسرها واحسنها» فقال له معاذ : «بأي وجه ارجع أنا دونهم» فأمر له المعتضد بألف دينار وعشرة افراس وثلاثين جارية وعشرة اعبد وأنزله في قصر من اعظم قصوره واقطعه في كل عام اثنى عشر الف دينار ، وكان ينفذ اليه في كل يوم الاتحف والطرف ولم يكن يحضر مجلسه أحد قبله الى ان مات عباد فأوصى ولده بمعاذ وقال، يا بنى : «احفظنى فيه» فجرى فيه على عادة ابيه ودام باشبيلية حتى انقرضت دولة بنى عباد .

قال بعض أهل اشبيلية رأيت معاذ ابن أبى قرة يوم دخل يوسف بن تاشفين اشبيلية أول النهار وعليه ثوب ديباج مخرطم بالذهب وأمامه نحو [102] من ثلاثين عبدا ورأيته آخر النهار وعليه تليس مشتمل به فسبحان من لا يزول ملكه ، نسأل الله تعالى أن لا يسلبنا ثوب نعمة انعمها علينا بمنه وكرمه .

وفي أيام عباد توفى الامام الحافظ أبو محمد على ابن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن سعدان ابن سفيان بن يزيد الفارسى مولى يزيد بن أبى سفيان ابن حرب بن أمية . اصل ابائه من قرية منت ليشم من

(*) قارن ابن خلدون : العبر 4 : 202، ابن الخطيب : اعمال الاعلام (الاندلس) ص 156.

عمل ولبه (20) من كور غرب الاندلس، وسكن هو وأباؤه قرطبه، ونالوا بها جاها عريضا ومالا ممدودا وولى ابن أبى عامر جده سعيدا الوزارة وولى أبو محمد على هذا الوزارة في أيام المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار الاموي ، وكان مولده يوم الاربعاء سلخ شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، ووفاته في سلخ شعبان سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، فكانت مدة حياته اثنتين وسبعين سنة واحد عشر شهرا وله كثير من المصنفات، ذكر انه اجتمع مع الامام ابى الوليد سليمان بن خلف بن سعيد ابن ايوب الباجى صاحب التواليف (21) وقيل بل الفقيه ابراهيم الخفاجى فجرت بينهما مناظرة فلما انقضت قال الفقيه أبو الوليد تعذرنى فان اكثر مطالعاتى كانت على سرج الحراس [103] فقال له ابن حرم وتعذرنى فان اكثر مطالعتى كانت على منابر الذهب والفضة (21 م) .

وفي سنة ستين وأربعمائة توفى المعتضد بالله عباد بن محمد وحكى انه استحضر مغنيا يغنيه ليجعل أول ما يبدأ به فالا فكان أول شعر قاله .

نطوى الليالى علما ان ستطوينا　　فشعشعيها بماء المزن واسقينا

فمات بعد خمسة أيام رحمه الله تعالى ، ولما مات ولى بعده ابنه محمد.

---

(20) «الوليمة» فى (د) وفى (ج) ص 248 وصححتها من جالنثيا : الفكر الاندلسى ص 216 ويذكر آسين بلاثيوس الذى عنى بدراسة ابن حزم القرطبى واثاره أن منت لشم، هى بلدة على مقربة من ولبة ربما كانت قرية كازا مونتيخا Casa montija الحاليه انظر . Asim : Abenhazam.., 1, P. 28-29 et notes

(21) هو ابو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبى الباجى (402 ـ 473هـ/1012 ـ 1081م) اصله من بطليوس وانتقل جده الى باجة قرب اشبيلية. من أكبر أعلام المالكية فى الاندلس. رحل الى المشرق لطلب العلم وعاد الى الاندلس وجلس للاقراء بسرقسطة وبلنسية ومرسية ودانية. ومؤلفاته تكاد تكون كلها فى الفقه والقرآن، وخاصة فى أصول الاحكام وشرح الموطأ. بيد أن كتبه لم تطر بذكره كما طارت به مساجلاته ومجادلاته مع ابن حزم حينما عمل على التقريب بين أمراء الطوائف وتوحيد كلمتهم، ومحاولته تدارك الشر الذى قد ينتج عن اجتهاد ابن حزم فى نشر مذهبه الظاهرى، وكان الفقهاء يعتبرون هذا المذهب بدعة وضلالة أنظر: بالنثيا : الفكر الاندلسى ص 424 ـ 426. Asim Palacios : Abenhazam p. 257

(21م) قارن ترجمة ابن حزم الظاهرى فى الحميدى : جذوة المقتبس رقم 207 ص 114 ـ 116، المقرى : نفح الطيب (محمد محمد الدين عبد الحميد) 2 : 283 ـ 289، بالنثيا: الفكر الاندلسى ص 213 ـ 216.

ذكــر ولايــه المعتمـد على اللــه محمـد بن عبــاد :

ابن محمد بن اسمعيل بن قريــش بن عبــاد وكنيته ابــو القاسم، ولــى بعد وفــاه ابيه في سنه ستين واربعمائه وقيل في سنــة احــــدى وستين وكان مولــده بباجــة سنة احدى وثلثين وأربعمائة . فكان عمــره حين ولــى ثلاثيــن سنة وكان فيه أدب وكــرم وتواضــع وشجاعة ، وله شعــر . قــال **أبو بكر محمد بــن عيسى المعروف بابــن اللبانة** (22) **كاتبــه يصف الدولــة العباديــة** : كانت الدولة العبادية تشبه العباسيــة بهــاء وسعة ملــك ووثــاق عهــد وانتظام عقد وعــدل ائمة واعتــدال أمة، كان أربابها يتنافسون في المكارم ويتغايرون على الشرف المتقادم.

من حليــه السبق لا بــرق يخاطفها الى مداهــا ولا ريــح يجاريهـــــا
[104] **تردهم نسبة نحو السماء فهم من مائهــا وعلاهــم من دراريهـــــا**

يشير الى المنذر بن ماء السماء ، ثم قال : جمعوا كــرم الاخـــلاق الى شرف الاعراق ، وحملوا حلــى الاداب على الاحساب ، وعضدوا الناس بالكــرم وأيــدوا بالسيف والقلــم .

نفــر الى مــاء السماء نمــاهـــم نســب على أوج النجــوم مخيــم
بالبيض والبيضات والخلق اكتسوا فتــوشحــوا وتتوجــوا وتعممـــوا

وكان بهذا البيت سريرة الفلك الدائر وغريبة البحــر الزاخر المعتمد على الله المؤيد بنصر الله أبو القاسم محمد وذكر نسبه ، ثم قال : من بنــى المنذرين وهو انتســاب البيتين، وقد ذكرناهما آنفا ، وقــــال . تلوها (23) وكذلك يطــرد النسب اطراد الشبابيب وينتســق اتســــاق الانابيب فهــو كما قيــل :

شرف تنقل كابــر عــن كابـــــر كالرمــح انبــوب علــى انبـــوب

---

(22) هــو أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني المشهور بابن اللبانة، شاعر بني العباد، الذى يعتبر مثلا فى الوفــاء واخلاص الود، فقــد اقام الى جانب المعتمــد يؤنســه فى مجلسه، كمــا عنى ابن اللبـــانة بجمع أشعـــارهم، ولذلك نجــد أن معظــم الروايات التى تدور: حول بني العباد، ابن اللبـــانة، عامل مشترك فيها. أنظر بالنثيا : الفكــر الاندلسى ص 96، 240.

(23) «يتلوها» فى (ج) ص 250.

الى مركزه الدائـر من لخم وواسطة المنتحبين من يعرب وقحطان، ثم ذكـر مولـده وولايته على ما قدمناه ، وذكر خلعه في سنة اربع وثمانيـن واربعمائة على ما نذكـره ان شـاء الله تعالـى .

وكان سبب خلعه وانقـراض دولته ان الفرنج لعنهم الله لمـا استولوا على طليطلة وملكها الاذفونش (24) وهو الفنـش في سنة [105] ثمـان وسبعين وأربع مائة على ما قدمناه وكان المعتمد يؤدي اليه ضريبة في كل سنة فلما سيرها اليه بعد استيلائه على طليطلة لم يقبلها واعـادهـا وأرسل اليه يتوعـده ويقـول له أنـا آخذ مدينة قرطبة كما أخذت طليطلة الا أن ترفـع يدك عن جميـع الحصـون وتسلمهـا الينا ويكون لك السهل من البـلاد وكان الرسول شلبيب اليهودي ومعه خمس مائة فارس وطلب منه اثنى عشر الف دينار (24 م) فأمر المعتمد بانزال الخيالة على أهـل العسكـر متفرقين .

وأمـر كـل مـن عنـده فـارس منهم ان يقتلـه ولمـا جـن الليـل احضـر اليهودي وكشف رأسه وأمـر بضربه بالنعـال المسمـرة حتى خرجت عيناه من رأسه وهرب من الخيالة ثلثـة فوصلوا الى الاذفونش وأعلمـوه بقتل اصحابه ، وكان متوجها الى قرطبـة يريد حصارهـا فلمـا جاءه الخبر رجع الى طليطلـة ليستعد ويهيىء آلات الحصار (25) ، فلما سمع المعتمد برحيله الى طليطلـة سـار هـو الى اشبيلية فبلغ مشايخ قرطبـة ما جـرا فاجتمعوا بالفقهـاء وقالوا هـذه مدايـن الاندلس قـد غلب عليهـا الفرنج ولم يبـق منها الا القليـل وان واستمرت الاحـوال على ما نـرى صارت (26) نصرانية كما كانـت .

---

(24) هو الفونس السادس ملك قشتالة

(24م) يروى صاحب الحلل الموشية أن سبب ايقاع المعتمد برسول الفونسو السـادس اليهودى ويسميه ابن شالب أن اليهودى أساء الادب وزاد في كلامه ونقص عند استلامه للجزية المفروضة على اشبيلية بحجة انها مغشوشة العيار. انظر الحلل الموشية ص 41 — 42.

(25) قارن ابن الاثير : الكامل 10 : 142 — 143 ولاحظ رغم تطابق الروايات مع النويرى الا أن النويرى يضيف بعض المعلومات الهامة مثل قيمة الجزية واسم الرسول.

(26) «عادت» في (ج) ص251.

ثم ساروا الى القاضي عبد الله بن محمد بن ادهم، فقالوا له الا تنظر الى ما فيه [106] المسلمون من الصغار والذلة وأعطائهم الجزية الى الفرنج بعد أن كانوا يأخذونها منهم وابن عباد هو الذي حمل الفرنج على المسلمين حتى خرج عليه ما جرى وطلب عنه ما طلب وقد دبرنا رأيا نعرضه عليك، قال . وما هو : قالوا : نكتب الى عرب افريقية ونعلمهم انهم ان وصلوا الينا قاسمناهم في أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله تعالى ، قال : أخاف ان يخربوا الاندلس كما فعلوا بافريقية ويتركون الفرنج ويبدؤون بكم والمرابطون اقرب الينا وأصلح حالا ، قالوا : فكاتب يوسف ابن تاشفين وارغب اليه ان يدخل الينا بنفسه أو يرسل الينا قائد من قواده، قال : أما الآن فقد اشرتم برأي فيه السداد.

وقدم المعتمد الى قرطبة في اثر ذلك فدخل عليه القاضي واعلمه بما دار بينه وبين أهل قرطبة وما انفقوا عليه، فقال المعتمد : نعم ما اشاروا به وأنت رسولي اليه فامتنع القاضي واستعفاه وانما أراد ان يقوي عزمه على ارساله فقال لا أجد لها غيرك ، فسار القاضي وصحبته ابوبكر ابن القصيرة الكاتب الى أمير المسلمين فوجداه بسبتة فأبلغاه الرسالة وأعلماه بحال المسلمين وما هم عليه من الخوف والجزع من الاذفونش وانهم يستنصرون بالله ثم به وان المعتمد يستنجد عليه فأمر يوسف في [107] الحال بادخال العساكر الى الجزيرة الخضراء وأقام بسبتة وأنفذ الى مراكش في طلب من بقي ودخل في آخر العساكر (26 م). هذا ما نقله أهل التاريخ ان القاضي وابن القصيرة كانا رسله اليه .

وقيل : ان المعتمد بن عباد سار اليه بنفسه بغير واسطه وتلطف في الدخول عليه الى ان انتهى الى آخر بواب فقال له : قل لامير المسلمين

(26م) لاحظ التطابق مع ابن الاثير : الكامل 10 : 151 — 152 وقارن السلاوي : الاستقصا 2 : 37.

ان ابـن عبـاد بالبـاب فلما أعلمـه بذلك ارتـاع وظن انه قـدم بعساكره وسألـه عن حقيقـة الحـال فقـال هو ببابك وحده فأذن لـه فدخل عليـه فأكرمه ووعده النصرة وعاد ابن عبـاد ولحقه امير المسلمين (27) .

ذكـر وقعـة الزلاقـة وانهـزام الفرنـج لعنهـم الله :

قـال : وجمع المعتمد العساكر وأقبـل امير المسلمين بعساكـره واجتمعوا كلهم باشبيلية وخرج من أهل قرطبة من المتطوعين أربعة آلاف فـارس وراجل وجـاء المسلمون من جميع بـلاد الاندلس من كل بلـد وحصن واتصلت الاخبار بالادفونش فخرج من طليطلـة في أربعين ألـف فارس غير من انضاف اليها وكتب الي يوسف كتابا كتبه عنه رجل من أدباء المسلمين يغلظ فيه القول ويصف ما [108] عنده من القوة والعدد (28) ووسع وأطـال وبالغ ، فوصل الكتاب الى يوسف بن تاشفين ، فأمر الكاتب أبـا بكـر بن القصيـرة أن يجاوبه وكان كاتبا مجيدا (29) فكتب وأطـال وبالـغ، فلما قـرأه على يوسف استطاله وكتب على ظهر كتابه «الـذي يكـون ستـراه» .

ولا كتب الا المشرفيـة والقنـا ولا رسـل الا الخميـس العرمـرم

ورده اليـه فلما قـرأ الجواب ارتـاع ، وقال : هذا رجل له عزم ، قـال : ولما استعد الادفونش للقـاء رأى في منامـه كأنه راكب فيـلا وبين يديـه طبـل صغير ينقـر فيه فقص ذلك على القسيسين فلم يعرفوا تأويله فاستحضـر رجلا مسلمـا عالمـا دينا فاستعفـاه من القول فأمنه وعـزم عليـه فقـال تأويـل هذه الرؤيـا في آيتين من كتـاب الله عـز وجل وقرأ سـورة الفيـل وقوله تعالى «**فـاذا نقـر في النـاقـور فذلك يومئذ يـوم عسير على الكافرين غير يسير**» (30) وذلك يقتضى هلاك الجيش الـذي

(27) قارن رواية ابن ابى زرع : الانيس المطرب ص 144 — 145، الحلل الموشيـة ص 44 — 45.
(28) كرر الناسخ كلمة العدد فى (د).
(29) «يجيده» فى (د) وصححتها من (ج) ص 252.
(30) القرآن الكريم : سورة المدثر رقم 74 : ايات 8، 9، 10.

تجمعه فلما اجتمع جيشه وعباه اعجبته كثرته فاستحضر المعبر وقال له : هذا الجيش الذي ترى الفى به محمدا صاحب كتابكم فانصرف المعبر عنه وقال : هذا الملك هالك لا محالة وكل من معه فانه قد اعجب بجمعه وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم «ثلاث مهلكات : [109] شح مطاع، وهوى متبع، واعجاب لمرء بنفسه» (31) .

قال وعاد المعتمد بن عباد وأمير المسلمين بالعساكر حتى التقوا موضعا يقال له الزلاقة من بلد بطليوس وأتى الاذفونش فنزل موضعا بينه وبينهم ثمانية عشر ميلا فقيل ليوسف بن تاشفين ان ابن عباد ربما لم ينصح ولا يبذل نفسه دونك فأرسل يقول له كن في المقدمة ونكون نحن في اثرك فتقدم ابن عباد .

وضرب الاذفونش خيامه في سفح جبل والمعتمد بن عباد في سفح جبل آخر بحيث يتراءون ونزل يوسف بن تاشفين في جبل من وراء الجبل الذي فه المعتمد وظن الاذفونش ان عسكر المسلمين ليس الا ذاك الذي يظهر له مع المعتمد، والاذفونش في (32) زهاء خمسين الف فارس فما شك انه الغالب، واستعمل الخدعة وراسل ابن عباد في ميقات اللقاء يوم الخميس ، وقال نحن قد وصلنا على حال تعب وأمامكم الجمعة وأمامنا الاحد فيكون اللقاء يوم الاثنين بعد أهبة فاستقر الامر بينهم على ذلك.

ثم ركب الاذفونش صبيحة الجمعة ليلا وصبح بجيشه جيش المعتمد فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون وقتل منهم خلق كثير وأشرفوا على الانهزام وقد كان المعتمد ارسل الى ابن تاشفين فقال للادلة احملونى الى مضارب الاذفونش [110] فما شعر الفرنج الا وقد نهبت خيامهم وخزائن

(31) ابن حمدون : التذكرة الحمدونية 1 : 46، السيوطى : الجامع الصغير 1 : 138، العجلونى : كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس 1 : 386، الزرقانى : مختصر المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة ص 255.

(32) «ان عسكر» فى د وصححتها من ج ص 253.

الاذفونش وعدده والقتل يعمل فيهم من وراء ظهورهم فلم يتمالك الفرنج ان انهزموا وأخذهم السيف من كل مكان فقتلوا عن آخرهم فما سلم الا آحاد وهرب الاذفونش في نفر يسير ودخل طليطلة في سبعة نوارس ولم يرجع من الفرنج الى بلادهم غير ثلثمائة نفس أكثرهم رجالة.

وكانت هذه الوقعة في يوم الجمعه في العشر الاول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين وأربع مائة وأصاب المعتمد جراح في وجهه ووصف في ذلك اليوم بالشجاعة وغنم المسلمون من أموال الفرنج واسلحتهم ودوابهم ما لا يحصى كثرة وجعل المسلمون رؤوس القتلى كوما كبيرا وصعدوا عليه وأذنوا الى أن جافت فأحرقوها (32 م).

وعاد المعتمد الى اشبيلية ورجع أمير المسلمين الى الجزيرة الخضراء وعدى الى سبتة وسار الى مراكش وعاد في السنة الثانية الى جزيرة الاندلس وحاصر ليطة (33) هو وابن عباد وصاحب غرناطة فلم يتهيأ لهم فتحه فرجع وأخذ غرناطة من صاحبها عبد الله بن بلكين (33م)، وهى أول ما ملك من بلاد الاندلس على ما نذكره ان شاء الله تعالى.

ذكر انقراض الدولة العباديه [111] وشيء من أخبار المعتمد وشعره :

وفي سنة أربع وثمانين وأربعمائة أتى يوسف بن تاشفين الى سبتة وادخل العساكر الى الاندلس مع سير بن أبى بكر فقصدوا مدينة اشبيلية فحصروا المعتمد وضيقوا عليه فقاتل قتالا شديدا وظهر من

(32م) لاحظ التطابق مع ابن الاثير : الكامل 10 : 152 — 154 وقارن التفصيلات بابن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ص 146 — 149.

(33) يقرأ ليطة وليط أو البيط Aledo وهو حصن يقع بين لورقة ومرسية ويروى ان يوسف بن تاشفين فى عبوره الثانى الى الاندلس أراد غزو طليطلة واستردادها وكان هذا الحصن يقع فى الطريق وبه حامية من الف فارس واثنى عشر الف مقاتل، تهدد أمن نواحى مرسية ولورقة والمرية، وكاد يوسف أن يستولى عليه لولا خلافات ملوك الطوائف انظر الانيس المطرب 152 — 153، الحلل الموشية 68 — 70.

(33م) قارن ابن الاثير : الكامل 10 : 154 — 155.

شجاعته وشدة بأسه وحسن دفاعه عن بلده ما لم يشاهد من غيره فسمع الفرنج بقصد عساكر المرابطين بلاد الاندلس فخافوا ان يملكوها ثم يقصدوا بلادهم فجمعوا وأكثروا وساروا لمساعدة المعتمد واعانته على المرابطين ، فلما سمع سير خبرهم فارق اشبيلية وتوجه الى لقاء الفرنج وقاتلهم وهزمهم ورجع الى اشبيلية وداوم الحصار والقتال الى العشر من شهر رجب من السنة فعظم الخطب واشتد الامر على أهل البلد ودخله المرابطون من واديه ونهبوا الاموال ولم يبقوا على شيء حتى سلبوا الناس ثيابهم وخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم بأيديهم وأسر المعتمد ومعه أولاده الذكور والاناث بعد ان استأصلوا جميع أموالهم وقيل ان المعتمد سلم البلد بأمان وكتب نسخة الامان والعهد واستخلفهم على نفسه وأهله وماله وعبيده وجميع ما يتعلق به فلما سلم اليهم [112] اشبيلية لم يفوا له وسير المعتمد وأهله الى مدينة اغمات (34) فحبسوا بها وفعل بهم امير المسلمين افعالا قبيحة لم يفعلها أحد من قبله وذلك انه سجنهم ولم يجر عليهم ما يقوم بهم حتى كان بنات المعتمد يغزلن للناس باجره ينفقونها على انفسهن فأبان أمير المؤمنين في ذلك عن لوم وطباع وضيق نفس (35) .

---

(34) اغمات. تقع قرب وادى درعة بالقرب من مراكش وهى مدينتان احداهما تسمى اغمات وريكة والاخرى اغمات هيلانة (ايلان) وبينهما نحو ثمانية أميال، وبأغمات وريكة تسكن الاعيان وبها ينزل التجار لانها كانت دار التجهز للصحراء. ويسكنها يهود تلك البلاد ، وكان على بن يوسف منع اليهود من سكنى مراكش فلا يدخلها احد منهم الا نهارا ثم ينصرفون فى العشية وليس دخولهم اياها الا لاموره وما يختص به، ومتى عثر على أحد منهم بات بها استبيح ماله ودمه.

اما اغمات وريكة فاهلها تجار مياسير يدخلون بلاد السودان بقناطر الاموال من النحاس الملون والاكسية وثياب الصوف والعمائم وصنوف النظم من الزجاج والاصداف والاحجار وضروب الافاوية والعطر وآلات الحديد المصنوع. ولم يكن ف دولة الملثمين اكثر اموالا منهم. انظر الادريسى ص 66 — 67 والاستبصار ص 207، الحميرى ص 46.

(35) لاحظ التطابق مع رواية ابن الاثير : الكامل 10 : 189 — 190، وقارن ماورد بالحلل الموشية ص 72، الانيس المطرب ص 154 — 155. وراجع الدراسة الخاصة بالعلاقة بين يوسف بن تاشفين والمعتمد لعبد الله بن كنون : النبوغ المغربى 1 : 69 وما بعدها.

قال وبقى المعتمد في حبسه بأغمات الى سنة ثمانين وأربعمائة فتوفى فيها وقبر بأغمات .

فكان من ولى من بنى عباد ثلاثة : القاضى محمد بن اسمعيل وابنه عباد ومحمد بن عباد هذا ومدة ملكهم ستون سنة ، وكان له من الاولاد الذكور والاناث عددا كبيرا يقال انهم قاربوا المائة .

وكان رحمه الله تعالى من محاسن الزمان كرما وعلما ورياسة ، واخباره مشهورة واثارة مدونة وقد **ذكره ابن خاقان** (35م) **في قلائد العقيان(*) وذكر** شيئا من نظمه ونثره ، وكان شاعره أبو بكر محمد بن عيسى المعروف بابن اللبانة يأتيه في سجنه فيمتدحه لاحسانه القديم اليه وبره الذي بقيت اثاره مع طول الزمن عليه.

قال ابن اللبانة : فأمضيت عزيمتى بعد انقضاء الدولة في زيارته فوصلت اليه باغمات فقلت [113] في ذلك أبياتا عند دخولى عليه (36).

لم اقل في الثقاف كان ثقافا كنت قلبا له (37) وكان شغافا
يمكث الزهر في الكمام ولكن بعد مكث الكمام يدنوا قطافا
واذا ما الهلال غاب بغيم لم يكن ذلك المغيب انكسافا
انما انت درة للمعالى ركب الدهر فوقها اصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما مثل ما تحجب الدنان السلافا
انت للفضل كعبة ولو أنى كنت أسطيع لالتزمت الطوافا

(35م) ابن خاقان : هو ابو نصر الفتح محمد بن عبيد الله القيسى، اصله من صخرة الولد، قرية على مقربة من قلعة يحصب من أعمال غرناطة. كانت حياته اضطرابا متصلا، الى أن قتل فى فندق بأحد دروب مراكش فى 529هـ/1134م بنساء على ايعاز على ابن يوسف ابن تاشفين حسب رواية البعض أو نفرا من أهل حاشيه على هم الذين دبروا قتله، لما آلمهم من نقده حسب رواية البعض الاخر. واهم مؤلفاته «مطمح الانفس ومسرح التأنس» وقد قصره على اعيان الاندلس وذوى السماحة والظرف من اهله والثانى «قلائد العقيان ومحاسن الاعيان» فهو تكرار للمطمح فى بعض اجزائه وهو يتناول محاسن الرؤساء وابنائهم، غرر حليه الوزراء، ولمع اعيان القضاة، وبدائع نبهاء الادباء. وهدف ابن خاقان هو ايراد ما قالوه من النثر الرصين والشعر البديع، دون أن يقصد ايراد سير حياتهم، ولهذا تراجمه ناقصة. واذا كانت قيمة كتاباته التاريخيه قليلة، فان قيمتها الادبية عظيمة. انظر بالنثيا : الفكر الاندلسى ص 296 — 298.

* راجع ترجمة المعتمد محمد بن عباد فى الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ص 4 — 35 (طبعة تونس 1966) .

(36) «اليه» فى (ج) ص 255.

(37) «به» فى (ج) ص 255.

قال : وخرج بيني وبينه مخاطبات الذ من غفلات الرقيب وأشهى من رشفات الحبيب وأدل على السماح من فجر على صباح (37م) قال : فلما قاربت الصدر وازمعت السفر صرف حيله واستنفذ ما قبلـه وبعـث الى شرف الدولة ابنه (38) ركان من (39) أحسن الناس سمتا وأكثرهـم صمتـا تخجله اللفـظ وتجرحه اللحظ حريصا على طلـب الادب مسارعا في اقتنـاء الكتـب مثابـرا على نسـخ الدواويـن مفتـح من خطه فيها زهـر البساتين (40) بعشرين منقـالا مرابطيه وثوبين غير مخيطين وكتب مع ذلـك أبياتـا منهـا :

اليـك النـزر من كـف الاسيـــر وان تقنـــع (41) تكن عين الشكور

[114] تقبل ما يذوب به (42) حياء وان عذرتـــه حـــالات الفقيــر

قـال ابـن اللبانـة فأجبتـه :

حاش الله ان أجيح كـريمـــا يتشكـى فقـرا وكـم سـد فقــرا

وكفانـى كلامـك الرطـب نيـــلا كيـف القـى درا واطلـب تبـــرا

لـم تمـت انما المكـارم مـاتـــت لا سقى الله بعدك الارض (43) قطرا

ومما قاله المعتمد من شعره في مدة أسـره ، فمن ذلك قوله :

سلت على يد الخطـوب سيوفهـــا فجردن من جسدي الخصيف الامتنـا

ضربت بها ايدي الصروف (44) وانما ضربت رقاب الامنين (45) بها المنا

يا آملى العـادات مـن نفحاتنـــا كفـوا فـان الدهـر كـف اكفنـــا

(37م) قارن التطابق مع ابن الاثير : الكامل 10 : 191.

(38) «ولده» فى (ج) ص 256.

(39) «وهذا من بنيه» فى (ج) ص 256.

(40) «الرياحين» فى (ج) ص 256.

(41) «تقبل» فى (ج) ص 256.

(42) «لـه» فى (ج) ص 256.

(43) «الارض بعدك» فى (ج) ص 256.

(44) «الخطوب» فى (ج) ص 527.

(45) «الاملين» فى (ج) ص 257.

وقـال في قصيـدة يصف القيـد في رجلـه .

يعطف من ساقي (46) تعطف ارقم يساورهـا عضا بانيـاب ضيغـم
واني من كل (47) الرجال بسببه ومن سيفـه في جنـه وجهنـم

وقـال في يـوم عيـد :

فيما مضى كنت بالاعياد مسـرورا فصرت كالعبد (48) في اغمات ماسورا
قـد كان دهرك ان تأمره ممتثـلا فـردك الدهـر منهيـا ومـامـورا
من بات بعـدك في ملـك يسربـه فانمـا بـات بالاحـلام مغرورا (*)

[115] وتعرض له رجل (49) أهل الكدية (50) وهو في الحبس فقال :

سألوا اليسير (51) من الاسير وانه بسوالهـم لاحق منهم فاعجب (52)
لـولا الحيـا. وغـره الخميـسـه طى الحشا لحكاهم (53) في المطلب

ورثـى ولديـه فقد ذبحـا بيـن يديه فقـال :

يقولون صبرا لا سبيل الى الصبـر سأبكـى وأبكى ما تطاول من عمـري
افتح لقد فتحت لى بـاب رحمـة كما بيزيـد الله فقد زاد في اجـري
هوى بكما المقدار عنى ولم أمـت فارعى وفيا قد نكصت الى الغـدر
ولو عدتما لاخترتما العـود في الثرى اذا انتمـا ابصرتمانى في الاسـر
أبا خالد أورثتنى البث (54) خالـدا أبا النصر مذ ودعت ودعنـى (55) نصري (55م)

(46) «تعطف فى ساقى» فى (ج) ص 257.
(47) «مخافة من كان» فى (ج) ص 257.
(48) «فساءك العيد» فى (ج) ص 257.
* انظر القصيدة فى ابن خاقان : قلائد العقيان ص 28.
(49) «رجل» زيادة من (ج) ص 257.
(50) الكديـة : الارض المرتفعة.
(51) «العسير» فى (ج) ص 257.
(52) «فاعجب واعجب» فى (ج) ص 257.
(53) «نافاهم» فى (ج) ص 257.
(54) «الهم» فى (ج) ص 258.
(55) «فارقنى» فى (ج) ص 258.
(55م) أنظر ابن الاثير ولاحظ تطابق بعض القصائد واختلاف البعض الاخر : الكامل 10 : 191، 249، وراجع القصيدة كاملة بابن خاقان : قلائد العقيان ص 13 ــ 14.

قال وكان الشيخ عبد الجبار بن أبى بكر (56) محمد بن حمديس توجه من المغرب الى الاندلس في سنة احدى وسبعين وأربعمائة ، فقصد المعتمد وأقام عنده الى ان خلع فكتب اليه المعتمد بعد ان عاد الى المهدية.

غريب باقصى المغربيين أسير يبكي (57) عليه منبر وسرير
اذل بني ماء السماء زمانهم وذل بني ماء السماء كبير
فما ماؤها الا بكاء عليهم يفيض على الافاق منه بحور (58)

فأجابه محمد بن حمديس .

[116] جري لك جد بالكرام عثور وجار زمان كنت منه نجير
لقد اصبحت بيض الظبا في غمودها اناثا بترك (59) الضرب وهي ذكور
ولما رحلتم بالندى في أكفكم وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد دنت الا فانظروا كيف الجبال (60) تسير (61)

قال ولما توفي المعتمد وقف ابن اللبانة على قبره في يوم عيد والناس عند قبور أهاليهم وأنشد بصوت عال :

ملك الملوك أسامع فانادي أم قد عداك عن الجواب عوادي (62)
لما خلت منك القصور ولم تكن فيها كما قد كنت في الاعياد
قبلت في هذا الثرى لك خاضعا وتخذت قبرك موضع الانشاد (*)

(56) «بن» زيادة فى ج ص 258 وعبد الجبار بن ابن بكر بن محمد بن حمديس :احد شعراء بلاط المعتمد، واصله من سرقوسة بصقلية، بارح بلده عندما استولى عليها النورمان فى سنة 470هـ/1078م واقبل الى الاندلس والم ببعض نواحيها ثم استقر فى اشبيلية، فلم تلبث براعته فى ارتجال الشعر ان ظهرت، وحظى من المعتمد بمكان جميل. ولما كان ذا عهد بالحروب وقراع الاسنة فقد صاحب المعتمد الى ميادين حروبه وعندما اسر المعتمد ونفى الى اغمات رافقه ابن حمديس اليها واجتهد فى التخفيف عنه بقصائد جميلة ثم انصرف الى أفريقية وعاش ردحا من الزمن فى المهدية، ثم انتقل الى تونس وظل فيها الى آخر ايامه.

وله ديوان من الشعر مشهور ومتداول ولابن بسام فيه راى جميل. انظر بالنثيا : الفكر الاندلسى ص 97، 98.

(57) «سيبكى» فى (ج) ص 258.

(58) «فأمواهها من البكاء عليهم * تفاض على الافاق منها بخور» فى (ج) ص 258. راجع بقية القصيدة فى ابن خاقان : قلائد العقيان ص 27.

(59) «للترك» فى (ج) ص 258.

(60) «فهذى الجبال الراسيات» فى (ج) ص 258

(61) قارن ابن الاثير : الكامل 10 : 192.

(62) «أم قد عدتك عن السماع عوادى» فى ج ص 259.

* راجع القصيدة بابن خاقان : قلائد العقيان ص 34 — 35.

وأخذ في اتمـام القصيـدة فاجتمع الناس كلهم عليـه يبكون لبكائه وانشـاده (62م).

وحكى بعض المعتنين باخبارهم أن فخر الدولة بن المعتمد على الله مر يوما في بعض شـوارع مدينة اشبيلية فطمحت عينه الى روشـن (63) فرأى فيـه وجهـا حسنا فتعلـق قلبـه به ولم يمكنـه الوصول فخامـره الهوى ومـرض من ذلك، فاتصل خبـره بأبيه فسأل عن المرأة فقيل انها ابنـة رجل خباز فأمر الوزيـر ان ينفـذ الى أبيها ويخطبها منه فارسل اليه الوزير فعلم ما يـراد به فامتنع من الوصول اليه وقال هو أحـق [117] بالوصول الى في هذه الحالة فاعلم المعتمد بذلك «فقال» (64) : «يصل اليه ويخطبها منه» فلما وصل اليه وخطبها ، قال الخباز للوزير : «الـه صنعـة» فقال الوزير : «ابن المعتمد يطلب منه صنعه وهو سلطـان الاندلس» فقال لـه : «امها طالـق ان زوجتها الا ممن له صناعة يستـر حالـه وحالها بها ان احتـاج اليها» ، فأعلم الوزيـر المعتمد فقال : «هـذا رجـل عاقـل» فأمر باحضار الصناعة الى القصـر وعلم فخر الدولـة الصياغـة وحذق فيها فلما جرى عليهم ما جـرى دخل حوانيت الصاغـة وصاغ بالاجرة فرآه ابن اللبانة وهو ينفخ في بعض الحوانيت فقـال :

اذكى القلوب اسى ابكى العيون دما خطب وجودك (65) فيه يشبه العدما
صرفت في آلة الصياغ (66) انملـه لم تدر الا الندى والسيف والقلمـا
يا صايغا كانت الدنيا(67) تصاغ له حليا وكان عليه الحلى منتظمـا
الدهر في الدور هول ما حكاه سوى هول رأينك فيه تنفـخ الفحمـا

قال : ولما انقضت الدولة العبادية صار ملك بـلاد الاندلس الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفيـن صاحب مراكش والمغرب ، وسنذكر ذلـك ان شـاء اللـه في أخبـاره .

(62م) انظر ابن الاثير : الكامل 10 : 249 — 250.
(63) الروشن : ج رواشن : الكوة وهى من اللغة الفارسية.
(64) مـابين قوسين زيادة من (ج) ص 259.
(65) «وجدنك» فى (ج) ص 260.
(66) «الصواغ» فى (ج) ص 260.
(67) «العليا» فى (ج) ص 260.

وأما سرقسطة والثغر الاعلى :

[118] فكان ذلك بيد منذر بن يحيى الى ان توفى وولى بعده ابنه يحيى ثم ولى بعده سليمن بن احمد بن محمد بن هود الجذامى ، وكان يلقب بالمستعين وكان من قواد منذر على مدينة لاردة وله وقعة مشهورة مع الفرنج في سنة اربع وثلاثين واربعمائة ، ثم توفى وولى بعده ابنه احمد المقتدر بالله وولى بعده ابنه يوسف المؤتمن ثم ولى بعده احمد المستعين على لقب جده ثم ولى ابنه عبد الملك عماد الدولة ، ثم ابنه احمد المستنصر بالله وعليه انقرضت دولتهم على رأس الخمسمائة ، وصارت للملثمين .

وأما طرطوشة فوليها لبيب الفتى العامري .

واما بلنسية فكان بها المنصور أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن محمد بن المنصور بن أبي عامر، ثم انضاف اليه المرية وما كان اليها وبعده ابنه محمد (68) ودام فيها الى ان غدر به صهره المامون بن اسمعيل ابن ذي النون في ذي الحجة سنة سبع وخمسين واربع مائة .

وأما السهلة فملكها عبود بن رزين وأصله بربري ومولده بالاندلس، فلما هلك ولى بعده ابنه عبد الملك ثم ابنه عز الدولة ، ثم الملثمون.

وأما دانية والجزائر . فكانت بيد الموفق أبي الجيش (69) مجاهد العامري وسار اليه من قرطبة الفقيه أبو محمد عبد الله (70) [119] المعيطى ومعه خلق كثير فأقامه مجاهد شبه خليفة فصدر عن رأيه وبايعه في جمادى الاخرة سنة خمس وأربعمائة وأقام المعيطى معه بدانية نحو ثلاثة أشهر (71) ثم سار هو ومجاهد في البحر الى الجزائر وهى ميورقة ومنورقة ويابسة .

(68) «عبد الملك» زيادة فى (ج) ص 261.
(69) «أبى الحسن» فى ابن الاثير : الكامل 9 : 290.
(70) مابين قوسين زيادة من (د)
(71) «خمسة أشهر» فى ابن الاثير : الكامل 9 : 290.

ثم بعث المعيطى بعد ذلك مجاهدا الى سردانية في مائة وعشرين مركبا ومعه الف فارس (72) ففتحها في شهر ربيع الاول سنة ست وأربعين واربعمائة وقتل بها خلقا كثيرا من النصارى وسبا فسار الفرنج والروم في آخر السنة فأخرجوه منها فرجع الى الاندلس فوجد المعيطى قد مات وبقى مجاهد الى أن مات وولى بعده ابنه على بن مجاهد ، ثم مات فولى بعده ابنه ابو عامر ثم صارت دانية وسائر بلاده الى المقتدر بالله أحمد بن سليمن بن هود في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة (73).

وأما مرسية فوليها بنو طاهر واستقامت رئاستها لابى عبد الرحمن المدعو بالرئيس الى ان أخذها منه المعتمد بن عباد على يد وزيره أبى بكر بن عمار الفهري (74) فلما ملكها عصى على المعتمد فيها فوجه اليه عسكرا مقدمهم أبو محمد عبد الرحمن بن رشيق القشيري فحصروه وضيقوا عليه فهرب منها ودخلها القشيري وملكها [120] فعصا فيها على المعتمد بن عباد الى أن دخل في طاعة الملثمين وبقى بها الى أن مات في سنه سبع وخمس مائة (75) .

وأما المرية فملكها خيران العامري الى أن توفى وملكها زهير العامري واتسع ملكه الى شاطبة الي ما يجاوز عمل طليطلة ودام الى ان قتل وصارت

---

(72) «فرس» ف د وصححتها من ابن الاثير : الكامل 9 : 290.

(73) لاحظ التطابق مع ابن الاثير الذين يتميز بالايضاح وتعريف ما يتميز به كل حاكم من بنى مجاهد، الكامل 9 : 289 — 290.

(74) يذكر ابن الاثير انه ينسب الى «المهرى» وليس الفهرى، الكامل 9 : 291 وهو ابن عمار (1031 — 1084م) الملقب «ذو الوزارتين» هو عربى الارومة فقير المنبت، درس الادب فى شلب وقرطبة، ثم مضى يذرع نواحى الاندلس وجعل يقول المدائح لمن يمنحه العطاء. ثم لم يلبث أن دخل على المعتمد وتوطدت بينهما اسباب المودة ثم جعله المعتمد وزيرا له بعد توليه الحكم، الا أن فسدت العلاقة بينهما بسبب تطلعات ابن عمار وطموحه وانتهى الأمر بقتله بيد المعتمد. بالنثيا : الفكر الاندلسى ص 89 — 94.

(75) لاحظ التطابق مع ابن الاثير : الكامل 9 : 291.

مملكته الى المنصور ابى الحسن بن أبى عامر (76) صاحب بلنسية فولى عليها محمد ابنه فأقام بها في مدة حياة أبيه وبعد وفاته الى ان أخذها منه صهره ذو الوزارتين أبو الاحوص معن (77) ابن محمد بن صمادح التجيبى (78) ودانت له لورقة وبياسة وجيان وغيرها الى ان توفى في سنة ثلاثة وأربعين وأربعمائة ، وولى بعده ابنه أبو يحيى محمد بن معن وهو «ابن» (79) اربع عشرة سنة فكفله عمه أبو عتبة ابن محمد الى ان توفى في سنة ست وأربعين واربعمائة ، فبقى أبو يحيى مستضالا لصغره وأخذ ما بعد من بلاده عنه ولم يبق له غير المرية وما جاورها فلما كبر أخذ نفسه بالاشتغال بالعلوم ومكارم الاخلاق فامتد صيته واشتهر ذكره وعظم سلطانه والتحق باكابر الملوك ودام بها الى ان نازله جيش الملثمين فمرض في اثناء ذلك وكان القتال تحت قصره فسمع يوما صياحا وغلبه ، فقال : «نغص علينا كل شيء حتى الموت» وتوفى في [121] مرضه ذلك لثمان بقين من شهر ربيع الاول سنة اربع وثمانين وأربع مائة وملك الملثمون المرية ودخل أولاده وأهله في البحر الى بجاية والتحقوا ببنى حماد (80).

وأما مالقة : فملكها بنوا على بن حمود فلم تزل في مملكة العلويين يخطب لهم فيها بالخلافة الى أن أخذها منهم باديس بن حبوس صاحب غرناطة في سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

وأما غرناطة : فملكها حبوس بن ماكسين (81) الصنهاجى ثم مات في سنة تسع وعشرين وأربعمائة وولى بعده ابنه باديس الى ان

(76) «المنصور ابى الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور بن أبى عامر» فى ابن الاثير الكامل 9 : 291.
(77) «أبو الاخوص معز» فى (ج) ص 262.
(78) «أبو الاحوص المعتصم معن بن صمادح التجيبى» فى ابن الاثير : الكامل 9 : 291
(79) مابين قوسين زيادة من ابن الاثير : الكامل 9 : 291.
(80) لاحظ التطابق مع ابن الاثير : الكامل 9 : 291 ــ 292.
(81) «بلكين» فى (ج) ص 263.

توفي وولى بعده ابن أخيه عبد الله بن بلكين وبقى الى أن ملكها منه الملثمون في شهر رجب سنة أربع وثمانين وأربع مائة، وانقرضت جميع هذه الدول وصارت الاندلس جميعها للملثمين (82) على ما نذكره ان شاء الله عز وجل في أخبارهم في أيام أمير المسلمين (88) يوسف ابن تاشفين .

ولما كانت جزيرة الاندلس بيد هؤلاء الملوك الذين ذكرناهم كانوا يسمون ملوك الطوائف وبسبب انفراد كل ملك منهم بجهة استولى الفرنج على طليطلة كما ذكرنا .

(82) لاحظ التطابق مع ابن الاثير في الروايات عن سرقسطة وطرطوشة وبلنسية والسهلة ودانية والجزائر ومرسية والمرية انظر الكامل 9 : 289 — 291.
(83) «المؤمنين» في (ج) ص 263.

الباب السادس

[122] من القسم الخامس من الفن الخامس

في أخبار افريقية وبلاد المغرب

ومن وليها من العمال ومن استقل منهم بالملك وسميت أيامهم بالدولة الفلانية

وقد ذكرنا فتوح افريقية في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه في ولاية عبد الله بن سعد بن أبى سرح في سنة ست وعشرين من الهجرة النبوية وأوردنا ذلك هناك على سبيل الاختصار والاجمال ، ونحن الآن نذكره في هذا الباب مبينا ولم نقدم ذكر اخبار المغرب وملوكه على اخبار ملوك المشرق الا أنا لما ذكرنا اخبار الدولة الاموية بالاندلس ومن ملك الاندلس بعد بنى أمية احتجنا الى ذكر اخبار افريقية وبلاد المغرب لتكون الاخبار يتلوا بعضها بعضا ، ولم نقدم أيضا ذكر الاندلس على افريقية مع كون افريقية فتحت قبل الاندلس الا للضرورة التى دعت الى ذكر اخبار الدولة الاموية بالاندلس تلو الدولة العباسية ولا ضرر في التقديم والتأخير لانا لم نجعل التاريخ على حكم مساق السنين بل على الدول ، وأول دولة قامت على الدولة العباسية ، الدولة الاموية بالاندلس .

ولنذكر الآن فتوح افريقية ومن وليها .

ذكر فتوح أفريقية

[123] كان فتوحها في سنة سبع وعشرين ، وذلك ان عثمان ابن عفان (1) رضى الله عنه لما ولى الخلافة عزل عمرو بن العاص عن مصر

(1) بالرغم من نسبه معظم الفتوحات الاسلامية ووضع الاسس المالية والادارية للدولة الاسلامية الى عمر بن الخطاب فعلى العكس من ذلك اعتبر بعض الباحثين خلافة عثمان، عهد فتنة وحرب أهلية، وبالرغم من صحة هذا الرأى الا أنه ينطبق على الفترة الثانية من حكمه أما الفترة الاولى فقد تم فيها استكمال فتوح فارس كما بدأت فتوح المغرب الحقيقية فى أفريقية، وهذا ما عارض فيه عمر كما يقول الكتاب. كما سمح عثمان لمعاوية واليه على الشام بانشاء الاسطول وهذا ما لم يسمح به عمر بن الخطاب، فأصبحت الدولة الاسلامية قوة بحرية بعد أن كانت برية

واستعمل عليها **عبد الله بن سعد بن أبى سرح** وهو أخو عثمان (2) لامـه فكان عبد الله يبعث المسلمين في جرائد الخيل فيصيبون من افريقيـة وكتب (*) بذلك الى عثمان، فلما أراد عثمان ان يغزي افريقية استشار الصحابة، فكلهم أشار عليه بانفاذ الجيش اليها الا أبـا الاعـور سعيـد ابن أبى يزيد فانه كره ذلك فقال له عثمان : «ما كرهت يا أبا الاعـور من بعثة الجيش»، قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى اللـه عنه يقول لا أغزيها (**) أحدا من المسلمين ما حملت عينى الماء ولا أرى لـك خـلاف عمـر (3) وقام ثم دعا عثمان زيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة واستشارهما فاشار بانفاذ الجيش ، فندب الناس الى الغـزو فكان هذا الجيش يسمـى جيش العبادلـة . خرج فيه من بنى هاشم عبد الله بن عباس وكان واليـا على المسلميـن وعبيد اللـه بن عبـاس .

ومن بنى تيـم عبد الرحمن بن أبى بكـر الصديق رضى الله عنهمـا وعبد الرحمن بن طلحة في عدة من قومه(***) ومن بنى عدي، عبد الله بن عمر ابن الخطاب وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وعبيد الله بن عمر، وعاصم ابن عمر [124] في عدة منهم. ومن بنى أسد بن عبد العزى ، عبد الله بن الزبير في عـدة من قومـه .

= فقط وبذلك بدأت الفتوحات في البحر في جزر [illegible] ورودس وقبرص. [illegible] حطم العرب الاسطول البيزنطى فى البحر فى ذى الصوارى فى أواخر سنى عثمـان سنة 34 هـ/ 654. كمـا تـم فى عهـد عثمـان توزيـع نسـخ معتمدة واحدة من القران الكريم على جميع الامصـار الاسلامية ممـا قضى على اختـلاف المسلمين حـول قراءة القـران. أنظر سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغـرب العربـي ج 1 ص 146، للمحقـق : دراسـات فى تـاريخ الدولة العربيه ص 252 — 257.

(2) كـان عبد الله بن سعـد من كتاب الوحى للرسول (ص) وكان اذا املى عليه عزيز حكيم، يكتب : عليم حكيم، واشبـاه ذلك، ثـم ارتـد وقال لقريش : انى احسن احرف محمد فى قرآنه حيث شئت ودينكـم خير من دينه. فاهدر الرسـول دمه، فلمـا كـان فتح مكـة فـر عبـد الله الى عثمان بن عفان، فغيبه عثمـان حتى اطمان الناس. ثـم احضره عند الرسول (ص)، وطلب له الامـان. راجع الطبرى : الامـم والملـوك ج 3 ص 119، ابن الاثير : الكامل ج 2 ص 249، ج 3 ص 88.

(3) المالكى : رياض النفوس ج 1 ص 9.

* يكتب فى ج 2 : 2 ** أغز بها فى ج 2 : 2

*** وعبد الرحمن بن طلحة رضي الله عنهما فى ج 2 : 2.

ومن بني سهم عبد الله بن عمرو بن العاص والمطلب بن السائب ابن أبـي وداعة في عـدة منهم ، وخرج في الجيـش مروان بن الحكم وأخوه الحارث وجماعة من بنى أميـة والمسور بن مخرمة بن نوفـل وعبـد الرحمن بن الاسـود بن عبد يغـوث وعـدة من بنى زهـرة ومن بنى عامـر ابن لـؤى بن غالب السايـب بن عامـر بن هشـام وبشـر بن ارطأة وعدة من بنى هذيل منهم أبـو ذؤيب خويلد بن خالـد الهذلى وتوفى بافريقيـة وواره في قبـره عبد الله بن الزبيـر وعبد الله بن انـس وأبـو ذر الغفاري والمقداد (*) بن عمرو البهراتى وبـلال بن الحـرث المزنى وعاصم ومعاوية ابن حديج وفضالـة بن عبيـد ورويفع (**) بن ثابت وحمزة بن خويلد، وأبـو زمعـة البلوي والمسيب بن جون وجبلة بن عمـرو الساعـدي وزيـاد بن الحـرث الصداي وسفيان بن وهـب وقيـس بن يسـار ابـن مسلمـة وزهير بن قيـس وعبد الرحمن بن صخر وعمرو بن عـوف وعقبة بن نافع الفهري (4) وخرج من جهينة ستمائة رجل ومن السلم، حمزة ابن عمرو السليمى وسلمة بن الاكوع في ثلثمائة رجل ، ومن مزينة ثمـان مائة رجـل [125] ومن بنى سليـم أربع مائة رجل ومن بنى الديـل وضمرة (***) وغفار خمس مائة رجل ومن غطفان وأشجع وفزارة سبع مائة رجـل ومن كعب ابن عمرو اربعمائة رجل (5) وكانـوا آخر من قـدم على

* المقدام فى ج 2 : 3 ** وذويضع فى ج 2 : 3

(4) كـان عقبة لا يزال بافريقية مرابطا وسيلقى قوات عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى برقة، ابن الاثير : الكامل ج 3 ص 89، السلاوى : الاستقصا ج 1 ص 33.

*** ضمره فى ج 2 : 3 وضمره أصح نسبة الى بكر بن عبد مناه بن كنـانة أنظر البلاذرى : انساب الاشراف 1 : 100 ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 175.

(5) اورد بيـان القبائل العربية التى دخلت افريقية بالاضافة الى النويرى كل من أبو العرب والمالكى ويعتبر اوفى البيانات هو ماذكره النويرى ثـم يليه ابو العرب وأخيرا تاتى رواية المالكى. أنظر طبقات علماء افريقيـة ص 13 — 14، رياض النفوس ج 1 ص 9 — 10. ويرجح حسين مؤنس انه ربما كان بعـض هذه الاسمـاء مدخـولا اخترعه مؤرخو المغرب للتعظيم من شأن افريقية ويدلل على ذلك انه لم يرد مفصلا الا فى كتبهم كرياض النفوس ومعالم الايمان والخلاصة النقية. ولم يورده من مؤرخى المشرق الا من أخذ عنهم كالنويرى ويعلق على ذلك سعد زغلول عبد الحميد بأن المغاربة اهتمـوا أكثر من غيرهم بتـاريخ بلادهم — كما فعل غيرهم بالنسبة لاوطانهم — وصاحب البيت أدرى بمـا فيه كمـا يقال. انظر فتح العرب للمغرب ص 81 تعليق (2)، تاريخ المغرب العربى ج 1 ص 149 تعليق (83).

عثمان والناس معرسون بالجرف والجرف على ثلاثة أميال من المدينة وأعان عثمان الجيش بألف بعير من ماله يحمل عليها ضعفاء الناس وحمل على خيل وفرق السلاح وأمر للناس باعطياتهم وذلك في المحرم سنة سبع وعشرين .

وخطب عثمان الناس ورغبهم في الجهاد ، وقال لهم قد استعملت عليكم الحارث (*) بن الحكم الى ان تقدموا على عبد الله بن سعد فيكون الامر اليه (6) واستودعتكم الله وساروا حتى أتوا مصر فجمع عبد الله بن سعد جيشا عرمرما وضمه اليه فبلغ عسكر المسلمين عشرين الفا واستخلف على مصر عقبة بن نافع (7) وتوجه.

حكى الزهري عن ربيعة بن عباد الديلي (8) قال : لما وصلنا قدم عبد الله الطلائع والمقدمات امامه وكنت أنا أكثر ما أكون في الطلائع فوالله انا لبطرابلس وقد أصبنا من بها من الروم قد تحصنوا منا فحاصرناهم ثم كره عبد الله ان يشتغل بذلك عما قصد اليه فامر الناس بالرحيل فنحن على ذلك اذا مراكب قد ارست على (**) الساحل فشددنا عليها فترامى من بها الى الماء فأقاموا ساعة [126] ثم استأسروا فكتفناهم (***) وكانوا مائة حتى لحق بنا عبد الله فضرب اعناقهم وأخذنا ما في السفن فكانت هذه أول غنيمة اصبناها (9) ومضى حتى نزل مدينة قابس فحاصرناها فأشار عليه الصحابة أن لا يشتغل بها عن افريقية فسار وبث السرايا في كل وجه وكان يؤتى بالبقر والشاء والعلف.

---

* مروان فى ج 2 : 3 ** الى فى ج 2 : 4

(6) قارن ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 9.

(7) «الحارث عقبة بن نافع» فى ج 2 : 4 ويذكر الكندى أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح والى مصر، استخلف عند خروجه لافريقية، عقبة بن نافع الجهنى. أنظر الولاة والقضاة ص 13 — 14.

(8)يروى المالكى من الواقدى من ربيعة الديلى، أنظر رياض النفوس ج 1 ص 10.

*** استأثروا فكفيناهم فى ج 2 : 4 غزوة عبد الله بن سعد.

(9) أنظر المالكى : رياض النفوس ج 1 ص 10 ولاحظ الاختلافات اللفظية بين كل من المالكى و النويرى.

قال : وكان ملكهم يدعى جرجير وسلطانه من طرابلس الى طنجة وولايته من قبل هرقل فلما بلغه الخبر بورود الجيوش الاسلامية جمع وتأهب للقاء فبلغ عسكره عشرين ومائة الف .

قال : ثم ذهبنا قاصدين عسكره على تعبية فأقمنا أياما تجري بيننا وبينهم الرسل ندعوه الى الاسلام وهو يستطيل ويتخير وقال : «لا أقبل هذا أبدا» فقلنا له : فخراج تخرجه كل عام فقال : «لو سألتموني درهما واحدا لم افعل» فتأهبنا للقتال بعد الاعذار منا فعبىء عبد الله بن سعد ميمنته وميسرته والقلب وفعل ملك الروم مثل ذلك وتلاقى الجمعان في فحص متسع يسمى بعقوبة (10) بينه وبين دار ملك الروم مسيرة يوم وليلة وهى المدينة المسماة سبيطلة وكذلك مدينة قرطاجنة (11) وهى مدينة عظيمة شامخة البناء ، أسوارها من الرخام الابيض وفيها من العمد والرخام الملون ما لا يحصى .

قال : ودامت الحرب بين الفريقين وطالت [127] وانقطع خبر المسلمين عن عثمان فانفذ عبد الله بن الزبير (12) وصحبته

---

(10) يرجح حسين مؤنس ان «عقوبه» لم يكن مجرد فحص اى سهل، وانما كان حصن موى دارت الموقعه حوله، وقد ورد ذكره كثيرا فى الروايات، بناء على روايه المالكى «فانهزم جرجير، ولزمه عبد الله بن الزبير فى عجاج الحرب... وفيه الى جانب السور وابنته تنظر من السور الى قاتله، وسبقت خيول المسلمين الروم الى باب الحصن فحالوا بينهم وبين الدخول الى حصنهم.» ورغم روايه المالكى فلذلك يمنع ان الموقعه حدثت فى سهل عقوبة، وقد يكون بهذا السهل حصن البلاذرى : فتوح البلدان ص 226 — 227، رياض النفوس ج 1 ص 12، فتح العرب للمغرب ص 86.

(11) قرطاجنه فى د، ج 2 : 4. ويخطىء النويرى عندما يتكلم عن حصار قرطاجنة، وهو يقصد بطبيعة الحال سبيطلة، ولقد اتى هذا الخطأ من الاعتقاد بأن قرطاجنة هى عاصمة افريقيه وان جرجير هو ملك افريقيه أى صاحب قرطاجنة.

(12) تنسب كثير من الروايات فخر انتصار حملة العبادلة الى عبد الله بن الزبير دون قائدها عبد الله بن سعد ابن ابى سرح فتقول انه وصل مددا لابن سعد، وانه الذى نصح ابن سعد بتطبيق الخطة الحربية للمعركة، وتنسب اليه كذلك الكثير من أعمال البطولة النادرة والشجاعة الشخصية، فهو الذى اخترق صفوف الروم، وقتل جرجير وفتن الاميرة ابنته. والظاهر أن الزبيريين وشيعتهم هم الذين عملوا على اذاعة امجاد اسرتهم. وخاصة بعد أن بلغت أوج عظمتها خلال السنوات

اثنــا عشــر فارسا من قومه فسار يجــد السير حتي قدم على المسلميــن فوصل ليــلا فسـروا به ووقع في العسكــر ضجة (*) خافت الروم منهــا وظنوا انهم يحملون عليهم فباتــوا بشر ليلــة وارسل ملكهم جاسوســا يستعلــم الخبــر فأعلمه أن نجــدة وصلت الى المسلميــن .

وكان المسلمون يقاتلون الروم في كل يــوم الى الظهر ثم ترجع كل طائفة الى معسكرها وتضع الحرب أوزارها فلما أصبح عبد الله بن الزبير صلى الصبح وزحف مع المسلمين وقاتل فلقى الروم في يومهم أشد نكال ولم ير ابن الزبير، عبد الله بن سعد في الحرب فسأل عنه فقالوا هو في خبائه ولــه أيــام ما خرج منه ولم يكن ابن الزبيــر اجتمــع به فمضا اليه وسلــم عليــه وبلغــه وصية عثمــان وسأله عن سبب تأخــره فقال ان ملــك الروم أمــر مناديا فنــادى باللغة الرومية والعربيــة معاشــر الــــروم والمسلمين من قتل عبد الله بن سعــد زوجته ابنتــى، وهبت له مائة الــف دينــار ، وكانت ابنته بارعــة الجمال تركب معه في الحــرب وعليها أفخــر ثيــاب وتحمل على رأسها مظلة من ريش الطاووس. وغير خاف عنك من معى وأكثرهم حديثوا(**)عهد بالاسلام ولا آمن أن يرغبهم [128] مابذل لهم جرجير فيقتلونى (***) فهذا سبب تأخرى، فقال له ابن الزبير :«ازل هذا من نفسك وأمر من ينادي في عسكرك ويسمع الروم معاشر المسلمين والروم من قتل الملك فله ابنته ومائة الف دينــار وواحدة بواحدة» (13) ففعل ذلــك فلما سمع ملك الــروم النداء انتقل ما كان عبد اللــه يجده من الخــوف اليــه .

= التى طالب فيها عبد الله بن الزبير بالخلافة كما ان كثيرا من رواة فتوح مصر والمغرب، كــانوا من الاسرة الزبيرية واشهرهم عروة بن الزبير، وهشــام بن عروة (ت 146هـ) . أنظر سعــد زغلول عبد الحميد : فتح المغرب بين الحقيقة والاسطورة، مجلة كلية الاداب اسكندرية سنة 1963 ص 29.

* صيحة فى ج 2 : 5 ** حديث فى ج 2 : 5

*** فيقتلون فى ج 2 : 5.

(13) يروى ابن عذارى أن عبد الله بن سعد اختلف مع الجند اذ «ضاق المسلمون فى امــرهــم واختلفــوا على لين سعد فى الرأى، فدخل فسطاطة، مفكرا فى الامر.» أمــا خوفه واضطجاعه فى الفسطاط والحرب دائرة بين المسلمين والروم، فأمر غــير محتمــل الوقوع، ولا نزاع فى أنه مكذوب ومخترع. أنظر البيان المغرب ج 1 ص 10، حسين مؤنــس : فتــح العرب للمغرب ص 90.

وبقي القتـــال على ما كان عليـــه فعن لعبد الله بن الزبيـــر رأى فأتـــي عبد الله بـــن سعد ليـــلا وقـــال له : «انـي فكـــرت في ما نـحن فيه فرأيـــت أمرا يطول والقوم في بلادهم والزيـــادة فيهم والنقصان فينـــا ، وقـــد اتصل بـــي انـه نفـــذ الى جميـــع نـواحيه بالحشد والجمع ، وقد رايـــت اصحابه اذا سمعوا الاذان اغمدوا سيوفهم ورجعوا الى مضاربهم وكذلـــك المسلمون جريا على العـــادة، والرأي عندي ان تترك غدا ان شاء الله ابطال المسلمين في خيامهم بخيلهم وعددهم ونقاتل ببقايا الناس على العادة (*) ونطول في القتال حتى يتعب (**) القوم فاذا انصرفوا ورجع كل الى مضربه وأزال لامة حربه يركب المسلمون ويحملوا عليهم والقوم على غرة فعسى الله سبحانه ان يظفرنا بهم وينصرنا عليهم وما النصر الا من عند الله، فلما سمع عبد الله بن سعد ذلك احضر [129] عبد الله بن عباس واخوته والصحابة ورؤوس القبائل وعرض عليهم ما أشار به ابن الزبيـــــــــر فاستصوبوا رأيه واستخاروا الله وكتموا أمرهم وباتوا على تعبئة ولجؤوا الى الله تعالى وسمحوا بنفوسهم في اعزاز دين الله واظهـــار كلمته وأصبح ابطال الاسلام في خيامهم وخيولهم قائمة معهم في الخيام.

وخرج لفيف الناس الى القتال ومعهم عبد الله بن سعد وابن الزبير فقاتلوا أشد قتال وكان يوما حارا فلقي الفريقان فيه التعب العظيم وركب ملك الروم ومعه الصليب، وكان متوجا عندهم، عظيم القدر فيهم وحرض أصحابه على القتال فاشتد الامر في القتال حتى أذن بالظهر، فهم الروم بالانصراف جريا على العادة فداوم ابن الزبير القتال ساعة أخرى فاشتد الحر وعظم الخطب حتى لم يبق لاحـــد من الفريقين طاقـــة بحمل الســـلاح فضلا عن القتـــال به فرجعوا الى خيامهم ووضعوا اسلحتهم وسيبوا خيولهـــم والقوا انفسهم على فرشهم فاستنهض عبد الله أبطال المسلمين فلبســـوا دروعهم وركبوا خيولهم في خيامهم وتقدم عبد الله بن الزبير في زي رســـول

* عادة فى ج 2 : 6.
** تبعت فى ج 2 : 6

وقد لبس ثوبا فوق درعه وقال اذا رأيتموني قد قربت من خيام (*) الروم [130] فاحملوا حملة رجل واحد ، فلما قرب من الخيام كبر المسلمون وهللوا وحملوا فاعجلوا الروم عن لبس دروعهم أو ركوب خيولهم ، فانهزمت الروم وقتل ملكهم وقتل منهم ما لا يحصى كثرة وهرب من سلم منهم الى المدينة وغنم المسلمون ما في معسكرهم .

وأسرت ابنة الملك ، وأتى بها الى عبد الله بن سعد فسألها عن أبيها قالت : قتل . قال : أتعرفين قاتله قالت : نعم اذا رأيته عرفته . وكان كثير من المسلمين ادعو قتله فعرضوا عليها من ادعى قتله فقالت : ما من هؤلاء من قتله. فأحضر ابن الزبير فلما أقبل قالت : هذا قاتل أبي. فقال له ابن سعد : ما منعك أن تعلمنا بذلك لنفي لك بما شرطناه ، فقال أصلحك الله ما قتلته لما شرطت والذي قتلته له يعلم ويجازي عليه افضل من جزائك ولا حاجة لي في غير ذلك. فنفله ابن سعد ابنة الملك فيقال أن ابن الزبير اتخذها ام ولد (14) .

ثم نزل المسلمون على المدينة وحاصروها حصارا شديدا حتى فتحها الله عليهم فأصابوا فيها خلقا كثيرا واكثر

(*) الخيام في ج 2 : 7.

(14) يذكر ابن عبد الحكم قصة مقتل جرجير بشكل مقتضب حذر فيقول : «وكان الذى قتله فيما يزعمون عبد الله ابن الزبير» وكذلك البلاذرى التى يسندها الى الزبير نفسه ويقول : «حدث محمد بن سعد عن الواقدى، عن أسامة ابن زيد ابن سلم، عن نافع مولى آل الزبير، عن عبد الله بن الزبير» ويضيف المالكى أن الذى نصح ابن سعد بعمل الكمائن هو احد القبط ويقول : «فقال له رجل من القبط ممن كان معه : أن القوم لايصافونك... فاجعل لهم كمينا وفرقهم فى أماكن» وأخيرا يروى كل من ابن عبد الحكم وابن الاثير أن ابنة جرجير كانت من نصيب احد الانصار وان الشابة الافريقية فضلت أن تلقى بنفسها من على ناقته فتدق عنقها. والظاهر أن قصة انتحارها صحيحة فلو انها آلت الى ابن الزبير أو الى غيره لعرفنا أخبارها أو أخبار عقبها، كما عرف عقب سارة ابنة ملك الاندلس القوطى.

انظر فتوح البلدان ص 226، فتوح مصر والمغرب ص 184، رياض النفوس ج 1 ص 11، الكامل ج 3 ص 91، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ج 1 ص 157 — 158.

اموالهم الذهب والفضة فجمع عبد الله بن سعد الغنائم ، وقسمها بعد أن خمسها فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل الف دينار وبث السرايا والغارات من مدينة سبيطلة فبلغت خيوله الى قصور [131] قفصة فسبوا وغنموا وجازوا الى مرمجنة فأذلت تلك الوقعة من بقى من الروم وأصابهم رعب شديد فلجؤوا الى الحصون والقلاع واجتمع اكثرهم بفحص الاجم (15) حول الحصن، وهو من أعظم حصون افريقية وراسلوا عبد الله بن سعد ان يأخذ منهم ثلثمائة قنطار ذهبا على أن يكف عنهم ويخرج من بلادهم فقبل ذلك منهم بعد امتناع وقيل انه صالحهم على الفى الف وخمسمائه الف وقبض المال وكان في شرط صلحهم أن ما أصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم وما أصابوه بعد الترداد ردوه عليهم .

ودعا عبد الله بن سعد ، عبد الله بن الزبير ، وقال : ما أحد احق بالبشارة منك فامض وبشر عثمان والمسلمين بما أفاء الله تعالى عليهم. فتوجه عبد الله يجد السير فبعض الناس يقول دخل المدينة من سبيطلة في عشرين ليلة وبعضهم يقول وافى المدينة يوم اربعة وعشرين يوما ولا يستغرب ذلك من مثله ، فلما وصل المدينة أمره عثمان ان يصعد المنبر فيعلم الناس بما فتح الله عليهم فبلغ الزبير فجاء الى المسجد ، ونال من عثمان بكلمات ، وقال : «يبلغ من عبد الله ابن الزبير ان يرقا موضعا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطأه بقدمه وددت والله أنى مت [132] قبل هذا» وقيل ان عبد الله لم يرق المنبر وانما وقف بازائه وخطب وعثمان على المنبر جالسا.

قال : وكان فعل عبد الله بن الزبير في القتال بافريقية كفعل خالد ابن الوليد بالشام ، وعمرو بن العاص بمصر رضى لله عنهم اجمعين.

(15) وهو المعروف بقصر الكساهنة وهى مبنى بالحجارة طول الحجر منها خمسة وعشرون شبرا ونحوها وارتفاعه فى الهواء أربعة وعشرون قامة، وهو من داخله مدرج كله الى أعلاه وأبوابها طاقات بعضها فوق بعض. أنظر البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 31، التجانى : رحلته ص 57 — 58. الحميرى : الروض المعطار ص 13.

قال : ثم انصرف عبد الله بن سعد الى مصـر اثـر سفر ابن الزبير.

قـال : وكان مقام الجيش بافريقية خمسة عشر شهرا ولم يفقد من المسلمين الا نـاس قلائـل .

ثم كان بعد ذلك من مقتل عثمان وخلاف علي ومعاوية ما قدمنا ذكره الى ان استقـر أمر معاويـة فاستعمل معاويـة بن حديج.

ذكـر ولايـة معـاويـة بن حديـج الكنـدي وفتـح افريقيـة ثـانيـا

كانت ولايته في سنة خمس وأربعين من الهجرة وسبب ذلك أن هرقل صاحب القسطنطينية كان يؤدى اليه من كل ملك من ملوك البر والبحـر اتـاوه معلومة في كل سنة، فلما بلغه ما صالح عليه أهل افريقية عبد الله ابن سعد بن أبى سرح بعث ، بطريقا الى افريقية ، يقال له أوليمة (16) وأمره أن يأخذ من أهلها ثلثمائة قنطـار ذهبـا كما أخـذ منهم ابـن أبـى سرح ، فنزل البطريق قرطاجنة [133] وأخبرهم بامـر الملك فأبوا عليه ونـابذوه وقالوا : «الذي كان بأيدينا من الاموال فدينـا بـه انفسنا والملك فهـو سيدنا يأخذ منـا ما شاء نعطيه في كل سنة».

وكان القائم بأمر افريقية بعد جرجير رجل يقال له جناحة (17) فطرد أوليمة البطريق ثم اجتمع أهل افريقية وولوا على انفسهم رجلا يقـال له الاطريون وقيل فيه الاطيلون فسـار جناحة الـى الشـام الى معاوية ابن أبـى سفيـان فذكر له حـال افريقية وسأله ان يبعث معه جيشا من العرب فوجه معه معاوية بن حديج في جيش كثيـف فلما انتهى الى الاسكندرية

(16) ينقل النويرى من نفس المصدر (الرقيق) الذى يعتمد عليه ابن عذارى. أنظر البيـان المغرب ج 1 ص 17 ، وربما كان أوليمة تحريفا لاسم الوتيرة Eluthére راجـع : G. Marols le Berbérle et l'orlent P. 30

(17) يطلق ابن عذارى عليه اسـم حباجبة ويذكر جورج مارسية انه تحريف لاسم جنادية أو جناديوس Gennadius الذى ظل قابضا على ناصية الامور بافريقية الى أن تهيأت الفرصـة لملك الروم فارسل الى افريقية قـائدا من لدنه. ويبدو أن قام صـراع بـين القـائدين وأتباعهما انتهى بانهزام أوليمة وطرده من البلاد. البيان المغرب ج 1 ص 17 le Berborio et l'orlent P 30

ملك جناحه ومضا ابن حديج حاتى انتهى الى افريقية وهى حرب ، وقد صارت نارا .

وكان في عسكره عبد الملك بن مروان ويحيى بن الحكم وكريب بن ابراهيم بن الصباح (18) وخالد ابن ثابت القرشى (19) وقيل كان معه عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير (20) وأشراف من جند الشام ومصر.

فقدم ولا يشك أهل افريقية ان جناحة معه فنزل معاوية غربى قمونية في سفح جبل على عشرة فراسخ منها فأصابه فيه نوء شديد فقال ان جبلنا هذا لممطور فسمى الجبل ممطورا (21) الى اليوم ، ثم قال اذهبوا بنا الى ذلك القرن فسمى ايضا القرن ، وبعث ملك الروم بطريقا [134] يقال له نجفور (22) في ثلاثين الف مقاتل فنزل على ساحل البحر بسنطبرية (23) فبعث ابن حديج اليه خيلا فقاتلوه فانهزم واقلع في البحر.

(18) المالكى : رياض النفوس ج 1 ص 18، وفى معالم الايمان للدباغ ج 1 ص 39 «ابيزة بن الصماح»، الحميرى : الروض المعطار ص 168 .
(19) فى أبو العرب : الطبقات ص 19 «الفهمى». وفى المالكى : رياض النفوس ج 1 ص 18 «الثقفى». وفى معالم الايمان للدباغ ج 1 ص 39. وفى الحميرى : الروض المعطار ص 168 «الفهمى».
(20) المالكى : رياض النفوس ج 1 ص 18 ويشك سعد زغلول عبد الحميد فى أن يكون ابن عمر وابن الزبير بصفة خاصة قد اشتركا فى هذه الغزوة اذ لم يذكرهما ابن عبد الحكم والحميرى وربما كانت قصة اشتراكهما فيهما من صنع الزبيريين، وربما كانت صدى من اصداء «غزوة العبادلة» الحميرى : الروض المعطار ص 168، تاريخ المغرب ج 1 ص 170..
(21) يذكر التجانى «وهذا الجبل هو المعروف فى وقتنا هذا بجبل وسلات يسكنه اخلاط من البربر»، رحلته ص 32.
(22) نقفور Néciphore وفى ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 16 «نجفور».
(23) يذكر ابن عذارى أن نقفور نزل بجنده الساحل، فعسكرت خيل المسلمين على شرف عال تنظر منه الى البحر بينه وبين مدينة سوسة اثنا عشر ميلا، فلما بلغ ذلك نقفور اقلع فى البحر، منهزما، فهاجم المسلمون مدينة سوسة مما يدل على أن المكان الذى نزل به نقفور «سنطبرية» بجوار مدينة سوسة. البيان المغرب ج 1 ص 16. أما الحميرى فيقول : «وبعث ملك الروم بطريقا معه ثلاثون الفا فكانوا مابين قصر الاجم (قصر الكاهنة) الى الساحل، الروض المعطار ص 168.

وقاتل معاوية أهل جلولاء (24) على باب المدينة فكان يقاتلهم صدر النهار ، فاذا مال الفيء انصرف الى معسكره بالقرن ، فقاتلهم ذات يوم فلما انصرف نسي عبد الملك بن مروان قوسا (*) له معلقة بشجرة فانصرف ليأخذها واذا جانب المدينة قد انهدم فصاح في اثر الناس فرجعوا وكانت بينهم حرب شديدة وقتال عظيم حتى دخلوا المدينة عنوة واحتووا على جميع ما فيها وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية . وقيل بل كان معاوية بن حديج مقيما بالقرن وبعث عبد الملك بن مروان الى جلولاء في الف فارس فحاصرها أياما فلم يظفر بها وانصرف الناس منكسرين ، فلم يسير الا يسيرا حتى راى في ساقة الناس غبارا كثيرا فظنوا ان العدو قد اتبعهم فرجعوا فاذا مدينة جلولاء قد وقع حائطها من جهة واحدة فانصرف المسلمون اليها فقتلوا من فيها وغنموا وسبوا، وانصرف عبد الملك الى معاوية وهو معسكر بالقرن ينتظره فلما أتاه بالغنائم اختلفوا فيها فقال عبد الملك هي لاصحابي خاصة ، وقال ابن حديج بل لجماعة المسلمين وكتب الى [135] معاوية بن ابي سفيان ، فعاد جوابه : (العسكر) ردء (25) السرية فاقسم بين الناس جميعهم فوقع سهم الفارس ثلثمائة دينار.

قال البلاذري أول من غزا صقلية معاوية بن حديج بعث اليها عبد الله بن قيس وسنذكر ذلك في اخبارها ان شاء الله تعالى.

---

(24) جلولاء على مقربة من القيروان الحالية، تبعد عنها اربعة وعشرين ميلا، وهي مدينة كبيرة وحصن بيزنط قديم، كان أحد محارس للهضبة وتعتبر من أهم حصون خط الدفاع الثاني لولاية افريقية، ويصفها البكري بقوله : «وهي كثيرة الاشجار واكثر رياحينها الياسمين وبطيب عسلها يضرب المثل.. ومنها كان يرد كل يوم الى القيروان من احمال الفواكه والبقول ما لايحصى كثرة» البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 32، الادريسي : صفة المغرب... ص 120.

* فرسا في د، ج وصححتها من ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 17 ولاحظ التطابق مع ما أورده كل من ابن عذارى والحميري في الروض المعطار ص 168.

(25) العسكر زيادة من ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص 192.

قال : ثم انصرف معاوية بن حديج الى مصر فأقره معاوية بن أبى سفيان عليها وعزلـه عن افريقيـة وأفردهـا عن مصـر واستعمـل عليهـا من قبلـه (26) .

ذكر ولاية عقبة بن نافع الفهرى وفتح افريقية الفتح الثـالث وبناء القـيروان

قال : ثم أرسل معاوية بن أبى سفيان ، عقبة بن نافع الى افريقية في سنة خمسين وكان مقيما ببرقـة وزويلة من أيـام عمرو بن العـاص فجمـع من اسلم من البربـر وضمه الى الجيش الـوارد عليه وكان جملة الجيش الـوارد من معاوية عشـرة آلاف فـارس من المسلمين فسـار عقبة الى افريقية فافتتحها ووضـع السيـف حتى افنى من بها من النصـاري. ثم قال : «ان افريقية اذا دخلها امام تحوموا (*) بالاسلام، فاذا خرج منها رجع من كان اسلم منهم وارتد الى الكفر، وأرى لكـم يا معشر المسلمين ان تتخذوا بهـا مدينـة نجعل بهـا عسكـرا ويكون عـز الاسلام الى آخر الدهـر» فأجابـه [136] النـاس الى ذلـك.

ذكـر بنـاء مدينـة القيـروان :

قال المؤرخون (**) لما أراد عقبة بن نافع بناء مدينة القيروان وأجابه المسلمون الى ذلك أتى بهم الى موضعها وهو اذ ذاك شعاري لا يسلـك وقال : شأنكم فقالوا له : انك أمرتنا بالبناء في شعاري وغياض لا تسلك ولا نـرام ونحن نخاف من السبـاع والحيـات وغير ذلك من خشاش وكـان عقبة مستجاب الدعوة فدعـا الله عز وجل وجعل اصحابه يؤمنون على دعائـه ، وكان في عسكـرد ثمانيـة عشر رجلا من أصحاب رسول اللـه صلى الله عليه وسلـم ، فجمعهم ونـادى ايتها الحيات والسباع نحـن

---

(26) قـارن البلاذرى : فتوح البلدان ص 233.

* تحرموا فى ج 2 : 11

** المؤرخين فى ج 2 : 11

أصحاب رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ارحلوا عنا انـا نازلون ومن وجدناه بعـد ذلك قتلناه فنظـر الناس في ذلـك اليوم الى السباع تحمـل اشبالها والذئاب تحمل اجراها والحيات تحمل أولادها (27).

فأسلم كثير من البربر ونادى عقبة في الناس كفو عنهم حتى يرتحلو، عنا فلما خرج ما فيها من ذلك جمع عقبة وجوه أصحابه ودار بهم حول المكان واقبل يدعو اللـه ويقول : اللهم املاها علما وفقهـا وأعمرهـا بالمطيعين والعابدين وامنعنا من جبابرة الارض ثم نزل عقبة الوادي [137] وأمـر الناس يختطـوا ويقلعوا الشجـر.

قـال : فأقـام (*) أهـل افريقيـة بعـد ذلـك أربعيـن سنة لا يـرون بهـا حيـة ولا عقربـا . قـال : واختـط دار الامـارة والمسجد الاعظم ولم يحدث فيه بنـاء وكان يصلى فيه وهو كذلك، فاختلف الناس في القبلة وقالوا : ان اهل المغرب (**) يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجـد فاجهـد نفسك في امرها فاقاموا مـدة ينظـرون الى مطالع الشتاء والصيف من النجـوم ومشارق الشمـس ، فلما رأى عقبـة الاختلاف اهتم لذلك وسأل الله تعالى فاتاه آت في منامه فقال له : يا ولى رب العالمين اذا اصبحت فخذ اللواء واجعله على عنقـك فانك تسمع بين يديك تكبيرا لم يسمعه غيرك، فالموضع الذي ينقطع عنك التكبير فهو قبلتك ومحرابه(***)

---

(27) يتفق المؤرخون أن بناء مدينة القيروان، كان موضـوع كرامة عجيبـة تنسـب الى عقبـة بن نـافع ولكن كتاب فتوح افريقية المنسوب الى الواقدى برغم مـا يحتويه من أخطـاء وأسـاطير، يقـدم لنا تفسيرا منطقيا لتلك الكرامة اذ يروى الواقدى أن الرجال اشتكوا من عـدم وجود مقر تقيـم فيه نسائهن وتحفظ فيه الاموال «وقالوا له ابنى لنا بلدة فى هذا الموضع (القيروان) قال لهم عقبة.. ان هذا الموضع كثير الاشجار. قالوا له : نحرقه بالنـار ونبنى فيه» واذا علمنـا أن هـذا مـا يحدث حتى الان عندما يراد تنظيف مكان مما فيه الحشائش والاشواك «حتى لاتعـود الى الانبـات مرة أخـرى ادركنـا السبب فى هروب الحيوانات من النار وليس بنـاء على كرامة عقبة. فتوح افريقية (تونس 1966م) ص 4. سعد زغلول عبد الحميد : فتح العرب للمغرب بيـن الحقيقـة التـاريخية والاسطورة الشعبية، مجلة كلية الاداب، اسكندرية 1963 ص 19 ــ 20.

* فأقاموا فى ج 2 : 12 ** المغرب فى ج 2 : 12

*** محراب فى ج 2 : 12

مسجدك وقد رضى الله عز وجل أمر هذه المدينة ، وهذا المسجد وسوف يعز بها دينه ويذل بها من كفرة الى آخر الدهر. فاستيقظ من منامه ، وقد جزع جزعا شديدا فتوضأ وأخذ في الصلاة في المسجد وهو لم يبن بعد ، ومعه أشراف الناس ، فلما طلع الفجر وركع عقبة سمع التكبير بين يديه فقال لمن حوله : الا تسمعون : قالوا : لا نسمع شيئا فقال : ان الامر من عند الله عز وجل، فاخذ اللواء ووضعه على عاتقه [138] وأقبل يتتبع التكبير بين يديه حتى انتهى الى محراب المسجد فانقطع التكبير فركز لواء ، وقال : هذا محرابكم .

ثم أخذ الناس في بنيان الدور والمساكن والمساجد فعمرت وكان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع، فكملت في سنة خمس وخمسين وسكنها الناس (28) وعظم قدرها وكان في موضع القيروان حصن لطيف للروم يسمى قمونية.

قال ودبر عقبة أمر افريقية احسن تدبير الى ان عزل معاوية ابن أبى سفيان، معاوية بن خديج عن مصر وولى مسلمة بن مخلد الانصاري مصر وافريقية (29) .

ذكر ولاية مسلمة بن مخلد

قال : ولما وصل مسلمة الي مصر استعمل على افريقية مولى له يقال له دينارا ويكنى أبا المهاجر وذلك في سنة خمس وخمسين ، وعزل عقبة فلما وصل كره ان ينزل بالموضع الذي اختطه عقبة ، فنزل

(28) تختلف الروايات فى تقدير مساحة المدينة فيتفق ابن الاثير مع النويرى ويرويان أن دورها (اى محيطها)كان 3600 باع (ثلاثة آلاف وستمائة)، بينما يروى ابن عذارى ان دورها بلغ 13600 ذراع (ثلاثة عشر ألفا وستمائة) ويعلق سعد زغلول عبد الحميد أن المساحة الاولى التى تقدر بحوالى 5800 متر معقولة بالنسبة للمدينة العسكرية، أما المساحة الثانية التى تقدر بحوالى 7000 متر فهى معقولة لمساكن العسكر والقبائل ومن انضاف اليهم من أهل البلاد. ابن الاثير : الكامل ج 3 ص 466، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 21، تاريخ المغرب العربى ج 1 ص 186 — 187.

(29) أنظر ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 20، 21، الحميرى. الروض المعطار ص 486 — 487.

عنه بمسافة ميليـن واختط مدينة واراد ان يكون له ذكرها ويفسد ما عمله عقبة فسماها البربر تيكيروان (30) فأخذ في عمارتها وأمر الناس ان يخربوا القيروان ويعمروا مدينته ، وتوجه عقبة مغضبا الى معاوية بن أبى سفيان فقال له انى فتحت البلاد ودانت الى وبنيت المساجد واتخذت المنازل [139] وأسكنت الناس ثم أرسلت عبد الانصار فأساء فاعتذر اليه معاوية وقال قد رددتك الى عملك واليا وتراخى الامر حتى توفى معاوية وولى يزيد ابنه ، فلما علم حال عقبة غضب وقال : ادركها قبل ان تهلك وتفسد ورده واليا على افريقية .

ذكر ولاية عقبة بن نافع ثانية

قال : كانت ولايته في سنة اثنتين وستين ، فسار من الشام (31) فلما مر على مصر ركب اليه مسلمة بن مخلد وسلم عليه واعتذر من فعل أبى المهاجر وأقسم بالله لقد خالفه فيما صنع فقبل عقبة عذره ومضا مسرعا حتى قدم افريقية فأوثق أبا المهاجر في الحديد وأمر بخراب مدينته ورد الناس الى القيروان.

ثم عزم على الغزو وترك بالقيروان جندا وعليهم زهير ابن قيس، ودعا أولاده فقال لهم : انى بعت نفسى من الله تعالى بيعا مربحا ، ان أجاهد من كفر حتى الحق بالله ولست أدري أتروني بعدها أو أراكم لان أملى (*) الموت في سبيل الله، ثم قال : عليكم سلام الله اللهم تقبل منى نفسى في رضاك.

(30) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص 197 — 198، المالكى : رياض النفوس ج1 ص 20. وتذكر الروايات ان ابا المهاجر نزل بموضع للبربر يعرف بدكرور او تكرور. وهذا يعبر عن تفكير أبى المهاجر فى المزج والتقريب بين العرب والبربر، وهو الاساس الذى بنيت عليه سياسته اذ يذكر الكتاب لابى المهاجر انه اول من طبق سياسه الاستقرار الدائم للعرب فى افريقية. أنظر حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ص 153 — 154.

(31) من هنا تبدا القطعة الخاصة بتاريخ افريقية والمغرب المنسوبة للرقيق القيروانى والتى قام بتحقيقها المنجى الكعبى بتونس سنة 1968.

* ابتلى فى ج 2 : 14.

ومضا في عسكر عظيم حتى أشرف على مدينة باغاية وقاتل أهلها قتالا شديدا وأخذ لهم خيلا لم يـر المسلمون في مغازيهم أصلب منها ودخل الروم [140] حصنهم فكـره عقبـة ان يقيم عليه . فمضى الى بليـش وهي من أعظم مـدن الروم فلجأ اليها من كـان حولها منهم وخرجوا اليه وقاتلوه قتـالا شديـدا حتى ظـن الناس انه الفنـاء فهزمهم وتبعهم الـى بـاب حصنهم وأصاب غنائم كثيرة وكـره المقام عليهـا.

فرحل (*) الـى بـلاد الـزاب فسـأل عـن اعظـم مدائنهـم قـدرا فقالـوا مدينـة يقـال لهـا ازبـه (32) فيهـا الملـك وهـي مجمـع ملـوك الـزاب وحولهـا ثلثمـائـة قريـة وستـون قريـة (33) كلهـا عامـرة ، فلمـا بلغهم امـره لجأوا الى حصنهم وهرب بعضهم الى الجبـال والوعـر فنـزل عليها وقـت المسـاء فلمـا اصبـح أمـر بالقتال فكانت بينهم حـروب حتى يئس المسلمون من الحيـاة فأعطـاه الله الظفـر فانهزم القـوم وقتل أكثـر فرسـان الروم وذهب عزهم من الزاب وذلوا آخر الدهـر ورحل حتى نـزل تاهرت ، فلما بلغ الـروم خبـره استعانوا بالبربر فأجابوهم ونصروهم فقام عقبة وخطب النـاس وحرضهم على القتـال فالتقوا واقتتلوا فلم يكـن للـروم والبربر طاقـه بقتالهم فقتلهم قتلا ذريعا وفـرق جمـوع الروم عن المدينة (34) .

* مرجع ى ج 2 : 14.

(32) يتفق كل من الدباغ فى معالم الايمان ج 1 ص 44 وابن خلدون فى تاريخه ج 4 ص 185 والحميرى فى الروض المعطار ص 20 ان اسم المدينه هو «اذنــه» ورسمهـا البكرى ص 144 والمالكى، ج 1 ص 23 «ادنه» بالدال المهملة.

ويضيف الحميرى فى كتابه الروض المعطار فى خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، معلومات جديدة عن المدينه وظروف فتحها انظر ص 20 مادة «أذنة».

(33) ذكر محقق قطعة الرقيق القيروانى أن عدد قرى مدينة أذنه «ثلاثمائة قرية»، بينما يتفق كل من المالكى ج 1 ص 23 والنويرى والحميرى أن عددها «ثلاثمائة وستون قريه»

(34) ويتضح لنـا من الفقرة السابقة أن قطعة الرقيق القيروانى والنويرى والحميرى يعتمدون على مصـدر واحد، لتطابق كل من الرقيق والحميرى والاختصار عند النويرى. قارن القيروانى ص 42 ـ 43 والنويرى والحميرى ص 20.

ثم رحل حتى نزل طنجة فلقيه ملك من الروم يقال له ايليان وكان شريفا في قومه فاهدى اليه هديه حسنه ولاطفه ونزل على حكمه فسأله عن بحر الاندلس [141] فقال : انه محفوظ لا يرام ، فقال : دلني على رجال البربر والروم فقال : قد تركت الروم خلفك وليس امامك الا البربر وفرسانهم(*) فقال عقبه : فاين موضعهم ، قال : في السوس الادنى وهم قوم ليس لهم دين، ياكلون الميته، ويشربون الدم من انعامهم، وهم امثال البهائم يكفرون بالله ولا يعرفونه، فقال عقبة : لاصحابه ارحلوا على بركة الله، فرحل من طنجة الى السوس الادنى وهو في جنوب مدينه طنجة التى تسمى تارودانت فانتهى الى اوائلهم فقتلهم قتلا ذريعا وهرب من بقى منهم وتفرقت خيله في طلبهم.

ومضا حتى دخل السوس الاقصى فاجتمع البربر في عدد كثير لا يحصهم الا الله تعالى فقاتلهم قتالا لم يسمع بمثله فقتل خلقا كثيرا منهم وأصاب نساء لم ير الناس مثلهن فقيل أن الجارية كانت تساوي بالمشرق الف مثقال وأكثر وأقل وسار حتى بلغ البحر المحيط لا يدافعه أحد (35) ولا يقوم له فدخل فيه حتى بلغ الماء لبان فرسه ورفع يده الى السماء وقال : «يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد الى ملك ذي القرنين مدافعا عن دينك ومقاتلا من كفر بك وعبد غيرك» ثم قال لاصحابه : انصرفوا على بركة الله وعونه فخلا الناس عن طريق عساكره هاربين [142] وخاف المشركون منه أشد مخافة .

وانصرف الى افريقية فلما انتهى الى ماء اسمه اليوم ماء فرس ولم يكن به ماء فأصابهم عطش اشفى منه عقبة ومن معه على الموت فصلى ركعتين ودعى الله عز وجل فجعل

* «في عدد لا يعلمه الا الله تعالى وهم أنجاد البربر وفرسانهم» مابين قوسين زيادة في ج 2 : 14، ع.

(35) لاحظ التطابق بين النويرى والرقيق القيروانى ص 45 ــ 46.

فرسه يبحث الارض بيديه حتى كشف عن صفـاة فانفجر منهـا المـاء وجعـل الفـرس يمص ذلك المـاء فنـادى عقبة في النـاس ان احتفـروا فحفروا سبعين حساة فشربوا واسقوا فسمى ماء فـرس.

وسار حتى انتهى الى مدينة طبنة وبينها وبين القيروان ثمانية أيام، فأمر أصحابه أن يتقدموا فوجا بعد فوج الى افريقية ثقة منه بما دوخ من البلاد وانه لم يبق احدا يخشاه، وسار يريد تهودة لينظر اليها والى بادس ويعرف ما يصدهما من الفرسان فيترك (*) فيهما بقدر الحاجة فلما نظر الروم الى قلـة من معه طمعوا فيه وأغلقوا أبـواب حصونهم دونه وشتموه ورموه بالنبـل والحجارة وهو يدعوهم الى الله عز وجل (36) فلما توسط البلاد بعث الروم الى كسيلة بن بهـرم الاوربى (**) وكـان في عسكـر عقبـة.

ذكـر خـروج كسيلـة وقتـل عقبـة بـن نافـع واستيلائه على القيروان :

كان كسيلة هذا من أكابـر البربـر ، وكان قد اسلم في ولاية أبـي المهاجر وحسن [143] اسلامه ، وقدم عقبـة فعرفه أبو المهاجر بحـال كسيلة وعظمـه في البربـر وانقيادهـم اليـه فلم يعبـأ بهم عقبة واستخف به وأهانه ، فكان من اهانته له أنه أتى بغنم فأمر بذبحها وأمر كسيلة أن يسلخ منها شاة فقـال : «أصلح الله الامير هـؤلاء فتيانى وغلمانـى يكفوننى المؤنـة» فسبه عقبة وأمـره بالقيـام فقام مغضبا وذبح الشاة وجعل يمسح لحيته بما على يديـه من دمها فجعلت العرب يمرون بـه ويقولون له يا بربري ما هذا الذي تصنع فيقول هذا جيد للشعر حتـى مـر به شيخ من العرب فقـال كـلا ان البربـري يتواعدكم فقال أبـو المهاجر لعقبـة : «ما صنعت أتيت الى رجل جبار في قومه وبـدار عـزة وهو قريب عهـد بالشـرك فأفسدت قلبـه أري ان توثقه كتافا فانـي أخـاف عليـك من فتكـه» فتهاون بـه عقبـة.

(36) ابـن الاثير : الكـامل في التاريخ ج 4 ص 105 — 106.

* فينزل في ج 2 : 15

** الاورثى في ج 2 : 16

فلما رأى كسيلة ، الروم قد راسلوه ورأى فرصة وثب وقام في بني عمه وأهله ومن اجتمع اليه من الروم فقال أبو المهاجر لعقبة : «عاجله قبل ان يجتمع أمره» ، وأبو المهاجر مع ذلك كله صحبة عقبة وهو في الحديد فزحف عقبة الى كسيلة فتنحى عنه فقال البربر له لم تنحيت من بين يديه ونحن في خمسة آلاف فقال انكم كل يوم في [144] زيادة وهو في نقصان ومدد الرجل قد افترق عنه فاذا طلب افريقية زحفت اليه ، وأما أبو المهاجر فانه تمثل بقول أبي محجن الثقفي :

كفى حزنا تمزع الخيل بالقنا واترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عناني الحديد وأغلقت مصارع من دوني تصم المناديا

فبلغ ذلك عقبة بن نافع فأطلقه وقال له : الحق بالمسلمين فقم بأمرهم وأنا أغتنم الشهادة، فقال أبو المهاجر : وأنا اغتنم ما اغتنمت، فصلى عقبة ركعتين وكسر جفن سيفه وفعل أبو المهاجر كفعله وكسر المسلمون اغماد سيوفهم وأمر عقبة ان ينزلوا عن خيلهم ففعلوا وقاتلوا قتالا شديدا وكثر عليهم العدو فقتلوا عن آخرهم ولم يفلت منهم احد (37)

فعزم زهير بن قيس على قتال البربر فخالفه بعض أصحابه ففارق القيروان وسار الى برقة وأقام بها وتبعه أكثر الناس، وأما كسيلة فاجتمع اليه جمع كبير فقصد القيروان (38) وبها أصحاب الانفال والذراري من المسلمين فطلبوا الامان من كسيلة فأمنهم ودخل القيروان واستولى على افريقية وأقام بها الى أن قوي أمر عبد الملك بن مروان فذكر عنده أمر القيروان ومن بها من [145] المسلمين فأشار عليه أصحابه بانفاذ الجيوش اليها ليستنقذها من يد كسيلة فاستعمل عليها زهير ابن قيس (39) .

---

(37) تارن المالكى ص 26 — 27 وتطابق المعلومات والاسلوب والحميرى مادة «تهودة» ص 142، 143.

(38) هذه الصفحات سقطت من نسخة الرقيق القيروانى أنظر ص 46.

(39) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج 4 ص 107 — 108.

ذكر ولاية زهير بن قيس البلوى وقتل كسيلة البربرى

قال : ولما أشير على عبد الملك بن مروان بارسال الجيش الى افريقية قال : لا يصلح للطلب بثار عقبة بن نافع من المشركين الا من هو مثله في دين الله عز وجل، فاتفق رأيهم على زهير بن قيس، وقالوا : هو صاحب عقبة وأعرف الناس بسيرته وأولاهم بطلب ثاره ، وكان زهير ببرقة مرابطا منذ قفل من افريقية ، فكتب اليه عبد الملك بالخروج على اعنة الخيل الى افريقية فكتب اليه زهير يستمده بالرجال والاموال فوجه اليه بالاموال ووجوه اهل الشام ، فلما وصل ذلك اليه اقبل الى افريقية في عسكر عظيم وذلك في سنة تسع وستين فبلغ خبره (*) كسيلة فجمع البربر وتحول عن القيروان الى ممش وجاء زهير فأقام بظاهر القيروان ثلاثة أيام ، حتى استراح وأراح ثم رحل الى كسيلة والتقيا واشتد القتال وكثر القتل في الفريقين فأجلت الحرب عن قتل كسيلة وجماعة من أصحابه وانهزم من بقى منهم [146] فتبعهم الجيش فقاتلوا من ادركوه منهم فذهب رجال البربر والروم وأشرافهم وملوكهم في هذه الوقعة .

وعاد زهير الى القيروان فرأى ملك افريقية ملكا عظيما فقال انما احببت الجهاد وأخاف أن أميل الى الدنيا فأهلك، وكان عابدا زاهدا فترك بالقيروان عسكرا ورحل في جمع كبير يريد المشرق وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسيرة من برقة الى افريقية وخلوها فخرجوا اليها في مراكب كثيرة من جزيرة صقلية فأغاروا علي برقة وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قدوم زهير من افريقية فقاتلهم بمن معه أشد قتال وترجل هو ومن معه وقاتلوا فعظم الخطب وتكاثر الروم عليهم فقتل زهير وأصحابه ولم ينج منهم احد وعاد الروم بما غنموه الى القسطنطينية ، ولما بلغ عبد الملك قتل زهير عظم ذلك عليه وكانت

* الى زيادة فى ج 2 : 18.

المصيبة به كالمصيبة بعقبة وشغل عبد الملك عن القيروان بما كان بينه وبين عبد الله بن الزبير ، فلما قتل ابن الزبير جهز عبد الملك حسان بن النعمان اليها (40) .

ذكر ولاية حسان بن النعمان الغساني افريقية

[147] قال : كان عبد الملك قد أمر حسان بن النعمان بالمقام بمصر في عسكر عدته أربعون الفا وتركه بها عدة لما يحدث فكتب اليه بالنهوض الى افريقية ، ويقول أني قد اطلقت يدك في أموال مصر فاعط من معك ومن ورد عليك من الناس واخرج الى جهاد افريقية على بركة الله ، **قال : ابن الاثير في تاريخه الكامل** : انه استعمله في سنة اربع وسبعين بعد مقتل عبد الله بن الزبير ، **وقال ابن الرقيق** انه ندبه الى افريقية بالجيوش في سنة تسع وستين ، قال فدخل افريقية بجيش عظيم مادخلها مثله قط فدخل القيروان وتجهز منها الى قرطاجنة .

ذكر فتح قرطاجنة وتخريبها :

قال : ولما دخل حسان الى القيروان سأل عن اعظم ملك بقى بافريقية فقيل له صاحب قرطاجنة وهى بلدة عظيمة ولم تفتح بعد ولا قدر عليها عقبة فسار اليها وقاتل من بها من الروم والبربر اشد قتال فانهزموا وركبوا في البحر وسار بعضهم الى صقلية وبعضهم الى الاندلس ودخل حسان قرطاجنة بالسيف فقتل وسبا ونهب وأرسل الجيوش الى ما حولها ثم أمر بهدمها فهدم المسلمون منها ما أمكنهم ثم بلغه ان الروم والبربر قد [148] اجتمعوا في سطفورة (41)

---

(40) يلاحظ تطابق كل من الرقيق القيروانى ص 49 — 54 والنويرى فى العديد من الفقرات مع حذف النويرى لبعض المعلومات التى لا تخل بالموضوع.

(41) سطفورة فى د،ج 2: 19 وفى الادريسى : صفة المغرب وأرض السودان والاندلس من نزهة المشتاق ص114، الحميرى: الروض المعطار ص318، يذكران الاسم سطفورة ويصفها الحميرى بقوله : اسم اقليم جليل فيه قرى وقواعد، وهو على بنزرت، كان يقال له سطفورة، ومدنه : بنزرت وتينجة وغيرهما». ويضيف الحميرى خلال وصفه لمدينة بنزرت بأنها «أم بلاد عمل صطفورة» ص 104 مما يوضح انها مرة تقرأ بالسين والاخرى بالصاد.

وبنزرت فسار اليهم وقاتلهم فهزمهم وأكثر القتل فيهم واستولى المسلمون على بلادهم ولم يترك موضعا منها حتى وطئه فخافه أهل افريقية خوفا شديدا ولجأ المنهزمون من الروم الى مدينة باجة فتحصنوا بها وتحصن البربر بمدينة بونة وعاد حسان الى القيروان فأقام بها حتى أراح واستراح .

ذكر حروب حسان والكاهنة وتخريب افريقية وقتل الكاهنة :

قال : ثم قال حسان للناس دلونى على أعظم من بقى من ملوك افريقية فدلوه على امرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة وقالوا انها بجبل أوراس وهى بربرية اجتمع البربر عليها «بعد قتل كسيلة وكانت تخبر ناسا فيقع كا اخبرت عنها» (*) وعظموا محلها عند حسان وقالوا ان قتلها لم يختلف (**) البربر بعدها عليك ، فسار اليها فلما قاربها هدمت حصن باغاية ظنا منها انه يريد الحصون فلم يعرج حسان على ذلك وسار اليها فالتقوا على نهر نينى (42) واقتتلوا أشد قتال فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وأسرت جماعة من أصحابه فاكرمتهم الكاهنة وأطلقتهم الا خالد بن يزيد القيسى وكان شريفا شجاعا فاتخذته ولدا.

وسار حسان منهزما وفارق افريقية وكتب الى عبد [149] الملك بما كان من امره ، فامره بالمقام الى أن يأتيه أمره فأقام بعمل برقة خمس سنين فسمى ذلك المكان قصور حسان وملكت الكاهنة افريقية كلها وأساءت السيرة في أهلها ، ثم بعث عبد الملك الى حسان بالاموال والجيوش وأمره بالمسير الى افريقية وقتال الكاهنة فسار

---

* مابين قوسين زيادة فى ج 2 : 20، ع   ** تختلفوا فى ج 2 : 20

(42) يطلق عليه الرقيق القيروانى «بلى» ويسميه ابن عذارى بوادى سكتانة، وابن خلدون مسكيسانة، انظر تاريخ افريقية والمغرب ص 56 والبيان المغرب ص 21 والعبر ج 4 ص 164. بينما يتفق كل من ياقوت وابن الاثير والنويرى على وجود نهر نينى ويصفه ياقوت «بانه واد شهير فى طرف افريقية» انظر ابن الاثير : أسد الغابة ج 4 ص 144.

اليهــا فقالت الكاهنــة لقومها ان العــرب يريدون البــلاد والذهب والفضة ونحــن انما نريــد المزارع والمراعي ولا أرى الا خراب افريقيــة حتــى ييأســوا منها وفرقــت أصحابها ليخربــوا البلاد فخربوها وهدموا الحصون وقطعوا الاشجار ونهبــوا الامــوال .

قــال عبد الرحمن بن زيــاد بن انعم (43) وكانت افريقية من طرابلس الى طنجــة ظلا واحــدا وقرى متصلــة فأخربت ذلك، فلما قــرب حسان من البــلاد لقيه جمع من أهلهــا من الــروم يستغيثون به من الكاهنــة فســره ذلك وسار الى قابــس فلقيه اهلهــا بالامــوال والطاعة وكانوا قبل ذلــك يتحصنون من الامــراء فجعل فيهــا غلاما وسار الى قفصة فأطاعه من بهــا واستولى عليهــا وعلى قصطيليــة ونفزاوة وبلغ مقدمه الكاهنــة فأحضــرت ولديــن لها وخالد بن يزيــد وقالت لهم انني مقتولة فامضوا الى حســان وخذوا لانفسكم منه [150] أمانــا فساروا اليــه فوكل بولديها من يحفظهــا وقدم خالــد بن يزيــد على اعنة الخيــل.

وســـار حســـان نحـــو الكاهنـــة فالتقـــوا واقتتلـــوا واشتـد القتـــال وكثـــر القتلـــى حتـــى ظـــن النـــاس انـــه الفنـــاء ثـــم نصـــر اللـــه المسلميـــن وانهـــزم البربـــر وقتلـــوا قتلا ذريعـــا وانهزمت الكاهنة ثم أدركت فقتلت (43 م) ثم استأمن البربر الى حسان فأمنهم وقرر عليهم أن يكــون منهم عسكرا مع المسلمين عدتهم اثنــا عشر الفــا يجاهدون

---

(43) قارن الرقيق القيرواني واعتماده على رواية عبد الرحمن بن زياد بن انعم ص 61

(43م) ويذكر المالكي ان الكاهنة قتلت بعد معركتان مع حسان، الاولى منهما عند قابس ويرجح أنهــا المعركة التي يقال انهــا وقعت قرب حصن الجم، والثانية وهي الفاصلة وقعت في جبل اوراس، وهذا مــا تؤيده رواية الدباغ.

وأما عن طلب ابناء الكاهنة الامان، فقد كــان ذلك مشروعا في ظل عادات وتقاليد القبــائل البربرية. ولكن توقيت الامان هو المختلف عليه، اذ المعقول أن يكون أبنــاء الكاهنة قــد طلبوا الامان بعد القضاء على والدتهم أو أن يكونوا قد خرجوا عليهــا كمــا خرج غيرهم ممن لم يرضوا عن سياستها. انظر المالكي : رياض النفوس 1 : 35، معــالم الايمــان 1 : 60. سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي 1 : 225 – 226.

العدو وقدم عليهم ابنى الكاهنة ثم فشا الاسلام في البربر ، وعاد حسان الى القيروان وبطل النزاع واستقامت افريقية له.

فلما مات عبد الملك وولى الوليد وكان على مصر وافريقية عبد العزيز ابن مروان (44) فعزل حسان واستقدمه وبعث اليه بأربعين رجلا من أشراف أصحابه وأمرهم ان يحتفظون بجميع ما معه فعلم حسان ما يراد منه فعمد الى الجوهر واللؤلؤ والذهب فجعله في قرب الماء وطرحها في العسكر وأظهر ما وراء ذلك فلما قدم على عبد العزيز بن مروان بمصر اهدى اليه مائتى جارية ووصيف من خيار (*) ما كان معه ويقال ان حسان كان معه من السبى خمسة وثلاثين الف رأس فانتخب منها عبد العزيز ما أراد وأخذ منه خيلا كثيرة ورحل حسان بما بقى معه حتى [151] قدم على الوليد بن عبد الملك فشكا اليه ما صنع به عبد العزيز فغضب الوليد وانكره فقال حسان لمن معه ائتونى بالقرب فأتى بها فأفرغها بين يدي الوليد فرأى ما اذهله من اصناف الجوهر واللؤلؤ والذهب ، فقال حسان : يا أمير المومنين انما خرجت مجاهدا في سبيل الله ولم أخن الله تعالى ولا الخليفة ، فقال له الوليد : اردك الى عملك واحسن اليك ، فحلف حسان لا أولى (**) لبنى أمية ولاية أبدا فغضب الوليد على عمه عبد العزيز لما عامل به حسان وكان حسان يسمى الشيخ الامين لتقيته (***) وأمانته ثم ولى بعده موسى بن نصير.

---

(44) لايتفق الكتاب على تاريخ عودة حسان الى المشرق. فالامر يختلط على القدامى منهم مثل ابن الخياط وابن عبد الحكم اللذين يحددان عودته بسنة 76هـ/695م و 78هـ/697م وذلك حتى يتفق هذا التاريخ مع الروايات التى يوردانها، عن الخلاف بين عبد العزيز بن مروان الذى توفى فى سنة 85هـ/704م وبين حسان.

ونرى أن التاريخ الذى يحدده النويرى فى 89هـ لولاية موسى بن نصير مقبول وعلى ذلك يكون الذى عزل حسان — ان كان قد عزل فعلا — عن المغرب هو عبد الله ابن عبد الملك الذى خلف عمه عبد العزيز بن مروان فى ولاية مصر سنة 85 هـ/704م. وتكون قصة نزاع عبد العزيز مع حسان غير صحيحة. انظر ابن الخياط : تاريخه ج 1 ص 276، ص 300 — 301، ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص 200، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ج 1 ص 235 .وما بعدها.

* خيل فى ج 2 : 21

** انه لاولى فى ج : 22

*** لثقته فى ج 2 : 22.

ذكر ولاية موسى بن نصير افريقية وماكان من حروبه وآثاره

كانت ولايته في سنة تسع وثمانين وذلك ان حسان بن النعمان لما امتنع من اجابة الوليد الى رجوعه اليها كتب الوليد الى عمه عبد العزيز ان يوجه موسى بن نصير الى افريقية وان تكون ولايته من قبل الوليد وافرد افريقية عن مصر فسار موسى حتى قدم افريقية وعزل عنها صالحا خليفة حسان بها فبلغه أن بأطراف افريقية قوما خارجين عن الطاعة فوجه اليهم [152] ابنه عبد الله فقاتلهم وظفر بهم وأتاه بمائة الف رأس من سبيهم ثم وجه ولده مروان الى جهة اخرى فاتى بمائة الف رأس [ثم توجه هو بنفسه الى جهة أخرى فاتى بمائة الف رأس، قال الليث بن سعد : «فبلغ الخمس يومئذ ستين ألف رأس»] (*) ولم يسمع بمثل هذا في الاسلام .

ثم خرج غازيا الى طنجة يريد من بقي من البربر فهربوا منه فاتبعهم يقتل فيهم حتى بلغ السوس الادنى لا يدافعه أحد فاستأمن البربر اليه وأطاعوه فقبل طاعتهم وولى عليهم واليا ثم استعمل على طنجة وبلادها مولاه طارق بن زياد وتركه بها في تسعة عشر الف فارس من البربر وطائفة يسيرة من العرب لتعليم البربر القرآن وفرائض الاسلام ورجع الى افريقية فمر بقلعة مجانة فتحصن أهلها منه فنزل عليها من يحاصرها مع بشر بن فلان ففتحها فسميت قلعة بشر ولم يبق بافريقية من ينازعه من البربر ولا من الروم (45) .

ذكر فتح جزيرة الاندلس وشيء من اخبارها

كان فتح الاندلس في سنة اثنتين وتسعين على يد طارق بن زياد مولى موسى بن نصير ، **وقد ذكر ابن الاثير في تاريخه الكامل اخبار**

---

* مابين القوسين زيادة من ج 2 : 22 — 23، ع.

(45) وحتى هنا ينقل النويري فيما يخص فتح العرب للمغرب من الرقيق القيرواني اما نصا او تلخيصا لا يخل بالموضوع. انظر فتوح افريقية والمغرب ص 68 — 71.

الاندلس وابتدأ أمرها فاخنرنا ايراد ذلك لانها من أعظم الفتوحات الاسلامية .

قال ابن الاثير : قالوا أول من سكنها بعد الطوفان قوم يعرفون بالاندلش [153] بشين معجمة ثم عرب بعد ذلك بسين مهملة والنصاري تسميها اشبانية باسم رجل صلب فيها يقال له اشبانش وقيل باسم ملك كان بها في الزمان الاول اسمه اشبان بن طيطش وهذا هو اسمها عند بطليموس وقيل سميت باندلس بن يافث بن نوح وهو أول من عمرها وقيل أول من سكنها بعد الطوفان قوم يعرفون بالاندلس فعمروها وتداولوا ملكها دهرا طويلا وكانوا مجوسا ثم حبس الله عنهم المطر وتوالى عليهم القحط فهلك أكثرهم وفر منها من اطاق الفرار فخلت مائة سنة .

ثم ابتعث الله لعمارتها الافارقة فدخل اليها قوم منهم اجلاهم ملك افريقية لقحط توالى على بلاده حتى كاد يفنى أهلها فحملهم في السفن مع أمير من عنده فارسوا بجزيرة قادس فرأوا الاندلس قد اخصبت بلادها وجرت انهارها فسكنوها وعمروها ونصبوا لهم ملوكا ضبطوا أمرهم وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب من ارض اشبيلية بنوها وسكنوها وأقاموا مدة تزيد على مائة وخمسين سنة ملك منهم فيها أحد عشر ملكا، ثم ارسل الله عليهم عجم رومة وملكهم اشبان بن طيطش فغزاهم ومزقهم وقتل منهم وحاصرهم بطالقة وقد تحصنوا بها فابتنا(*)عليها اشبانية وهى [154] اشبيلية واتخذها دار مملكته وكثرت جموعه وعتى وتجبر وغزا بيت المقدس وغنم ما فيه وقتل منه مائة الف ونقل المرمر منه الى اشبيلية وغيرها وغنم منه مائدة سليمان بن داود عليهما السلام وهى التى غنمها طارق لما فتح طليطلة وغنم قليلة الذهب والحجر الذي لقى بماردة (46) .

* فابنى فى ج 2 : 24.
(46) راجع رواية ابى بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام بالمقرى : نفح الطيب جـ 1 ص 130 ومابعدها. ولاحظ تطابق الفقرات واختصار بعضها.

وكان هذا اشبان قد وقف عليه الخضر (*) وهو يحرث الارض فقال له : يا أشبان سوف تحظى وتعلو وتملك فاذا ملكت ايلياء فارفق بذرية الانبياء ، فقال له : اتسخر بي كيف ينال مثلي الملك . فقال له : قد جعله فيك من جعل عصاك هذه كما ترى ، فنظر اليها فاذا هي قد أورقت فارتاع وذهب عنه الخضر ، وقد وثق بقوله فداخل الناس وارتقى حتى ملك ملكا عظيما وكان ملكه عشرين سنة ودام ملك الاشبانية الى ان ملك منهم خمسة وخمسون ملكا ثم دخل عليهم من عجم رومة أمة يدعون البشتومات وملكهم طاويش بن نيطة (**) وذلك حين بعث الله المسيح عليه السلام غلبوا عليها واستولوا على ملكها وملك منهم سبعة وعشرون ملكا وكانت مدينة ماردة دار ملكهم.

ثم دخلت عليهم أمة القوط مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس واقتطعوها من صاحب [155] رومة (47) وكان ظهورهم من ناحية انطاكية شرق الاندلس فغارت في بلاد جدونية (***) من تلك الناحية وذلك في أيام فليودفوس قيصر ثالث القياصرة فخرج اليهم وهزمهم وقتل منهم ولم يظهروا بعدها الى أيام قسطنطين الاكبر وأعادوا بالغارة فسير اليهم جيشا فلم يثبتوا له وانقطع خبرهم الى دولة ثالث ملك بعد قسطنطين فقدموا على انفسهم أميرا اسمه لذريق وكان يعبد الاوثان فسار الى رومة ليحمل النصارى على السجود لاوثانه وظهر منه سوء سيرة فتخاذل اصحابه عنه ومالوا الى اخيه وحاربوه فاستعان بصاحب رومة فبعث اليه جيشا فهزم اخاه ودان بدين النصارى وكانت ولايته ثلاثة عشر سنة ثم ولى بعده اقريط وبعده امريق وغديش (****) وكانوا قد عادوا الى عبادة

---

* (الحصن) فى د وصححتها من ج 2 : 24، ع.
** يدعون البشتولقات وملكهم طلوبش بن بيطة فى ج 2 : 24 — 25.
(47) انظر رواية ابن حيان — المقرى : نفح الطيب ج 1 ص 134 — 135.
*** مجاوريه فى ج 2 : 25.
**** رندس فى د .

الاوثان فجمع من اصحابه مائة الف وسار الى رومة فسير اليهم ملك الروم جيشا فهزموه وقتلوه ثم ملك بعده الريق ثم تداولها **عوة ملوك ذكرهم ابن الاثير** منهم من عبد الاوثان ومنهم من دان بدين النصرانية

الى ان انتهى الملك الى غيطشة وكانت ولايته سنة سبع وسبعين [156] للهجرة ثم توفى وخلف ولدين فلم يرض بهما اهل الاندلس ورضوا برجل يقال له رذريق وكان شجاعا وليس من بيت الملك وكانت عادة ملوك الاندلس انهم يبعثون أولادهم الذكور والاناث الى مدينة طليطلة يكونون في خدمة الملك لا يخدمه غيرهم يتأدبون بذلك فاذا بلغوا الحلم انكح بعضهم بعضا وتولى تجهيزهم فلما ولى رذريق أرسل اليه يليان وهو صاحب الجزيرة الخضراء وسبته وغيرهما ابنته فاستحسنها رذريق فأفتضها فكتبت الى أبيها بذلك (48) فأغضبه فكتب الى موسى ابن نصير عامل افريقية بالسمع والطاعة واستدعاه فسار اليه فأدخله يليان مدائنه وأخذ عليه العهود له ولاصحابه بما يرضى به ثم وصف له الاندلس ودعاه اليها وذلك في آخر سنة تسعين.

فكتب موسى الى الوليد بذلك واستأذنه في غزوها فاذن له اذا لم يكن الوصول اليها في بحر متسع فبعث موسى مولا من مواليه يقال له طريف في اربعمائة رجل ومعهم مائة فارس فساروا في اربع سفن فخرجوا في جزيرة بالاندلس فسميت جزيرة طريف ثم أغار على الجزيرة الخضراء فأصاب غنائم كثيرة ورجع سالما في شهر رمضان سنة احدى وتسعين.

---

(48) ويشترك النويرى مع بقية الكتاب الذين ارخوا لفتح العرب للاندلس وجعلوا من دخول العرب الى الاندلس مادة لقصص مثيرة، أشهرها قصة أبنة يليان وملك الاندلس لذريق. قارن ابن عبد الحكم ص 205، اخبار مجموعة ص 5. بينما تختلف رواية الرقيق الاسطورية، اذ يعتبر يليان كان ابنا لملك الاندلس التى ربما كانت صدى لقصة ابنة يليان وملك القوط الاسباني. راجع سعد زغلول عبد الحميد — تاريخ المغرب العربى ج 1 ص 250 حاشية (383).

فلما رأى [157] الناس ذلك تسرعوا الى الغزو (49) ثم ان موسى دعى مولاه طارق ابن زياد وكان على مقدمات جيوشه فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين أكثرهم البربر والموالى وأقلهم العرب فساروا في البحر وقصدوا جبلا منيفا في البحر وهو متصل بالبر فنزله فسمى الجبل جبل طارق ولما ملك عبد المومن البلاد امر ببناء مدينة على هذا الجبل وسماه جبل الفتح (49م) فلم يثبت به هذا الاسم وجرت الالسن على الاسم الاول وكان حلول طارق به في شهر رجب سنة اثنين وتسعين ،

قال : ولما ركب طارق البحر غلبته عينه فرأى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون والانصار وقد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسى فقال النبى صلى الله عليه وسلم له : يا طارق تقدم لشأنك وامره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ونظر طارق فرأى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد دخلوا الاندلس امامه فاستيقظ من نومه وبشر اصحابه وقويت نفسه وايقن بالظفر فلما تكامل اصحاب طارق بالجبل نزل الى الصحراء وفتح الجزيرة الخضراء فأصاب بها عجوزا فقالت له انى كان لى زوج وكان عالما بالحوادث وكان يحدثهم عن أمير يدخل بلدهم ويغلب عليه ووصف لهم من صفته انه ضخم [158] الهامة وان في كتفه الايسر شامة عليها شعر. فكشف طارق ثوبه فاذا الشامة كما ذكرت فاستبشر(50)

---

(49) ويلاحظ ان استعراض النويرى لفتح الاندلس، جاء نتيجة لخطة موضوعة أقرها الخليفة الاموى بدمشق باتفاق مع قائده على المغرب ويتفق مع رواية عريب بن مسعد بابن عذارى : البيان المغرب ج 2 ص 6 وقد أوردت المراجع الاخرى هذه العبارة بصيغ مختلفة. انظر أخبار مجموعة ص 6 ورواية الخزائني بالمقرى : نفح الطيب ج1 ص 237، ابن الاثير : الكامل ج 4 ص 269.

(49م) الخليفة عبد المؤمن بن على الموحدى (524 ـ 558 هـ/1130 ـ 1163م) واهم أعماله هو تلك المدينة البحرية الحصينة التى بناها على سفح جبل طارق سنة 555هـ ـ 1160م وسماها مدينة الفتح لتكون قاعدة عسكرية كبرى لتجمعات جيوشه القادمة من المغرب أنظر ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 137 ومابعدها، عبد الواحد المراكشى : المعجب ص 213، الحميرى : الروض المعطار ص 382.

(50) قارن ما أورده كل من ابن بشكوال، المقرى : نفح الطيب ج 1 ص 216 والحميرى مادة «الاندلس» عن قصة العجوز ورؤيا طارق ص 35.

قال : ولما افتتح الجزيرة الخضراء وفارق الحصن الذي في الجبل بلغ رذريق خبره فأعظم ذلك وكان غائبا في غزاة فرجع منها وقد دخل طارق بلاده فجمع له جمعا يقال بلغ مائة الف ، فكتب طارق الى موسى يستمده ويخبره بما فتح فأمده بخمسة آلاف فتكامل المسلمون اثنا عشر الفا ومعهم يليان يدلهم على وعورة البلاد ويتجسس لهم الاخبار وأتاهم رذريق في جنده فالتقوا على نهر لكة من أعمال شذونة لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين (51) واتصلت الحرب بينهم ثمانية أيام وكان على ميمنة رذريق وميسرته ولدا الملك الذي كان قبله وغيرهما من ابناء الملوك فاتفقوا على الهزيمة بغضا لرذريق وقالوا : ان المسلمين اذا امتلات أيديهم من الغنيمة عادوا الى بلادهم وبقى الملك لنا. فانهزموا وهزم الله رذريق ومن معه وغرق في النهر وسار طارق الى مدينة استجة في اتباعهم فلقيه أهلها ومعهم من المنهزمين خلق كثير فقاتلوه قتالا شديدا ثم انهزم أهل الاندلس (52) ونزل طارق على عين بينها وبين مدينة استجة أربعة أميال فسمت عين طارق .

قال : ولما سمع القوط بهاتين [159] الهزيمتين ، قذف الله في قلوبهم الرعب وهربوا الى طليطلة وأخلوا مدائن الاندلس فقال له يليان : قد فرغت من الاندلس ففرق جيوشك وسر انت الى طليطلة، ففرق جيوشه من مدينة استجة فبعث جيشا الى قرطبة وجيشا الى غرناطة وجيشا الى مالقة وجيشا الى تدمير وسار هو ومعظم الجيش الى طليطلة فلما بلغها وجدها خالية وقد لحق من بها بمدينة خلف الجبل

---

(51) يتفق كل من ابن خلدون، والحميرى، والمؤرخ الاسبانى دى رادا الطليطلى Jimencz de Rada مع النويرى على أن معركة طارق الاولى جدثت شمال كورة شذونة عند وادى لكة Guadalete بالقرب من شريش Jerez التى كانت قاعدة لهذه الكورة وتسمى أيضا باسمها شذونة. ولهذا سموها بمعركة وادى لكة أو معركة شريش أنظر الحميرى : الروض المعطار ص 511، المقرى : نفح الطيب ج 1 ص 217 — 218. Jimencz de Rada : de Rebus Hispaniae, Cap,88.

(52) راجع رواية ابن حيان بالمقرى : نفح الطيب ج 1 ص 216 — 217.

يقـال لهـا مايـة ، قـال وفتح سائر الجيوش الذين بعثهم ما قصدوه من البـلاد .

قـال : ولما رأي طارق طليطلـة خاليـة ضم اليها اليهود وتـرك معهم رجالا من أصحابـه وسار هو الى وادي الحجـارة وقطع الجبل من فـج فيه فسمى بفـج طارق وانتهى الى مدينة خلـف الجبـل تسمـى مدينة المائـدة وفيها مائـدة سليمان بن داوود عليهما السـلام وهي من زبرجـدة خضـراء حافاتها وأرجلها منهـا مكللـة باللؤلؤ والمرجـان والياقوت وغير ذلك وكان لهـا ثلاثمائة وستون رجلا ثم مشى الى مدينة مايـة فغنم منها ورجع الى طليطلـة في سنة ثلاث وتسعين وقيل انـه اقتحم ارض جليقيـة فاخترقها حتى انتهى الى مدينة استرقة وانصـرف الى طليطلـة ووافتـه جيوشه التى وجهها من استجة بعد فراغهم من فتح تلك المدائـن التى سيرهـم اليهـا (53) .

[160] ودخل موسى بن نصير الاندلس في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين في جمـع كبير وقد بلغـه ما صنـع طارق، فحسده ، فلما نـزل الجزيرة الخضراء ، قيل له تسلك طريق طارق فأبـى ، فقال له الادلاء نحن ندلك على طريق أشرف من طريقه ومدائن لم تفتح بعـد. ووعـده يليـان بفتح عظيم فسـر بذلـك فساروا به الى مدينة ابن السليم فافتتحها عنـوة ثم سار الى مدينـه قرمونة وهى احصن مدن الاندلس فتقدم اليهـا يليان وخاصته على حال المنهزمين فادخلوهم مدينتهم، وأرسل موسى اليهم الخيل ففتحوها لهم ليـلا فدخلها المسلمون وملكوها ثـم سار موسى الـى اشبيلية وهى من اعظم مدائن الاندلـس بنيانـا وأعرقها آثـارا فحصرها اشهرا وفتحها وهرب من بها فانزلها موسى اليهود.

وسار الى مدينة ماردة فحصرها وقد كان أهلها خرجوا اليه فقاتلهم قتالا شديدا فكمن لهم موسى ليلا في مقاطع الصخر فلم يرهم الكفار فلما اصبحوا

(53) قـارن رواية ابن حيان بالمقرى. نفح الطيب ج 1 ص 248.

زحف اليهم فخرجوا الى المسلمين على عادتهم فخرج عليهم الكمين وأحدقوا بهم وحالوا بينهم وبين البلد وقتلوهم قتالا ذريعا ونجا من سلم منهم فدخل المدينة وكانت حصينة فحصرهم بها أشهرا وزحف اليهم بدبابة [161] عملها ونقبوا سورها فخرج أهلها على المسلمين فقتلوهم عند البرج فسمي برج الشهداء (54) ثم افتتحها آخر شهر رمضان سنة أربع وتسعين صلحا على ان جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين الى جليقية وأموال الكنائس وحليها للمسلمين

ثم ان أهل أشبيلية اجتمعوا وقصدوها فقتلوا من بها من المسلمين فسير موسى اليها ابنه عبد العزيز بجيش فحصرها وقتل من بها من أهلها وسار عنها الى لبلة وباجة فملكهما، وعاد الى اشبيلية، قال: وسار موسى من مدينة ماردة في شوال يريد طليطلة فخرج طارق اليه فلقيه فلما أبصره نزل اليه فضربه موسى بالسوط على رأسه ووبخه على ما كان من خلافه ثم سار به الى مدينة طليطلة وطلب منه ما غنم والمائدة فأتاه بها وقد انتزع رجلا من ارجلها فسأله عنها فقال لا علم لي بها كذلك وجدتها فعمل عوضها من ذهب وسار موسى الى مدينة سرقسطة ومدائنها فافتتحها وأوغل في بلاد الفرنج فانتهى الى مغارة كبيرة وأرض سهلة ذات آثار، فأصاب فيها صنما قائما فيه مكتوب يا بنى اسماعيل الى هاهنا منتهاكم فارجعوا وان سألتم الي ماذا ترجعون اخبرتكم انكم ترجعون الى الاختلاف فيما بينكم حتى يضرب بعضكم [162] اعناق بعض وقد فعلتم فرجع.

ووافاه رسول الوليد في اثناء ذلك يأمره بالخروج عن الاندلس والقفول اليه فساءه ذلك ومطل الرسول وهو يقصد بلا العدو من غير ناحية الصنم يقتل ويسبي ويهدم الكنائس ويكسر النواقيس حتى بلغ صخرة بلاي على البحر

(54) قارن رواية ابن حيان بالمقرى : نفح الطيب ج 1 ص 252 — 253.

الاخضـر وهو في قوة وظهور فقدم عليه رسول آخـر من الوليد يستحثه وأخذ بلجام (*) بغلته وأخرجه وكان موافاة الرسول له بمدينة لك بجليقية وخرج الى الفج المعروف بفج موسى ووافاه طارق من الثغر الاعلى فأقفله معه ومضيا جميعا، واستخلف موسى على الاندلس ابنه عبد العزيز ابن موسى ، فلما عبر موسى البحر الى سبتة استخلف عليها وعلى طنجـة وماوالاهما ابنه عبد الملك واستخلف على افريقية وأعمالها ابنه الكبيـر عبـد اللـه .

وسار الى الشام وحمل الاموال التى غنمـت من الاندلس والذخائر والمائدة ومعـه ثلاثون الف بكـر من بنات الملوك القوط وأعيانهم ومـن نفيس الجوهر والامتعة ما لا يحصى فورد الشام وقد مات الوليد واستخلف سليمان بن عبد الملك فكان منحرفا على موسى بن نصير فعزله عن جميع اعمالـه وأقصاه وأغرمه غرما حتى احتاج ان يسأل العرب في معونته وقيل انه قدم الى الشـام والوليد حى وكان قد كتب اليـه وادعـى [163] انـه هو الذي فتح الاندلس وأخبـره خبر المائدة فلما حضر عنده عرض عليـه ما معه وعرض المائدة ومعه طارق فقال طارق : أنا غنمتها، فكذبه موسى فقال طارق للوليد : سله عن رجلها المعدومة، فسأله عنها فلم يكن عنده منها علم فأظهرها طارق وذكر انه أخفاها لهذا السبب فعلم الوليد صدق طارق وانمـا فعل هذا لان موسى كان قد ضربه وحبسه حتى ارسـل الوليـد وأخرجه وقيل لم يحبسه (55) .

قـالـوا (**) : ولمـا دخلـت الـروم الانـدلـس كـان في مملكتهـم بيـت اذا ولـى ملـك منهـم اقفـل عليـه قفـلا ، فلما ملكت القوط فعلوا كفعلهم ، فلما ملـك رذريق فتح الاقفـال فرأى في البيت صور العـرب عليهم العمائم الحمر على خيول شهـب وفيـه كتاب اذا فتح هذا الكتاب (***) دخل هؤلاء القوم هذا البلد ففتحت الاندلس في تلك السنة.

---

* بعنان فى ج 2 : 29، ع.

(55) انظر رواية الحجارى فى المسهب عن المقرى : نفح الطيب ج 1 ص 258 — 259. حيث أورد أسماء الرسولين وهما مغيث الرومى وأبو نصر وهما من الموالى.

** زيـادة فى د. *** البيت فى ج 2 : 30.

ذكـر غـزوة جزيـرة سردانيـة (56) :

قال : ولما فتح موسى بلاد الاندلس سير طائفة من عسكره الى هذه الجزيرة وهى في بحـر الروم كثيرة الفواكه فدخلوها في سنة اثنتيـن وتسعين ، فعمد النصارى الى ما يملكوه من انية الذهب والفضة فألقوا الجميـع في الماء وجعلوا اموالهم في سقف البيعـة [164] الكبرى التى لهم تحت السقف الاول وغنم المسلمون منها ما لا يحد ولا يوصف وأكثـروا الغلـول والتفـق ان رجلا من المسلمين اغتسل في الماء فعلق في رجلـه شيء فأخرجه فاذا هو صحفه من فضة فأخرج المسلمون جميع ما فيه ودخـل رجل من المسلمين الى تلـك الكنيسة فنظـر الى حمـام فرماه بسهـم فأحطأه ووقـع في السقـف فانكسر لـوح ونزل منه شيء من الدنانيـر فأخذوا الجميـع وزادوا في الغلـول فكـان بعضهم يذبح الهـر ويرمى ما في جوفه ويملاه دنانيـر ويخيط عليهـا ويلقيه في الطريق فاذا خرج أخـذه وكان يضـع قائم سيفـه على الجفن ويملاه ذهبا فلما ركبوا في البحـر سمعوا قائـلا يقول اللهم أغرقهم فغرقوا عن اخرهم (57) .

---

(56) يفهم من كـلام المؤرخين المعاصرين سـواءا كانوا عربا او بيزنطيين ان سيـاسـه التوسع العربى التى قـام بهـا الامويون فى شمـال افريقيا كانت تهدف فى اساسهـا الى غـزو صقلية وجنوب ايطـاليـا وسواحل البحر الادرياتى، او بعبـارة اخـرى غـزو الامبراطوريه البيزنطيه من نـاحيه الغرب الى جانب الحملات التى كانت سـنده مـن نـاحيـه الشـام وآسيـا الصغرى من جهه الشرق، لكى يتـم للمسلمين بذلك [illegible] وحنفها.

وعلى الرغم من أن المراجع المعاصرة لـم تحدد لنـا الوضع السياسى الـذى كـانت عليه جزيرة سردانية فى القرنين السابع والثامن الميلادى، الا أن أغلب المؤرخين الاوربيين يؤكدون بأنهـا لـم تكن تـابعة لحكـم القوط فى اسبانيـا، وانما كانت جزءا من الامبراطورية البيزنطية، وان حكام هذه الجزر استطاعوا بمرور الوقت أن يتمتعوا بشيء من الاستقلال الذاتـى.

لذلك نجد التابعى المشهور موسى بن نصير يتبنى مشروع غـزو الجزر الشرقية بالبحر المتوسط مثل صقلية وسردانية وجزر البليار.. أنظر ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج 2 ص 110، 112، وابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 36، ابن الاثير : الكامل ج 4 ص 112، الحميرى : الروض المعطار ص 314، 315.

(57) يتفـق النويرى مع رواية ابن عفير عن فتـح سردانية فى الروض المعطار للحميرى ص 314. وقارن فتوح ابن عبد الحكـم ص 209.

ذكر ولاية محمد بن يزيد مولى قريش ومقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير

قال : ثم استعمل سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد مولى قريش وقال له عند ولايته : يا محمد اتق الله وحده لا شريك له وقم فيما وليتك بالحق والعدل اللهم اشهد فخرج محمد وهو يقول مالي عذر ان لم اعدل وكانت ولايته في سنة تسع وتسعين فولى سنتين وشهورا، وكتب اليه سليمان يأمره أن يأخذ آل موسى بن [165] نصير وكل من انتسب اليه حتى يقوموا بما بقى عليه وهو ثلاثمائة الف دينار ولا يرفع عنهم العذاب ، فقبض على عبد الله والي القيروان فحبسه في السجن ثم وصل البريد من قبل سليمان يأمره بضرب عنقه.

وأما عبد العزيز فانه لما استخلفه أبوه موسى على الاندلس سد ثغورها وضبط بلادها وافتتح مدائن كانت بقيت بعد أبيه وكان خيرا فاضلا فتزوج امرأة الملك لذريق فحظيت عنده وغلبت على رأيه محملته على أن يأخذ اصحابه بالسجود له اذا دخلوا عليه كما كان يفعل بزوجها فقال ان ذلك ليس من ديننا فلم تزل به حتى امر بفتح باب قصير لمجلسه الذي كان يجلس فيه فكان احدهم اذا دخل عليه من الباب طاطا رأسه فيصير كالراكع فرضيت بذلك وقالت الان لحقت بالملوك وبقى ان اعمل لك تاجا مما عندي من الذهب واللؤلؤ فابى فلم تزل به حتى فعل فانكشف ذلك للمسلمين فقالوا تنصر وفطنوا للباب فثاروا عليه فقتلوه في آخر سنة سبع (*) وتسعين في آخر خلافة سليمان ابن عبد الملك ثم مكثوا بعد ذلك سنة لا يجمعهم امام.

وحكى الواقدي قال : لما بلغ عبد العزيز بن موسى ما نزل بأبيه وأخيه وأهل بيته خلع الطاعة وخالف فأرسل اليه [166] سليمان رسولا

* تسع فى د ع وصححتها من ج 2 : 32 وانظر رواية الرازى عن ابن الفرضى : تاريخ علماء الاندلس ص 276، وللمحقق : القبائل العربية فى الاندلس ص 59.

فلم يرجع فكتب سليمان الى حبيب بن أبى عبيـدة بن عقبة بن نافـع ووجوه العرب سرا بقتله ، فلما خرج عبد العزيز الى صلاة الصبح قـرأ فاتحة الكتاب ثم قرأ الحاقة (*) ، فقال له حبيب حقت عليك يـا ابـن الفاعلة وعلاه بالسيف فقتله فحمل رأس عبد الله ورأس عبد العزيز ابنى موسى حتى وضعا بين يدي أبيهما وعذب حتى مات «فضيفت ولاية الاندلس الى افريقيـة فاستعمل عليها محمد، الحر بن» (57 م) عبـد الرحـمـن القيسى (58) ولم يزل محمد بافريقية الى ان مات سليمان وولى عمر ابن عبد العزيز فعزله واستعمل اسماعيل بن عبد الله.

ذكر ولايـة اسماعيل بن عبد الله بن أبى المهـاجر مولـى بنـى مخـزوم

قال : ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة استعمل اسماعيل على افريقيـة وكان خير وال فدعا اسماعيل من بقى من البربر الى دين الاسلام فاسلموا وغلـب الاسلام على المغـرب جميعه ودامت ولايته الى سنـة احدى ومائة الى ان توفى عمـر بن عبد العزيز وولى يزيد بن عبد الملك فاستعمـل على افريقيـة .

يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج (59) فقدمها «في سنة 101 هـ احدى ومائة، وقيل في (سنة 102 هـ) وقتل وكان سبب قتله انه اراد ان يسيـر

* سورة الحاقة رقم 69، وسورة الواقعة فى ج 2 : 32.

(57م) مابين قوسين زيادة من ج 2 : 32.

(58) هو الحر بـن عبد الرحمن الثقفى والى الاندلس وقـد عينه محمد بن يزيد والى افريقيـة اذ كـانت ولاية الاندلس فى ذلك الحين من اختصاصـات عامل افريقية. بعد من أيـوب بن حبيب بن أبى عبيدة الفهرى الذى أجمع جند الاندلس على توليته بعـد مقتل عبد العزيز بن موسى. انظر أخبار مجموعة ص 23، فتح الاندلس ص 24 — 25

(59) فهـو أحد تلامذة الحجاج بن يوسف الثقفى ومعـاونيه والذى شغل لديـه وظيفة الكـاتب ثـم صاحب الشرطة ولذلك فعندمـا استقر يزيـد فى المغرب، طبق سياسـة الحجاج العنيفة على المستويين الخارجى والداخلى. فهو من جهة أخـذ يلح بالحـرب على الـروم فى البحر. ومن جهـة اخرى اخـذ يتتبع أموال الولاة السـابقين، وبـدأ بموالى موسى بن نصير من البربر فجعلهم اخمـاسـا ، واحصى اموالهم وأولادهم ثم جعلهـم حرسه وبطـانته. انظر ابـن عبد الحكـم ص 213 — 214، الرقيق ص 98، ابـن عذارى : البيـان المغرب جـ 1 ص 48، السلاوى : الاستقصا جـ 1 ص 91.

في أهل افريقية بسيرة الحجاج في أهل الاسلام ، الذين سكنوا الامصار ، ممن كان اصله من السواد من اهل الذمة ، فانه ردهم الى قراهم ، ووضع عليهم الجزية على ما كانوا عليه قبل الاسلام، فلما عزم يزيد بن مسلم على ذلك ، اجتمع رأي أهل افريقية على قتله ، فقتلوه ، وولوا عليهم الوالى الذي كان قبله، وهو محمد بن يزيد مولى الانصار وكتبوا الى يزيد بن عبد الملك : أنا لم نخلع ايدينا من طاعة ، ولكن يزيد بن أبى مسلم سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون ، فقتلناه واعدنا عاملك ، فكتب اليهم: انه لم يرضى بما صنع ، وأقر محمد بن يزيد على عمله» (60).

ثم ولى بعده [167] **بشر بن صفوان الكلبي** فقدمها في سنة ثلاث ومائة. فلما قدم استعمل على الاندلس عنبسة الكلبى وعزل الحر ابن عبد الرحمن القيسى ثم غزا بشر جزيرة صقلية بنفسه فأصاب شيئا كثيرا ثم رجع من غزواته فتوفى بالقيروان في سنة تسع ومائة في خلافة هشام بن عبد الملك ، فلما اتصلت وفاته بهشام استعمل على افريقية **عبيدة بن عبد الرحمان السلمى** وهو ابن أخى أبي الاعور السلمى صاحب خيل معاوية «ابن أبى سفيان في حرب صفين مع أمير المؤمنين علي ابن أبى طالب» (*) فأخذ عمال بشر بن صفوان فحبسهم وأغرمهم وتحامل عليهم وعذب بعضهم وكان فيهم أبو الخطار الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبى (60 م) ، وكان قائدا جليلا فقال :

---

(60) «فقدمها فى سنة اثنتين ومائة وقتل وقد ذكرنا سبب مقتله فى أخبار يزيد بن عبد الملك» فى د. ومابين قوسين بالمتن من النويرى 21 : 393 — 394، وقارن ابن الاثير: الكامل 5 : 101. ابن عذارى البيان المغرب 1 : 48، 49.

* مابين قوسين زيادة من ج 2 : 33.

(60م) أبو الخطاب بن صفوان الكلبى فى د، ع، ج وصححتها من ابن الابار 1 : 61، ابن الاثير الكامل 5 : 272 ، ابن عذارى : البيان المغرب 2 : 33.

أفادت بنو مروان قيسا دماءنا (*) وفي الله ان لم يعدلوا حكم عــدل
كأنكم لم تشهدوا مرج راهــط (**) ولم تعلموا من كان قبلي لـه الفضل
وقيناكــم حــر القنا بصدورنـــا وليس لكم خيل سوانا ولا رجــل
«فلما بلغتم نيل ما قــد أردتـــم وكان لكم منا المشارب والاكل» ***
تغافلتــم عنا كأن لــم يكــن لكــم صديقا وانتم ما علمتم لنا وصل ****

وبعث بها الى هشام، فلما قرئت عليه غضب وأمر بعزل عبيـــدة فقفل عنها واستخلف على افريقية **عقبة بن قدامـة التجيبـي**. وتـــرك بهـا عبد الله بن المغيـرة بن بـردة القرشي [168] قاضيا وذلك في شوال سنة اربـع عشرة ومائة ثم استعمل هشام ، **عبيد الله بن الحبحاب** مولى بنـي سلـول وكان رئيسا كاتبا حافظـا لايام العرب وأشعارها ووقائعها وهو الذي بنـى الجامـع ودار الصناعة بمدينة تونس وكانت ولايته في شهــر ربيع الاول سنة ست عشـرة ومائة ، فاستعمل على طنجـة (61) وماولاها عمر بن عبد الله المرادي فأساء السيرة وتعدا في الصدقات والقسم وأراد ان يخمس البربر وزعم أنهم فيء للمسلمين وذلك ما لم يرتكبـه عامل قبلـه وانما كانت الولاة يخمسون من لم يجب منهم الى الاسلام(62)

---

* أثارتبنو مروان قينا ومالنا، فى د وصحتها من ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 64
** لى وقعة، فى د وصحتها من ابن الاثير : الكامل 5 : 273.
*** مابين قوسين زيادة من ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 64.
**** لاحظ الاختلاف فى القصيدة فى كل من الرقيق القيروانى وابن الابار وابن الاثير راجع تاريخ افريقية والمغرب ص 105، 106، الحلة السيراء 1 : 64 — 65، بغية الملتمس ص 262، الكامل 5 : 272، 273.

(61) ويفهـم من نصوص بعض المصـادر أن ابن الحبحاب قسم مـا دون افريقيـة من المغرب الى ولايتين، أولاهما السوس الادنى، وهو مـا يعـادل طنجة ومـا والاها من المغرب الاقصى، وجعل هـذا الاقليـم فى أول الامر اى ابنه اسمـاعيل بن عبيـد اللـه، قبل أن يعهـد بـه الى عمر بن عبد الله المرادى الذى ظـل واليا الى سنـة 122هـ / 740م. وثانيتهما السوسى الاقصى حيث بعث حبيب بن ابى عبيدة الفهرى غازيا.

(62) ونعتقـد ان الذى دفع عبيد الله بن الحبحاب وعماله الى تلك القسوة مع البربر هو الرغبـة فى ارســال المزيـد من الاموال والسبى الى الخلافة. وهكذا كـان سوء الادارة، والعمل اولا وقبـل كـل شيء على استغلال البـلاد، دون النظر فى مصـالح اهلهـا أو مطـالبهـا سببـا فى ثـورة عـارمة.

فابن عذارى يقول : «وكان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب، ويبعثون فيهـا الى عامل افريقية فيبعثون لهـم بالبربريات السنيات. فلما أفضى الامـر الـى

فانتفضت البربر بطنجة على عبيد الله وتداعت (*) عليه باسرها وذلك في سنة اثنتين وعشرين ومائة وهى أول فتنة كانت بافريقية في الاسلام، وخرج ميسرة المدغري وقتل عمر المرادي وظهر بالمغرب في ذلك، الوقت قوم جرت منهم دعوة الخوارج وصار منهم عدد كبير وشوكة قوية .

قال : فبعث عبيد الله الجيوش من أشراف العرب لقتال ميسرة المدغري (**) وجعل عليهم خالد بن أبى حبيب الفهري وأردفه بحبيب بن أبى عبيدة فسار خالد حتى اتى ميسرة دون طنجة فالتقوا واقتتلوا قتالا لم يسمع بمثله ثم انصرف ميسرة الى طنجة [169] فأنكرت عليه البربر سوء سيرته وتغيروا عما كانوا بايعوه عليه وكان قد بويع بالخلافة فقتلوه وولوا أمرهم خالد بن حميد الزناتى ثم التقى خالد بن أبى حبيب بالبربر وكان بينهم قتال شديد فبينما هم كذلك اذ غشيهم خالد بن حميد الزناتي بعسكر عظيم فانهزم اصحاب خالد بن أبى حبيب وكره هو أن ينهزم فالقى (***) بنفسه هو وأصحابه فقتل هو ومن كان معه ولم يسلم منهم أحد .

وقتل في هذه الوقعة حماة العرب وفرسانها، فسميت وقعة الاشراف وانتفضت البلاد ومرج الناس واختلفت الامور على عبيد الله فاجتمع الناس

= ابن الحبحاب مناهم بالكثير» ويضيف صاحب أخبار مجموعة «ان الخليفة وولده كانوا يكتبون الى عمال طنجة فى جلود الخرفان العسلية، فتذبح مائة شاة فربما لم يوجد منها جلد واحد» وكذلك يذكر الطبرى وابن الاثير ان وفدا من المغاربة يبلغ حوالى 20 رجلا برئاسة ميسرة المطغرى سافر الى دمشق لعرض شكواهم على الخليفة هشام وموضوعها هو امتياز العرب على المغاربة وعدم تطبيق المساواة والاخاء بين المسلمين.

انظر ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 52، اخبار مجموعة ص 31 — 32، الطبرى : الامم والملوك ج 4 ص 264 — 265 (دار المعارف)، ابن الاثير : الكامل ج 3 ص 35.

* وقد اعدت فى ج 2 : 34.

** المرادى فى د، ج وصحتها من ابن الاثير : الكامل 5 : 192، ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 52.

*** فالتقى ، فى د، ج وصحتها من ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 54.

وعزلوه عن أنفسهم وبلغ ذلك هشام بن عبد الملك، فقال : اقتل أولائك (*) الرجال الذين كانوا يقدمون علينا من العرب قيل نعم فقال والله لاغضبن لهم غضبة عربية ولابعثن اليهم جيشا أوله عندهم وآخره عندي ثم لاتركت حصن بربري الا جعلت الى جانبه خيمة قيسى أو يمنى (63) وكتب الى عبيد الله بن الحبحاب يستقدمه فخرج في جمادى الاول سنة ثلاث وعشرين ومائة .

قال : وكان عبيد الله لما قدم افريقية استعمل على الاندلس عقبة بن الحجاج وعزل عنبسة فلما بلغ أهل الاندلس ثورة [170] البربر وثبوا على عقبة فعزلوه وولوا عليهم عبد الملك بن قطن الفهري.

قال : ثم استعمل هشام بن عبد الملك على افريقية **كلثوم بن عياض** القشيري فقدم في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائة، وقد عقد له على اثني عشر الف فارس من اهل الشام (64) وكتب الى والى كل بلد ان يخرج

---

* هؤلاء، فى ج 2 : 35.

(63) لاحظ التطابق الجزئى مع ابن عذارى بصفة عامة، والتطابق الكلى مع الرقيق القيروانى فيما يختص بقسم الخليفة هشام بن عبد الملك اذ يروى الرقيق القسم «والله لاغضبن لهم غضبة عربية، ولابعثن اليهم جيشا أوله عندهم وآخره عندى»، ثم لا تركت حصن بربرى الا جعلت الى جانبه خيمة قيس أو تميمى» بينما يرويه النويرى ماعدا آخر كلماته «يمنى» وينفرد كل من الرقيق والنويرى بالجزء الاخير من القسم «ثم لاتركت... أو يمنى» وهذا النص فى غاية الاهمية لانه يبين تحولاً كبيرا فى سياسة الامويين نحو المغرب. فمن المعروف أن القبائل العربية التى استقرت فى المغرب خلال القرن الاول الهجرى خصوصا بعد انشاء مدينتى القيروان وتونس كان اغلبها من القبائل اليمنية، ويشير النص هنا انه فى أوائل القرن الثانى الهجرى وأمام ثورات البربر من ناحية والنزاعات القبلية بمقر الدولة الاموية بالشام من ناحية اخرى، اضطر الخليفة هشام بن عبد الملك فى التفكير فى ارسال القبائل القيسية للاستقرار فى بلاد المغرب. انظر للمحقق : اثر القبائل العربية فى الحياة المغربية ص38 — 39.

(64) يرجع الفضل الى كتاب اخبار مجموعة الذى يضيف تفصيلات هامة عن جيش كلثوم الى جانب ما سجله ابن عبد الحكم وابن عذارى. لقد جهز هشام جيشا عظيما من اهل الشام بلغ عدده سبعة وعشرين الف رجل من الجند النظامى. فكان على كل جند، أى كورة من أجناد الشام الاربعة : دمشق وحمص والاردن وفلسطين، أن يقدم ستة آلاف رجل، وكان على أهل قنسرين (حلب) أن يقدموا ثلاثة آلاف. وعندما دخل الجيش مصر انضم اليه من جندها ثلاثة آلاف رجل من الجند النظامى فصار جيشه ثلاثين الفا، سوى من معهم من الموالى والاتباع، ومن صار معهم من المتطوعة. واخذت قوات كلثوم تزداد عددا على طول الطريق نحو المغرب بمن انضم اليه من جند برقة وطرابلس، الى أن

معه فسار معه عمال مصر وبرقة وطرابلس فلما قدم افريقية نكب عن القيروان وسار الى سبتة واستخلف على القيروان عبد الرحمن بن عقبة الغفاري وهو اذ ذاك قاضى افريقية وكان حبيب بن أبى عبيدة مواقف للبربر فسار كلثوم ومن معه حتى وافى البربر وهم على وادي طنجة في ثلاثين الفا وتوجه اليهم خالد بن حميد الزناتى فصاروا في جمع كبير (65) فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فقتل كلثوم بن عياض وحبيب ابن أبى عبيدة وسليمان بن أبى المهاجر ووجوه العرب وانهزمت العرب فكانت هزيمة أهل الشام الى الاندلس وعبروا في المراكب وهزيمة أهل مصر وأهل افريقية الى افريقية .

قال : ولما بلغ اهل افريقية قتل كلثوم كان بها هرج فثار عكاشة بن أيوب الفزاري مخالفا على الناس بمدينة قابس وكان صفريا وهو الذي قدم [171] على طليعة أهل الشام مع عبيد الله بن الحبحاب فسار اليه عبد الرحمن بن عقبة فقاتله فانهزم عكاشة وقتل كثير من اصحابه وتفرق من بقي منهم ولما بلغ هشام ابن عبد الملك ذلك بعث الى افريقية .

حنظلة بن صفوان الكلبي وكان عامله على مصر ولاه عليها في سنة تسع عشرة ومائة فأقام بها الى ان بعثه الى افريقية فقدمها في شهر ربيع الاخر سنة أربع وعشرين ومائة فلم يمكث بالقيروان الا يسيرا حتى زحف اليه عكاشة الصفري الخارجي في جمع عظيم من البربر ولم يرى أهل افريقية مثله ولا أكثر منه وكان لما انهزم جمع قبائل

= وصل الى افريقية في جيش بلغ عدده سبعين الف رجل. أنظر ابن عبد الحكم ص 218 — اخبار مجموعة ص 30 — 31، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 54. ابن الاثير : الكامل 5 : 192 — 193.

(65) ويروى صاحب اخبار مجموعة أن جيش البربر الثائرين كان جموعا ليس يحصى عددها بينما يقول ابن عذارى أن عدد الذين ساروا منهم نحو القيروان بعد ذلك يلغ حوالى ثلاثمائة الف رجل، ولكنه وان صحت كثرة عددهم فان عددهم وسلاحهم كان بدائيا وبسيطا، فقد «اقبلوا مراة متجردين ليس عليهم الا السراويلات». راجع بن عبد الحكم ص 219، أخبار مجموعة ص 32، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 56، ج 2 ص 55.

البربـــر وزحف الى حنظلـــة أيضا عبد الواحـــد بن يزيـــد الهواري في عدد عظيم وكانا قد افترقا على الزاب فاخذ عكاشـــة على طريق مجانـــــــه فنزل القـــرن وأخذ عبد الواحـــد على طريق الجبـــال فنزل طساس (66) وعلى مقدمته أبـــو عمرة العبلـــى (*) فرأي حنظلة أن يعجل قتـــال عكاشة قبـــل ان يجتمعـــا عليـــه فزحف اليه بجماعة اهل القيروان والتقوا بالقـــرن وكان بينهم قتال شديد فنى فيه خلق كبير وهزم الله عكاشة ومن معه وقتل من البربر ما لا يحصي كثرة وانصرف حنظله الى القيروان خوفا [١٧٤] ان يخالفـــه عبـــد الواحد اليهـــا.

وقيـــــل ان عبـــد الواحـــد لمـــا وصـــــل الـــى باجـــة اخـــرج اليه حنظلـــة رجـــلا من لخـــم في اربعيـــن الـــف فـــارس فقاتلـــوه بباجـــة شهرا في الخنادق والوعر ثم انهـــزم اللخمى الى القيروان وفقد ممن معـــه عشرين الفـــا ونزل عبد الواحد بالاصنام من جـــراوة ثلاثة اميال عـــن القيروان ، وكان في ثلثمائة الـــف فأخرج حنظلة جميع ما في الخزائن مـــن السلاح ونـــادى في الناس مكان يعطى لكـــل منهم درعا وخمسيـــــــــن دينـــارا فلـــم يـــزل يفعل ذلك حتى كثـــر عليه الناس فـــرد العطاء الـــى اربعين ثم الى ثلاثين ولم يقـــدم الا شابا قويـــا فعبأ الناس طول ليلته والشمع (**) حوله وبين يديه فعبىء في تلك الليلة خمسة آلاف دراع وخمسة آلاف نابـــل وأصبح وقـــدم للقتـــال وكسرت العرب جفون سيوفها والتقوا ولزم الرجال الارض وجثوا على الركب فانكسرت مسيرة العـــرب ومسيرة البربـــر ثم كـــرت مسيرة العرب على ميمنه البربـــر فكانت الهزيمة علـــى

(66) يذكر المنجى الكعبى محقق قطعة الرقيق القيروانى انه لم يجد أحد من المؤرخين غير الرقيق ذكر «طساس» ولكن يبدو أنه قـــد فاته أن النويرى اشترك مع الرقيق مما يدل على اعتمـــاده عليه. راجع الرقيق ص 116 تعليق (1). ويجمع المؤرخون على نزول عبـــد الواحد الاصنـــام وقـــد اختلف المؤرخون فى تحديد مكانه، وأقرب الاراء ما يذهب الى أن الاصنـــام تقـــع على ثلاثة أميـــال بشمال القيروان على مقربة من جلولاء. انظر Fourmel : Berbéres, I, P. 300. والنويرى يذكر بعد ذلك أن عبد الواحد نزل «بالاصنام من جراوة، ثلاثة أميال عن القيروان». «طبيناس» فى ج 2 : 37 .

* العيلى فى ج 2 : 37.

** الشمعة فى ج 2: 37

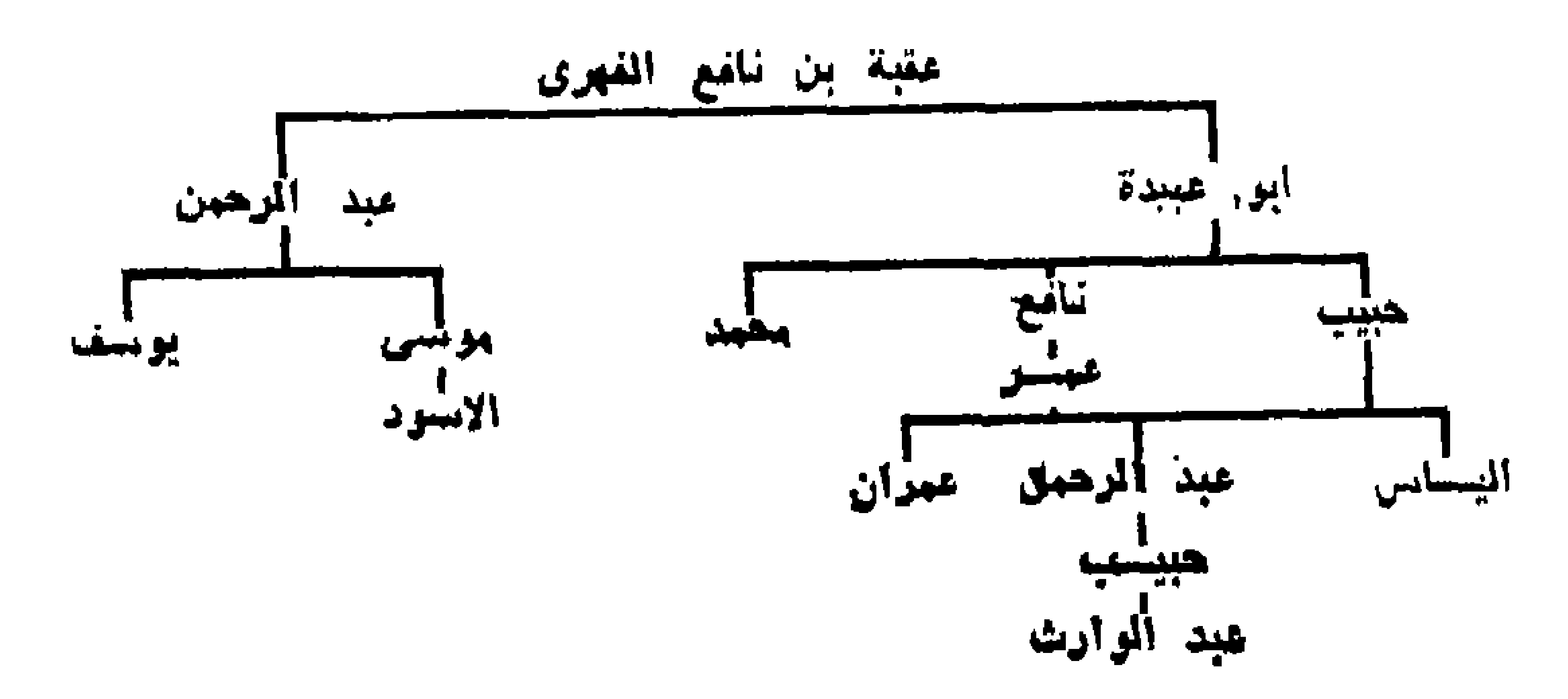
البربر وقتل عبد الواحد وأتى حنظلة برأسه فخر ساجدا لله وقيل انه ما علم في الارض مقتله اعظم منها قتل فيها من البربر مائة الف وثمانون الفا وكانوا صفرية يستحلون الدماء وسبى النساء ثم أتى بعكاشة اسيرا فقتله حنظلة وكتب [173] بذلك الى هشام، فكان الليث ابن سعد يقول : ما غزوة كنت احب ان أشهدها بعد غزوة بدر احب الى من غزوة القرن والاصنام (66 م).

ذكر اخبار عبد الرحمن بن حبيب وتغلبه على افريقية ورجوع حنظلة الى المشرق (*)

كان عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري (67) قد هرب الى الاندلس عند هزيمة كلثوم فلم يزل يحاول ان يتغلب على الاندلس وهو لا يمكنه ذلك الى ان وجه حنظلة بن صفوان، أبا الخطاب، ابن ضرار الكلبى (68) الى الاندلس وأطاعه الناس ودانت له البلاد فخاف عبد الرحمن على نفسه فخرج مستترا وركب في البحر الى تونس

(66م) قارن ابن الاثير : الكامل 5 : 190 — 194، ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 58 — 59.

(67) الفهريون بنو عقبة بن نافع فى افريقية انظر ابن عبد الحكم ص 203 — 204. ابن عذارى : البيان المغرب ج1 ص 5ل ومابعدها، ابن خلدون : العبر ج 1 ص 109، 130 وما بعدها.



(68) هو أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبى، أنظر مجموعة ص 46، ابن القوطية افتتاح الاندلس ص 19 — 20.

* مشرق فى ج 2 : 38.

فنــزل بها في جمادى الاولــى سنة سبع وعشرين ومائة (69) ودعا الناس الى نفسه فأجابــوه وسار حتى نــزل سمنجة (*) فأراد أصحاب حنظلــة الخروج لقتالــه فمنعهم حنظلة كراهة لهراقة دمــاء المسلمين ، وكان رجــلا ورعا زاهدا لا يرى بذل السيف الا في الكفــرة والصفرية الذين يستبيحون دماء المسلمين فوجه حنظلة الى عبد الرحمن جماعة من وجوه أهل افريقية يدعوه الى مراجعة الطاعــة والرجوع عن ما هو عليه ، فلما قدموا عليــه أوثقهم في الحديد (70) وقال ان رماني احد من أوليائهم بحجر قتلتهــم فبلــغ ذلك من النــاس كل مبلــغ.

فلمــا [174] رأى حنظلــة ذلــك دعــا القاضــي وجماعــة من أهــل الديــن والفضــل وفتــح بيــت المــال بحضــرتهــم وأخـــذ منه الــف دينار وتــرك الباقي وقال ما أخذ منه الا بقدر ما يكفينــي ويبلغني ثم شخص عن افريقيــة في جمادى الآخــر سنة سبع وعشرين ومائــة واقبل عبد الرحمن بن حبيب ودخل القيروان ونــادى مناديه ان لا يخرج أحدا «الى»(**) حنظلة ولا يشيعه وكان حنظلة مجاب الدعوة، فقال:

---

(69) بعد هزيمة العرب أمام الخوارج فى موقعة بقدورة هرب عبد الرحمن بن حبيب الى الاندلس وانغمس فى الصراعات القبلية بهــا محاولا ان يتغلب على البلاد ولكن تعيين أبى الخطار قضى على آمــال عبد الرحمن بن حبيب، خصوصا بعد أن قــام أبو الخطــار بابعــاده الى المغرب فى أواخر 125هـ/743م. فاستغل عبد الرحمن اضطراب امور الخلافة بالمشرق وحــاول تحقيق ما فشل فيه فى الاندلس، حيث كــان لوالده مقــام مرمــوق فى بلاد المغــرب.

أمــا التــاريخ الذى يورده النويرى فى 127هـ/745م فهو تاريخ تغلب عبد الرحمن على افريقية. راجع ابن عبد الحكــم ص 22، أخبار مجموعة ص 64، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 60 وقارن ابن الاثير : الكامل 5 : 311.

* سميخة فى ج 2 : 38.

(70) تشير المصــادر الى سوء معاملة عبد الرحمن، لافراد الوفد، اذ أنه وضعهم فى الحديد وينفــرد ابــن عبد الحكــم بأسباب هذا السخــط «ووجد عبد الرحمن عليهــم لخروجهم اليه، وكــانوا قــد كاتبوه قبــل ذلك سرا من حنظلة، فلمــا بلغتهم ولايــة مروان نزعوا من ذلك» وهــذا النص يبين أن زعماء القيــروان وافقوا على مبــايعة عبد الرحمن على افريقية فى الوقت الذى اختلت فيه الخــلافة بالمشرق خلال مقتل الوليد ابن يزيد وتوليه قاتله يزيد بن الوليد، فلما تم الامر لمروان بن محمد اعترفوا بخلافته، ورجعوا عمــا كانوا اتفقــوا عليه مــع عبد الرحمن. وهذا يعنى أن أحــداث الخلافة فى المشرق كانت لها اصداؤها على الاحوال فى المغرب. انظر ابن عبد الحكــم ص 223.

** مابين قوسين زيادة من ج 2 : 39، ع.

«اللهم لا تهن عبد الرحمن بن حبيب هذا الملك، ولا أهله واسفك دمائهم بأيديهم وابعث عليهم شرار خلقك» ودعا على افريقية فوقع الوباء والطاعون بها سبع سنين لا تكاد ترتفع الا وقتا في الشتاء ووقتا في الصيف .

قال : ولما ولى عبد الرحمن ثار عليه جماعة من العرب والبربر (71) ثم ثار عليه عروة بن الزبير الصدفى واستولى على تونس ثم ثار عليه عرب الساحل وقام عليه ابن عطاف الازدي (72) حتى نزل بطساس(*) وثارت البربر من الجبال وثار ثابت الصنهاجي بباجة فأخذها وخرج بناحية طرابلس رجلان يقال لاحدهما عبد الجبار والآخر الحارث وهما من البربر على دين الخوارج (73) فقاتل كل من خرج عليه طائفة بعد

---

(71) لقد كانت بلاد المغرب منذ سنة 122هـ/740م فى حاله اضطراب وعدم استقرار وذلك لاسباب متعددة منها ازدياد حركه الخوارج قوة وانتشارا بمرور الوقت حتى طوقت القيروان أو كادت. ثم تطورت احداث المشرق وبداية الانهيار للدولة الامويه وسقوطها على أيدى العباسيين (المسودة) واخيرا كان تغلب عبد الرحمن نفسه على افريقيه بالغلبه والقوة بدون سند شرعى، اغرى اكبر [illegible] القواد وزعماء القبائل العربية والبربرية فحاولوا السير على منواله والاستبداد بالسلطة وحكم البلاد فى غياب الشرعية المركزية. راجع سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ج 1 ص 316 — 317.

(72) لقد كانت اغلبية القبائل العربية التى استقرت خلال الفتوحات الاسلامية وعصر الولاة من اليمنية الذين استوطنوا هذه البلاد واصبحوا بمرور الزمن عربا افارقة أو عربا بلديين وانضمت اليهم الجماعات العربية التى وفدت من المشرق فى العصر الاموى لطلب الرزق فاستقروا وأصبحوا من أهل البلاد ولقد أعطانا اليعقوبى بيانا واضحا لاصل هذه القبائل وأماكن استقرارها ومنها. بلى وجهينة ومدلج والازد ولخم وجذام وصدف وغسان وتجيب، لذلك حينما استولى على السلطة زعماء القبائل المضرية، كان من الطبيعي أن تسارع بعض هذه القبائل الى الثورة. انظر اليعقوبى : وصف افريقية ص 2 — 21 وللمحقق : أثر القبائل العربية فى الحياة المغربية ص 46 — 47.

* بطبيناس فى ج 2: 39.

(73) ولم تكتف القبائل العربية اليمنية باعلان الثورة ضد عبد الرحمن فقط، بل وتحالفت وانضمت الى كل ثائر ضده . فأهم الثورات البربرية الخارجية كانت فى اقليم طرابلس، وقامت هذ الثورة نتيجة لمقتل عبد الله بن مسعود التجيبى فى 129هـ/ 47 — 748م وهو من عرب تجيب اليمنيين وزعيم الخوارج الاباضية على يدى عامل طرابلس لعبد الرحمن. وتولى قيادة الثورة بعده كل من عبد الجبار بن قيس المرادى وهو من قبيلة مراد من قبائل الجنوب والحارث بن تليد الحضرمى من قبيلة حضرموت اليمنية وبالتالي فهما ليسا من البربر كما ذكر الرقيق والنويرى

اخرى بنفسه وبجيوشه حتى دوخ المغرب كله وأذل من به من القبائل ولم ينهزم له عسكر ولا ردت له راية وخافه جميع أهل المغرب

وكتب الى [175] مروان بن محمد وأهدى له هدية وتقول على حنظلة ونسب اليه ما لم يقع منه فكتب اليه مروان بولاية افريقية والمغرب كله والاندلس ثم قتل مروان وانقرضت الدولة الاموية وقامت الدولة العباسية فكتب عبد الرحمن الى أبى العباس السفاح بطاعته وأقام الدعوة العباسية ، فلما صار الامر الى أبى جعفر المنصور كتب الى عبد الرحمن يدعوه الى الطاعة فاجابه وكتب بطاعته وأرسل اليه بهدية نزرة كان فيها بزاة وكلاب وكتب اليه ان افريقية اليوم اسلامية كلها وقد انقطع السبى منها فلا تسألنى ما ليس قبلى فغضب أبو جعفر وكتب اليه يتوعده ، فلما وصل كتابه اليه غضب غضبا شديدا ثم نادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس في المسجد الجامع ثم خرج عبد الرحمن في مطرف خز وفي رجليه نعلان فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على محمد نبيه صلى الله عليه وسلم ثم أخذ في سب أبى جعفر ، ثم قال انى ظننت هذا الخائن يدعوا الى الحق ويقوم به حتى تبين لى منه خلاف ما بايعته عليه من اقامة الحق والعدل وأنا الآن قد خلعته كما خلعت نعلى هاتين وقذفهما وهو على المنبر ثم دعا بخلعه أبى جعفر التى كان أرسلها اليه وفيها سواده وكان قد لبسها قبل ذلك ودعا فيها لابى جعفر وهو أول سواد لبس بافريقية ، فأمر تحريقها [176] وحرقها وأمر كاتبه خالد بن ربيعة ان يكتب كتابا بخلعه ويقرأ على المنابر في سائر بلاد المغرب ففعل ذلك (74) .

= الذى نقل عنه. انظر ابن عبد الحكم ص 224 وقارن ابن خياط ج 2 ص 411، وأبو زكرياء يحيى بن أبى بكر : كتاب سير الائمة واخبارهم المعروف بتاريخ أبى زكرياء ص 7 ويروى أبو زكرياء انه «تكونت جماعة معتبرة من الاباضيين فى طرابلس يتزعمهما رجل يدعى عبد الله بن مسعود التجيبى... ولكن هذا الزعيم لم يلبث ان قتله عامل طرابلس. وبعده تحولت زعامة المذهب الى عبد الجبار بن قيس المرادى ومعه الحارث بن تليد الحضرمى».

(74) هذا النص يبين أن عبد الرحمن بن حبيب كان يود أن يكتفى من الطاعة بمظهرها الشكلي. أما عن الاموال فهو يعتذر بأن البلاد أصبحت اسلامية وليس فيها

ذكر مقتل عبد الرحمن بن حبيب

وولاية أخيه الياس بن حبيب وقتله وولاية حبيب بن عبد الرحمن وقتله

كان سبب قتل عبد الرحمن انه لما قتل مروان ابن محمد الحمار (74 م) هرب جماعة من بني أمية ومعهم حريمهم نحو امريقية (75) فتزوج عبد الرحمن واخوته منهم وكان ممن قدم عليه ابنان للوليد بن يزيد بن عبد الملك يقال لاحدهما القاضي والاخر المؤمن. وكانت ابنة عمهما تحت الياس بن حبيب فأنزلهما عبد الرحمن بدار شيبه ابن حسان وتسلل عليهما ليسمع كلامهما وكانا على نبيذ وغلامهما يسقيهما فقال القاضي : «ما اعفل عبد الرحمن اتظن انه يتهنا معنا بولاية ونحن أولاد الخلفاء» فنزل وانصرف ولم يعلمانه ثم أمر بقتلهما فقالت ابنة عمهما لزوجها الياس : انه قتل اخنانك تهاونا بك، وجعل العهد من بعده لابنه حبيب، وأنت صاحب حربة وسيفه الذي يصول به، ولم تزل تغريه به.

وكان عبد الرحمن اذا ثار عليه ثائر أو خرج عليه خارجي يرسل أخاه الياس لقتاله فاذا ظفر نسب الظفر لابنه حبيب وجعل العهد فيه فاجتمع [177] رأى الياس بن حبيب، وعبد الوارث اخيه على قتل عبد الرحمن اخيهما ووالاهما على ذلك جماعة من أهل القيروان

ـ مغانم ولا سبى، مما يكون للخلافة نيل حظ، وكأنه ليس للخلافة حقوق مالية الا في دار الحرب. وبطبيعة الحال لم يكن المنصور ليرضى بذلك الخضوع النظرى، فدفع الاموال السنوية الى بيت مال الخلافة هو الرابطة المادية الوحيدة ـ في أغلب الاحيان ـ التي تربط بين امراء الاقاليم والحكومة المركزية. أنظر سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ج 1 ص 330.

(74م) لقب بالحمار لانه كان لا يجف له لبد في محاربة الخارجين عليه فكان يصل السير بالسير ويصبر على مكايد الحرب، كما لقب بالجعدى نسبة الى مؤدبه الجعد بن درهم من أصحاب المقالات في الاعتزال. انظر ابن الاثير : الكامل 5 : 429، للمحقق : دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 502.

(75) وقد كان احد اسباب شك العباسيين في عبد الرحمن بن حبيب، هو ايوائه لمن فر من الامويين الى بلاد المغرب. ومع أن مؤرخي المغرب يفسرون ذلك بأن الامويين كانوا «يسمعون في الرواية ان مستراحهم بالمغرب، فنزع أكثرهم الى افريقية» فالحقيقة انه لم يكن للامويين، بل وللعرب فيما بعد، من ملجأ سوى بلاد المغرب، بعد ان اوصدت امامهم ابواب المشرق، وهو مصدر اعدائهم الذين يطلبون دماءهم، اخبار مجموعة ص 50، الكندي : القضاة والولاة ص 97.

والعرب وغيرهم على ان يكون الامر لالياس والدعاء لابى جعفر المنصور فأتاه الياس ليلا فاستأذن عليه بعد العشاء الآخرة ، فقال : ما جاء به وقد ودعنى. وكان الياس قد عزم على الخروج الى تونس، واذن له فخرج(*) عليه وهو في غلالة ورديسة وابن له صغير في حجره فقعد طويلا وعبد الوارث يغمزه فلما قام مودعه اكب عليه يعانقه فوضع السكين بين كتفيه حتى صارت الى صدره فصاح عبد الرحمن وقال فعلتها يابن اللخناء، ثم ضربه الياس بالسيف فابقاه بمرفقه، فأبان يده وضربه حتى أثخنه ودهش الياس وخرج هاربا فقال له أصحابه : ما فعلت قال : قتلته فقالوا ارجع وحز رأسه والا قتلنا عن آخرنا ففعل وثارت الصيحة وأخذ الياس أبواب دار الامارة .

ولاية الياس بن حبيب وقتله

وسمع حبيب بن عبد الرحمن الصيحة فهرب من القيروان وأصبح بقرب تونس فدخلها واجتمع مع عمه عمران ابن حبيب ولحق بهما موالى عبد الرحمن من كل ناحية فخرج اليهما الياس الى سمنجة فوافياه بمن معهما وهموا بالقتال ثم اصطلحوا على أن يعود عمران الى ولاية [178] تونس وصطفورة والجزيرة (76) ويكون حبيب على قفصة (77) وقصطيلة (78) ونفزاوة (79) ولالياس سائر افريقية والمغرب.

* مدخل فى ج 2 : 41.

(76) من اعمال صطفورة، وتعرف فى القرن الثامن ببنزرت، من جملة كورها عمل الجزيرة، ويقال جزيرة بنزرت لاحاطة البحر بها ولها ايضا كور واقاليم وبلاد واعمال. انظر الحميرى : الروض المعطار ص 165. .

(77) قفصة : مدينة من البلاد الجريدية، وهى كبيرة قديمة أزلية، كان عليها سور صخر جليل، وكان لها اربعة ابواب، وهى متوسطة بين القيروان وقابس، وفى داخلها عيون كثيرة، وارض وادى قفصة كلها تنشع ماء، وفيه تورد العرب ابلها تحفر فيه احساء فيخرج ماء عذبا معينا. انظر الاستبصار ص 151، البكرى ص 47، الادريسى ص 104، وياقوت مادة قفصة، اليعقوبى ص 349.

(78) قصطيلة او قسطيلية : اسم لعمل البلاد الجريدية، وهى بلاد واسعة ومدن عديدة بها النخل والزيتون من مدنها : توزر والحمة ونفطة ومدينتها العظمى توزر، وبها ينزل العمال وجبايتها مائتا الف دينار. انظر البكرى 49 وقارن الاستبصار ص 159 — 160، الحميرى : الروض المعطار ص 480.

(79) نفزاوة بينها وبين القيروان ستة أيام، ولها سور صخر وطوب، ولها ستة

ومضى الياس مع عمران الى تونس وانصرف حبيب الى القيروان فوثب الياس على أخيه عمران وعلى عمر بن نافع ابن أبي عبيدة الفهري وعلى الاسود بن موسى بن عبد الرحمن بن عقبة وعلي ابن قطن فشدهم وثاقا ووجههم في سفينة الى الاندلس الى يوسف ابن عبد الرحمن بن عقبة وانصرف الى القيروان ، فبلغه عن حبيب اخبار كرهها فاغرى الناس (*) بـه .

وأرسل اليه من زين له الخروج الى الاندلس ففعل وجهزه الياس في سفينة فتعذرت عليهم الريح فكتب الى الياس ان الريح قد ردته وان المسير لا يمكنه فاتهمه الياس وخاف ناحيته وكتب الى عامله سليمان بن زياد الرعيني يحذره امره فاجتمع الى حبيب موالى ابيه فاسروا سليمان بن زياد وشدوه وثاقا وكان معسكرا يحارس حبيبا وأخرجوا حبيبا الى البر وأظهروا امره فتوجه الى الاربس فاخذها وبلغ خبره الياس فتوجه اليه واجتمع لكل واحد منهما جماعة فلما التقيا قال حبيب لعمه الياس : لم نقتل موالينا وصنائعنا بينما وهم لنا حصن، ولكن أبرز أنت وأنا فأينا قتل صاحبه استراح منه ان قتلتني الحقتني بأبي وان قتلتك ادركت [179] ثاري منك، فارتاب الياس ساعة فنادى الناس قد انصفك فلا تجبن فان ذلك سبة (**) عليك وعلى ولدك من بعدك فخرج كل منهما الى صاحبه والتقيا ساعة (***) فضرب الياس حبيبا فأعمل السيف في ثيابه ودرعه ووصل الى جسمه فعطف حبيب عليه وضربه بالسيف ضربة سقط بها عن فرسه الى الارض فالقى حبيب نفسه عليه فجز رأسه ثم أمر برفعه على رمح وهرب عبد الوارث بن حبيب ومن كان معه الى بطن من البربر يقال لهم ورفجومة

= ابواب، وبها جامع وحمام وأسواق حافلة وهى على نهر كثيرة النخل والثمار، وحواليها عيون كثيرة، ومن نفزاوة تسير الى بلاد قسطيلة. وبها أرض سواخة وسباخ وملاحات يسلك منها الى توزر وبلاد قسطيلية. انظر البكرى ص 47 ــ 48، الاستبصار ص 158، الحميرى ص 578.

* الياس فى ج 2 : 42.

** سيئة فى ج 2 : 42.

*** سعة فى ج 2 : 42.

(80) ودخل حبيب القيروان وبين يديه رأس الياس ورأس محمد بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع عم ابيه ورأس محمد بن المغيرة بن عبد الرحمن القرشى وجاءه محمد بن عمرو بن مصعب الفزاري وهو زوج عمة ابيه مهنئا له فضرب عنقه وكان ذلك كله في شهر رجب سنة ثمان وثلاثين ومائة.

ولاية حبيب بن عبد الرحمن وقتله

قال : ولما وصل عبد الوارث بن حبيب ومن معه الى ورفجومة نزلوا على (*) عاصم بن جميل الورفجومى فكتب اليه حبيب بامره أن يوجه بهم اليه فلم يفعل فنهد اليه حبيب ولقيه عاصم واقتتلوا فانهزم حبيب وكان قد استخلف على القيروان ابا كريب جميل بن كريب القاضى فقوى امر ورفجومة وكاتبهم بعض وجوه القيروان خوفا منهم على [180] انفسهم فزحف عاصم بن جميل وأخوه مكرم بالبربر وبمن لجا اليهم وصاروا بناحية قابس فلما قربوا من القيروان خرج اليهم أبو كريب القاضى باهل قيروان حتى اذا دنوا من بعضهم خرج من عسكر عاصم جماعة من اهل القيروان فخذلوا الناس ودعوهم الى عاصم فافترق أكثر الناس عن ابى كريب ورجعوا الى القيروان وثبت أبو كريب في نحو الف رجل من وجوه الناس واهل البصائر والخشية والدين وقاتلوا فقتل أبو كريب وقاتل من معه حتى قتلوا .

ودخلت ورفجومة القيروان فاستحلوا المحارم وارتكبوا العظائم ونزل عاصم بعسكره بالموضع الذي يسمى مصلى روج واستخلف على القيروان عبد الملك بن أبي جعدة الفهري (80 م) وسار الى حبيب وهو بقابس فقاتله

(80) ورفجومة بطن من بطون قبيلة نفزة، راجع ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 69 ـ 70، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 11.

* الى ف ج 2 : 43.

(80م) وكذا فى ابن خلدون : العبر 6 : 146، «عبد الملك بن ابى الجعد اليفرنى» فى ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 70 ونسبته الى نفزة ارجح لان ورفجومة بطن من بطون نفزة، وبنو يفرن من زناتة المغرب الاوسط.

فانهزم حبيب ولحق بجبل أوراس وهم أخوال أبيه ، فسار عاصم في طلبه الى أوراس والتقوا واقتتلوا فهزم عاصم وقتل هو وأكثر اصحابه واقبل حبيب الى القيروان فخرج اليه عبد الملك ابن أبي جعدة والتقوا فقتل حبيب في المحرم سنة اربعين ومائة ، وكانت ولاية عبد الرحمن بن حبيب عشرة سنين وأشهر وولاته الياس ستة أشهر وولاية حبيب بن عبد الرحمن سنة واحدة وستة أشهر (81).

ذكر تغلب ورفجومة على افريقية

[181] وما كان منهم ومن ولى بعدهم الى ان ولى محمد بن الاشعث

قال (*) : ولما حكمت ورفجومة على القيروان ، قتلوا من بها من قريش وساموهم سوء العذاب وربطوا دوابهم في المسجد الجامع وندم الذين اعانوهم أشد ندامة .

قال : ثم دخل رجل من الاباضية القيروان فرأى ناسا من الورفجوميين قد أخذوا امرأة وارادوها على نفسها والناس ينظرون فترك حاجته التي أتى فيها وخرج الى أبى الخطاب عبد الاعلى (**) بن السمح المعافري (81 م) فاعلمه بالذي رأى فخرج وهو يقول : لبيك اللهم لبيك، فاجتمع اليه اصحابه من كل مكان وتوجهوا نحو طرابلس فاخرجوا منها

---

(81) وهو من قبيلة معافر اليمنية، ويروى أبو زكرياء [ان امرأة من نساء القيروان كتبت بطاقة الى الامام ابى الخطاب... تشكو اليه جور ورفجومة فقالت : ... «ان لى بنتنا لم أحرزها إلا من حفرة حفرتها تحت سريرى مخافة عليها من الورفجومية أن يفسدوها». وهكذا خلصت القيروان للصفرية الذين استمروا فى الفساد والانتقام من العرب فقتلوا كل من كان بالمدينة من قريش وعذبوا أهلها من العرب وتشاء الاقدار ان يثأر للقيروان وأهلها من العرب، أباضية طرابلس من قبائل هوارة وزناتة البربرية بزعامة عربى يمنى من معافر. أنظر كتاب سير الائمة واخبارهم ص 35، 38، 39، اليعقوبى : ج2 ص 385 ــ 386، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 61 ــ 71، ابن الاثير : الكامل ج 5 ص 311 ــ 317، ابن خلدون : العبر ج 4 ص 190.

* قال زيادة فى د.

** العلا فى د وصحتها من ج 2 : 44، ابن الاثير : الكامل 5 : 316.

(81م) وأنظر ماورد بابن الاثير ولاحظ التطابق فى اغلبية الفقرات الكامل 5 : 311 ــ 316، وقارن رواية ابن عذارى المفصلة ــ البيان المغرب 1 : 60 ــ 70 .

عمر بن عثمان القرشي واستولى أبو الخطاب عليها ثم سار (82) الى القيروان فخرج اليه عبد الملك بن أبى جعدة بجماعة ورفجومة والتقوا فقتل عبد الملك وأصحابه وذلك في صفر سنة احدى وأربعين فكان تغلب ورفجومة على القيروان سنة وشهرين وتتبع أبو الخطاب من انهزم منهم فقتلهم ثم انصرف الى القيروان فولى عليها عبد الرحمن بن رستم القاضى ومضى الى طرابلس فصارت طرابلس وما يليها وافريقية كلها في يده الى أن وجه أبو جعفر المنصور محمد بن الاشعث في سنة اربع وأربعين (82 م) .

ذكر ولاية محمد بن الاشعث الخزاعي

[182] قال : لما غلبت الصفرية على افريقية بعد أن قتلت ورفجومة من قتلت من عربها خرج جماعة الى أبي جعفر المنصور ، منهم : عبد الرحمن بن زياد بن انعم ونافع بن عبد الرحمن السلمى وأبو البهلول ابن عبيدة وأبو العرباض فأتوا المنصور يستنصرون به على البربر ووصفوا عظيم ما لقوه منهم، فولى المنصور أبو جعفر ، محمد بن الاشعث مصر فوجه أبا الاحوص عمرو بن الاحوص العجلى الى افريقية فهزمه أبو الخطاب في سنة اثنتين وأربعين فكتب أبو جعفر المنصور الى محمد ابن الاشعث يأمره بالمسير بنفسه ووجه اليه الجيوش فخرج في أربعين ألفا (83) : ثلاثين ألف فارس من أهل خراسان (83م) وعشرة آلاف من اهل

(82) الى هنا تضطرب قطعة الرقيق القيرواني وتفقد تسلسلها التاريخى ... استيلاء الاباضية على القيروان ثم الصراع بينهم وبين العباسيين وهى معلومات تحتل سبعة صفحات في مخطوط النويرى. انظر الرقيق ص 142.

(82م) قارن ابن الاثير : الكامل 5 : 316 — 317، وابن عذارى : البيان المغرب 1 : ... — 71.

(83) خمسون الف في ابن الاثير : الكامل 5 : 377.

(83م) قد يفهم من هذا النص ان أغلبية جيش محمد بن الاشعث بن عقبة الخزاعى (احد زعماء اليمنية) واحد كبار القواد في خلافة أبي جعفر، كان من فرس خراسان، ولكن الحقيقة انهم كانوا من عرب خراسان اذ بعد تعيين زياد بن ابيه واليا على كل من البصرة والكوفة في 50هـ/670م في عهد خلافة معاوية ابن ابى سفيان الاموى؛ ولكى يقضى زياد على ثورات المدينتين ضد الامويين، عمل على نقل خمسين الف اسرة عربية منهما الى ولاية خراسان، دعم بهم الفتوحات الاسلامية باقليم ماوراء النهر. وتشكل من هذه الاسر العربية، الجند الخراسانى. وهذا لا يمنع بالطبع

الشام ووجه معه الاغلب بن سالم التميمي والمخارب بن هلال الفارسي والمخارق بن غفار (*) الطائي وأمرهم بالسمع والطاعة له، فان حدث به حدث كان أميرهم الاغلب، فان حدث به حدث فالمخارق فان حدث به حدث فالمخارب بن هلال فمات المحارب قبل وصولهم الى افريقية.

وبلغ أبا الخطاب خروج محمد بن الاشعث اليه، فجمع أصحابه من كل ناحية ومضى في عدد عظيم فوصل الى سرت واستقدم عبد الرحمن بن رستم من القيروان فقدم بمن معه فضاق ابن الاشعث ذرعا بلقاء أبي الخطاب، لما بلغه من كثرة [183] جموعه فاتفق تنازع زناتة وهوارة فيما بينهم فقتلت هوارة رجلا من زناتة فاتهمت زناتة أبا الخطاب في ميله مع هوارة ففارقه جماعة منهم فبلغ ذلك ابن الاشعث فسر به وضبط افواه السكك حتى انقطع خبره عن أبي الخطاب فرجع الى طرابلس ووصل ابن الاشعث الى سرت فخرج اليه أبو الخطاب حتى صار بورداسة.

فلما قرب منه ذكر ابن الاشعث لاصحابه ان خبرا أتاه من المنصور بالرجوع الى المشرق وأظهر لهم المسرة بالرجوع، فشاع ذلك في الناس، وسار منصرفا ميلا ثم نزل فانتهى ذلك الي أبي الخطاب وسمع به من معه فتفرق كثير منهم ثم أصبح ابن الاشعث فسار أميالا متثاقلا في سيره وفعل ذلك في اليوم الثالث (84) ثم اختار أهل الجلد والقوة من جيشه وسار

= من وجود خرسانية بينهم، اذ سبق واستعان عبيدالله بن زياد بفرقة مشكلة من الفى رام من اهل بخارى فى جيشه لفتح أقاليم جديدة، كما الزم قتيبة بن مسلم اهالى خراسان أن يمدوه بقوة اضافية من الجيوش المحلية، تتراوح عادة بين عشرة آلاف وعشرين الف رجل يقومون بالخدمة مع الجيوش الاسلامية وازداد دور الموالى فى الدولة العباسية أنظر البلاذرى : فتوح البدان ص 400، للمحقق : دراسات فى تاريخ الدولة العربية ص 314 — 315، 390 — 391.

* غيفار فى ج 2 : 45.

(84) لقد اتفق المؤرخون أن انتصار ابن الاشعث جاء نتيجة ان الحزازات العصبية بين الاباضية ادت الى انقسامهم، اذ قام نزاع بين زناتة وهوارة واتهم الزناتية أبا الخطاب بمحاباة الهواريين، وفارقه عدد كبير من الزناتيين مما أدى الى هزيمته. ولكن النويرى يذكر سببا ثانيا أكدته وأوضحته المصادر الاباضية

بهم ليله كله فصبح أبا الخطاب وقد اختل عسكره فلما التقوا ترجل جماعة من أصحاب ابن الاشعث وقاتلوا فانهزم البربر وقتل ابو الخطاب وعامة من معه وذلك في شهر ربيع الاول من سنة أربع وأربعين ومائة فكانت عدة من قتل من البربر أربعين الفا (85) ولما انتهى الخبر الى عبد الرحمن بن رستم هرب الى تيهرت واختطها وبلغ أهل القيروان خبر أبي الخطاب فاوثقوا عامل رستم وولوا عليهم [184] عمرو بن عثمان القرشي الى أن قدم محمد بن الاشعث.

ووصل ابن الاشعث الى طرابلس فاستعمل عليها المخارق ابن غفار الطائي ووجه اسماعيل بن عكرمة الخزاعي الى زويلة وماوالاها ففتح تلك النواحي وقتل من بها من الخوارج وتوجه محمد الى القيروان وأمر ببناء سورها وذلك في يوم السبت غرة جمادى الاولى فبنى في ذي القعدة وكان تمامه في شهر رجب سنة ست وأربعين ، وضبط افريقية واعمالها وأمعن في قتل كل من خالفه من البربر فخافوه خوفا شديدا وأذعنوا له بالطاعة ثم فسد عليه جنده بعد ذلك. وتحدثوا ان المنصور كتب اليه يأمره أن يقدم عليه وانه أبى ذلك فاجتمع رأيهم على اخراجه وتوليه عيسى بن موسى الخراساني فلما رأي ذلك علم انه لا طاقة له بهم فخرج في شهر ربيع الاول سنة

= نفسها وهو حيلة ابن الاشعث والتظاهر بالانسحاب ويرويه ابو زكرياء فى كتاب سير الائمة واخبارهم ص44-45 فيذكر «واظهر (ابن الاشعث)لهم ان ابا جعفر يأمره بذلك، ويقول انه قد ظهر بأرضنا ما نحن أحوج اليه (العسكر) مما أنتم فيه. ثم ان الاشعث كر راجعا الى المشرق وتباطأ فى مسيره... فلما وصلت عيون ابي الخطاب اليه من عسكر ابن الاشعث تخبره برجوعه، وقد اجتمع علي ابن الخطاب قريب من سبعين الفا، ابتدره الناس بالرجوع الى منازلهم ومواطنهم، وذلك فى زمان الحصاد. فقال لهم ابو الخطاب، يا قوم، ان العرب اصحاب مكر وخداع، فلا تفترقوا عن ملككم، حتى تستيقنوا برجوع القوم، فغلبته العامة، فاذن لهم ابو الخطاب ...فسار كل الى منزله ووطنه» راجع ابن عذاري : البيان المغرب ج 1 ص 71 ،72 ابن خلدون : العبر ج 6 ص 112، الشماخي : سير مشايخ جبل نفوسة ص 130

(85) تذكر الرواية - الاباضية - ان عدد القتلى اربعة عشر الفا: فيما ذكر بعض الرواة، وذكر آخرون اثنى عشر الفا، ولم يفلت من عسكر ابن الخطاب الا اليسير انظر تاريخ ابن زكرياء ص 96، الشماخي : سير مشايخ جبل نفوسة ص 132.

ثمان وأربعين ومائة وقام بأمر النـاس عيسى بن موسى من غير أمـر أبـي جعفـر ولا رضى العامة الا أن قواد المضرية تراضوا به (86).

ذكر ولاية الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي

قال : ولما بلغ المنصور ما كان من المضرية وصرفهم محمد بن الاشعث بعث الى الاغلب عهده بولاية افريقية وكان بطبنة (*) فقدم [185] الى القيروان وأخرج عيسى بن موسى في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وأخرج جماعة من قواد المضرية واستقامت له الحال ثم خرج عليه أبو قرة الصفري في جمع كثير من البربر فسار اليه الاغلب في جميع قواده فهرب منه وقدم الاغلب الزاب وعزم على الرحيـل الى تلمسان ثم الى طنجـة فاشتد ذلـك على الجنـد وجعلوا يتسللون عنه ويخرجون ليلا الى القيروان حتى بقي في نفـر يسيـر من وجوههـم.

وكـان الحسـن بـن حـرب الكنـدي بتونـس فلمـا خـرج الاغلب يريد أبـا قـرة كاتب جماعة من القواد فلحـق به بعضهم الذيـن

(86) وهكذا انهـارت ولايـة محمـد بن الاشعث نتيجة لظهور آفـة جديدة بـدات تدب في افريقية، فهو لم يسقط نتيجة لثورات البربر والخوارج بل بسبب عـدم انتظـام الجنـد الخراسـاني وقـواده من المضرية. وهـذه النقطة تحتاج لتوضيح، فقـد سبق وأوضحنـا أن الجنـد الخراساني هذا من القبـائل العربية التي سبق وكانت مستقرة بمدينتي البصرة والكوفة من القيسية واليمنية، الذين تميزوا بكثرة خصوماتهم بسبب المطالبة بتعديل الفتـوح بين أهل الكوفـة وأهل البصرة المرة وراء المرة. وبالاضافه أدى النزاع بينهما لم يرض كل منهما عن واليه وحاكمه. ونشأت أحزاب المعارضة السياسية والدينية من شيعة وخوارج في أحضان المدينتين ممادفع زياد بن أبيه الى نقل خمسين ألف أسرة عربية منهم ــ خصوصا المشـاكشين ــ الى ولايـة خراسـان، حيـث وقـع عليهـم عبء نشر الاسـلام في منطقـة مـا وراء النهر.

يضـاف الى ذلك أن الجنـد الشـامي الذى انتقـل الي بلاد المغرب، لاشك أنه كـان من الجنـد الشمـالي الذي لـم تربطه علاقـات وثيقـة بالاسرة الاموية وكـان أكـثره يتألـف من رجـال القبـائل العربية الشمـالية (العدنانية أو المضرية) وهذا يفسـر لنـا سيطرة القـواد المضرية على الجند الخرساني.

راجع البلاذري : فتوح البلدان ص 276 ــ 279، 344 ــ 345، 400، الطبري: تاريخ الامم والملوك ج 4 ص 148، 189 ــ 192، 199، 263، ابن الاثير : الكامل ج 3 ص 31 ــ 32، جب : دراسات في حضارة الاسلام ص 65 ــ 66، شكري فيصل : حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول ص 194، للمحقق : دراسات في تاريخ الدولة العربية ص 262 وما بعدها.

* يطلبه في ج 2: 46.

فارقوا الاغلب من الزاب فأقبل الى القيروان ووازره على ذلك بسطام ابن الهذيل القائد والفضل بن محمد وغيرهما فدخل القيروان من غير ممانعة(**) وحبس سالم بن سوادة التميمي وهو الذي استخلفه الاغلب على القيروان عند رحليه منها (87) وبلغ الخبر الاغلب فأقبل في عدة يسيرة ممن صبر على طاعته وكتب الى الحسن بن حرب فعرفه فضل الطاعه وعقبى المعصية فأعاد جوابه وكتب في آخره .

الا قولا لاغلب غير سر مغلغله من الحسن بن حرب
بأن البغى مرتعه وخيم عليك وقربه لك شر قرب
وان لم تدعني لتنال سلمى والا فادن من طغى وضرب (87 م)

[186] فأقبل الاغلب نحوه يجد السير فأشار عليه أصحابه الذين معه بالمصير الى قابس وان يلطف بالناس حتى يرجعوا عن الحسن اليه ففعل ذلك وقدم رسول المنصور الى الاغلب والى الحسن بن حرب يدعوه الى الطاعة فلم يفعل فزحف اليه الاغلب واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الحسن وقتل من أصحابه خلق كثير فرجع

** يمانعة في ج 2 : 47

(87) ونتيجة لثورة قواد المضرية قام الخليفة المنصور بتولية احد قواد جيش افريقية، الاغلب بن سالم التميمى والى طبنة (الزاب)، الذى تميز بالاضافة الى الكفاءة والمقدرة على ضبط الامور، بأنه من قبيلة تميم المضرية. ورغم ذلك لم يعط الجند الخراسانى الود خالصا للوالى المضرى، ففى خلال ثورة أبى قرة المغيلى الصفرى، كره الجند المسير مع الوالى لملاقاة الثائر. وأخذوا يتسللون عنه الى القيروان، حتى لم يبق معه الا عدد قليل. ولم يقتصر دورهم على هذا، بل وسارعوا الى الانضمام الى الحسن بن حرب الكندى اليمنى بتونس حينما أعلن ثورته ضد الوالى المضرى الذى انتهى الامر بقتله فى 150هـ وتأخير قيام الدولة الاغلبية بافريقية لمدة أربعة وثلاثين عاما. راجع ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 74، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 112.

(87م) انظر الاختلافات لابيات القصيدة فى ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 27، ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 74 ومن الجدير بالذكر أن ابن الابار فى ترجمته للاغلب ابن سالم بن عقال فى الحلة السيراء 1 : 70 أورد أبياتا منسوبة الى الاغلب تتشابه مع قصيدة الحسن بن حرب التى يبدو انها كانت الرد على قصيدة الاغلب وهى :

الا من مبلغ عنى مقالا ... يسير به الى الحسن بن هرب
فان البغى ابعده وبال ... عليك وقربه لك شر قرب
فان لم تدعنى لتنال سلما ... وعفوى فادن من طعنى وضربى

الى تونس وأقبل الاغلب الى القيروان وجشد الحسن بن حرب ونسار في عدة عظيمة الى القيروان فجمع الاغلب أهل بيته وخاصته وأعلمهم انه يلاقي الحسن وحده ان لم يعنه أحد فلما قرب خرج اليه الاغلب فشد هو وأصحابه الى الميمنة فكشفهم ثم انصرف وهو يقول :

لم يبق الا القلب أو أموت ان تحم لى الحرب فقد حميت
وان تولييت فلا بقيت

ثم حمل على القلب فلم يثن حدة حتى قتل بسهم أصابه، وذلك في شعبان سنة خمسين ومائة. قال : ولما سقط الاغلب صاح الناس قتل الامير وارتفعت الاصوات بذلك، قال : وكان سالم ابن سوادة في الميمنة هو وأبو العنبس (*)، فقال سالم لابى العنبس لا أنظر الى الدنيا بعد اليوم ودفع في عسكر الحسن بن حرب فقتل من اصحاب الحسن مقتلة عظيمة ووجد الحسن بن حرب مقتولا.

ذكر ولاية عمر بن حفص بن هزارمرد

وتفسيره بالفارسية الف رجل ويكنى أبا جعفر وكان شجاعا بطلا وهو من ولد قبيصة بن أبى صفرة اخى المهلب (88) استعمله المنصور على افريقية لما بلغه قتل الاغلب فقدمها في صفر سنة احدى وخمسين ومائة في خمس مائة فارس (89) فاجتمع اليه وجوه الناس فوصلهم

---

* أبو العباس فى ج 2 : 48.

(88) من اسرة المهلب بن أبى صفرة الازدى اليمنى، من ازد العتيك، أزد دبا، ودبا بين عمان والبحرين، أسلموا فى عهد الرسول (ص) ثم ارتدوا، فسبى ذراريهم وكان منهم أبو صفرة، فأعتقه عمر، فانتقل أبو صفرة الى البصرة حيث استقر بجوار عصبيته من الازد، واشتهرت أسرة المهلب بحروبها ضد خوارج المشرق من الازارقة. وأصبح آل المهلب الازديين اسما لامعا، كان كافيا لان يفرض نفسه على الجميع، مضريين كانوا أم يمنيين.
راجع ابن قتيبة : المعارف ص 175، الدينورى : الاخبار الطوال ص 267.

(89) لاشك انهم من قبيلة الازد، اذ تعود المهلبيون الاعتماد على عصبيتهم، فحينما أسند الى المهلب بن أبى صفرة، حرب الخوارج، كان أول أعماله أن أتى بديوان الجند بالبصرة فاختار معظم عسكره من الازد، وقليلا من سائر العرب. انظر الدينورى : الاخبار الطوال ص 267.

وأحسن اليهم فاستقامت له الامور ثلاث سنين وأشهر من ولايته ثم سار الى الزاب فنزل طبنة (90) واستخلف على القيروان حبيب بن حبيب ابن يزيد بن المهلب.

وكان كتاب المنصور قدم عليه بالشخوص الى الزاب لبناء طبنة فخلت افريقية من الجند فثار بها البربر فخرج اليهم حبيب وقاتلهم فقتل واجتمع البربر بطرابلس وولوا عليهم أبا حاتم يعقوب بن حبيب مولى كندة وهو الذي يسمى أبا قادم (91) وكان عامل عمر على طرابلس الجنيد بن سيار الازدي فبعث اليهم الجنيد خيلا عليهم خازم بن سليمان فالتقوا واقتتلوا فانهزم خازم وأصحابه ولحقوا بالجنيد بطرابلس فكتب الجنيد الى عمر يستمده فبعث اليه خالد بن يزيد المهلبي في اربعمائة فارس فاجتمع هو والجنيد والتقيا مع البربر فانهزم خالد والجنيد الى قابس فبعث عمر بن حفص [188] سليمان بن عباد المهلبي في جماعة من الجند فلقى أبا قادم بقابس (92)

---

(90) طبنة : كانت عاصمة الزاب ومقر الولاة، وتقع فى وسط الزاب المند جنوب ولاية قسنطينة بالجزائر. أعظم بلاد الزاب، وهى مدينة كبيرة، ولها حصن قديم عليه سور من حجر جليل ضخم متقن البناء من عمل الاول، ولها أرباض واسعة وهى مما فتح موسى بن نصير، ولم يكن من القيروان الى سجلماسة مدينة أكبر منها. ولها خمسة أبواب : باب خاقان، وباب الفتح، باب تهوذا، والباب الجديد، وباب كتامة؛ يسكنها العرب والعجم (المولدين) بينهم الاختلاف واذا قامت الحرب بينهما استعان العرب بعرب مدينة تهوذا وسطيف وليستعان المولدون بأهل بسكرة وما ولاها. راجع البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 50، 51، الادريسى ص 93، الاستبصار ص 172، الحميرى : الروض المعطار ص 387.

(91) أبو حاتم يعقوب بن لبيب الملزوزى فى كتاب سير الائمة وأخبارهم لابى زكرياء ص 48. وأبو حاتم يعقوب بن لبيب الاباضى فى البيان المغرب لابن عذارى ص 78. ويضيف النويرى ان أبا حاتم مولى لقبيلة كندة اليمنية واذا علمنا أن الموالى هم العبيد الذين يمن عليهم صاحبهم ويفك رقابهم ويعتقهم ويصير الملوك بذلك مولى لعتاقته، ادركنا أن بمنطقة طرابلس استقرت بعض بطون قبيلة كندة اليمنية. انظر جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ج 4 ص 360 — 366، وللمحقق : دراسات فى تاريخ الدولة العربية ص 104 — 105.

(92) بينها وبين القيروان اربع مراحل، وتعد من البلاد الجريدية ، وهى مدينة كبيرة قديمة عليها سور صخر جليل من بناء الاول، ولها حصن حصين وأرباض واسعة وفيها فنادق وحمامات. وهى مدينة بجرية صحراوية، فيقال انه ما اجتمع فى مائدة رجل ثلاثة أشياء متضادة المواضع الا فى مائدة من سكن قابس : يجتمع فيها

فقاتله فانهزم سليمان الى القيروان فسار اليها وحصرها وعمر مقيم بطبنة.

وقد صارت افريقية وأعمالها نارا تتقد وأتى البربر من كل مكان ومضوا الى طبنة فاحاطوا بها وهم في اثنى عشر عسكرا : أبو قرة الصفري في أربعين الف فارس وعبد الرحمن بن رستم الاباضى في خمسة عشر الف فارس وأبو حاتم في عدد كثير وكان أباضيا وعاصم السدراتى الاباضى في ستة آلاف والمسور الزناتى الاباضي في عشرة آلاف فارس وعبد الملك بن سكرويد الصنهاجى الصفري في الفى فارس وجماعة غير هؤلاء ، ولم يبق مع عمر الا خمسة آلاف وخمس مائة فلما رآى ما حل به جمع قواده فاستشارهم في مناجزتهم فاشاروا عليه ان لا يخرج من المدينة .

فاعمل الحيلة في صرف الصفرية ووجه اليهم رجلا من اهل مكناسة يقال له اسماعيل بن يعقوب ودفع اليه اربعين الف درهم وكسا كثيرة وأمره بدفع ذلك الى ابى قرة على ان ينصرف عنهم فقدم عليه وعرض المال والكسا فقال له ابعد اربعين سنه تسلم علي بالامامة ابيع حربكم بعرض قليل من الدنيا لا حاجة لى به فانصرف الى ابنه [189] وقيل الى أخيه ودمع اليه اربعة آلاف درهم واثوابا على ان يعمل في صرف أبيه ورد الصفرية الى بلدهم فعمل ذلك من ليلته ولم يشعر أبو قرة حتى ارتحل العسكر منصرفين الى بلادهم فلم يجد بدا من اتباعهم.

فلما انصرفت الصفرية ، وجه عمر ، معمر بن عيسى السعدي ، في ألف وخمسمائة الى ابن رستم وهو بتهودا في خمسة عشر الف فارس فالتقوا فانهزم ابن رستم ووصل

= الحوت الطرى، ولحم الغزال الطرى، والرطب الجنى، فهى حاضرة هذا الاقليم وقطبه. ولذلك شاع بين الناس «قابس دمشق المغرب» . راجع البكرى ص 17، الادريسى ص 106، الاستبصار ص 112 والحميرى ص 450.

الى تيهرت ثم اقبل عمر بن حفص ، يريد القيروان واستخلف على طبنة المهنا بن المخارق بن غفار الطائي فلما بلغ أبا قرة مسيرة اقبل بجموعه وحصر المهنا بطبنه فخرج اليه وقاتله فانهزم أبو قرة واستباحوا عسكره.

وكان أبو حاتم لما حاصر القيروان أقام عليها ثمانية اشهر وليس في بيت مالها درهم واحد ولا في اهرائها شيء من الطعام وكان الجند في تلك المدة يقاتلون البربر طرفى النهار حتى جهدهم الجوع وأكلوا (*) دوابهم وكلابهم فجعل الناس يخرجون فيلحقون بالبربر. فبلغ ذلك عمر ماقبل يريد القيروان في نحو سبع مائة من الجند حتى دخل القيروان فبث خيوله حول القيروان وجعل يدخل اليها ما يصلحه ورحلوا عن القيروان فلما بلغه اقبالهم توجه الى ناحية تونس [190] وأعد السير ومضى البربر حتى صاروا بناحية سمنجة وسار عمر من تونس، وخرج جميل بن صخر من القيروان فالتقوا في بير (**) السلامة، ثم أقبل حتى نزل مدينة الاربس (93) فبلغ البربر اقباله فرجعوا اليه باجمعهم من الطعام والحطب وغير ذلك واستعد للحصار وخندق خندقا على باب أبى الربيع فعسكر فيه الجند.

ثم قدم أبو حاتم في جنوده وقد بلغوا مائة الف وثلاثين الفا فقاتله عمر بمن معه أشد قتال فانكشف حتى صار الى الفسطاط ثم اقتتلوا بالفسطاط واشتد قتالهم وكاثروه حتى انحاز الى الخندق بباب أبى الربيع وكان عمر يخرج اليهم في كل يوم ويقاتلهم

---

* وكانوا فى د، ج 2 : 50 وصحتها من ابن الاثير : الكامل 5 : 600 ، ابن عذارى: البيان المغرب 1 : 76.

(93) بينها وبين القيروان ثلاثة أيام، وهى فى وطاء من الارض وبوسطها عين جارية لا تجف منها، وبها معدن حديد ولا شجر بها انما هى مزارع الحنطة والشعير ويدخر منها الكثير، وهى مدينة ميسورة ولها ربض كبير وبارضها يكون أطيب الزعفران، وتعرف ببلد العنبر. يذكر البكرى «لربس» ص 96، الادريسى ص 117، الحميرى ص 24.

** سر فى د وصحتها من ج 2 : 50.

فما زالوا على ذلك حتى فنيت أقواتهم وأكلوا دوابهم والكلاب والسنانير فاضطرب على عمر أمره وضجر اصحابه وساءت آراؤهم فقال لمن معه من الجند قد كان اصابكم من الجهد أمر عظيم حتى قدمت عليكم ففرج الله عنكم بعض ما كنتم فيه وقد ترون ما انتم الآن فيه، فان شئتم خرجت أنا على ذراريهم وبلادهم وجعلت عليكم أي الرجلين شئتم جميلا أو المخارق وأخرج في ناس من الجند فاغير على نواحيهم وآتيكم بالميرة ، فقالوا : قد رضينا .

وكان قد اجتمع [191] حول القيروان من الاباضيه مع أبي حاتم ثلثمائة الف وخمسين الفا الخيل منها خمسة وثلاثون الفا، فلما هم بالخروج اختلفوا عليه وقالوا : تحب أن تخرج ونبقى نحن في الحصار لا تخرج واقم معنا قال : نعم أقيم معكم وأخرج جميلا والمخارق ومن احببتهم قالوا : نعم فلما جاؤوا الى باب المدينة قالوا · نقيم أنت في الراحة ونخرج نحن لا والله لا تفعل فغضب عمر وقال . والله لاوردنكم حياض الموت وجاءه وهو محصور كتاب خليده بنت المعارك امرأته تخبره فيه أن أمير المؤمنين قد استبطاك فبعث بزيد بن حاتم الى افريقية وهو قادم في ستين الف ولا خير في الحياة بعد هذا، قال خراس بن عجلان : فارسل الى فجيئته وقد ثار عرق بين عينيه وكان علامة غضبه فاقرانى الكتاب فدمعت عينياي فقال : مالك ؟ فقلت : وما عليك ان يقدم رجل من أهلك فنخرج من هذا الحصار ، فقال : انما هي رقدة حتى نبعث الى الحساب فاحفظ وصيتي قال خراس فاوصى بما أحب وخرج كالبعير الهائج فلم يزل يطعن ويضرب حتى قتل وذلك في يوم السبت للنصف من ذي الحجة سنة أربع وخمسين ومائة .

فلما قتل بايع الناس جميل بن صخر وهو أخو عمر لامه فلما [192] طال عليه الحصار دعاه ذلك الى موادعة أبي حاتم فصالحه على أن جميلا وأصحابه لا يخلعون طاعة سلطانهم

ولا ينزعون سوادهم وعلى أن كل دم اصابه الجند من البربر فهو هدر وعلى أن لا يكرهوا أحدا من الجند على بيع سلاحهم ودوابهم فأجابهم الى ذلك أبو حاتم ، ففتح جميل أبواب المدينة وخرج أكثر الجند الى طبنة وأحرق أبو حاتم أبواب المدينة وأثر في سورها وبلغه قدوم يزيد بن حاتم فتوجه الى طرابلس واستخلف على القيروان عبد العزيز ابن السمح المعافري (94) ثم بعث اليه أبو حاتم يامره بأخذ سلاح الجند وأن لا يجتمع منهم اثنان في مكان واحد وأن يوجه اليه بهم واحدا بعد واحد فاجتمعوا واستوثق بعضهم من بعض بالايمان المؤكدة ان لا يرضوا بهذا وقويت قلوبهم بيزيد بن حاتم فلقوا عمر ابن عثمان الفهري واتفقوا معه وولوه أمرهم فقبله وقام على أصحاب أبي حاتم فقتلهم واتصل ذلك بأبي حاتم فزحف من طرابلس فلقي عمر بن عثمان ومن معه فاقتتلوا فقتل من البربر خلق كثير ومضى عمر بن عثمان وأصحابه نحو تونس ومضى جميل بن صخر والجنيد ابن سيار هاربين نحو المشرق .

وخرج أبو حاتم في طلب عمر بن عثمان ووجه قائدا من قواده يقال له جرير بن [193] مسعود المديوني على مقدمته فادركه بجيجل (95) من ناحية كتامة فقاتلوه ، فقتل جرير ابن مسعود وأصحابه وانصرف عمر والمخارق فدخلا تونس ومضى أبو حاتم الى طرابلس حين بلغه قدوم يزيد «بن حاتم ولحق جميل بن صخر بيزيد» وهو (*) بسرت فأقام الى أن لقى أبا حاتم.

---

(94) هو اخو، عبد الاعلى بن السمح المعافرى احد النفر الخمسة الحملة لعلم الخوارج الاباضية بطرابلس مما يدل على انضمام أسر عربية الى حركة الخوارج ببلاد المغرب. راجع تاريخ ابى زكرياء ص 35..

(95) مدينة قديمة بينها وبين مدينة بجاية خمسون ميلا، وهى مدينة صغيرة على ضفة البحر، والبحر يحيط بها ويضرب سورها، وهى كثيرة التفاح والفواكه، وعنها تحمل الى بجاية، والعنب والرب. راجع الادريسى ص 97، الاستبصار ص 128، الحميرى ص 184.

* مابين قوسين زيادة من ج 2 : 52، ع.

فيقال انه كان بينه (**) وبين الجند والبربر مـن لدن قتالهم عمر ابن حفص الى انقضاء أمرهم ثلثمائة وخمسة وسبعين وقعة (95م) .

ذكر ولاية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة

قال : ولما اتصل بأبى جعفر المنصور حال عمر بن حفـص وحصره ثم بلغـه انه قتل غمه ذلك وساءه ، فوجه (***) يزيد بن حاتم في ثلاثين الفـا من أهـل خراسـان وستين الفا من أهـل البصـرة والكوفـة والشـام (96) فأقبـل حتى صار الى سـرت فاجمع بجميل بن صخر وبمن معـه من الجند القادمين عليه من القيروان وسار نحـو طرابلس مسـار أبو حاتم الى جبال نفوسه (97) وجعل يزيد على مقدمته سالم بن سوادة التميمى فالتقى سالم هـو وأبو حاتـم واقتتلوا قتـالا شديدا فانهـزم سالـم وأصحابـه ورجعوا الى عسكـر يزيـد.

وهـال أبـو حاتـم أمـر يزيـد فطلـب أوعـر المنـازل وأمنعهـا فعسكـر فيهـا وخنـدق [194] علـى عسكـره فأتـاه يزيـد من ناحيـة الخندق والتقوا واقتتلوا، فقتل أبو حاتم وأهل البصائر من أصحابه وانهـزم الباقـون وطلبهم يزيد فقتلهم قتلا ذريعا وبعث خيله في طلبهم بكل ناحيـة فكان عدة من قتل منهم ثلاثين الفا، ويقـال انه لم يقتـل من الجند الا ثلثـة وذلك في يـوم الاثنين لثالث بقين من شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين ومائة وأقـام يزيـد بمكانه ذلك نحوا

** بينه زيادة من ج 2 : 52.

(95م) قارن كل من ابن الاثير : الكامل 5 : 598 — 601، ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 75 — 78 ولاحظ التفصيلات برواية النويرى .

*** توجه فى ج 2 : 53.

(96) مما يعنى أن عدد الجيش جميعا كان تسعين الفا، والحقيقة أن النويرى نص فى الصفحة رقم 236 على قدوم يزيد بن حاتم على افريقية فى ستين ألفا، مما يرجح أن يكون العدد الكلى ستين الفا منهم ثلاثين الفا من الخراسانية. وقد وقع فى نفس الخطأ الرقيق ص 145، 159. انظر صاحب العيون والحدائق ج2 ص 263، ابن عذارى ج 1 ص 78 — 79.

(97) وهو جبـل عـال نحـو من ثلاثة أيـام طولا، وفيـه كروم وميـاه جارية وأعناب وتين، وأكثر زرعهـم الشعير المتناهى طيبـا ولأهله فى خبـزه صنعة وحـذق وتمييـز فاقوا فيه كل النـاس. انظر الادريسى ص 105، الحميرى ص 578.

من شهر وبث خيله في طلب الخوارج فقتلهم في كل سهل وجبل ثم رحل حتى دخل قابس فدخلها لعشر بقين من جمادى الآخر واستقامت له الامور بعد ان قتل البربر بكل ناحية . وبنا يزيد المسجد الاعظم بالقيروان وجدده في سنة سبع وخمسين، ورتب أسواق القيروان وجعل كل صناعة في مكانها حتي لو قيل انه الذي مصرها لم يبعد من الحق . ولم تزل البلاد مستقيمة والامور ساكنه مدة حياته الى أن توفى في شهر رمضان سنة سبعين ومائة في خلافة الرشيد.

وكان كريما شجاعا نافذ الرأي بعيد الصيت غاية في الجود وهو القائل :

لا يألف الدرهم المضروب خرقتنا الا لماما قليلا ثم ينطلق
يمر مرا عليها وهي تلفظه انى امرؤ لم يحالف خرقتى الورق(*)

[195] وله أخبار بافريقية تدل على كرمه وبعد همته فمن مشهورها ان بعض وكلائه أتاه يوما فقال اعز الله الامير اعطيت في الفول الذي زرعناه بفحص القيروان كذا وكذا وذكر مالا جليلا فسكت وأمر قهرمانه وطباخه ان يخرجا الى ذلك الموضع وأمر فراشيه ان يضربوا فيه مضارب كبيرة وخرج مع أصحابه فتنزه فيه وأطعم فلما أراد الانصراف دعا بالوكيل وأمر بأدبه وقال : يابن اللخناء أردت أن أعير بالبصرة فيقال يزيد بن حاتم باقلانى امثلى يبيع الفول لا أم لك ثم أمر باباحته فخرج الناس اليه من بين آكل وشارب ومتنزه حتى أتوا على جميعه .

ومن أخباره المشهورة انه خرج متنزها الى منية الخيل فنظر في طريقه الى غنم كثيرة ، فقال : لمن هذه ؟ قالوا : لابنك اسحق فدعا به فقال : الك هذه الغنم ؟ قال : نعم ، قال : لم اردتها، قال : آكل من

---

* قارن ابن الاثير : الكامل 5 : 601 — 602 وانظر ترجمة يزيد بن حاتم بابن الابار : الحلة السيراء 1 : 72 — 76 والاختلافات في شعره.

خرافها (*)، وأشرب من البانها، وانتفع باصوافها قال : فاذا كنت أنت تفعل هذا فما بينك وبين الغنامين والجزارين فرق وأمر ان تدبح وتباح للناس فانتهبوها وذبحوها وأكلوا لحومها وجعلوا جلودها على كدية هي تعرف بكدية الجلود (**).

وله مكارم يطول شرحها رحمه الله .

[196] ذكر ولاية داود بن يزيد بن حاتم ((ابن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة)) ***

قال ولما مرض يزيد استخلف ابنه داوود فاستقل بالامر بعده فانتقض عليه البربر بجبال باجة وخرج صالح بن نصير النفزي في الاباضية فلقيه المهلب بن يزيد بباجة (****) فهزموه وقتلوا من اصحابه جماعة فوجه اليهم داوود، سليمان بن الصمة بن يزيد بن حبيب بن المهلب في عشرة آلاف فارس فهزم البربر وتبعهم وقتل منهم أكثر من عشرة آلاف وسلم الجند.

قال : وانضم الى صالح بن نصير جماعة من مشيخة البربر فزحف اليهم سليمان بن الصمة فقتل من أهل البصائر (98) منهم وانصرف الى القيروان وأقام داوود على افريقية حتى قدم عمه روح بن حاتم اميرا فكانت ولاية داوود تسعة أشهر ونصف شهر وسار الى المشرق فأكرمه الرشيد وولاه مصر ثم ولى السند فمات بها (98م)

---

* قراتها في ج 2 : 54.

** قارن ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 81 — 82.

*** ما بين قوسين زيادة في د.

**** بناحية في د وصحتها من ج 2 : 55، ابن الاثير : الكامل 6 : 108.

(98) حدثت هذه المعركة بشقبنارية من كورة الاربس ويقال انها كانت من اعظم مدن افريقية.

(98م) قارن ابن الاثير : الكامل 6 : 108، ابن عذاري : البيان المغرب 1 : 82 ولاحظ التفصيلات برواية النويري.

ذكر ولاية روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفره

قال : ولما بلغ الرشيد وفاة يزيد بن حاتم استعمل روح بن حاتم على المغرب وكان أكبر من يزيد سنا فوصل الى القيروان في شهر رجب سنة احدى وسبعين ومائة (99) في خمس مائة فارس من الجند [197] ثم لحق به ابنه قبيصة في الف وخمس مائة فارس ولم تزل البلاد معه هادئة والسبل آمنة وملىء البربر منه رعبا ورغب في موادعة عبد الوهاب بن رستم الاباضى صاحب تيهرت وهو الذي تنسب اليه الوهبية (100) فلم تزل الاحوال مستقيمة مدة ولايته الى أن توفى لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وسبعين ومائة (101)

ذكر ولاية نصر بن حبيب المهلبى

قال المؤرخ : كان روح بن حاتم قد أسن وكبر واذا جلس للناس غلب عليه النوم من الضعف فكتب أبو العنبر القائد وصاحب البريد الى الرشيد بضعفه وكبره وانهما لا يأمنان موته وهو ثغر لا يقوم

(99) ومع قدوم روح عرفت بلاد المغرب دعوة انفصالية جديدة، هى التى قام بها ادريس بن عبد الله الحسنى فى المغرب الاقصى، اثر فشل ثورة العلويين فى الحجاز سنة 169هـ/768م، التى انتهت باقامة دولة علوية وهى دولة الادارسة التى حكمت المغرب الاقصى ومدت فروعها الى المغرب الاوسط والاندلس.

(100) بعد أن توفى عبد الرحمن بن رستم، اجتمع المرشحون للامامة، وانتهوا الى اختيار عبد الوهاب بن عبد الرحمن وبويع له بالامامة. ولكن اختيار عبد الوهاب لم يتم باجماع الاراء، فقد كانت كفة ابن مسعود الاندلسى اكثر رجوحا، اذ كان القوم لا يميلون الى مبدأ الوراثة من اصله. وفى نفس الوقت كان يزيد ابن فندين يطمع فى الامامة لنفسه. وتجمع المعارضون لعبد الوهاب من أهل تاهرت وخاصة من اليفرنيين انصار ابن فندين، فى موضع جبلى فى ظاهر المدينة عرف عند الاباضية بـ «كدية النكار» نسبة الى النكار أو النكارية، وهو الاسم الذى اعطى للمخالفين على عبد الوهاب لانهم أنكروا امامته. وفى المقابل عرف أتباع عبد الوهاب عند الكتاب باسم الوهبية نسبة اليه. انظر ابن الصغير : أخبار الائمة الرستميين ص 16، 20.

(101) لقد تميزت فترة ولاية روح بن حاتم بالاستقرار والهدوء فالطرق كانت آمنة والسلام سائد بين البربر وساعد على ذلك اعمال روح الإدارية والتنظيمية ، ومناقبه مثل تعظيمه للعلماء والصلابة وعدم الجزع والبلاغة والكرم بالرغم من كبر سنه انظر التفاصيل فى الرقيق القيروانى ص 173، 177. وقارن ابن الاثير : الكامل 6 : 113 ــ 114، ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 84 ــ 85.

بغير سلطان وذكرا نصر بن حبيب (102) وحسن سيرته ومحبة الناس له وقالا ان رأى أمير المومنين ولايته في السر ان حدث بروح حادث حتى يرى أمير المومنين رأيه فكتب الرشيد عهده سرا فلما مات روح فرش لابنه قبيصة في الجامع فجلس واجتمع الناس للبيعة له (103) فركب أبو العنبر وصاحب البريد الى نصر ومعهما عهده فأوصلاه العهد وسلما عليه بالامارة وأركباه الى المسجد في من معهما فأقاما قبيصة وأجلسا نصرا وقرى [198] كتاب الرشيد على الناس فسمعوا وأطاعوا فبسط العدل وأحسن الى الناس وأقام واليا على المغرب سنتين وثلاثة أشهر وكان الفضل بن روح لما مات أبوه عاملا على الزاب فلما ظهر كتاب الرشيد بولاية نصر سار الى الرشيد ولزم بابه حتى ولاه المغرب (104) .

ذكر ولاية الفضل بن روح

قال : ولما ولاه الرشيد كتب الي افريقية بعزل نصر وان يقوم بافريقية المهلب بن يزيد الى أن يقدم (الفضل) ثم قدم في المحرم سنة سبع وسبعين ومائة وولى على تونس ابن أخيه المغيرة بن بشر بن روح وكان غرا (*) فاستخف بالجند وسار فيهم بغير سيرة من تقدمه (105) ووثق

(102) يذكر ابن عذارى ان نصر بن حبيب كان «على شرطة يزيد بن حاتم بمصر وافريقية»، البيان المغرب ج 1 ص 85.

(103) ومبايعة قبيصة بن روح يمكن ان يكون لها اكثر من معنى، فهى من جهة تبين أن افريقية اصبحت اقطاعا للمهلبيين، يتوارثها الابناء عن الاباء. ولم يرتح الفضل بن روح لاقصاء أخيه عن الامارة فخرج الى بغداد، وظل يلاحق الرشيد الى أن كللت مساعيه بنواله ولاية افريقية . وستثبت الاحداث أن سعى الفضل لاحصول على الولاية كان فى الحقيقة سعيا الى القضاء نهائيا على سلطان المهالبة فى المغرب.

(104) قارن رواية ابن الاثير الموجزة، الكامل 6 : 114، وابن عذارى المطابقة، البيان المغرب 1 : 85.

* عرا فى ج 2 : 56.

(105) ويذكر ابن الاثير أن الجند كانوا يميلون الى الوالى السابق نصر بن حبيب ويضيف أبن الابنار، مما دعا الفضل الى قطع ما كان يشترى به رضاء زعماء الجند من الهدايا والاموال التى عرفت بـ «الاسلاف» كما ورد فى خطاب ابن الجارود الى الفضل. راجع ابن الاثير : الكامل ج 6 ص 136، الحلة السيراء ج 1 ص 77.

ان عمه لا يعزله فاجتمعوا وكتبوا الى الفضل كتابا يخبرونه بسوء صنيع المغيرة فيهم وقبح سيرته فتثاقل الفضل عن جوابهم فانضاف هذا الى أمور كانوا قد كرهوها من الفضل، منها استبداده برأيه دونهم فاجتمعوا وولوا أمرهم عبد الله بن الجارود وهو المعروف بعبدويه (106) وبايعوه بعد أن استوثق منهم ثم انصرفوا الى دار المغيرة فحصروه فبعث اليهم يسألهم ما الذي يريدون فقالوا لترحل عنا وتلحق بصاحبك انت ومن معك وكتب عبدويه :

الى الامير الفضل من عبد الله بن [199] الجارود ، اما بعد ، فاننا لم نخرج المغيرة اخراج خلاف عن الطاعة ولكن لاحداث أحدثها فيها فساد الدولة فول علنيا من نرضاه «والا نظرنا لانفسنا» (107) ولا طاعة لك علينا والسلام .

فكتب اليه : من الفضل بن روح الى عبد الله بن الجارود ، أما بعد فان الله عز وجل يجري قضاياه فيما احب الناس أو كرهوا وليس اختياري واليا اخترته لكم أو اخترتموه بحائل دون شيء أراد الله عز وجل بلوغه فيكم وقد وليت عليكم عاملا فان دفعتموه فهو أية النكث منكم والسلام.

وبعث عبد الله بن يزيد المهلبي عاملا على تونس وضم اليه النظر ابن حفص (108) وأبا العنبر (109) والجنيد بن سيار ، فلما وصل الى ظاهر تونس أشار اصحاب عبدوية عليه بقبضه هو ومن معه

---

(106) «عبد الله بن عبد ربه بن الجارود» فى ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 86. وابن الاثير يضبف «الانبارى» : الكامل ج 6 ص 136. ويذكر حسين مؤنس ان الاسم كان ينطق عبدوية متابعة للنطق الفارسى، لاعبدوية كما تعودنا أن نقرأ وهذا يؤيد ماذهب اليه المستشرق اينوليتمان من أن الاسماء التي تنتهى بـ «وية» مثل سيبويه ينبغي أن تنطق سيبوية ونفطوية وخالوية. انظر ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 81 تعليق (1).

(107) هذه الكلمات غير واضحة من مخطوطة الرقيق القيروانى، ولو رجع محقق المخطوطة النويرى لاستكمل هذا النقص انظر : تاريخ افريقية والمغرب ص 188.

(108) كذا فى ج 2 : 57، والنضر بن حفص فى الرقيق القيروانى ص 188.

(109) علق محقق مخطوطة الرقيق القيروانى بأن موضع هذه الكلمة غير واضحة ولعلها القيس وصحتها أبا العنبر انظر تاريخ افريقية والمغرب ص 188.

وحبسهم فخرج أصحاب عبدوية الى عبد الله بن يزيد فحملوا عليه وقتلوه وأسروا من معه فقال عبدوية ما لهذا بعثتكم فاما اذ وقع فما رأيكم فأجمعوا على الخلاف وأخذوا في المكائد وتولا أمر عبدوية، محمد ابن الفارسى وهو الذي أثار هذه الفتنة وشرع في مكاتبة القواد وافسادهم ووعد كل واحد منهم انه يوليه الامر ففسد الحال على الفضل وكانت أمور [200] يطول شرحها، وحرب اخرها ان ابن الجارود، سار فيمن معه الى القيروان وقاتل الفضل وهزمه واستولى على البلد وأخرجه منها ثم قبض عليه وأراد أن يحبسه فقال لاصحابه لا نزال في حرب ما دام الفضل حيا فدافع عنه محمد بن الفارسى وأشار ان لا يقتلوه فقاموا اليه وقتلوه فعند ذلك أمر عبدوية، المهلب بن يزيد ونصر بن حبيب وخالدا وعبد الله بن يزيد بالخروج من افريقية فخرجوا كلهم (110).

ذكر أخبار عبد الله بن الجارود

قال : ولما قتل الفضل واستولى عبد الله على القيروان سمع شهدون القائد (111) ما صنع بالفضل فقام غضبا له واجتمع في الاربس هو وفلاح ابن عبد الرحمن الكلاعى القائد ، والمغيرة وغيرهم ، وأقبل عليهم أبو عبد الله مالك بن المنذر الكلبى من ميلة وكان واليا عليها في عدد كثير فقدموه على انفسهم واجتمع اليهم الناس والتقوا بابن الجارود واقتتلوا فقتل مالك بن المنذر وانهزم اصحابه حتى صاروا الى الاربس.

فكتب شهدون الى العلاء بن سعيد وهو بالزاب ان يقدم عليه فأقبل الى الاربس واجتمع بالمغيرة وشهدون وفلاح وغيرهم وأقبل العلاء يريد القيروان فصادف [201] ابن الجارود وقد خرج منها يريد يحيى بن موسى خليفة هرثمة بن أعين وذلك ان الرشيد لما اتصل به وثوب ابن الجارود على الفضل وافساده افريقية وجه يقطين بن موسى لمحله من دعوتهم ومكانه

---

(110) الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص 184 ــ 194، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج 6 ص 136 ــ 137 ولاحظ الفرق بين اختصار كل من ابن الاثير والنويرى

(111) سمدون، الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص 192، شمدون فج2: 58.

من دولتهم وكبر سنه وحاله عند أهل خراسان وأمره بالتلطف بابن الجارود واخراجه من البلد ووجه معه الهلب بن رافع ثم وجه منصور ابن زياد وهرثمة بن اعين أميرا على المغرب. فأقام ببرقة وقدم يقطين القيروان .

فجرى بينه وبين ابن الجارود كلام كثير ودفع اليه كتاب الرشيد ، فقال ليقطين : وقد قرات كتاب امير المؤمنين وانا على السمع والطاعة وفي كتاب امير المؤمنين انه ولى هرثمه بن اعين وهو ببرقة يصل بعدكم ومع العلاء البربر فان تركت الثغر وثب البربر فأخذوه وقتلوا العلاء ولا يدحله وال لامير المؤمنين ابدا فأكون اشأم الخلق على هذا الثغر ولكن اخرج الى العلاء فان ظفر بي فشانكم بالثغر وان ظفرت به انتظرت قدوم هرثمة ثم اخرج الى أمير المؤمنين فاجتمع يقطين مع محمد بن يزيد الفارسي وهو صاحب ابن الجارود ، ووعده بالتقدم وقيادة الف فارس ، وصله وقطيعة في أي المواضع شاء على ان يفسد حال عبد الله بن الجارود [202] ففعل ذلك وسعى في افساد الخواطر على ابن الجارود ورغب الناس في الطاعة فمالوا اليه وانضموا له وخرج على ابن الجارود ، فخرج عبد الله لقتاله، فلما توافقا للقتال ناداه ابن الجارود ان اخرج الى حتى لا يسمع كلامي وكلامك غيرنا فخرج اليه فحدثه وشاغله بالكلام وكان قد وضع على قتله رجلا من أصحابه يقال له أبو طالب فخرج اليه وهو مشغول بحديث عبد الله فما شعر حتى حمل عليه وضربه فدق صلبه فانهزم أصحابه.

وقدم يحيى بن موسى خليفة هرثمة الى طرابلس فصلى عيد الاضحى بالناس وخطبهم وقدم عليه جماعة من القواد واستحفل أمره وأقبل العلاء بن سعيد يريد القيروان فعلم لبن الجارود انه لا طاقة له بالعلاء فكتب الى يحيى ان أقدم الى القيروان فاني مسلم اليك سلطانها وأجاب الى

الطاعة فخرج يحيى بن موسى بمن معه من طرابلس في المحرم سنة تسع وسبعين ومائة ، فلما بلغ قابس تلقاه بها عامة الجند الذين بالقيروان وخرج ابن الجارود من القيروان في مستهل صفر واستخلف عليها عبد الملك بن عباس وكانت أيام ابن الجارود سبعة أشهر واقبل العلاء بن سعيد ويحيى بن موسى متسابقين الى القيروان فسبقه العلاء اليها فقتل منها جماعة [203] من أصحاب ابن الجارود فبعث اليه يحيى ان كنت على الطاعة ففرق جموعك فامر من معه بالانصراف الى مواضعهم وسار في نحو ثلاثمائة من خاصته الى طرابلس وكان ابن الجارود قد وصل اليها قبل وصوله وخرج مع يقطين بن موسى نحو المشرق حتى وصل الى هارون الرشيد.

قال : وكتب العلاء الى منصور وهرثمة انه الذي أخرج ابن الجارود من افريقية فكتب اليه هرثمة بالقدوم عليه وأجازه بجائزة سنيه فبلغ خبره هارون فكتب اليه بمائة الف درهم صلة سوى الكسا فلم يلبث الا يسيرا حتى توفى بمصر .

ذكر ولاية هرثمة بن أعين

قال : وقدم هرثمة القيروان في مستهل شهر ربيع الاخر سنة تسع وسبعين ومائة ، فأمن الناس وسكنهم وأحسن اليهم وهو الذي بنا القصر الكبير بالمنستير في سنة ثمانين ومائة وبنى أيضا سور مدينة طرابلس مما يلي البحر وواتر الكتب الى الرشيد ان يعفيه من افريقية لما رأى من الاختلاف بها وسوء طاعة اهلها فكتب اليه بالقدوم الى المشرق فرجع في شهر رمضان سنة احدى وثمانين ومائة (112) .

(112) نقل النويرى ذكر ولاية هرثمة بن أعين من الرقيق بنصها راجع تاريخ افريقية والمغرب ص 203، وقارن رواية ابن الاثير : الكامل 6 : 137 — 139 وابن عذارى البيان المغرب 1 : 88 — 89 ومالتميز به رواية النويرى من وضوح وتفصيل.

ذكر ولاية محمد بن مقاتل بن حكيم العكي (113)

قال : ولما كتب هرثمه الى هارون يساله الاعفاء وجه محمد بن مقاتل اميرا للعرب (114) وكان رضيع هارون فقدم القيروان في شهر رمضان سنه احدى وثمانين ومائه ولم يكن بالمحمود السيرة فاضطربت عليه أحواله واختلفت جنده وكان سبب الاضطراب عليه انه اقتطع من ارزاق الجند وأساء السيرة فيهم وفي الرعيه فقام فلاح القائد ومتنا في اهل الشام وخراسان حتى اجتمع رايهم على تقديم مرة بن مخلد الازدي (115) .

وخرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمى وكان عامله عليها فبايعه جماعة من القواد وأهل الشام واهل خراسان (116) فخرج في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائة الى القيروان وخرج اليه ابن العكي فيمن معه فقاتله قتالا شديدا في منية الخيل فانهزم ابن العكى ودخل القيروان وتحصن في دار كان قد بناها وجلى عن دار الامارة وأقبل تمام ودخل القيروان في يوم الاربعاء لخمس بقين من شهر رمضان فأمنه تمام على دمه وماله على انه يخرج عنه فخرج تلك الليلة وسار (*) حتى وصل الى طرابلس فكاتبه بعض أهل خراسان (117) فنهض ابرهيم بن الاغلب [205] من (118) الزاب على تمام غضبا للعكى فلما بلغ تماما اقباله جلا عن القيروان ودخلها ابرهيم بن الاغلب فخطب الناس وأعلمهم أن اميرهم محمد بن مقاتل وكتب اليه بالرجوع فرجع ثم أخذ تمام في

(113) من قبيلة عك العدنانية وهكذا استبدل الرشيد الولاة اليمنيين بوال من المضرية
(114) المغرب فى الرقيق القيروانى ص 204، الغرب فى ج 2 : 60.
(115) «مخلد بن مرة الازدى» عند ابن الاثير وابن عذارى، ويروى ابن الاثير ان ابن العكي سير اليه جيشا فقاتلوه فانهزم مخلد واختفى فى مسجد، فأخذ وذبح. الكامل ج 6 ص 154، البيان المغرب ص 85.
(116) لقد تميزت تونس بثورات الجند النظامى واضطراب العسكر اذ «كانت تونس تعدل بالقيروان فى كثرة العرب والجند الذين كانوا فيها»، وكان ابو جعفر (المنصور) اذا قدم عليه رسول صاحب المغرب يقول : «ما فعلت احدى القيروانيين» يريد تونس. انظر الرقيق القيروانى ص 186.
* وسار زيادة فى د.
(117) الرقيق القيروانى ص 204 — 205.
(118) ابن فى د، ج 2 : 67. وصححتها من الرقيق القيروانى ص 206.

مراسلة الناس وافسادهم على العكى فمالوا اليه فكثر جمعه وطاب نفسا بقتال العكبى وكتب اليه : «أما بعد فان ابراهيم بن الاغلب لم يبعث اليك فيردك من كرامتك عليه ولا للطاعة التى يظهرها ولكنه كره أن يبلغك انه أخذ البلاد فترجع اليه ، فان منعك كان مخالفا وان دفعها اليك كان كارها فبعث اليك لترجع ثم يسلمك الى القتل وغدا تعرف ما جربت من وقعتنا أمس وفي آخره :

وما كان ابراهيم من فضل طاعة يرد عليك الثغر الا لتقتلا
فلو ، كنت ذا عقل وعلم بكيده لما كنت منه يا ابن عك لتقبلا

فلما وصل كتابه قرأه العكى ودفعه الى ابراهيم بن الاغلب فقرأه وضحك وقال : قاتله الله ضعف عقله زين له ما كتب به ، فكتب اليه ابن العكى : «من محمد بن مقاتل الى الناكث لتمام ، أما بعد فقد بلغنى كتابك ودلنى ما فيه على قلة رأيك وفهمت قولك في ابراهيم ، فان كنت كتبت نصيحة فليس من خان الله ورسوله وكان من المفسدين بمقبول منه ما يتنصح به وان كانت [206] خديعة فأقبح الخدائع ما فطن له.

واما ما ذكرت من اسلام ابراهيم اذا التقينا فلعمر أبيك ما يلقاك أحدا غيره .

وأما قولك أنا جربنا من وقعتك امس سنعرفه غدا ، فالحرب سجال فلنا يا تمام عليك العقبى ان شاء الله وفي أسفله :

وانى لارجو ان لقيت ابن أغلب «غداة المنايا» (*) ان تفل وتقتلا
تلاقي فتى يستصحب الموت في الوغا ويحمى بصدر الرمح مجدا (**)موئلا

---

(119) يتفق كل من الرقيق القيروانى وابن الابار مع النويرى ماعدا اختلافات قليلة وتقديم وتأخير لبعض الكلمات أنظر تاريخ افريقية والمغرب 207 — 208، الحلة السيراء 1 : 91، وقارن ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 91.

* غدا فى المنايا، فى ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 90، ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 91.

** عزا ، فى ابن الابار وابن عذارى.

فأقبل تمام من تونس في جمع عظيم وأمر ابن العكى من كان معه من أهل الطاعة بالخروج اليه وتقدمه ابراهيم ابن الاغلب والتقوا واقتتلوا فانهزم تمام الى تونس وقتل جماعة من اصحابه وانصرف العكى الى القيروان ثم أمر ابراهيم بالمسير الى تمام بتونس وذلك في شهر المحرم سنة أربع وثمانين ومائة ، فلما بلغ تماما اقباله، كتب اليه يسأله الامان فآمنه واقبل به الى القيروان يوم الجمعة لثمان خلون من الشهر ، فلما صار الامر الى ابراهيم بن الاغلب بعث تمام بن تميم وغيره (120) من وجوه الجند الذين شأنهم الوثوب على الامراء الى بغداد فحبسوا في المطبق (121) .

قال : ودام محمد بن مقاتل في القيروان الى أن عزله الرشيد واستعمل ابراهيم بن الاغلب على ما نذكره في أخبار دولة بنى الاغلب ان شاء الله تعالى .

(120) الجلودى والطيفى زيادة فى الرقيق القيروانى ص 210.
(121) قارن التقارب مع كل من الرقيق القيروانى ص 208 — 209، ابن الاثير : الكامل 6 : 156 — 157 والزيادات فى ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 89 — 92.

[207] ذكر ابتداء دولة بنى الاغلب

هذه الدولة أول دولة قامت بافريقية وجرى عليها اسم الدولة ، وكان من قبلهم عمالا اذا مات احد منهم او صدر منه مايوجب العزل عزله من يكون آمر المسلمين اليه من الخلفاء في الدولة الاموية والعباسية ، فلما قامت هذه الدولة كانت كالمستقلة بالامر (*) ، وانما كانت ملوكها تراعى أوامر الدولة العباسية وتعرف لها حق الفضل والامر وتظهر طاعة مشوبة بمعصية ولو أرادوا عزل واحد منهم والاستبدال به من غير البيت لخالفوهم وصار ملوك هذه الدولة يوصون بالملك بعدهم لمن يرونه من أولادهم واخوتهم فلا يخالفه قوادهم ولا يراعون أهلية من يوصى اليه بل يقدمونه (**) على أي صفة كان مستحقا أو غير مستحق وسنذكر من أخبارهم ما يدل على ذلك، وكان عدة من ملك منهم احد عشر ملكا ومدة أيامهم مائة سنة واثنتى عشرة سنة وأياما، وأول من ملك منهم ابراهيم ابن الاغلب (1) .

---

* فى الامور فى ج 2 : 62. ** يتقدمون فى ج 2 : 63.

(1) ويتضح من الاحداث التاريخية التالية، ان الخلافة العباسية، قد خشيت على نفسها من اتساع أهداف الدولة الادريسية التى قامت بالمغرب الاقصى فى سنة 172 هـ/ 788م، فأقامت دولة الاغالبة فى افريقية سنة 184هـ/800م لتكون حدا فاصلا بين بلادها وبلاد الادارسة. انظر أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص 51. وفى نفس الوقت سعى ابراهيم بن الاغلب الى ولاية افريقية فيروى ابن الاثير انه كان بولاية الزاب، فأكثر الهدية الى هرثمة ولاطفه، فولاه هرثمة ناحية من الزاب فحسن أثره فيها وهذا يبرر شهادة هرثمة عند الرشيد لصالح ابراهيم. يضاف الى ذلك انه كان يحمل من خراج مصر الى افريقية مائة الف دينار معونة سنوية فنزل ابراهيم من ذلك، وبذل ان يحمل كل سنة اربعين الف دينار راجع الكامل ج 6 ص 139، 155.

ذكر ولايـــة ابراهيـــم بن الاغلب
ابن سالم بن عقـــال بن خفـــاجة التميمى

قال لما كان من أمـر ابراهيم بن الاغلب ما ذكرنـــاه من :صرته [208] لابن العكى واخراجه تمـام بن نميـم واعـادة العكى ، كتب يحيى بن زيـاد (2) صاحب البريد بالخبر الى هارون الرشيد فقـرأ الكتاب علـى أصحابه وقال لهرثمة بن أعين : انت قريب العهد ، فقال : «يا أمير المؤمنين قد سالتني في مقدمى عن طاعة أهلها وأخبرتك انه ليس بها احـد افضل طاعـة ولا أبعـد صيتا ولا ارضى عند النـاس من ابراهيم ، ثم صدق قولى قيامـه بطاعتك» فأمر الرشيد بكتابـة عهده على افريقيـة ، فلمـا صـار اليـه العهـد ارسل الى ابـن العكى : «اقـم ما شئت حتى تتجهز» فأقام اياما ثم دخل (*) الى طرابلس فوافاه حمـاد السعودي بكتابين قدم بهما الـى افريقية على العـادة فافترى ابن العكى كتابا ثالثا بعزل ابراهيـم وولايته وبعث به الى القيروان ، فلما قرىء على الناس قالوا لابراهيم : اقم مكانـك واكتب الى أميـر المومنين فان ابن العكـى اختلق هذا زورا ولم يكافئك على تصرتك له وحقنك دمه ، فقال : «والله لقد ظننت ظنكـم وانما اجترأ ابن العكـى على الثغر لموضعه (**) من جعفر بن يحيى (3).

---

(2) يحى بن الفضل، وابن زيـاد مـرة أخرى. أنظر الرقيق القيروانى ص 220.

(3) هـو جعفر بن يحى البرمكي من أسرة البرامكة الفارسية، ويقال ان هذه الاسرة اعتنقت الاسلام على المذهب الشيعى فى زمن الدولة الاموية بعـد أن فتـح المسلمـون اواسط آسيا. وأول من اتصـل بالعباسيين من البرامكة هو خـالد بن برمـك الـذى اشتـرك فى الدعـوة العبـاسية وتولى ديوان الخراج وديوان الجند بعد نجاحها ثـم استوزره الخليفة ابـو العبـاس ثـم جعفر المنصور وقـام بالاشتراك فى بناء بغداد وبعـد وفـاته فى 163 هـ قام ابنـه يحيى بن خـالد بتأديب هارون ولما تولى هارون الخلافـة استوزره وزارة تفويض وهى الوزارة التى تستغنى عن توقيعات الخليفة على عكس وزارة التنفيذ التى يبـاشرها الخليفة بنفسه وقـام يحيي بادارة شؤون الدولة خير قيـام، وكـان يسـاعده فى ذلك ولداه : الافضل الذى عينه الرشيد على بـلاد المشـرق، وجعفر الذى ولاه الرشيد على المغرب أى الجزيرة والشـام ومصر وافريقية وهـذه الثقـة التى اولاها الرشيـد لجعفـر وأولاده قد جعلت لهم نفـوذا فى الدولـة العبـاسية. أنظر أحمد مختار العبـادى. فى التاريخ العباسى والاندلسى ص 82 ـ 84

* رحل فى ج 2 : 63 . ** الموصلة فى ج 2 : 63.

ثم عسكر ابراهيم يريد الخروج الى الزاب وأتى كتاب محمد بن مقاتل الى سهل بن حاجب يستخلفه الى أن يقدم ، فكتب صاحب البريد الى الرشيد فغضب وكتب الى ابن العكى : أما بعد فلم يكن [209] آخر أمرك يشبه الا أوله فلاي مناقبك أوثرك على (*) ابراهيم بولاية الثغر الفرارك واقدامه أم لجزعك (**) وصبره أم لخلافك وطاعته فاذا نظرت في كتابي فاقدم غير محمود الفعال وكتب الى ابراهيم بتجديد ولايته . فوصل الرسول الى القيروان وابراهيم بالزاب فمضى اليه وكانت ولايته الثانية التى استقر بها ملكه وملك بنيه من بعده لاثنتى عشرة ليلة مضت من جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين ومائة ، وقفل ابن العكى الى المشرق .

قال : ولما ولى ابراهيم قمع أهل الشر بافريقية وضبط البلاد وأحسن الى من بها (4) وبعث بأهل الشر الذين جرت عادتهم بمخالفة الامراء والوثوب عليهم الى بغداد كما ذكرناه وابتنى ابراهيم قصرا وجعله متنزها ثم جعل ينقل اليه السلاح والاموال سرا (5) وهو مع ذلك يراعى أمور اجناده ويصلح ويصبر على جفائهم وأخذ في شراء العبيد وأظهر انه يحب أن يتخذ (***) من كل صناعة منيغنيه (****) عن استعمال الرعية في كل شيء، ثم اشترى عبيدا لحمل سلاحه وأظهر للجند أنه أراد بذلك اكرامهم عن حمله ولما تهيأ له من ذلك ما أراده انتقل من دار الامارة وصار الى قصره بعبيده وحشمه وأهل بيته وكان انتقاله ليلا واسكن معه من يثق به من الجند [210] وكان يتولى الصلاة بنفسه في المسجد الجامع بالقيروان والمسجد الذي بناه بالقصر (6)

* الى فى ج 2 : 64

** لخرمك فى ج 2 : 64.

(4) الرقيق القيروانى ص 220 — 221.

(5) بدأ ابراهيم بن الاغلب ولايته ببناء مدينة ملكية او عاصمة جديدة، تقع على ثلاثة اميال فى الجنوب الشرقى للقيروان عرفت باسم القصر القديم او العباسية نسبة الى الخلافة العباسية ببغداد ولها خمسة ابواب : الرحمة والحديد فى الجنوب وغلبون والريح فى الشرق والسعادة فى الغرب : البكرى : المغرب فى ذكر افريقية والمغرب ص 28، الحميرى : الروض المعطار ص 476.

*** يتخذوا فى ج 2 : 64

**** بغيته على فى ج 2 : 64.

(6) الرقيق القيروانى ص 222.

وفي أيامه خرج حمديس بن عبد الرحمن الكندي فخلع السواد وجمع جموعا كثيرة وأتى بعرب أهل البلد وبربرها وكثرت جموعه بمدينة تونس فبعث اليه ابراهيم عمران بن مخالد ومعه وجوه القواد فالتقوا بسبخة تونس وأقتتلوا قتالا شديدا وكثر بينهم القتل وجعل أصحاب حمديس يقولون : بغداد بغداد فلا والله لا اتخذت لكم طاعة بعد اليوم أبدا» ثم قتل حمديس وانهزم أصحابه ودخل عمران تونس وتتبع من كان مع حمديس وقتلهم حتى أفناهم وكان خروجه في سنة ست وثمانين ومائة (7).

وفي أيامه جمع ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين ابن على بن أبى طالب جموعا كثيرة وأطاعه من حوله من القبائل فكره ابراهيم قتاله وعمل على افساد أصحابه عليه (*) وكتب الى بهلول ابن عبد الواحد المدغري وكان رئيسا مطاعا في قومه وهو القائم بامر ادريس وصاحب سره ولم يزل به حتى فارقه وعاد الى الطاعة ، فلما فعل ذلك كتب ادريس الى ابراهيم كتابا يستعطفه ويسأله الكف عنه ويذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجري بينهما حرب (8) .

[211] وخرج عن طاعة ابراهيم أيضا عمران بن مخالد وكان سبب خروجه ان ابراهيم لما بنا قصره المعروف بالقصر القديم ركب يوما وهو يفكر في الانتقال اليه ومعه عمران بن مخالد فجعل عمران يحادثه من حيث ركبا الى أن بلغا مصلى روح فلم يفقه ابراهيم من حديثه شيئا فقال لعمران : «الم تعلم انى لم أسمع من حديثك شيئا اعده على» فغضب عمران وقال . «احدثك من حيث خرجت وأنت لاه عنى»

---

(7) الرقيق القيرواني ص 224 ــ 225 ولاحظ طريقة النويري فى التلخيص وهى تتمثل فى اهمال الاقوال والخطابة والاقتصار على الاحداث.

(*) عليه زيادة فى د، ع.

(8) ابن الاثير : الكامل جـ 6 ص 156.

وتغير من ذلك اليـوم والدب على ابراهيم ، فلما انتقل ابراهيم الى قصره وأقـام مدة ثار عمران في جيشـه واستولى على القيروان وقوي أمـــره وكثـرت اتباعه ودامت الحرب بينه وبين ابراهيـم ستة كاملة كانت خيل ابراهيم تضرب الى القيروان فتقتل من قدرت عليه وخيل عمران تفعل مثل ذلـك .

ثم وصـل الى ابراهيم رسول أمير المؤمنين بأرزاق الجنـد فوجـه ابنه عبد الله الى طرابلس فقبـض أرزاق الجنـد ووصل بها الـى ابيـه فلما صـار المـال اليـه تطلعت أنفـس الجند الى أرزاقهم وهموا باسلام عمران وتبين ذلك لـه فركب أبراهيم في خيلـه ورجله وعبيـده وعبــا عساكره تعبئة الحرب وتوجه الى القيروان حتى اذا قرب منها أمـر مناديه فنـادى من كان له اسـم في ديـوان أميـر المومنين فليقـدم لقبـــض عطائه ثم [212] انصرف الى قصره ولم يحدث شيئا ، فلما أمسا عمران ايقـن أن الجنـد تسلمه فركب وسار الى الـزاب ليـلا ومعه عمرو بـن معاوية وعامر بن المعتمر فخلع (**) ابراهيم ابـواب القيروان وثلم في سورها وقوى عند ذلك أمـره وزاد في بنـاء القصـر القديـم واقطع فيـه الـدور لاهل بيتـه وأنصاره ومواليـه وبقى عمران بالـزاب الى أن توفى ابراهيم وصار الامـر الى ابنـه أبي العبـاس فكتب اليـه يساله الامان فامنـه وقـدم اليـه وأسكنـه القصر ثم سعى به فقتلـه واستمرت أيـام ابراهيم الـى سنة ست وتسعين ومائـة فتوفى لثمان بقين من شـوال منها وهـو ابن سـت وخمسين سنة وكانت مـدة ولايته اثنتى عشرة سنة وأربعـة أشهـر وعشرة أيـام (9) .

وكان فقيها عالمـا خطيبا شاعرا ذا راي وبأس وحـزم وعلم بالحروب ومكائدها جريء الجنـان طويل اللسان حسن السيـرة ، **قـال ابن الرقيق** لم يـل افريقيـة قبله أحـد من الامـراء اعدل منه سيـرة ولا أحســـن

** فقلع في ج 2 : 66.
(9) ابـن الاثير : الكامل جـ 6 ص 156 – 157.

سياسة ولا أرفق برعية ولا أضبط لامر وكان كثير الطلب للعلم والاختلاف الى الليث بن سعد (10) وله أخبار حسنة وآثار جميلة رحمه الله تعالى .

ذكر ولاية أبي العباس بن عبد الله بن [213] ابراهيم بن الاغلب

قال : لما مات ابراهيم بن الاغلب صار الامر بعده الى ابنه أبي العباس عبد الله وكان اذ ذاك بطرابلس فقام اليه أخوه زيادة الله بالامر وأخذ له البيعة على نفسه وأهل بيته وجميع رجاله وقدم عبد الله من طرابلس في صفر سنة سبع وتسعين ومائة فتلقاه وسلم اليه الامر (11)، قال : فحمل عبد الله في ولايته على أخيه زيادة الله حملا شديدا وتنقصه وأمر باطلاق من كان في حبسه وزيادة الله مع ذلك يظهر له التعظيم والتبجيل وأراد عبد الله ان يحدث جورا عظيما على الرعية فأهلكه الله عز وجل قبل ذلك وكان قد أمر صاحب خراجه أن لا يأخذ من الناس العشر ولكن يجعل على كل زوج (*) تحرث به ثمانية دنانير (12). أصاب أم لم يصب فاشتد ذلك على الرعية وسألوه فلم يجب سؤالهم .

---

(10) الرقيق القيرواني ص 212.

(11) الى هنا تنتهي القطعة التي نشرت من تاريخ افريقية والمغرب بمعرفة المنجي الكعبي بتونس والمنسوبة للكاتب القيرواني أبو القاسم ابراهيم بن الرقيق. انظر ص 233

(12) اختلف المؤرخون في تقدير ضريبة العشر التي فرضها أبو العباس عبد الله فالمالكي يقول : «فقد جعل على كل زوج تحرث ثمانية دنانير» ج 1 ص 238 أما ابن الاثير يذكر : «انه حدد على كل فدان في عمله ثمانية عشر دينارا كل سنة» بينما يروي ابن عذاري : انه قطع العشر حبا، وجعل ثمانية دنانير للقفير أصاب او لم يصب» ويتفق النويري مع كل من التجاني والمالكي لاعتمادهم على الرقيق وان اختلفا حول كلمة «زوج» فهي ترد عند النويري «روح» اى الضريبة فرضت على المساحة التي يمكن لحيوان واحد حراثتها. وزوج أصح.

ويعلق سعد زغلول عبد الحميد على تثبيت مال الخراج السنوي، حتى لا يخضع دخل الخزانة الى اهواء سنوات الخصب وسنوات الجدب، مما يضمن له صرف رواتب العسكر، الذين كانوا يسببون الكثير من المتاعب. يضاف الى ذلك انه سبق لابراهيم ابن الاغلب الاستغناء عن المعونة المرسلة من خراج مصر (100 الف دينار) والالتزام بدفع (40 الف دينار) للخلافة سنويا.

راجع رياض النفوس ج 1 ص 238، الكامل ج 6 ص 155، 329، البيان المغرب ج 1 ص 95، رحلة التجاني ص 11 — 12.

* روح في د، وصححتها من ج 2 : 67، المالكي : رياض النفوس 1 : 238. رحلة التجاني ص 11 — 12.

وقدم حفص بن حميد الجزري (13) ومعه قوم صالحون من أهل الجزيرة وغيرها فاستأذنوا على أبي العباس فأذن لهم فدخلوا عليه وكان من أجمل الناس فكلمه حفص بن حميد فكان في ما قال له : أيها الامير أتق الله في شبابك وارحم جمالك واشفق على بدنك من النار ترمي على كل زوج تحرث به ثمانية دنانير فأزل ذلك عن رعيتك وخذ فيهم بكتاب الله وسنة نبييه صلى الله عليه وسلم فان الدنيا زائلة عنك كما زالت عن غيرك» (*) ، فلم يجبه الى شيء مما أراد وتمادى على سوء فعله [214] وأظهر الاستخفاف بهم فخرج حفص بن حميد ومن معه فتوجهوا نحو القيروان ، فلما صاروا بوادي القصارين قال لهم حفص قد يئسنا من المخلوقين فلا نيأس من الخالق، فسألوا الله وتضرعوا أليه، فدعوا الله على أبي العباس ان يمنعه مما أراده بالمسلمين ويكف جوره عنهم ثم دخلوا (**) مدينة القيروان فخرجت لابي العباس قرحة تحت أذنه فقتلته في اليوم السابع (14) من دعائهم واسود لونه وكانت وفاته ليلة الجمعة لست خلون من ذي الحجة سنة احدى ومائتين ، فكانت مدة ولايته خمس سنين وشهرا واحدا وأربعة عشر يوما .

ذكر ولاية أبي محمد زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب

قال : ولما توفي أخوه أبو العباس صار الامر اليه بعده وهو أول من سمى زيادة الله وكذلك هبة الله بن ابراهيم المهدي (15) هو أول من سمى هبة الله، قال ولما ولى زيادة الله اغلظ على الجند وأمعن في سفك دمائهم واستخف بهم وحمله على ذلك سوء ظنه بهم (***) لتوثبهم

(13) الجوزى فى د وصحتها الجزرى فى ج 2:67، «حفص بن عمر الجزرى» المالكى : رياض النفوس ج 1 ص 238، ابن الاثير : الكامل ج6 ص 329، «حفص ابن حميد» ابن عذارى : البيان المغرب ج1 ص 95، حفص بن عمير أو حفص بن حمير. ولقد اطلق عليه الجزرى نسبه الى جزيره شريك المشهورة بالخصب والبركة. أنظر التجانى 11، 12، تعليق1

* مابين قوسين زيادة من ج 2 : 67 ** دخل فى ج 2 : 67.

(14) المالكى : رياض النفوس ج 1ص 238، رحلة التجانى ص 12.

(15) العباسى .

*** بهم زيادة من ج 2 : 68.

علي الامراء قبله وخلافهم على ابيه مع عمران بن مخالد وكان أبوه أغضى عن كثير من زلاتهم وصفح عن اساءتهم فسلك زيادة [215] الله فيهم غير سبيل أبيه وكان أكثر سفكه وسوء فعله اذا هو شرب وسكر فخرجوا عليه وكان الذي هاجهم على الخروج عليه انه ولى عمرو (*) بن معاوية القيسي وكان من شجعان الجند ورؤسائهم وأهل الشرف منهم على القصرين وما يليهما فتغلب على تلك الناحية وأظهر الخلاف عليه وكان له ولدان يقال لاحدهما حباب والاخر سكتان (16) فوجه اليه زيادة الله، مؤسى مولى ابراهيم المعروف بأبى هارون وكان قد ولاه القيروان فخرج اليه وحاصره أياما فلما ضاق به الامر القى بيده ونزل معه وسار الى زيادة الله هو وولديه، فلما قدموا عليه حبسهم عند غلبون ابن عمه ثم نقلهم الى حبسه من يومه وقتلهم (17) .

فلما بلغ منصور بن نصر الطنبدي (18) وهو من ولد دريد (**) بن الصمة ذلك ساءه ، وكان على طرابلس ، فقال : يا بني تميم لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد (19) فكتب صاحب الخبر بكلامه الى زيادة الله فعزله واستقدمه فقدم وكان غلبون (20) معتنيا به فأصلح أمره عند الامير زيادة الله فخلى عنه فأقام أياما يتردد الى

---

(16) يتفق ابن الابار مع النويرى انظر الحلة السيراء 2 : 382، وسكاب في ج 2 : 68 وفى ابن عذارى . البيان المغرب 1 : 98 سجمان، وفى نسخة أخرى : سمجان، واخرى سمعان.

(17) ونظرا لسيطرة العصبية العربية بافريقية فى ذلك الوقت يذكر ابن عذارى أن مضحك زيادة الله ابلغه أن الناس يقولون : «انما منعك أن تقتل عمرو بن معاوية، مخافة ان تثب القيسية على عمك بمصر» ممادفع زيادة الله الى التخلص من الثائرين بدون رحمة . انظر البيان المغرب ج 1 ص 98.

(18) الطنبدى، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج 6 ص 330، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 98.

(19) قارن ابن الابار : الحلة السيراء ج 2 ص 332.

(20) الاغلب بن عبد الله بن الاغلب التميمى وزير زيادة الله. ابن الاثير : الكامل ج6 ص 331.

* عمر فى د وصحتها من ج 2 : 68، ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 110 — 111 ابن عذارى البيان المغرب 1 : 97.

** زيد فى د وصحتها من ج 2 : 68، ابن الابار : الحلة السيراء 2 : 382.

زيادة الله حتى ذهب ما بقلبه عليه ثم استأذنه في الوصول الى منزله فأذن له فخرج الى تونس وكان له باقليم [216] المحمدية قصر يقال له طنبدة (20م) وبه لقب الطنبدي فنزل به وجعل يراسل الجند ويذكر لهم ما يلقون من زيادة الله وما فعل بعمرو بن معاوية وابنيه ويخوفهم ان يفعل بهم وبأولادهم كفعله بعمرو .

فبلغ ذلك زيادة الله فعرض الجند على عادته ثم دعا محمد بن حمزة (21) فأخرجه في خمس مائة فارس (22) بالسلاح كما أعرضوا بين يديه . وقال له : أمض الى تونس ولا يشعر «الا وقد أخذته ومن معه وأقدم به موثقا فخرج ابن حمزة حتى أتى تونس فلقى منصورا عائشا بقصره فنزل في دار الصناعة ووجه الى منصور» (*) شجرة بن عيسى القاضي (23) وأربعين شيخا من أهل تونس يرغبه في الطاعة ويدعوه الى اتيانه فمضوا اليه وأبلغوه رسالة محمد بن حمزة فقال ما خلعت يدا من طاعة ولا أحدثت حدثا وأنا صائر معكم ولكن أقيموا على يومى هذا حتى اعد لهؤلاء القوم ما يصلحهم ، فأقاموا فوجه [منصور] الى ابن حمزة ببقر وغنم وعلف واحمل نبيذ وكتب اليه انى قادم بالغداة مع القاضى ، فركن [محمد] الى قوله وأخذ هو ومن معه في

(20م) هى طنبد عند البكرى : صفة المغرب ص 38 وطنبذة بالذال المعجمة. عند ياقوت الحموى. يصفها الحميرى بقوله : قرية بافريقية على عشرة اميال من تونس تسمى المحمدية. ويذكر محقق رحلة التجانى ان أحمد باشا باى 1253 — 1271 هـ. اعتنى بعمارتها وهى الان على حاله خراب. أنظر رحلة التجانى ص 8 هامش (1). الروض المعطار ص 387.

(21) هو محمد بن حمزة بن السبال المعروف بالحرون، وكان والده من كبار قواد ابراهيم بن الاغلب. أنظر ابن الابار : الحلة السيراء ج 1 ص 107 — 108، 186، 394.

(22) «ثلاثمائة فارس» فى ابن الابار : الحلة السيراء ج 2 ص 382 — 383، ، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 98.

* مابين قوسين زيادة من ج 2 : 69 وقارن رواية ابن عذارى : البيان المغرب 1: 98 — 99.

(23) هو شجرة بن عيسى المعافرى. أنظر ترجمته فى القاضى عياض : تراجم أغلبية من ترتيب المدارك، تحقيق محمد طالبى ص 151، طبقات علماء افريقية للخشنى ص 248. 251، ابن فرحون : الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب ج 1 ص 127.

الاكــل والشرب ، فلمـا أمسا منصـور قبض على القاضى ومن معه وحبسهم في قصـره وجمع خيله ورجله ومضى الى تونس فمـا شعر به محمـد ابــن حمـزة حتى ضرب طبوله على باب دار الصناعــة فقام ابن حمزة وأصحابه لاخذ سلاحهم وقد عمل الشراب فيهم فأوقع بهم منصور وأصحابه [217] فقتلهم ولم يسلم منهم الا من القى نفسه في البحـر فسبح

وأصبح منصور فاجتمع اليه الجند وكان عامل زيادة الله على تونس، اسماعيل بن سفيان بن سالم من أهل بيت زيادة الله فقتله منصور وقتل ابنه فلما اتصل بزيادة الله قتل ابن عمه وولده ورجاله ، جمع صناديد الجند ووجههم مع غلبـون وركب بنفسـه مشيعا لـه ، فلمـا ودع الجنـد ، قال لهم زيادة الله : انظروا كيف تكونون وكيف تتناصحون فبالله اقسـم ان انصرف الى واحد منكم منهزما لاجعلت عقوبته الا السيف فكــان كذلك (**) مما ساءت به نفوس القوم حتى هموا بالوثوب على غلبـون فمنعهم من ذلك جعفر بن معبد ، وقال : لا تحملكم اساءة زيادة اللـه فيكم ان تغدروا بمن أحسن اليكـم وفك رقابكم ، وكان غلبون يعتنـى بأمـر القواد عنـد زيـادة الله ، فانصرفوا عن رأيهم فيه ومضـوا حتى صاروا بسبخة تونس فكاتب القواد الذيـن مع غلبون ، منصورا وأصحابه وأعلموهم انهم منهزمـون عنه فلمـا التقوا حمل منصور وأصحابه عليهـم فانهزموا باجمعهم ثم اجتمعوا بعد الهزيمة الى غلبون واعتذروا وحلفـوا انهم ناصحوا واجتهـدوا وقالوا نحن لا نأمـن على انفسنا وان اصبت لنـا مـا نأمن به قدمنـا ان شـاء الله ، وتفرقـوا عنـه.

وســار كـل منهـم [218] الـــى جهـة فتغلـب عليهـا واضطربـت افريقيـة فصـارت نـارا تتقـد وصـــار الجنـد كلهـــم الـى منصـور الطنبدي وأعطوه ازمـة أمورهم وولوه على انفسهم وقدم غلبـون على زيـادة الله فاعلمه الخبر فكتـب الامانــات وبعث بها الى الجند والقواد

** كذلك في ج 2: 70 وقارن ما ورده ابن عذارى عن القسم، البيان المغرب 1:99

فلـم يقبلوهـا وخلعوا الطاعـة ثم جمعوا جمعـا ووجه عليهم منصـور، عامـر بن نافـع فعقد زيادة الله لمحمد بن عبد الله بن الاغلب ووجه معه جيشـا كثيفـا وأوعب فيه من رجالـه ومواليه فالتقوا واقتتلوا فانهـزم محمـد بن عبد الله وقتـل جماعة من وجوه أصحابه منهم محمد بن غلبون وعبد الله بن الاغلـب ومحمد بن حمـزة الرازي وغيرهم وقتلت الرجالة عن آخرهم وتتبع الجنـد أصحاب زيـادة الله فقتلوهم.

فعنـد ذلـك زحـف زيـادة اللـه بنفسـه ونـزل بيـن القنطـاط والقصـر وخنـدق هنـاك وكانـت بينهـم وقعـات كثيـرة تـارة لهاؤلاء وتـارة لاؤلئـك ، ثـم انهـزم منصـور ومن معه حتى لحقـؤا بتونـس وكـان أهـل القيـروان أعانـوا منصـورا علـى قتـال زيادة الله ، فقال له أصحابه أبدأ بها واقتل من فيها فقال انى عاهـدت الله تعالـى ان ظفـرت ان اعفـو واصفح فعفـا عنهـم الا أنـه هـدم سـور القيروان ونـزع أبوابهـا .

قـال : ثـم اجتمـع لمنصـور اصحابـه وقـوي أمره ولـم يبـق في يـد زيـادة اللـه من افريقيـة [219] كلهـا الا الساحـل وقابـس فكتب الجنـد الى زيـادة الله ان ارحـل حيث شئت وتخل عن افريقيـة ولك الامـان في نفسـك ومالك وما ضمه قصـرك فاستشـار أصحابه في ذلك فقال لـه سفيـان بن سوادة ، أيها الامير امكنى من ديوان رجالك حتى انتقى مائتى فارس ممن اثـق به فدفـع اليه الديوان فاختار منه مائتى فـارس وأعطاهم واتصل بهم ثم خـرج حتى الـى نفـزاوة وعليهـا من الجنـد عبد الصمد بن جناح الباهلى فدعـا سفيـان بربـر ذلـك الموضع فأجابـوه ، فاجتمع اليه خلـق كثير من رنـاتـة وغيرهم وسائـر القبائل ففتح البـلاد بلدا بلدا حتى بلغ قصطليـة ، ثم قدم على زيـادة الله في سنـة ثمانى عشـرة ومائتين فكان سعيد يقول والله مـا رأيت أعظم بركـة من تلـك المائتـى فـارس .

ووقع الشتات والحسد بين الجند ووقع الخلاف بين منصور وعامر بن نافع فحاصره عامر بقصره بطنبذة فجرت بينهما السفراء على أن يؤمن منصورا على نفسه وماله وحشمه ويركب سفينة (*) فيتوجه فيها الى المشرق فأجابه عامر الى ذلك فقال له بعض أصحابه تفعل ذلك بنفسك ويسومك الطيم انهض الى الاربس فانهم سامعون، مطيعون فوافق على ذلك وخرج من القصر ليلا وسار الى الاربس ، فلما أصبح عامر [220] لم يره بقصره فسار في أثره الى الاربس وحاصره، وآخر الامر أنه عاد وسأل الامان على أن يتوجه الى المشرق ويركب في سفينة من تونس وخرج الى عامر فوجه معه خيلا وأمر صاحب الخيل أن يأخذ به على طريق قرنة (**) وان يصيره في سجنها ففعل ذلك وحبسه بها عند حمديس بن عامر ثم كتب عامر الى ابنه ان يضرب عنقه ففعل ، وضرب عامر عنق اخى منصور.

وصار أمر الجند الى عامر بن نافع فظن ان الامور تستقيم له فكتب اليه زيادة الله كتابا يدعوه فيه الى الطاعة ويبذل له الامان، فكتب اليه عامر يعدد عليه مساوي افعاله ويقول في آخره ما بيني وبينك موادة حتى تضع الحرب أوزارها ويحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين (***)، ثم اختلف الجند على عامر وانتقض عليه أمره ووجد عليه قواد المضرية لما صنع بمنصور وأخيه فنافروه وحاربوه وخالفه عبد السلام ابن الفرج وكان قد استولى على باجة وبايع له جماعة من الجند وزحف الى عامر فاقتتلوا ، فانهزم عامر ومضى الى قرنة وتفرق شمل الجند وأمر زيادة الله يعلوا ثم اعتل عامر فلما أيقن بالموت استدعى بنيه وقال لهم يابنى ما رأيت في الخلاف خيرا فاذا انامت ودفنتمونى فلا تعرجوا على شىء حتى تلحقوا بزيادة الله [221] فهو من أهل بيت عفو وأرجو أن يسر بكم ويقبلكم احسن قبول ، فلما مات فعلوا ذلك وأتوا

* بنفسه فى د ولكن الناسخ يعود بعد سطور ويصححها، وسفينة فى ج 2 : 71 .
** جرية فى ابن الاثير : الكامل 6 : 045، ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 102.
*** راجع رسالة عامر البليغة فى ابن الابار : الحلة السيراء 2 : 394 ـ 385.

زيادة الله وجعل الجند يتسللون الى زيادة الله ويستأمنون وهو يؤمنهم ويحسن اليهم ، وأما عبد السلام فقاتلته عساكر زيادة الله وحصروه وضايقوه فوجد ميتا فقيل مات عطشا فبعثوا برأسه الى زيادة الله واستقامت افريقية وصفت بعد أن دامت (*) الفتنة ثلاثة عشر سنة.

قال : ثم أمر زيادة الله ببناء المسجد الجامع بالقيروان، وهدم ما كان بناه يزيد بن حاتم ، وذلك في جمادى الاخر سنة احدى وعشرين ومائتين .

وذكر ان زيادة الله قال يوما لخاصته أني لارجو رحمة الله وما أراني الا أفوز بها اذا قدمت عليه يوم القيامة وقد عملت أربعة أشياء بنيت المسجد الجامع بالقيروان (24) وأنفقت عليه ستة وثمانين الف دينار ، وبنيت قنطرة باب أبي الربيع (25) وقصر المرابطين بسوسة (26) .

---

* كانت فى ج 2 : 72.

(24) فقد أعاد زيادة الله بناء المسجد بالصخر والاجر والرخام، تاركا محراب عقبة القديم، بعد أن كساه كله بالرخام المخرم المنقوش بالكتابة وبغيرها من الزخرف، من أسفله الى أعلاه. ومسجد القيروان الجامع الحالى الذى بقى كما تركه زيادة الله – باستثناء بعض التوسعات فى بيت الصلاة – يشغل مساحة مستطيل طوله حوالى 135م وعرضه 80م. أما منارته فهى عبارة عن ثلاثة أبراج مربعة الشكل، الواحد منها فوق الاخر تغطى الثالث منها العلوى قبة مضلعة بديعة الشكل وطولها 25م تقريبا. أنظر البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 23، 24، ابن الابار : الحلة السيراء ج 1 ص 163، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربى ج 2 ص 74.

(25) كانت ساقية تحمل المساء من الجبل القريب للقيروان عبر الوادى، على ارتفاع شاهق بفضل جناباها أو أقواسها الكبيرة، مما كان له أثره فى العمارة الاسلامية فى افريقية وبسائر بلاد المغرب والاندلس. سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ج 2 ص 72.

(26) يصفه البكرى «محرس عظيم كالمدينة مسور بسور متقن يعرف بمحرس الرباط وهو مأوى للاخيار والصالحين، داخله ثانى يسمى القصبة وهو بجوفى المدينة متصل بدار الصناعة بسفح الجبل الذى هى فى سنده»، المغرب فى ذكر بلاد افريقية ص 35. وهو أشبه بحصن مربع الشكل، طول ضلعه حوالى 40م، تدعم جدرانه الاربعة ثمانية أبراج : 4 منها فى زوايا البناء، و 4 فى وسط كل من حوائطه الاربعة، توجد بأعلى أحدهم منارة مربعة الشكل، يظن انها أقيمت من أجل ارسال الاشارات الضوئية التى كان يتبادلها جند المحارس. السيد عبد العزيز سالم :

وولیت القضاء احمد بن أبي محرز (27) ، وفي أيام زيادة الله فتحت صقلية وذلك انه وجه اليها أسد بن الفرات القاضي (28) في عشرة آلاف فزحف اليه ملكها في مائة وخمسين الفا مهزمة وفتحها واستعمل عليها زيادة الله ، محمد بن عبد الله بن الاغلب.

وكانت وفاة زيادة الله في يوم [222] الثلثاء لاربع عشرة خلت من شهر رجب سنة ثلاث وعشرين ومائتين وهو ابن احدى وخمسين سنة وكانت ولايته على افريقية احدى وعشرين سنة وسبعة اشهر وثمانية أيام ، وكان من افصح أهل بيته لسانا وأكثرهم بيانا ، وكان يعرب كلامه ولا يلحن من غير تشبادق ولا تقعير ، وكان يقول الشعر الحسن الجيد .

حكى أن رسولا أتاه من أبي عبد الله المامون بغير ما يحب فكتب جواب الكتاب وهو سكران وفي آخره أبياتا وهي :

أنا النار في أحجارها مستكنة فان كنت ممن يقدح الزند فاقدح
أنا الليث يحمي غيله بزئيره فان كنت كلبا حان يومك فانبح
أنا البحر في أمواجه وعبابه فان كنت ممن يسبح البحر فاسبح

فلما صحا بعث في طلب الرسول ففاته ، فكتب كتابا آخر فيه تلطف فوصل الكتاب الاول والثاني فأعرض المامون عن الاول وأجاب عن الثاني بكل ما أحب (29) .

= المغرب الكبير ج 2 ص 449 ومابعدها، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ج 2 ص 71، 72.

(27) تولى قضاء افريقية في المدة من 220هـ/834م الى 221هـ/835م بعد ولاية لم تدم الا حوالي تسعة اشهر فقط. انظر ترجمته في ابو العرب : الطبقات ص 167، المالكي : رياض النفوس ج 1 ص 305 وما بعدها.

(28) تولى أسد بن الفرات القضاء ، شريكا لابي محرز محمد بن عبد الله بن قيس بن يسار بن مسلم الكناني، وكان أصله من خراسان مولى بني سليم بن قيس . ويقول القاضي عياض «وكان مابينهما غير جميل، فكان أسد أغزرهما علما وفقها، وابو محرز اشدهما رأيا واكثرهما صوابا» راجع تراجم اغلبية ص 52، 65، المالكي : رياض النفوس ج 1 ص 171 وما بعدها : ترجمة رقم 104، ابو العرب : الطبقات ص 81 وما بعدها.

(29) انظر ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 165.

وله حكايات حسنة تدل على عفوه وصفحه وحلمه ، ممن ذلك انه بلغ أمة جلاجل ، ان أخت عامر بن نافع قالت : والله لاجعلن جلاجل تطبخ لي الفول بيصارا ، فلما ظفر ابنها زيادة الله بالقيروان أمرت جلاجل بفول فطبخ بيصارا وبعثت به اليها مع بعض خدمها فوضع بين يديها وقالت [223] الجارية التي احضرته اليها سيدتي تسلم عليك وتقول لك قد طبخت هذا لك لابر قسمك فأوحشها ذلك وقالت قولي لها قد قدرت فافعلي ما شئت فبلغ ذلك زيادة الله فقال لامه قد ساءني ما فعلت يا أم ان الاستطالة مع القدرة لوم ودناءة وقد كان أولى بك ان تفعلي غير هذا ، قالت : نعم سأفعل ما يرضيك ويحسن الاحدوثة عنا وبعثت اليها بكسوة وصلة والطاف ورفقت بها حتى قبلت ذلك وطابت نفسها

ذكر ولاية أبي عقال الاغلب بن أبراهيم بن الاغلب

قال ولما توفي زيادة الله ولي أخوه أبو عقال وهو الملقب بخزر (30) وكان في مبداء ولاية أخيه زيادة الله قد خافه على نفسه لان الاغلب كان شقيق عبد الله فخشي أن يطالبه زيادة الله بفعل أخيه فاستأذنه على الحج فاذن له فخرج واخرج معه ابناء أخيه عبد الله وهما محمد وابراهيم فحج وأقام بمصر ثم كتب الى زيادة الله يستعطفه ويستميله ، ثم قدم اليه فأكرمه وأحسن اليه وجعل أمور دولته بيده فلما مات زيادة الله وصار الامر اليه لم يكن في أيامه حروب فأمن الجند وأحسن اليهم [224] وغير أحداثا كثيرة كانت للعمال وأجرى على العمال الارزاق الواسعة والعطايا الجزيلة وقبض أيديهم عن أموال

(30) ويلاحظ ان صيغة تكبير اسم الاغلب هو «غلبون» لان الواو والنون في آخر اللفظ تدل على التكبير أو التبجيم وهناك أسماء أندلسية كثيرة تاثرت بهذه الصيغة مثل زرقون على ازرق، وعبدون على عبد أو عابد، وخلدون على خالد وزيدون على زيد وهكذا. أما لقب خزر الذي أعطى لابن عقال الاغلب فهو من الاسماء المغربية المشهورة عند زناتة التي تلخم «خزرون» مما يحتمل معه أن الاسم قد أعطى له محاباة للزناتية اذ لا يستبعد أن تكون أمه منهم، أو للتفرقة بينه وبين عمه الوزير غلبون. احمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والاندلسي ص 369، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ج 2 ص 76.

النــاس وكفهم عن أشيــاء كانوا يتطاولون اليها وقطع النبيــذ من القيروان وتوفى في يــوم الخميس لسبع بقين من شهر ربيع الاخر سنــة ســت وعشرين ومائتين فكانــت ولايته سنتين وتسعة أشهــر وتسعة أيام، وكان شبيها بجده الاغلــب في الخلــق والخلــق (31) .

ذكر ولاية أبى العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب

قال ولى بعد أبيــه وكان من أجهل النــاس لكنه أعطى في امارتــه ظفرا على من نــاوأه وقلد أخاه كثيرا من أعمــاله وكــان قد غلــب عليه وتولى أموره ووزارته ابناء على بن حميد وهما أبو عبد الله وأبو حميد (32) فساء ذلك أبا جعفر أخاه وعظم عليه (*) وعلى أصحابه وحسدوهما على مكانهما من الامير محمد وكان المقدم عند أبى جعفر أحمد بن الاغلب، نصر ابن حمزة الجروي فأخذ ابو جعفر في التدبير على أخيه الامير محمد وصانع رجالا من مواليــه ومحمد في غفلــة عن ذلك قد اشتغل باللهــو واللعــب وانهمك على الملذات ، فلما اجتمع لاحمد من أصحابه ما علم انه يقوم بهم ركــب في وقت الظهيرة وقد خلا بــاب محمد من الرجال (225) فهجم على أبى عبد الله بن على بن حميد فقتله وعلا الصيــاح فبلغ الخبر محمــدا فقصــد قبة عمــه زيــادة الله ووقــع القتــال بين رجال الامير محمــد ورجال أخيه أحمد فجعــل أصحاب أحمد يقولون لاصحاب محمد مالكــم تقاتلون لا طاعة الا طاعة محمد انما قمنــا على أولاد على بن حميــد الذين قهروكــم وأستاثروا بمــال مولاكــم دونكم وأما نحــن ففى الطاعــة ما خلعنــا منهــا يــدا ، فلما سمعوا ذلك فشلوا عن القتــال ، ولما رأي محمــد ما دهمه وهو على غير استعــداد جلس في مجلــس العامــة واذن

---

(31) وتتفق روايات كل من ابن الابار وابن الاثير وابن عذارى وابن خلدون مع رواية النويرى عن عهد أبى عقال الاغلب، مما يوحى بأنها منقولة من الرقيق القيروانى. انظر الحلة السيراء 1 : 168، الكامل فى التاريخ ج6 ص 493 — 494، البيان المغرب ج1 ص 107، العبر ج 4 ص 198.

(32) ابو عبد الله محمد بن على بن حميد، أبو حميد احمد بن على بن حميد.

* زيادة من ج 2 : 75.

لاخيه أحمد والذين معه من الرجال بالدخول فدخلوا عليه فعاتب اخاه أحمد فقال له : ان اولاد على بن حميد كادوا الدولة وأرادوا زوال ملكك فقمت غضبا لك وحذرا على أيامك، فلم يجد محمد بدا من مداراته والاغضاء عما فعل فتحالفا أن لا يغدر احد منهما بصاحبه واصطلحا على أن يدفع محمد لاخيه أحمد أبا حميد بن على وكان قد لجأ اليه في وقت قتل أخيه فدفعه اليه على أن أحمد لا يقتله ولا يصله بمكروه ، فانصرف الى منزله وعظم قدر أحمد واشتد سلطانه وجعل الدواوين الى نفسه وصار الامر كله له ولم يبق لمحمد من الامارة الا مجرد الاسم وعزل أحمد حجاب (*) محمد وجعل على بابه حجابا من قبله ووكل خمس مائة من عبيده ومواليه ببابه وعذب أبا حميد وأخذ [226] أمواله ووجه به مع أبى نصر مولى ابراهيم ابن الاغلب وأمره ان يسير به الى طرابلس ويبعثه الى مصر وأسر اليه انه اذا صار بقلشانة (33) يقتله ففعل ذلك وخنقه حتى مات وحمله على نعش الى قلشانة وأحضر من شهد أنه لا اثر فيه ولا جرح وقال أنه سقط عن الدابة فمات .

قال ولما صارت الامور الى احمد قدم نصر بن حمزة الجروي واستوزره وكان داوود بن حمزة الجروي (**) يظن أنه يكون المقدم عليه لانه كان المدبر لهذا الامر ففسدت نيته وأخذ في العمل على أحمد ومكاتبة محمد، وكان محمد قد ترك اللهو وأخذ في الحيلة والتدبير على أخيه أحمد وكان محمد قد ولى سالم بن غلبون الزاب ، فلما كان من

* الحجاب فى ج 2 : 76

(33) قلشانة : فى افريقية وتوجد اخرى فى الاندلس من كورة شذونة. وقلشانة افريقية هى موضع المعرس لمن خرج من القيروان الى قابس، وبينها وبين القيروان اثنى عشر ميلا، وهى كبيرة آهلة بها جامع وحمام ونحو عشرين فندقا، وهى كثيرة البساتين وشجر التين، واكثر تين القيروان الاخضر منها، وابواب الدور بالمدينة قصار ليس يدخلها الدواب، وفعلوا ذلك خوفا من نزول العمال والجباة. البكرى: المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 29، الحميرى : الروض المعطار ص 466.

** الرادرى فى د، ج وصحتها من ابن الابار : الحلة السيراء 1 : 170 وهو اخو نصر بن حمزة الجروى.

أمر أحمد ما كان خالف سالم على أحمد ولم يطعه وجعل محمد يبعث الى وجوه قرابته وجنده وعبيده ويسألهم نصرته ويعدهم ويمينهم فكان ممن سعى في نصرة محمد واتقن له الامور وأحسن التدبير أحمد بن سفيان بن سوادة وكان يقال لاحمد ان أخاك يعمل عليك ولا يصدق وعنده أنه قد اتقن التدبير وكان من حال محمد أنه اذا جاءه رسول من أخيه يستدعي كاسا كبيرا ويمسكه بيده ويحضر الرسول فيتوهم أنه يشرب فاذا انصرف رد الكاس فلا يشربه .

فلما كان في اليوم الذي [227] عزم محمد فيه على الوثوب على أخيه بعث الى احمد بن سفيان فجعل يسلك من واعده من العبيد والموالي وغيرهم حتى ادخلهم من ابواب المدينة في الاكسية وجعلهم يحملون على رؤوسهم جرر الماء حتى اجتمع منهم قبل الزوال ثلاث مائة رجل فصيرهم أحمد بن سفيان في داره وأعطاهم السلاح وكان أحمد اذا قيل له انك تراد ويعمل عليك غضب على من يقول ذلك واشتغل بالشراب كما كان أخوه في أول أمره وكان جماعة ممن نصر محمدا واعدوه ان ينزلوا بقصر الماء والامارة بينهم ان يسمعوا الطبل ويروا الشمع في اعلا القبة وكان أحمد قد دخل الحمام في ذلك اليوم وأطال اللبث فيه وأتاه عثمان بن الربيع بعد الظهر فأخبره أن أخاه يريده تلك الليلة وأنه أعد رجالا بقصر الماء فلم يصدق ذلك ووجه خيلا الى قصر الماء فلم يجدوا به أحدا وكان الموعد المغرب فازداد احمد تكذيبا للاخبار وقلة الاكتراث بما يراد به.

فلما قربت صلاة المغرب وجه محمد خادما له الى جماعة رجال أخيه الذين كان قد جعلهم ببابه فقال : يقول لكم الامير انى قد احببت بركم واكرامكم فاجتمعوا وبعث بطعام وشراب فأكلوا وشربوا حتى اذا ظن ان الشراب قد عمل فيهم [228] ارسل الخادم اليهم وقال يقول لكم الامير انى قد أحببت

أن أجلى لكم سيوفكم ، فمن كان عنده سيف فليأت به فجعلوا يتسابقون بسيوفهم طمعا في ذلك .

فلما كان وقت المغرب وغلقت أبواب القصر ، أتاهم عامر بن عون القرشي في من معه فوضعوا فيهم السيوف فقتلوهم عن آخرهم ثم أمر بالطبل فضرب والشموع فأوقدت فأقبل أصحابه من كل ناحية الى نصرته وخرج احمد بن سفيان بن سوادة فجعل يقتل من علم انه من ناحية أحمد وأقام القتال بين أحمد بن سفيان وأصحاب أحمد بن الاغلب بقية ليلتهم كلها وبعث أحمد بن سفيان الى القيروان يستنصر بأهلها فأقبلوا اليه في جموع عظيمة وهم ينادون بطاعة محمد فانهزم أصحاب أحمد بن الاغلب ووضعت السيوف فيهم وهرب أحمد الى داره كان في حبسه خفاجة بن سفيان بن سوادة فأخرجه وقال له الله الله في دمي وحرمي فانها حرمك ، فقال له خفاجة حبستني ظلما منذ سبعة أشهر فقال ليس هذا وقت العتاب فاغثني (*) فقال له خفاجة اعطني فرسا وسلاحا ، ففعل فركب خفاجة وصاح به الناس يا خفاجة يابن شيخنا ومن نكرمه ونحفظه انما اخرجك هذا الملعون من حبسه الساعة بعد سبعة أشهر فما هذه النصيحة له فانصرف الى أحمد فقال له [229] أما أنه لا طاقة لك بالقوم فاستأمن الى أخيك من قبل أن تهلك، قال وكيف لي بذلك فكن انت رسولي اليه فسار اليه واستأمن له فأمنه محمد وأتاه فأمر محمد بالخلع على أهل القيروان ومن نصره فخلع عليهم جميع ما كان في خزائنه ورجع الى ثياب حرمه وأمر أهل القيروان بالانصراف ، ولما صار أحمد الى أخيه محمد عدد عليه ما فعل ثم اخرجه الى مصر وسار الى العراق (34).

* فاغثني في ج 2 : 78.

(34) رواية النويري المفصلة الوحيدة الذى ينقل هنا من الرقيق مباشرة — بالنسبة الى كل من رواية ابن عذارى التى تهتم بالفتوح في صقلية، رواية ابن الاثير المبتورة بشكل غير عادى، على تفصيلات كثيرة فيها يتعلق بالصراع بين الاميرين الاخوين، وهو الامر الذى لا نجد له اثرا في ابن الاثير. قارن الكامل ج 6 ص 519، البيان المغرب ج 1 ص 108 ومابعدها.

قال وبنى محمد بن الاغلب القصر الذي بسوسة (35) في سنة ثلاثين.

وفي أيامه توفى سحنون بن سعيد (36) في سنة أربعين ومائتين ودفن بباب نافع وكان يتولى المظالم بمدينة القيروان.

قال : واعتل محمد بن الاغلب فأقام بعلته أربعة أشهر ثم توفى في يوم الاثنين لثلاثين خلتا من المحرم سنة اثنتين وأربعين ومائتين وله ست وثلاثون سنة وولايته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما.

ذكر ولاية

أبى ابراهيم أحمد بن محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب

قال : ولما مات محمد ولى بعده ابنه احمد (36 م) وكانت أيامه كلها ساكنة لم يحدث فيها الا ما كان بناحية طرابلس وذلك ان قبائل البربر تجمعت فكان بينهم وبين عاملها عبد الله بن محمد بن الاغلب [230] حروب كثيرة فكتب الى أبى ابراهيم بذلك فأرسل اليهم العساكر

(35) يبدو أن الامر يتعلق باستكمال العمل الذى كان قد بدأه زيادة الله فى الرباط أو بناء الاسوار.

(36) هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي (160 — 240هـ/777 — 854م) أصله من عرب الشام، قدم ابوه سعيد الى افريقية فى جند حمص، والى سحنون يرجع الفضل فى نشر المذهب المالكى فى افريقية بفضل كتابه المعروف بالمدونة، الذى صحح به كتب اسد بن الفرات المعروفة بالاسدية.

كان اسمه عبد السلام فغلب عليه اسم سحنون، اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت فى غيره : الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامه فى الحق، والزهادة فى الدنيا، والتخشن فى الملبس والمطعم، والسماحة. أبو العرب: الطبقات ص104 ومابعدها المالكى: رياض النفوس ج 1 ص 249 وما بعدها، تراجم اغلبية ص 78، 82.

(36م) يصف ابن الابار محمد بن الاغلب بانه : كان كوسجا : كان وجهه وجه خصى ليس فيه الا شعيرات يسيرة، عقيما ... حاربه أخوه أحمد فظفر به وأخرجه الى المشرق، واما أخوه الثانى ويسمى ايضا محمد، ويكنى ابا عبد الله. فكان واليا على طرابلس من قبله، ومات بها فى أيامه سنة 233 هـ، ومن ولده أمراء بنى الاغلب الولاة بعد أبى العباس.» وهذا يصحح ماأورده كل من ابن خلدون والنويرى وما ورد بمعجم الانساب للاسرات الحاكمة لزامباور. فأحمد هذا ابن أخيه — واسمه محمد أيضا — ولقد فطن ابن عذارى لذلك فيروى بعد وفاة محمد «وولى بعده ابن أخيه أبى ابراهيم أحمد بن محمد» الحلة السيراء 1 : 169، البيان المغرب 1 : 112 العبر 4 : 256، معجم الانساب 1 : 105، وكذلك لم ينتبه لهذا الخطأ فوندرهايدن الذى ألف كتابا ضخما عن الاغالبة ص 213 — 216.

فكانت بينهم وبين البربر حروب شديدة ثم انهزم البربر وقتلوا قتلا ذريعا .

ولأبي ابراهيم آثار عظيمة في المباني بافريقية فمن ذلك بنيان الماجل الكبير (37) بباب تونس وهو بمعنى الصهريج عندنا ، وزاد في جامع القيروان النهر والمجنبات والقبة وبنى الماجل الذي بباب أبي الربيع ، والماجل الكبير الذي بالقصر القديم ، وبنى المسجد الجامع بمدينة تونس (38) ، وبنى سور مدينة سوسة، وكان آخر ما عمل الماجل الذي بالقصر القديم ، فلما فرغ اعتل أبو ابراهيم فكان يسأل هل دخله الماء الى أن دخله فعرفوه فسر به وأمرهم أن يأتوه بكأس مملوءة منه فشربها ، وقال : الحمد لله الذي لم امت حتى كمل أمره ثم مات اثر ذلك ولم يزل أهل القيروان ومن دخلها يترحمون عليه .

وفي أيامه فتحت قصريانة وهي من أعظم مدن الروم بصقلية .

وكانت وفاة أبي ابراهيم يوم الثلثاء لثالث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة تسع وأربعين ومائتي وله تسع وعشرون سنة، ومدة ولايته سبع سنين وعشرة أشهر وخمسة عشر يوما.

---

(37) في سنة 245هـ/859م قام الأمير أبو ابراهيم أحمد بالصرف لانشائه، وتم بناؤه 248هـ، وهو على شكل صهريج عظيم مستدير الشكل، يبلغ قطره نحو مائة وخمسين مترا (150م)، وكانت مياه الأودية تجري اليه.
ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص 23 حاشيه (1) حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ص 68، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج 2 ص 397.

(38) أعاد أبو ابراهيم بناء المسجد الجامع بمدينة تونس والذي انشاه حسان ابن النعمان، وجدده ابن الحبحاب، وهو مسجد الزيتونة ولقد عثر على نقش كوفي في قبة المحراب نصه الآتي : «بسم الله الرحمن الرحيم مما امر بعمله الامام المستعين بالله أمير المؤمنين العباسي. طلب ثواب الله وابتغاء مرضاته. على يدي نصير مولاه. سنة خمسين ومائتين — يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله — صنعه فتح» وهكذا، يحمل النص اسم الخليفة المستعين بالله، كما يحمل اسم الفتى الخادم الذي أشرف على تنفيذ العمل من الناحيتين الادارية والمالية، وكذا اسم المهندس البناء، وهو : فتح. أما اسم الأمير الاغلبي الحاكم، فلا يوجد في النقش وهو الأمر المستغرب.
G. Marcais : manuel d'art musulman vol. 1 p. 13

وكان رحمه الله حسن السيرة جميل الاثر كريم الاخلاق والافعال من أجود الملوك وأسمحهم وأرفقهم [231] برعيته مع دين وانصاف للمظلوم وهذا مع حداثة سنه وكان يركب ليالى شعبان وشهر رمضان وبين يديه الشمع فيخرج من القصر القديم حتى يدخل من باب أبى الربيع ومعه دواب محملة دراهم فيأمر باعطاء من لقيه حتى ينتهى الى المسجد (*) الجامع بالقيروان ويقصد دور العلماء والصالحين فيأمر بقرع أبوابهم فاذا خرجوا اليه أمر باعطائهم من ذلك المال.

ذكر ولاية

أبى محمد زيادة الله بن محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب

ولى بعد أخيه ولم تطل أيامه حتى توفى وكانت وفاته ليلة السبت لعشر بقين من ذي القعدة سنة خمسين ومأتين فكانت ولايته سنة واحدة وسبعة أيام وكان عالما عاقلا جميلا حسن السيرة جميل الافعال ذا رأي ونجدة وجود وشجاعة رحمه الله .

ذكر ولاية أبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الاغلب المكنى أبو الغرانيق

ولى بعد عمه زيادة الله وكان مشغوفا بالصيد فلقب أبا الغرانيق وذلك انه بنى قصرا في السهلين لصيد الغرانيق (39) انفق فيه ثلاثين الف دينار ولقب في آخر أيامه بالميت وذلك انه اعتل [232] وطالت علته فكان يشنع عليه بالموت في كثير من الايام .

---

* المسجد زيادة فى د.
(39) طائر مائى عريض الجناح طويل الساق.

وكان في أيامه حروب منها اضطراب ثغر الزاب (40) عليه فاخرج اليه أبا خماجة محمد بن اسمعيل في عسكر عظيم ففتح فتوحات عظيمة في طريقه وخافه جميع البربر ولم يقم أحد له الى أن وصل تهودة وبسكرة وأعطاه أهل تلك النواحى أزمة (*) أمورهم ثم نهض الى طبنة وأتى حى بن مالك البلوي في خيل بلزمه فصار في عسكره ثم نهض الى مدينة أبة (40 م) بجميع عساكره فنازلها فخافه البربر وسمعوا له وأطاعوه وبذلوا له الرهائن والخراج والعشور والصدقات فلم يقبل منهم ومضى يريد بني كملان من هوارة وكبيرهم في ذلك الوقت مهلب بن صولات فتحرزوا منه وأرسلوا اليه يطلبون الامان ويبذلون له كما طلب فلم يقبل وقاتلهم فلما نشبت الحرب بينهم جر الهزيمة عليه حى بن مالك في أهل بلزمة فقتل أبو خفاجة في جماعة من القواد وكثير من الناس ووصلت الهزيمة الي طبنة .

وفي أيامه فتحت مالطة وهى جزيرة في البحر على يد أحمد ابن عمر بن عبد الله (41) بن الاغلب .

وتوفي أبو عبد الله محمد في يوم الاربعاء لست خلون من جمادي الاولى سنة احدى وستين ومائتين وهو ابن اربع وعشرين سنة وكانت مدة [233] ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وستة عشر يوما .

---

(40) ووصف بلاد الزاب الجنوبية الغربية بالثغر — جريا على عادة قدامى كتاب الفتوح والمغازى — يعنى انها جبهة قتال، اذ كان الاقليم متاخما لامامة الرستميين الاباضية فى المغرب الاوسط أو بوجه أخرى كانت بلاد الزاب داخله فى منطقة نفوذ قبائل البربر التى تعترف بامامة تاهرت الرستمية.

* الازمة فى ج 2 : 81.

(40م) ابه : فى البلاد الافريقية وهى على ستة أميال (البكري) او اثنى عشر ميلا (الادريسى والحميرى) من مدينة الاربس فى غربيها، تشتهر بانتاج الزعفران الجيد، بها عين ماء جارية منها شرب أهلها وكان يحيط بها سور مبنى بالطين واسعارها رخيصة أنظر البكرى : 53، الادريسى : 117، الحميرى : 6.

(41) «عبيد الله» فى (م) ص 449.

وكان غايـة في الجود مسرفا في العطاء حسن السيـرة في الرعيـة رفيقا بهم غير ان اللهـو والطرب والاشتغال بالصيد واللذات والشـراب غلب عليه حتى أنـه مرة سكـر وهو بمدينة سوسـة وقد ركب في البحـر حتى صار الى جزيرة قوصرة ، فلما ذهب عنه السكر انصرف وهو خائـف وما زال على الانهمـاك طـول عمـره ولـم تكـن لـه همـة في جمـع المال ، فلما مات لم يجـد اخوته في بيت المـال شيئـا.

ذكر ولاية أبى أسحاق ابراهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب (42)

قال ابن الرقيـق : كان أبو الغرانيـق قد عقد لابنه أبى العقال ولاية العهـد وبايع لـه واستحلف ابراهيم بن احمد أخـاه خمسين يمينا بجامع مدينة القيروان ان لا ينازعه في ملكه وذلك بحضرة مشيخة (*) بنى الاغلب وقضاة القيروان وفقهائهـا فلمـا مات أبو الغرانيق اتى أهـل القيروان الى ابراهيم وهو اذ ذاك وال عليهم فقالوا لـه قم فادخل القصر فانك الامير وكان ابراهيـم قد أحسـن السيرة فيهـم فقال قد علمتـم أن أخى عقـد البيعـة لابنه واستحلفنى خمسين يمينـا ان لا أنـازع ولده ولا ادخـل قصـره فقالوا نحن الدافعون له عـن الامـر [234] والكارهون ولايتـه والمانعون لـه وليست اه في اعناقنا بيعـة فركب من القيروان ومعه أكثـر أهلهـا فحاربوا اهل القصـر حتى دخله ابراهيم وبايعه شيـوخ القيروان ووجوهها وجماعة من بنى الاغلب فلما ولى أمر بانفاذ الكتب الى العمال والجبـاة بحسن السيرة والرفق بالرعية وولـى حجابته محمد بن قرهب.

---

(42) حكسم ابراهيم بن أحمد أكثر من ثمانية وعشرين عاما ونصف وهى أطول عهود ملـوك الافـالبة فى افريقيـة وتعتبر روايـة النويرى هى الروايـة الوحيدة التفصيلية اذ ينقلهـا النويرى بحذافيرها عن ابن الرقيق فبينمـا نجد ابن الاثير يقتصر فى روايته على الجانب الايجابى من فترة حكم ابراهيم ويهمل مساوئه، نرى ابن عذارى يختصـر رواية ابن الرقيق. الكـامل فى التاريخ ج 7 ص 284 وما بعدها. البيان المغرب ج 1 ص 116 ومـا بعدها وقـارن ابن خلدون : العبر ج 4 ص 203 — 204.

* مشائخه فى ج 2 : 82.

وفي صفر سنة ثلاث وستين ومائتين ابتدأ ابراهيم في بناء رقادة (43) وانتقل اليها في السنة ، قال : ودورها اربعة عشر الف ذراع (44) وليس بافريقية أرق هواء ولا أعدل نسيما ولا أطيب تربة من موضعها.

قال ابن الرقيق : وقد سمعت من منتقدي (*) المعاني من يزعم انه يعرض له فيها الضحك من غير عجب والسرور من غير سبب.

وفي أيامه فتحت سرقوسة من صقلية في شهر رمضان سنة أربع وستين ومائتين على يد أحمد بن الاغلب وقتل فيها أكثر من اربعة آلاف علج وأصاب من الغنائم ما لم يوجد في مدينة من مدائن الشرك ولم ينج من رجالها أحد وكان مقام المسلمين عليها الى أن فتحت تسعة أشهر وأقاموا بعد فتحها شهرين ، ثم هدموها وانصرفوا (45) .

---

(43) على اربعة اميال من القيروان، ولذلك اصبحت احدى ضواحي مدينة عقبه، مثلها فى ذلك مثل القصر القديم. وكانت مدينة كبيرة أكثر بلاد افريقيه بساتين وفواكه. وبنيت بها القصور العجيبة ومسجد جامع. وكان أول القصور التى بنيت فيها هو القصر المعروف بالفتح. واستمرت اعمال ابراهيم فى اعمار رقادة من اجراء المياة اليها، واغتراس صنوف الثمار، وبناء القصور داخل أسوار المدينة مثل قصر بغداد، وقصر المختار، حتى صارت قبل نهاية عهده، اكبر من القيروان.

أما عن سبب تسميتها رقادة، فقد قيل انها نسبة الى الرقاد اى النوم وذلك لطيب مناخ المنطقة. ويروى البكرى «ان احد بنى الاغلب ارق وشرد عنه النوم اياما فعالجه اسحاق ... فلم ينم فأمر بالخروج والمشى فلما وصل الى موضع رقادة نام فسميت من يومئذ رقادة». بينما يذكر محمد بن يوسف «انما سميت بهذا الاسم لان أبا الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى القائم بدعوة الاباضية بطرابلس لما نهد الى القيروان لقتال ورفجومة وكانوا قد تغلبوا عليها مع عاصم بن جميل، التقى بهم بموضع رقادة... فقتلهم هناك قتلا ذريعا فسميت رقادة، لرقاد جثثهم بعضها فوق بعض». البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 27، 28، الاستبصار ص 116 حاشية (1)، ابن الابار، الحلة السيراء ج 1 ص 172، الحميرى : الروض المعطار ص 271.

(44) يذكر كل من البكرى والحميرى أن دورها اربعة وعشرون الف ذراع وأربعون ذراعا، أى حوالى اثنى عشر كلم وهذا مبالغ فيه. المغرب فى ذكر بلاد افريقية ص 27، والروض المعطار ص 271.

* منتقرى فى ج 2 : 82.

(45) انصرفوها فى د ج 2 : 83 والتصحيح من م ص 450.

وفي سنة أربع وستين وثب الموالي (46) على ابراهيم وعقدوا الخلاف في القصر القديم ومنعوا من يجوز الى رقادة من [235] القيروان وسبب ذلك ان ابراهيم أمر بقتل رجل منهم يقال له مطروح بن أم بسادر فخالفوا عليه لذلك فاقبل اليهم أهل القيروان في عدد لا يحصى فارتدع الموالي وسالوا الامان وأمنوا فلما جاء وقت اعطاء الارزاق جلس ابراهيم بقصر ابى الفتح وحضر جميع العبيد اقبض ارزاقهم فكلما تقدم رجل نزع سيفه حتى أخذوا كلهم وقتل اكثرهم بضرب السياط وصلبوا وحبس بعضهم بسجن القيروان حتى ماتوا فيه ونفى بعضهم الى صقلية وأمر بشراء العبيد (48) فاشترى منهم عدد كثير وحملهم وكساهم وأخرجهم في الحروب فظهر منهم شجاعة وجلد وقوة .

وفي سنة خمس وستين ومائتين تجهز العباس بن احمد بن طولون من مصر عند خروجه على أبيه يريد برقة واجتمع اليه الناس على ما نذكره في أخبار الدولة الطولونية فاخرج اليه ابراهيم حاجبه محمد ابن قرهب فلقيه بوادي ورداسة فاقتتلوا فانهزم ابن قرهب وقدم ابن طولون الى لبده (49) فأخذها ثم نهض منها يريد طرابلس فحصرها أياما فعزم ابراهيم على الخروج بنفسه فلما صار الى قابس لقيه ابن قرهب بالفتح وهزيمة العباس وأخذ من أمواله شيئا كثيرا.

---

(46) كانوا من الصقالبة وأصلهم من سكان البلاد المختلفة من بلغاريا العظمى، التى امتدت أراضيها من بحر قزوين الى البحر الادرياتى. وقد دأب بعض الجرمان والسكنداويين على سبى تلك الشعوب السلافية وبيع رجالها ونسائها الى عرب اسبانيا. ثم توسع العرب فى استعمال هذا الاسم فأطلقوه على أرقائهم الذين جلبوهم من أية أمة مسيحية، واستخدموهم فى القصر الخليفى أو الحاكم. أنظر أحمد مختار العبادى : الصقالبة فى اسبانيا ص 8 ـ 9.

(48) وكان التخلص من الخدم الصقلبى، سببا فى أن ابراهيم بن أحمد اتجه الى الاستعاضة عنهم بالعبيد السودان.

(49) يذكر البكرى أن لبدة تقع بين مدينة طرابلس وشروس وهى حصن من بناء الاول بالصاروج والحجر، حوله اثار عجيبة للاول وخرائب كثيرة. يسكن هذا الحصن قوم من العرب جملتهم نحو الف فارس وهم محاربون لجميع من يجاورهم من قبائل البربر وهم أزيد من عشرين الفا بين راجل وفارس». أنظر المغرب فى ذكر بلاد افريقية ص 9، اليعقوبى ص 346 والحميرى : الروض المعطار ص 508.

وفي أيامه في سنة ثمان وستين ومائتين اشتد القحط وغلت الاسعار حتى بلغ قفيز القمح ثمانية دنانير [236] والقفيز مقدار اردب وربع بالمصري فهلك الناس حتى أكل بعضهم بعضا ، وفي أيامه عصت وزداجة ومنعوا صدقاتهم فقاتلهم العامل عليهم وهو الحسن بن قينان(*) فهزموه حتى وصل الى باجة (50) فارسل ابراهيم حاجبه محمد بن قرهب بالجيوش اليهم فسار ونزل بجبل من جبال وزداجة يقال له المشار فكانت خيله تخرج اليهم صباحا ومساء فلم يزل حتى أخذ رهائنهم وأطاعوا واستقاموا.

وكانت هوارة قد عاثت في البلاد وقطعت السبل فمضى الحاجب اليهم وعرض عليهم الامان والرجوع الى الطاعة ، فأبوا فقاتلهم وهزمهم ونهب العسكر ما في منازلهم وأحرقها بالنار وعاد الحاجب ثم استأمنت هوارة بعد ذلك .

ثم تجمعت(**) لواتة باجمعها وحاصروا مدينة قرنة أياما وانتهبوا ما كان فيها ومضوا الى باجة وقصر الافريقي (51) فاخرج اليهم ابراهيم ، محمد بن قرهب فالتقوا واقتتلوا فانهزم أصحاب ابن قرهب وكبا به فرسه فأدركوه فقتلوه وهرب من كان معه وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وستين ومائتين فاشتد ذلك على ابراهيم وأمر بحشد الجند والانصار

---

* سفيان في ج 2 : 84.

(50) مدينة كبيرة اوليية فيها اثار للاول ولها حصن حصين قديم مبنى بالصخر الجليل اتقن بنساؤه وهى كثيرة الانهار والعيون والامطار، وارضها خصبة، تجود فيها جميع البذور خصوصا الحمص والفول ولذلك تسمى هرى افريقية لكثرة انتاجها وقلة اسعارها وتنافس زعماء القبائل العربية فى ولايتها وكان المتداولون فيها لذلك بنو على بن حميد بن عبد الله العكى، فاذا عزل منهم احد لم يزل يسعى ويتلطف ويهادى ويتاحف حتى يرجع اليها فقيل لبعضهم : لم ترغبون فى ولاية باجة، فقال لاربعة اشياء : قمح عندة، وسفرجل زانة، وعنب بلطة وحوت درنة» انظر البكري ص 56 ـ 57. الاستبصار ص 160. الحميري : الروض المعطار ص 75.

** تجمعوا في ج 2 : 84.

(51) وهى تقع بالقرب من تيفاش، وهى مدينة على شرف من الارض، ذات مسارح ومزارع كثيرة وفيها الحنطة والشعير. البكرى ص 53، الادريسى ص 120، الحميرى ص 475، ليون الافريقى : وصف افريقيا ص 434.

والموالى وأخرجهم مع ابنه أبى العباس عبد الله في سنة تسع وستين فانتهى الخبر الي لواته فهزموا بين يديه فلحقهم بباجة وقتلهم قتلا [237] ذريعا وافترق من سلم منهم في كل ناحية .

وفي سنة ثمان وسبعين ومائتين بلغ ابراهيم ان جماعة من الخدام والصقالبة يريدون قتله وقتل امه فقتلهم عن آخرهم وقتل بناته بعد ذلك ، وفي هذه السنة قتل رجال بلزمة (52) بمدينة رقاده وكان قبل ذلك قد زحف اليهم وبارزهم بنفسه فلم يتمكن منهم فاظهر العفو عنهم ورجع ثم وفد عليه وفدهم ووفد أهل الزاب فأنزلهم في رقادة في دار عظيمة كالفندق (**) واجرى عليهم نزلا واسعا وخلع عليهم وأكرمهم حتى اجتمع منهم نحو الف رجل فأحاط بهم فامتنعوا وقاتلوا فقتلهم عن آخرهم فكان قتلهم سبب انقطاع دولة بنى الاغلب لان أهل بلزمة كانوا قد أذلوا كتامة واتخذوهم خولا وعبيدا وفرضوا عليهم العشور والصدقات وان يحملوا ذلك على اعناقهم فكان الذي صنع ابراهيم باهل بلزمة مما أنقذ كتامة من تلك الذلة وأوجدهم السبيل الى القيام مع الشيعى (53) .

وفي هذه السنة أمر ابراهيم بشراء العبيد السودان (54) فبلغت عدتهم مائة الف (55) فكساهم والزمهم بابه وجعل عليهم ميمونا

---

(52) تقع بالقرب من مدينة قسنطينة وبينهما يومان. وهى حصن قديم، وبناؤه بالحجارة القديمة وفى قراه حصون كثيرة المزارع والقرى وفى أهلها عزة ومنعة. البكرى ص 50، الادريسى ص 99، الحميرى ص 103.

(**) كالجندق فى ج 2 : 84.

(53) ابو عبد الله الداعى الشيعى.

(54) كانت الدولة الاغلبية تعتمد على الفتيان الصقالبة حتى ولاية ابراهيم بن أحمد الذى بدأ يحيط نفسه بحاشية من الفتيان السودان ومن المحتمل أن يكون ذلك تقليدا لما رآه من جند العباس بن أحمد بن طولون.

(55) اغلب الظن أن الرواية تبالغ كثيرا فى هذا العدد الذى يمكن انقاصه الى العشر، فهذا ما ترجحه روايات المصادر الاخرى اذ تروى أن عدد فتيانه من الحرس السودانى كانوا خمسة آلاف أسود. انظر ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 123. كما يذكر ابن خلدون أن ابراهيم «استركب العبيد والسودان واستكثر منهم فبلغوا ثلاثة آلاف. العبر ج 4 ص 203.

وراشدا وقتل حاجبه ابن الصمصامة واخوته وقرابته وولى حجابته الحسن ابن ناقـد وأضاف اليه عـدة ولايـات منها امـارة صقليـة.

وفي سنـة [338] ثمان وسبعين أيضا اضطربت امريقية على ابراهيم فخالفه أهل تونس والجزيرة وصطفورة وباجة وقمودة والاربس وذلك في شهـر رجب ولم يجتمع أهل هذه الكـور بمكان واحـد بل أقام كل رئيس بمكانه ولم يبـق بيـد ابراهيم من افريقية وكورها الا الساحل الشرقى فأمـر ابراهيم بحفـر الخندق على رقاده وجمع ثقاته على نفسه وقـرب السودان من قصـره وأحضر شيخا من بنى عامـر بن نافع فشاوره في أمـره فقال له : ان عاجلوك قبل ان تختلف كلمتهم خفت أن ينالوا منـك وان صبروا أمكنـك منهم ما تريـد ، فلما خرج من عنده ، قال ابراهيم لابنـه أبى العبـاس احبسه عندك لئـلا يتكلـم بهـذا الرأي فيصـل اليهم فحبسه حتى ظفـر بهم وكان سبب ظفـره أنه بعث عسكره الـى الجزيـرة فقتل منهم خلقـا كثيـرا وأخذ رئيسها المعروف بابن أبـى أحمـد أسيرا وجيء بـه الى ابراهيم فقتله وصلبـه ووجه صالحا الخادم الـى قمودة فهزمهم وبعث الى تونس عسكـرا عظيما عليهم ميمون الخادم والحسن بن ناقـد حاجبه فانهزم أهـل تونس وقتلوا قتـلا ذريعا بعـد قتال شديد ودخل العسكـر الـى مدينة تونس فانتهبوا الاموال واستباحوا الحـرم وسبوهم وبعثوا الى ابراهيم بألف ومائتى اسير وهم أكابـر القـوم ورؤساؤهم [239] وذلك في شهر رمضان من السنة ووصل الخبر الى ابراهيم في وقته على جنـاح طائـر فبعث الى قائـده ان لا يقطـع رأس قتيـل ووجه العجل فحملت القتلى وشـق بها سماط القيروان.

ذكـر انتقـال ابراهيـم الى تونـس (56)

وفي سنة احدى وثمانين ومائتين أمر ابراهيم ان تبنى له بتونس قصـوره ومساكنه فبنيت ثم انتقل اليها يـوم الاربعاء لست بقين مـن

(56) يبدو أن ابراهيم بن أحمد، قرر أن يجعل مدينة تونس واقاليمها يشعرون بالحكومة الاغلبية، وبسلطة الامير. والظاهر أن اعداد القصور والمساكن الاميرية في مدينة تونس

جمادى الاولى وانتقل أهل بيته وجميع قواده ومواليه . وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين تحرك ابراهيم يريد محاربة ابن طولون بمصر (57) وحشد وخرج من تونس لعشر خلون من المحرم فأقام برقادة الى سبع بقين من صفر ثم خرج بعساكره فاعترضه أهل نفوسة بجمع عظيم في النصف من شهر ربيع الاول فكان بينهم قتال عظيم فقتل ميمون الخادم وجماعة ممن معه ثم انهزم أهل نفوسة وتبعهم ابراهيم

= لم يستغرق وقتا طويلا، مما يرجح انها اشتريت شراء او أخذت أخذا ولم تبن. وذلك أن ابراهيم خرج من القيروان' فى طريقه الى منازله الجديدة فى 24 من جمادى الاخرة سنة 281هـ/31 اغسطس 894م، بأهل بيته وجميع قواده، ووصل الى تونس التى استوطنها فى 6 رجب /11 سبتمبر. ولكن تونس المتطرفة بعيدا، على شاطىء البحر وعن قلب البلاد، لم تكن مهيأة بعد للدور الذى كانت تقوم به قرطاجنه قبل الاسلام. فمركز الثقل فى افريقية كان فى الداخل، حيث تجمعات القبائل الكبيرة من العرب والبربر. وكانت منطقة القيروان حتى ذلك الوقت خير مركز يمكن السيطرة منه على أطراف البلاد. لذلك لم تظل تونس عاصمة البلاد الا اقل من سنه ونصف سنة ثم اصبحت العاصمة الثانية مرة أخرى.

انظر ابن عذارى : البيان : المغرب ج 1 ص 129، ابن خلدون : العبر ج 4 ص 203، سعد زغلول عبد الحميد. تاريخ المغرب العربى ج 2 ص 139 — 140.

(57) وبالرغم من اعتقاد سعد زغلول عبد الحميد بعدم احتمالية محاربة ابراهيم بن أحمد لابن طولون فهناك العديد من العوامل التى تجعل مثل هذه الحمله على حدود مصر الطولونية الغربية ممكنة، بل ومطلوبة. ففى ذى الحجة سنة سنة 282هـ توفى خمارويه بن أحمد بن طولون، صهر الخليفة العباسى المعتضد، وتولى ابنه أبو العساكر جيش ولاية مصر من بعده، فأشعل نار الفتن والثورات وقتل عمه بضر بن احمد بن طولون، فتنكر له كبار الجند وفر بعضهم الى الخليفة العباسى لاجارتهم منه مما لا يستبعد معه كتابة الخليفة العباسى لابراهيم ابن احمد بتجهيز حملة لمهاجمة حدود مصر الغربية.

أما العامل الثانى فهو يتمثل فى موقف الاباضية من حملة ابراهيم بن احمد، اذ بعد خروج الحملة من رقادة وفى منتصف الطريق بين قابس وطرابلس، فى موضع يعرف عند كتاب الاباضية «مانو». يذكر أبو زكرياء أن اباضية جبل نفوسة اجتمعوا (فقال بعضهم لبعض : دعو هذا الرجل ولا تتعرضوا له بشىء، فأبى جمهور المسلمين ذلك).. (فاتفق رايهم الا يتركوه وما يريد الى الجاوز) ... فوجه اليهم : ان اتركوا لى سباحل البحر، بمقدار نشر عمامة لاجوز فيه، أنا ومن معى فأبوا ذلك). مما يدل على عدم خروج الحملة بسبب اباضية جبل نفوسة. ابن الاثير : الكامل ج 7 ص 474 — 475، 478، كتاب سير الائمة واخبارهم ص 103.

والعامل الثالث يرويه كل من ابن عذارى والنويرى، اذ استمرت الحملة فى الزحف شرقا بعد موقعة مانو. وعند تاورغا «انفض الناس عنه فلما راى ذلك، خشى أن يبقى وحده، فرجع الى تونس» ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 129 — 130.

فقتلهم قتلا ذريعا وتطارح منهم خلق كثير في البحر فقتلوا حتى احمر لون الماء من دمائهم فقال ابراهيم لو كان هذا القتل لله لكان اسرافا (*) فقال له بعض رجاله ليدع الامير بعض من أحب من مشايخهم ويسأله عن اعتقاده ، فاذا بسأله علم ان ذلك لله فأحضر بعضهم فقال ما تقولون في على [240] بن أبى طالب ؟ فقال (**) : نقول انه كافر في النار من لم يكفره فقال ابراهيم فجميعكم على هذا الرأي قالوا نعم قال الان طابت نفسى على قتلكم وجلس على كرسى وبيده حربة فكان يقدم اليه الرجل منهم فيقد أضلاعه من تحت منكبيه ثم يطعنه فيصيب قلبه حتى قتل منهم خمس مائة رجل مرة في وقت واحد.

ثم تمادى ابراهيم بعد فراغه من أهل نفوسة الى طرابلس وكان محمد بن زيادة الله عامله عليها وكان ابراهيم كثير الحسد له من صغره على علمه وأدبه فقتله ابراهيم وصلبه (58) ثم سار من طرابلس حتى بلغ عين تاورغا فرجع كثير ممن كان معه الى افريقية ولم يبق معه الا اقل من النصف فلما رأى ذلك انصرف الى رقاده ثم الى تونس.

وفي سنة أربع وثمانين جهز ابراهيم ابنه أبا العباس (59) الى صقلية لقتال أهلها فسار اليها في جمادى الاخرة فقاتله أهلها قتالا شديدا ثم انهزموا ودخل المدينة بالسيف فقتل خلقا عظيما ثم عفا عن الناس وأمنهم ثم ركب حتى حاز المجاز وأوقع بالروم فقتل المقاتلة وسبا الذرية ورجع الى صقلية وقد اثخن في الروم.

---

(58) كان محمد بن زيادة الله، عامله على طرابلس، وابن عمه، معروفا بالادب والظرف، وكانت له بعض التواليف في الكتب، وبالاضافة الى الحسد، هناك سبب قوى لقتله، وهو ترشيح الخليفة المعتضد العباسي له لتولى الامارة الاغلبية، بدلا من ابراهيم الذى اشتهر بظلمه وسوء فعله بأهل تونس اذ كتب الخليفة العباسى الى ابراهيم «أن انتهيت عن أخلاقك هذه، والا فسلم العمل الذى بيدك لابن عمك محمد بن زيادة الله» . ابن عذاري : البيان المغرب جـ 1 ص 129 ، ابن الابار : الحلة السيراء جـ 1 ص 180.

* اسرافا فى ج 2 : 86.   ** فقالوا فى ج 2 : 86

(59) العباس فى ج 2 : 86.

ذكر اعتزال ابراهيم الملك ، وزهده وغزوه ووفاته :

[241] وكان سبب ذلك ان رسول الخليفة المعتضد بالله العباسي قدم عليه في سنة تسع وثمانين ومائتين (60) من بغداد الى تونس مخرج ابراهيم اليه «وضربت له» (61) فازه سوداء في سبخة تونس فخلا بالرسول وكان بينهما محاورة ولم يأته بكتاب وكان المعتضد قد أرسله على غضب وسخط لشكوى اهل تونس منه وصياحهم على المعتضد وصفهم له ما صنع بهم ابراهيم وقالوا أهدي اليك نساؤنا وبناتنا ، فغضب المعتضد وأمره باللحاق به وان يعتزل عن افريقية وولى عليها ابنه ابا العباس فكره ابراهيم المسير الى المعتضد وأظهر التوبة ورفض الملك ولبس الخشن من الثياب وأمر باخراج من في سجونه وقطع القبالات وبعث الى أبنه أبى العباس وهو بصقلية ليصير اليه الملك ويخرج له من الامر فقدم عليه في شهر ربيع الاول فسلم اليه الامر وحرج من تونس وأظهر أنه يريد الحج ووصل الى سوسة ووجه رسله الى بغداد بذلك ثم بعث من يذكر رجوعه عن الحج وخروجه الى الجهاد خشية من بني طولون لئلا يسفك بينهما الدماء.

واستنفر الناس ودعاهم الى الجهاد ووسع على من اتاه وخرج من سوسة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاخر ، فنزل نوبة ففرق الخيل [242] والسلاح على

---

(60) يتفق ابن عذارى مع النويرى فى تاريخ زيارة رسول الخليفة العباسى فى بداية عام 289هـ، بينما يروى ابن الاثير أن التاريخ فى 287 هـ، ولكن ترتيب الاحداث، يرجح الاتى : ان رسول الخليفة العباسى وصل فعلا فى بداية عام 289هـ وبالفعل استجاب ابراهيم بن احمد لمبررات متعددة — شكوى السكان، نجاح دعوة الشيعى بافريقية كدليل على فشله فى حماية ثغر افريقية ؛ فاستقدم ابنه أبى العباس عبد الله من صقلية وسلم له الامر فى ربيع الاول من نفس العام، ثم اظهر الحج وأخبر بغداد بذلك ولكن وفاة الخليفة العباسى فى ربيع الاخر هى التى دفعته لتغيير طريقه وليس بنى طولون، الى الجهاد فى صقلية حتى وفاته فى نفس العام، الكامل فى التاريخ جـ 7 ص 507، 513، البيان المغرب جـ 1 ص 131،

(61) زيادة فى (د) عن (م) ص 451،

أصحابه وأمر بالعطاء نأعطا الفارس عشرين دينارا والراجل عشرة وخرج من نوبة الى طرابلس «في البحر» (62) فاقام بها سبعة عشر يوما يعطى الارزاق لمن معه ثم رحل فدخل مدينة بلرم لليلتين بقيتا من شهر رجب وامر برد المظالم واقام بصقلية اربعه عشر يوما يعطى اهلها ومن بها من البحريين (63) الارزاق وارتحل لتسع خلون من شعبان فنزل على طبرمين وحاصرها وكان بينه وبين اهلها قتال شديد حتى اثخنت (*) الجراح في الفريقين وهم المسلمون بالانحياز فقرأ قارئ «هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم» (64) فحمل حماة العسكر وأهل البصائر بنيات صادقه فانهزم الكفرة هاربين فقتلهم المسلمون ابرح قتل وقفوا (**) اثارهم في بطون الاوديه ورؤوس الجبال ودخل ابراهيم ومن معه طبرمين فقتل وسبا وبعث زيادة الله بن ابنه ابى العباس الى قلعة نيقش وبعث ابا الاغلب ولده بعسكر الى رمنيش فوجد اهلها قد هربوا على وجوههم فاخذ جميع ما كان بها (65) .

وبعث ابنه ابا حجر الى رمطة فطلب القوم الامان وأجابوا الى الجزية .

وبعث سعدون الجلوي بطائفة الى لياج فدعوا القوم وجميعا فأجابوا الى أداء الجزية فلم يجبهم ولم يرضه الا نزولهم عن الحصون فنزلوا [243] وهدم جميع القلاع ورما حجارتها الى البحر ثم تمادى بالعساكر الى مسينى فاقام بها يومين وأمر الناس بالتعدية الى قلورية لاربع بقين من شهر رمضان وتمادي في رحيله الى أن قرب من مدينة كسنتة (66) فجاءته الرسل يطلبون الامان فلم يجبهم وسار الى ان وصل كسنتة

(62) زيادة فى (د) من (م) ص 452.
(63) «الجرين» فى (م) ص 452.
(64) القرآن الكريم سورة الحج رقم 22 آية 19.
* اثخنت فى ج 2 : 88
** وقفوا فى ج 2 : 88.
(65) «منها» فى (م) ص 452.
(66) «كستة» فى (د) وصححتها من (م) ص 453.

وقدم العساكر وبقى في الساقه لضعف أصابه فنزلت العساكر بالـــوادي وأمر الناس بالزحف لخمس بقين من شوال وفرق أولاده وخاصته علـى أبوابها فقاتلوا (67) من كل ناحية ونصب المجانيق واشتدت علة ابراهيم وكانت علته البطـن وعرض له بالفواق فأيس أصحابه منه فقلدوا الامـر الى زيـادة الله ابـن ابنـه أبى العبـاس سـرا .

وكانت وفاة الامير (68) ابراهيم في ليلـة السبت لاثنتى عشرة ليلـة بقيت من ذي القعـدة سنة تسع وثمانين ومائتين ، فركب القواد الى أبى مضـر زيـادة الله وهو أكبـر أولاد أبى العبـاسي بن ابراهيم فقالوا لـه أتـرك هذا الامر حتى نصل (69) الى أبيـك فقال لعمه أبى الاغلب انت احق بحق أخيك فلم يتقدم على زيادة الله وكان يحب السلامة ثم طلب أهل كسنتة الامان وهم لا (70) يعلمون بوفاة الامير ، فأمنوا وأقام المسلمون حتى قدم عليهم من كـان توجه الى الجهات ، فلما قدموا ارتحلوا باجمعهم وعادوا الى مدينـة بلـرم [244] ونقلوا ابراهيم معهم فدفنوه بها وبنى على قبـره قصر وعادوا الى افريقيـة باجمعهم .

وكان مولد ابراهيم بـوم الاضحى سنة خمس وثلاثين ومائتين فكان عمـره ثلاث وخمسين سنة وأحد عشـر شهرا وأيامـا ومدة ولايته الى حين وفاتـه ثمانى وعشرين سنـة وستة أشهـر واثنى عشـر يوما .

وكان لابراهيم محاسن ومساوي ذكرها ابن الرقيـق ونحن نذكر لمحة من محاسن أفعاله ومساويهـا تدل على ما كان عليـه ونترك الاطالة جريا على القاعـدة في الاختصـار . قال كان حاله محمودة من الحزم والضبـط للامـور وأقام سبع سنين من ولايتـه وهو على ما كان عليه اسلافـه من حسن السيرة وجميل الافعـال الى أن خرج لمحاربة العباس بن طولـون

---

(67) فتتلوا فى د وصححتها من م ص 453، ج 2 : 88.
(68) زيادة فى د، ج 2 : 88.
(69) يصل فى د وصححتها من م ص 453. ج 2 : 88.
(70) «لـم» فى (م) ص 453.

فلما كفى مؤونته تغيرت حاله وحرص (*) على جمع الاموال ثم اشتد أمره فأخذ في قتل أصحابه وكفانه وحجابه ثم قتل ابنه وبناته وأتى بأمور لم يأت غيره بمثلها .

فمن محاسن اعماله : انه كان أنصف الملوك للرعية لا يرد عنه متظلم يأتيه (**) وكان يجلس بعد صلاة الجمعة وينادي مناديه من له مظلمة فربما لم يأته أحد لكف بعض الناس عن بعض وكان يقصد ذوي الاقدار والاموال فيقمعهم (***) ويقول لا ينبغى أن يظلم الا الملك [245] لان هؤلاء اذا أحسوا من أنفسهم قوة بما عندهم من الاموال لم يؤمن شرهم وبطرهم (****) فاذا كف الملك عنهم وأمنوا دعاهم ذلك الى منازعته وأعمال الحيلة عليه وأما الرعية فهم مادة الملك فان أباح ظلمهم لم يصل اليه نفعهم ولحقه الضرر وصار النفع لغيره .

ووقف له رجلان من أهل القيروان وهو بالمقصورة في جامع رقادة فأدناهما اليه وسالهما عن حالهما فقالا له كنا شريكين للسيدة يعنيان أمه في جمال وغيرها فاحتبست لنا ستمائة دينار فأرسل اليها خادما فقالت نعم هو كما ذكرا الا أن بيني وبينهما حسابا وانما احتبست هذا المال حتى احاسبهما فان بقي عليهما شيء والا دفعت مالهما اليهما، فقال للخادم ارجع اليها وقل لها والله لئن لم توجهي بالمال والا اوقفتك الساعة معهما بين يدي عيسى بن مسكين (71) فوجهت المال اليه فدفعه اليهما وقال لهما أنا فقد انصفتكما فيما ادعيتما فاذهبا واقطعا حسابها والا فأنتما أعلم .

* حرض فى ج2 : 89 . ** متكلم بالحق فى ج 2 : 89

*** فيقمعهم فى ج 2 : 89.

**** شدهم ونظرهم فى ج 2 : 89.

(71) هو ابو موسى عيسى بن مسكين بن منصور بن حديج بن محمد الافريقى (214 — 295هـ) اصله من العجم وينسب الى قريش تولى قضاء رقادة للامير ابراهيم بن احمد. انظر ابو العرب : الطبقات ص 142 — 143، تراجم أغلبية ص 232 — 252، ابن فرحون : الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب ص 179.

وكان اذا تبين له الظالم قبل أحد من أهل بيته وولده بالغ في عقوبته والانصاف منه فكان ولده ورجاله يوم الخميس يأخذون عبيدهم ورجالهم أن يطوفوا [246] في الازقة والفنادق ويسألوا هل أتى شاك أو متظلم من عبد أو وكيل ، فاذا وجدوا أحدا اتوا به الى دار ولد الامير أو قرابته فينصفه .

ومن مساوي أفعاله : أنه أسرف في سفك دماء أصحابه وحجابه حتى يقال انه افتقد منديلا كان يمسح به فمه من شرب النبيذ وكان قد سقط من يد بعض جواريه فأصابه فقتله وقتل بسببه ثلاث ماءة خادم وهذا غاية في الجور ونهاية في الظلم .

وقتل ابنه المكنى بابى الاغلب لظن ظنه به فضرب عنقه بين يديه صبرا وقتل ثمانية اخوة كانوا له رجالا ضربت اعناقهم بين يديه صبرا ، وكان أحدهم ثقيل البدن فسأله واسترحمه فقال لا يجوز أن تخرج عن حكم الجماعة وقتله ثم قتل بناته وأتى بأمور لم يأت بها أحد قبله ولم يتقدمه الى مثلها ملك ولا أمير فكانت أمه اذا ولد له ابنة من أحد من جواريه اخفتها عنه وربتها حتى اجتمع عددها منهن ستة عشر جاريه ، فقالت له ذات يوم وقد رأت منه طيب نفس ياسيدي قد ربيت لك وصائف ملاحا وأحب أن تراهن فقال نعم قربهن منى فادخلتهن اليه فاستحسنهن فقالت هذه ابنتك من جاريتك فلانة وهذه من [247] فلانة حتى عدتهن عليه فلما خرج قال لخادم له أسود كان سيافا يقال له ميمون امض فجيئنى برووسهن متوقف استعظاما له لذلك فسبه وقال امض والا قدمتك قبلهن فمضى اليهن فجعلن يصحن ويبكين ويسترحمن فلم يغن ذلك عنهن شيئا وأخذ رؤوسهن وجاء بهن معلقة بشعورهن فطرحها بين يديه .

ومن قبح أفعاله ما كان عليه من أمر الاحداث وكان له نيف وستون حدثا وقد رتب لكل واحد منهم مرقدا ولحافا ، فاذا جاء وقت النوم

طاف عليهم الموكــل بهم فسقى كــل واحد منهم ثلاثة ارطال وينــام كل واحد منهم في مكانــه. فبلغه ان بعضهم يمشى في الليــل الى بعض فجلس ببــاب القصر على كرسى وأمــر باحضارهم فبعضهم أثــر وبعضهم جحد حتى مر به صبى (*) كان يحبه، فقال والله يا مولاي ما كان من هذا شيء فضربه بعــود من حديد فطــار دماغه وأمــر بتنــور فاحمى فكان يطــرح فيه كــل يــوم خمسة أو ستــة حاتى افناهم وادخل عــددا منهم الحمــام وأغلــق عليهم البيــت السخــن فماتــوا من ساعتهــم.

وقتل بناتــه وجواريه بأنواع من العذاب منهن من بنى عليها البناء حتى ماتت جوعــا وعطشا ومنهن من أمــر بخنقها ومنهن من ذبحها حتى لــم يبــق في [248] قصرء أحــد .

دخل على أمه في بعض الايــام فقامــت اليه ورحبت به فقال لها أني أحــب طعامك فسرت بذلك وأحضرت الطعــام فأكل وشرب وانبسط فلما رأست سروره قالــت اه ان عنــدي وصيفتين ربيتهما لك وادخرتهمـــا لمسرتك وقد طــال عهدك بالانــس بعد قتل الجواري وهما يحسنان القراءة بالالحــان فهل لك أن أحضرهما للقــراءة بين يديــك فقال افعلى فأمــرت باحضارهما فاحضرتا وأمرتهما بالقراءة فقرأتا أحسن قراءة ثم قالت لــه أمه هل لــك أن ينشداك الشعر قــال نعم فغنيــا بالعود والطنبــور أبدع غنــاء حتى عمل فيه الشراب وأراد الانصراف فقالت له هل لك أن يمشيا خلفك حتى تصل الى مكانك وتقفــا على رأسك وتؤنسانك فقد طــال عهدك بالانــس قال نعم فمضى وهما خلفــه فلم يكن الا أقل من ساعــة حتى أقبــل خادم وعلى رأسه طبــق وعليه منديــل فظننت انــه وجه اليها بهديــة فوضع الخادم الطبــق بين يديهــا ورفع المنديــل واذا برأسهما فصرخت أمه وغشى عليهــا وأقامت بعد ساعة طويلة وهى تدعوا عليــه وتلعنه ، وأخباره في مثــل هذا طويلــة وفي أيامــه ظهــر أبــو عبد اللــه الشيعى الداعــي وكان من أمــره ما نذكــره ان شاء الله عز وجل.

* زيادة من ج 2 : 91.

[249] ذكر ولاية أبى العباس عبد الله بن ابراهيم بن أحمد بن محمد ابن أحمد ** بن الاغلب

ولى الامر كما قدمناه في حياة أبيه ثم استقل بالامر بعد وفاته وكان على خوف شديد من أبيه لسوء اخلاقه وجرأته على قتل من قرب منه أو بعد، فكان يظهر له من الطاعة والتذلل أمرا عظيما فكان ابراهيم يكرمه ويفضله على سائر أولاده وكانت ولايته بعد أبيه في يوم الاثنين لثالث عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة تسع وثمانين ومائتين فجلس للناس للمظالم ولبس الصوف وأظهر العدل والاحسان والانصاف ولم يسكن قصر أبيه ولكنه اشترى دارا مبنية بالطوب فسكنها الى أن اشترى داره التى عرف بها وخاف من قيام ابنه زيادة الله عليه فحبسه هو وخلقا من رجاله.

وولى أبا العباس محمد بن الاسود الصديني (72) قضاء القيروان والاحكام والنظر فى العمال وجباة الاموال فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان قويا في قضائه شديدا على رجال السلطان رفيقا بالضعفاء والمظلومين ولم يكن واسع العلم فكان يشاور العلماء فلا يقطع حكما الا برأي ابن عبدون القاضي (73) وكان

** محمد بن أحمد فى د وصحتها من ج2 : 92

(72) يذكر الخشنى فى طبقات علماء افريقية أن الذى ولاه هو ابراهيم بن أحمد عند خروجه الى صقلية، وكان يقول بخلق القرآن وهو من اتباع أبى حنيفة، ملحق المالكى رياض النفوس 1 : 501.

(73) هو محمد بن عبد الله الرعينى، ابن عبدون أبو العباس، حنفى ولى قضاء القيروان، كان صارما شديدا على المدنيين توفى فى جمادى الاخرة سنة 297 هـ. أبو العرب : الطبقات 187 — 189، ابن ناجى : المعالم ج 2 ص 187 — 188. ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 161.

[250] يظهر القول بخلق القرآن (74) فكرهه العامة ولم تطل أيام أبي العباس حتى وثب به ثلاثة من خدمه كان ابنه زيادة الله قد وضعهم عليه فقتلوه وهو نائم وأتوا بحداد الى زيادة الله ليقطعوا قيده ويسلموا عليه بالامارة فخاف أن يكونوا دسيسا عليه من أبيه فأبى ذلك ومضوا الى أبيه فقطعوا رأسه وأتوا به في الليل ، فلما رأى ذلك أمر بقطع قيوده وخرج وكان مقتل أبي العباس في ليلة الاربعاء آخر شعبان سنة تسعين ومائتين .

فكانت امارته من حين خروج أبيه والى ان قاتل سنة واحدة واثنين وخمسين يوما ومنذ ان استقل بالامر بعد أبيه تسعة أشهر وثلاثة عشر يوما وكان رحمه الله شجاعا بطلا ملما بالحرب حسن النظر في الجدال وأستاذه في ذلك عبد الله بن الاشج (75) .

ذكر ولاية أبي مضر زيادة الله بن أبي العباس عبد الله بن ابراهيم ابن أحمد بن محمد * بن الاغلب

قال : ولما افضى اليه الامر بعد مقتل أبيه كان أول ما بدأ به انه أمر بقتل الخصيان الذين قتلوا أباه وصلبهم وأظهر الندامة(**) لفعلهم وأرسل

(74) من المسائل الهامة التي تعرض لها العقل من قديم، مسألة الجبر والاختيار، وقد سمي الذين يقولون بأن الانسان حر الارادة، بالقدرية أو المعتزلة، بينما عرفت الطائفة الاخرى بالجبرية والسلفية. وأغلبية المعتزلة يرفضون هذه التسمية ويسمون انفسهم أهل العدل والتوحيد. واصفوا بالتوحيد لانهم انفوا أن يكون لله صفات من غير ذاته أو زائدة على ذاته، كالسمع والبصر والقدرة والعلم، بل الله سميع بصير عالم قادر بذاته وليست هنك صفات زائدة عن ذاته و الا صار القول تعديدا لله من ناحية وتجسيدا أو تجسيما من ناحية اخرى وهذا مستحيل على الله لان الله واحد لا شريك له، ومنزه عن تلك الصفات التي تشبه بمخلوقاته، وكنتيجة طبيعية لنفي الصفات، نفى المعتزلة أن يكون القرآن صفة من صفات الله، وقالوا بأن القرآن مخلوق كسائر المخلوقات وليس كلاما قديما ازليا لم يخلقه الله، فالله هو خلق القرآن ومبتدعه ومخترعه.

وكان الخليفة المأمون العباسي يؤيد المعتزلة، فوافقهم فيما ذهبوا اليه من ان القرآن مخلوق، واستغل نفوذه في حمل الناس على القول بذلك. احمد أمين : فجر الاسلام ص 283 — 301.

(75) هو عبد الله بن الاشج، كان على مذهب أهل الكوفة، وكان من أهل الجدل والكلام. انظر الخشني : طبقات علماء افريقية ملحق بالمالكي ص500.

* محمد بن أحمد في د وصححتها من ج 2 : 93 ** الكرامة في ج 2: 93

من اخوته وبني عمه تسعة وعشرين رجلا الى جزيرة في البحر يقال لها جزيرة الكراث فقتلوا في شهر رمضان [251] من هذه السنة وبعث زيادة الله خمسين فارسا مع فتوح الرومي الى أخيه الاحول (76) بكتاب على لسان أبيه أبي العباس يأمره فيه بالقدوم عليه ولا يتخلف وكان أبو العباس أخرجه لقتال أبي عبد الله الشيعي فرجع فلما وصل أمر زيادة الله بقتله فقتل فكان ذلك أعظم فتح عند الشيعي.

قال : وأمر زيادة الله بالعطاء وولى الوزارة والبريد ، عبد الله ابن الصايغ وولى الخراج ابا مسلم (77) وعزل القاضي الصديني لرأيه بخلق القرءان وكتب كتابا الى القيروان أني قد عزلت عنكم الجافي الخلق المبتدع المتعسف ووليت القضاء حماس بن مروان (78) لرأفته ورحمته وطهارته وعلمه بالكتاب والسنة ، وفي أيامه قوى أمر أبي عبد الله الشيعي وكان قد ظهر في أيام جده ابراهيم بن أحمد فاستحفل الان أمره وكثرت أتباعه وأشتدت وطأته ففارق زيادة الله تونس الى رقادة وتركها خوفا من الشيعي أن يخالفه اليها ولما نزلها زيادة الله عمر سورها فلم يغن ذلك عنه شيئا لان الشيعي لما قوي أمره بكتامة انضمت اليه القبائل واجتمعت له الرجال وهزم جيوش زيادة الله مرة بعد أخرى وقتل جموعه واستولى على البلاد فبدأ بميلة ثم بمدينة سطيف ثم غلب على البلاد والمدن بلدا، بلدا ومدينة ، مدينة الى أن غلب [252] على مدينة الاربس وهزم ابراهيم بن الاغلب وكان زيادة الله قد جهزه لقتاله في جيوش عظيمة وهو آخر جيش جهزه زيادة الله فهزمه الشيعي وذلك في جمادى الاخرة سنة ست وتسعين ومائتين على

(76) هو أبو عبد الله الاحول، ولم يكن احول، وانما لقب بذلك .لانه كان اذا نظر دائما ربما كسر جفنه، فلقب بالاحول، ابن الاثير : الكامل ج 7 ص 520.

(77) هو أبو مسلم منصور بن اسماعيل.

(78) حاول كسب تأييد الناس له بعزل القاضي الحنفي وولى بدلا منه حماس بن مروان بن سماك الهمذاني (222 — 303 هـ) الذي عرف بالورع وبعلمه بمذهب مالك واصحابه. تراجم أغلبية ص 340 — 350، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 136.

ما نذكـره ان شاء الله تعالـى مبينا في أخبـار الدولة العبيديـة المنسوبة للعلويـة.

ذكـر انهزام زيادة الله الى المشرق وانقراض دولة بني الاغلب :

قال : ولما بلغت هزيمة ابراهيم بن الاغلب، زيادة الله وكان هـذا الجمـع آخر جمـع جمعه فـت ذلك في عضده وكان برقادة ، فأظهر أنه أتاه الفتـح وأرسل الى السجـون فأتي برجال منها فضرب اعناقهم وأمر أن يطاف برؤوسهم في القيروان والقصر القديـم وأخذ في حمل اثقالـه وأمواله وارسـل الى خاصة رجالـه وأهل بيته يعرفهم الحال وأنذرهم بالخروج معـه فاشار عليـه وزيـره ابن الصائغ بالمقام وقال له العساكر تجتمع اليـك فاخرج العطـاء يأتك النـاس والشيعي لا يجسر (*) ان يقدم عليك وشجعه وقواه وذكره بحروب جده زيـادة الله فلم يرجع الى قوله فلمـا الـح عليه ابـن الصائغ قال لـه زيـادة الله بهذا يصـدق ما قيل عنـك انك كاتبت الشيعي وأردت [253] ان تمكنه مني فتبـرأ من ذلك وأمسك عنه وأخذ زيـادة الله في شـد الاموال والجواهر والسلاح وما خف مـن الامتعـة النفيسة وفعل رجاله كذلك واتعدوا الى الليـل ثم انتخب زيـادة الله من عبيـده الصقالبـه الف خادم وجعل على وسط كل خادم الـف دينـار وحمل من يعـز عليـه من جواريه وامهات أولاده ولما عزم علـى الرحيل قامت اليه جاريـة من قيانـة وأخذت العـود واندفعت تغنى.

لـم أنس يـوم الرحيل موقفهـا وجفنهـا في دموعهـا غـرق
وقولهـا والركـاب سـائـرة بتركنـي سيـدي وينطلـق

فدمعت عيناه وأمر بحط حمل مال عن بغل وحملها عليه وكانت الهزيمة بلغته بعـد صلاة العصـر فما اذن مؤذن العشا الاخـرة الا وقد رحل من رقادة وإتبعه النـاس قوما بعد قوم يهتـدون بالمشاعل فاخذ طريـق مصر

* يحسن في ج 2 : 95.

وخرج عبد الله بن الصائغ بعده بثقله وحشمه وأمواله «يقصد جهة مالطة وقد كان أعد هناك مركبا لنفسه ليركب فيه الى صقلية» (*) ويفارق زيادة الله خوفا على نفسه من رجاله ان يحملوه على قتله لانه كان معاديا لاكثرهم ورموه بمكاتبة الشيعى ولم يكن كذلك .

قال ولما علم الناس بهروب زيادة الله اسرعوا الى رقادة وانتهبوا ما فيها واحتووا على [254] قصور زيادة الله حتى صاروا الى البحث عن المطامير وانتزاع حديد الابواب وحمل الاسرة ونقل الماعون وأقاموا على ذلك ستة أيام حتى تراءت خيل الشيعى وتخلف عن زيادة الله كثير من رجاله وعبيده وأصحاب الدواوين فافترقوا في البلدان .

واما ابراهيم بن أبى الاغلب

فانه وافى القيروان في جماعة من انضم اليه فلما علموا بهرب زيادة الله تفرقوا عنه وقصد كل قوم الى ناحيتهم وقصد ابراهيم دار الامارة فنزل بها ونادى مناديه بالامان وسكن الناس وأرسل الى الفقهاء ووجوه أهل القيروان فاجتمع على بابه خلق كثير وسلموا عليه بالامارة فذكر لهم أحوال زيادة الله وما كان عليه من سوء الحال وان ذلك أخل بدولته وأجلب عدوه وسلبه (**) ملكه. وذكر الشيعي وكتامة وشنع عليهم أقبح الاشانيع وطلب من الناس الاعانة . وقال انما قصدت المجاهدة عن حريمكم ودمائكم وأموالكم فأعينونى على ذلك بالسمع والطاعة وأمدونى بأموالكم ورجالكم وادفعوا عن حريمكم ومهجكم فقالوا أما السمع والطاعة فهما لك ولكل من ولينا وأما اعانتك ، فأموالنا فهى لا تبلغ ما تريده والقتال فمالنا به قوة ولا معرفة وأنت فقد ناصبت هؤلاء ومعك صناديد الحرب [255] ووجوه الرجال ووراءك بيوت الاموال فلم تظفر

* مابين قوسين زيادة من ج 2 : 96، ع.　　** سكتة فى ج 2 : 96.

بهم وتروم الان ذلك منا نحن وباموالنا فراجعهم في ذلك وراجعوه حتى قال لهم فانظروا ما كان في أيديكم من أموال الاحباس والودائع فاعطونى ذلك سلفا ماناذي بالعطاء فيجتمع الى الناس قالوا وما يغنى عنك ذلك ولو مددت يدك اليها لانكر الناس عليك ، فلما يئس منهم صرفهم والناس مجتمعون حول دار الامارة لا يعلمون ما كان من الكلام فلما خرجوا وهم بما كانوا فيه فصاحوا اخرج عنا فما لنا بك من حاجة ولا نسمع ولا نطيع لك وحلت الغوغاء وصاحوا به وشتموه فلما سمع ذلك وثب بمن كان معه في سلاحهم واقتحموا الباب فهرب من كان على الباب ومضوا يركضون دوابهم والناس يركضون ورائهم ويرجمونهم بالحجارة وانضم الى ابن الاغلب من كان قد بقى بعد زيادة الله من رجاله ممن خاف على نفسه ولحقوا زيادة الله .

ثم دخل الشيعى رقادة وانقرضت دولة بنى الاغلب.

ذكر ما كان من أخبار زيادة الله وقتله عبد الله بن الصائغ ومسيره الى بلاد الشرق ووفاته

قال : ولما خرج زيادة الله من رقادة ولحق به ابراهيم بن [256] أبى الاغلب فيمن انضم اليه فاجتمع معه خلق كثير فسار بهم الى طرابلس فدخلها ونزل دار الامارة وافتقد ابن الصائغ فلم يره فتحقق ما كان يرمى به من مكاتبة الشيعى وأكثر اصحابه القول فيه وكان قد ركب في مركب له يريد صقلية فصرفه الريح الى طرابلس فدخل على زيادة الله فعاتبه على تخلفه فاعتذر انه كانت معه اثقال لم يطق حملها في البر فلما علم أصحاب زيادة الله انه قرب ابن الصائغ سائهم ذلك وغمهم فاتوه وقالوا انه كذبك وانما كان يريد صقلية واجتمعوا كلهم وقالوا هذا الذي اخرجك من ملكك وعمل في ذهاب دولتك وكاتب الشيعى عليك فنقم عليه وأمر بتسليمه الى راشد وهو أحد المتعصبين

عليه فضرب عنقه بيده وتلاعب الصبيان برأسه حتى وقع في قناة حمام وحكى عن الشيعى انه قال والله ما كاتبنى قط.

قال وأقام زيادة الله بطرابلس سبعة عشر يوما وخرج منها يريد مصر وكان قد نقم على ابراهيم بن أبى الاغلب لما أراده من العقد لنفسه بمدينة القيروان فأطرحه واعرض عنه وعن أبى المصعب بن زرارة وسعى بهما عنده انهما يقعان فيه وينالان منه وقيل له هذا قولهما فيك وهما معك وفي قبضتك فكيف اذا وصلا [257] الى مصر فعزم على قتلهما فهربا الى الاسكندرية واستجارا بعاملها فأجارهما ووجه بهما الى مصر فدخلا قبل زيادة الله واجتمعا بعيسى النوشري (79) عاملها ووقعا عنده في زيادة الله وذكرا سوء فعله وأنه يطمع نفسه بمصر فهم النوشري أن يصد زيادة الله عن مصر الى أن يكتب الى بغداد فاتى زيادة الله الخبر من عيون كاتب (*) له بمصر فأرسل ابن القديم بكتاب الى النوشري يبجله (**) فيه ويسأله أن ينظر له في دار ينزل فيها ويخبره انه يقيم الى أن يصل اليه الرسول، ثم سار زيادة الله في أثر ابن القديم وجاء الى مصر فانزله النوشري في دار ابن الجصاص وأنزل رجاله في دور كثيرة .

وأقام بمصر ثمانية ايام ثم خرج يريد بغداد فتخلف عنه بمصر جماعة ممن كان معه فسار حتى وصل الى الرملة (80) ففقد

(79) بعد سقوط الدولة الطولونية فى 292هـ ومنذ سنة 293 هالى 323هـ وهو تاريخ قيام الدولة الاخشيدية بمصر، اى لمدة ثلاثين سنة كانت مصر ولاية عباسية تابعة للخلافة مباشرة ويحكمها ولاة من قبل الخلافة العباسية. وعيسى النوشرى اول هؤلاء الولاة .ابن الاثير : الكامل ج 6 ص 536، المقريزى : الخطط ج 2 ص 313 وما بعدها، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج 3 ص 88 — 143، حسن ابراهيم حسن : المجمل فى التاريخ المصرى ص 152.

(80) الرملة : بالشام، سمتها الرملة لما غلب عليها الرمل، وهى من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلا، ومدينة الرملة واسطة بلاد فلسطين، وهى مسورة ولها اثنا عشر بابا. المقدسى : احسن التقاسيم ص 164 — 165، ناصرو خسرو : سفرنامة، ترجمة : يحيى الخشاب ص 19. الحميرى : الروض المعطار ص 268.

* كانت فى ج 2 : 98.

** ينحله فى ج 2 : 98

وجوه رجاله فوجدهم هربوا عنه وهرب له غلام ومعه الف دينار وصار الى النوشري والتحق بغلمانه فكتب زيادة الله الى بغداد بذلك ، فورد الجواب اليه والى النوشري يومر فيه أن يبعث اليه بكل من تخلف عنه ففعل النوشري ورد غلمانه وأصحابه اليه وسار زيادة الله حتى وصل الى الرقة وكتب الى ابن الفرات الوزير (81) أن يستأذن له المقتدر بالله في الدخول الى الحضرة فأتاه كتاب [258] يومر فيه بالاقامة في الرقة (82) حتى يأتيه رأي المقتدر .

فأقام بها سنة فتفرق عنه رجاله وتشتت أمره وباع عليه قاضي الرقة بعض خصيانه وذلك أنه كان معه خصيان لهم وضاءة وجمال فلما أقام بالرقة أدمن شرب الخمر وسماع الملاهى فاحتسب عليه محتسب عند القاضي وأقام بينة شهدت عليه أنه يفجر بأولئك الصقالبة فباعهم عليه وتلطف زيادة الله في الدخول على المقتدر بالله فلم يؤذن له وصرفه الى النوشري وابن بسطام بمصر، وكتب المقتدر اليهما بتقويته بالرجال وان يعطى من خراج مصر ما يقيم أود عسكره حتى يعود الى المغرب ويطلب بثاره ويسترجع دولته

فلما وصل الى مصر شقها متقلدا بسيفين فأخرجه النوشري الى ظاهرها وقال له : تكون متبرزا حتى يأتيك الرجال والاموال وجعل يمطله ويسوف به ويتحفه بالهدايا والخمور فأقام على اتباع شهواته والانهماك على لذاته حتى انفق ما كان معه وباع السلاح والعدة ثم اعتل ، فيقال أن بعض عبيده سمه في طعام فسقط شعر لحيته ورأسه فانصرف

---

(81) ابن الفرات الوزير، ابن الاثير : الكامل ج 7 ص 23.

(82) الرقة.. مدينة بالعراق مما يلى الجزيرة، وهى واسطة بلاد مضر، ومن مدنها الرها وسروج وشمشاط ورأس العين وغيرها، والرقة على شارعه الفرات فى الشمال منه، وعليها سوران، وهى فى نحص يبعد عن الجبال على مسافة اكثر من يومين. البكرى : معجم ما استعجم ج 2 ص 666. الحميرى : الروض المعطار ص 270.

الى البيـت المقـدس فمات هناك وتفـرق آل الاغلب وانقرضت دولتهم بخروج زيـادة الله من الملـك.

وكانت مدة ولاية زيادة الله منذ أفضى [259] اليه الامـر بعد أبيه والى أن هرب من رقادة خمس سنين وعشرة أشهـر وانقرضت دولتهـم كأن لم تكـن فسبحان من لا يـزول ملكه ولا ينقضي دوامه، وبانقراض دولة بني الاغلب زال ملك بني مدرار بسجلماسة وكان له مائة وستون (*) سنة وزال ملك بني رستم من تيهرت وله مائة سنة وثلاثون سنـة

* سبعون في ج 2 : 100.

ذكر أخبار من ملك المغرب بعد بني الاغلب الى أن قامت دولة بني زيري بن مناد

نحن نذكر ذلك في هذا الموضع على سبيل التنبيه عليه لا الاستيعاب له وسنذكره ان شاء الله تعالى مبينا مستوفا في اخبار الدولة العبيدية مع ملوك مصر فنقول هاهنا لما قام أبو عبد الله الشيعي (1) على دولة بني الاغلب وهزم جيوشهم واستولى على بلاد المغرب وانتزعها من زيادة الله بن أبي العباس وظهر ابو محمد عبيد الله المنعوت بالمهدي (2) وهو الذي كان الشيعي يدعو له فانخلع له الشيعي من الامر كله وسلمه اليه في سنة ست وتسعين ومائتين، فلما استقامت الامور للمهدي وتوطد ملكه وأشتدت شوكته قتل

---

(1) هو الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا الصنعاني وتجمع معظم المصادر على ان أبا عبد الله كان محتسبا في سوق الغزل بالبصرة، وقيل ان المحتسب أخوه ابو العباس محمد، أما أبو عبد الله فكان يعرف بالمعلم لانه كان يعلم الناس مذهب الامامية الباطنية. القاضي النعمان. رسالة افتتاح الدعوة ص 59، ابن خلكان. وفيات الاعيان ج 1 ص 443، ابن الاثير : الكامل ج 8 ص 31، ابن خلدون : العبر ج 4 ص 31 — 32، المقريزي : الخطط ج 1 ص 10، ويضيف في اتعاظ الحنفا ج 1 ص 51 انه كان من رامهرمز واصله من الكوفة.

(2) تختلف الروايات التاريخية في الاتفاق حول تسلسل نسبه فابن حماد الصنهاجي في أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ص 6 يذكر أنه : عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد ابن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي (بن ابي طالب) وفي الاستبصار ص 203 «محمد بن اسماعيل بن الحسن بن علي بن جعفر بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد الصادق بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب» وفي الكامل لابن الاثير ج 7 ص 24 «محمد بن عبد الله بن ميمون ابن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب». ويتفق كل من ابن خلدون والمقريزي انه «عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن اسماعيل بن محمد المكتوم، أول الائمة المستورين. العبر ج 4 ص 62 — 63، اتعاظ الحنفا ج 1 ص 16، 35.

أبا عبد الله الشيعى وأخـاه واستقل بالامـر وبنى مدينة المهديـة (3) وانتقـل اليها ودامـت [260] أيامه الى أن توفى في النصف من شهـر ربيـع الاول سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة .

ثم قام بالامـر بعده ولـده أبـو القاسم محمد المنعوت بالقائم بأمر اللـه فملك الى أن توفى يـوم الاحـد الثالث عشر من شوال سنة أربـع وثلاثين وثلاث مائة .

ثم قام بالامر بعـده ابنـه أبـو الطاهر اسماعيل المنعوت بالمنصور بنصر الله وبنى المنصورية (4) ودامت أيامه الى أن توفى في يـــوم الجمعـة آخر شوال سنـه احدى وأربعين وثلاث مائـة.

ثم قـام بالامر بعـده ابنه أبـو تميم معـد المنعوت بالمعز لديـن الله ودامـت ولايته ببلاد المغـرب الى أن جهز القائد جوهر (5) الـى الديار المصرية فملكها بعد (*) الدولة الاخشيدية وانشاء القاهرة المعزية ثم

---

(3) مدينة كبيرة تقـع على بعد 60 ميـلا من القيروان ولقد سميت نسبة الى المهدى ويحيـط البحر بهـا من ثلاث جهـات، ويدخل اليها من الجانب الغربى. وهى مقصد للسفن الواردة من المشرق والمغرب والاندلس وبلاد الروم وغيرها واليها تجلب البضائع الكثيرة بقنـاطر الاموال. ويحيط بالمدينة سور مبنى بالحجـارة عليه باب حديد لفق بعضه على بعض من غير خشب لا يدرى مثلهما فى الصنعة والوثاقة. البكرى ص29، الاستبصار ص 117، الادريسى ص 107، الحميرى ص 561 — 562.

(4) وتعرف كذلك بمدينة صبـرة وتعتبر احـدى ضواحي القيروان مثل العباسية ورقادة بنيت سنة 337هـ. ويذكر البكرى «وهى منـزل الولاة الى حين خرابها ونقل اليها معد بن اسمـاعيل أسواق القيروان كلهـا وجميع الصناعات ولها خمسة أبواب : الباب القبلـى، والباب الشرقى، وبـباب زويلة، وبـاب كتامة وهو جوف، وباب الفتوح ومنه كانيخرج بالجيوش. وكان فيها فى مدة عمارتها ثلاثمائة حمام أكثرهـا للديـار وباقيها مبـرز للنـاس، وعلى ثلاثة أميـال منها قصور رقـادة. البكرى ص 25، الاستبصار ص 115، الادريسى ص 110، الحميرى ص 354، 550.

(5) هو أبو الحسين جوهر بن عبد الله، من مسلمى جزيرة صقلية، لذلك عرف بالصقلى، كمـا وصف بالرومى، لان جزءا من الجزيرة كان بأيدى الروم، وبالصقلبى أيضا، كان من بين موالى الخليفة المنصور المقربين اليه. وبعـد تولية المعـز لدين الله، عينه كاتبا ومن ثم عرف بلقب الكاتب وبالقائد أو قائد أبى تميم. العـزيـزى الجوذرى : سيرة جوذر ص 40، أبو الفداء. المختصر فى أخبار البشر ج 2 ص 115، المقريزى : الخطط ج 1 ص 337، ابن حماد : أخبار ملوك بنى عبيد ص 40.

* انقضاء زيادة فى ج 2 : 101

كتب الى مولاه المعز لدين الله بذلك فتوجه المعز الى الديار المصرية وكان رحيله من المنصورية ووصوله الى سردانية (6) في يوم الاثنين لثمان بقين من شوال سنة احدى وستين وثلاث مائة وسلم افريقية وبلاد المغرب كلها ليوسف بن زيري بن مناد (7) في يوم الاربعاء لسبع بقين من ذي الحجة من السنة وأمر سائر الناس بالسمع والطاعة له ثم رحل المعز لدين الله من سردانية لخمس خلون من صفر سنة اثنتين وستين وثلاث مائة ثم سار منها الى طرابلس واقام فيها أياما ورحل منها يوم السبت لثالث عشرة ليلة بقيت [261] من شهر ربيع الاخر منها ووصل ثغر الاسكندرية لست خلون من شعبان منها.

وكانت مدة مقامهم ببلاد المغرب خمسا وستين سنة وشهورا وصار أمر المغرب بعده ليوسف بن زيري ثم لبنيه من بعده على ما نذكره ان شاء الله عز وجل وكانوا في مبدأ الامر كالنواب لملوك الدولة العبيدية بمصر ثم استقلوا بعد ذلك بالامر على ما يأتى من أخبارهم.

ذكر ابتداء دولة بنى زيرى

ابن مناد ونسبهم ومبدأ أمرهم ومن ملك منهم الى انقضاء دولتهم

أول من ملك منهم أبو الفتوح بلكين يوسف بن زيري ، ولنبدأ بذكر نسبه وأخبار أبائه ومبدأ أمرهم .

---

(6) وهى قرية قريبة من القيروان، ابن الاثير : الكامل ج 8 ص 620.

(7) يروى المقريزى، لما عزم المعز على الانتقال اى مصر استقدم جعفر بن على بن حمدون الجذامى وعرض عليه استخلافه نائبا عنه فى افريقية فاشترط جعفر بن على لقبول هذا المنصب شروطا تجعله شبه مستقل عن مصر.. فغضب المعز لذلك واستدعى يوسف بن زيرى بن مناد زعيم قبيلة صنهاجة واسند اليه ولاية المغرب بعد أن حد كثيرا من اختصاصاته. اتعاظ الحنفا ج 1 ص 142، 143، للمحقق : أثر القبائل العربية فى الحياة المغربية ص 53.

فأما نسبه فهو أبو الفتوح يوسف بن زيري بن مناد بن منقوش بن زناك بن زيد الاصغر بن واشفاك بن زيقوش (*) ورغفى بن سري بن وتلكى ابن سليمان بن الحارث بن عدي الاصغر وهو المثنى بن المسور بن يحصيب ابن مالك بن زيد الاصغر بن سعد وهو عبد الله بن عوف بن عدي ابن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة وهو حمير بن سبا الاصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن خشم بن عبد شمس بن وايل (**) بن الغوث بن قطن بن عوف بن غريب ابن زهير بن ايمن [262] بن الهميسع بن عمرو بن حمير وهو العرنجج ابن سبا الاكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عامر(***) وهو هود هكذا **قال عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن الامير تميم بن المعز ابن باديس في تاريخه المترجم بالجمع البيان في أخبار المغرب والقيروان** وهم المقول فيهم .

ذووا(7م)الملك والتيجان والغرر التى حقيق بها التيجان أن تتباهيا
لها معجز (8) التأسيس في سد مأرب وان كان قد أوهاه فيض نداها
لها ركن بيت الله غير مدافع وميقات حج الله غير مضاهيا
لها اللغة العليا التى نزلت بها فواتح ياسين ومبدأ طه (8م)
لها يوم بدر والنضير وخيبر وأي مناد في حنين دعاها

قال : وأول من دخل منهم بلاد المغرب المثنى ابن المسور وكان سبب دخوله انه لما رأي الجبشة قد غلبت

---

* زيقوش زيادة من ج 2 : 102
** وائل في ج 2 : 102
*** عابر في ج 2 : 102.
(7م) ذوى في ج 2 : 102.
(8) معاجز في ج 2 : 103.
(8م) طهـا في ج 2 : 102.

على اليمن وأخرجت حميـر عن ملكها سار الى الشحر (*) فوجد به كاهنـا من حمير ، فلما رأى المثنى سلم عليه وسألـه عن خبـره وما الذي أتى به فأعلمه أن الحبشة غلبتهم على مذهم فقـال له الكاهن : اذهب الى المغرب (**) واتخذه قرارا فوالله ليكونن لولدك فيه شأن وليمكن منهم جماعة ويتوارثونه بطول ملكهم» فهاج ذلك المثنى على دخول المغرب» (***) فدخله وأعلـم المثنـى بنيـه بذلـك وأعلـم بنـوه ، بنيهـم فمـا زالـوا يتوقعـون الملك الى أن ولـد منـاد بن منقـوش ونشأ فجاء شديد القـوة كثيـر المـال والبنيـن [263] فاخذ في الافضال على من يمـر به فاشتهر ذكـره وشاع خبـره في النـاس وكان له مسجد يطرقه كل من يأتى اليـه فاذا خـرج الى الصلاة سلم على من ينـزل المسجد من الاضياف وحملـه

---

* الشحر : بكسر أوله واسكان الحاء المهملة، هو شجر عمان، وهو بساحل اليمن، وهو ممتد بينها وبين عمان. وارض الشحر متصلة بأرض حضرموت. والشحر مدينة كبيرة وليس بها زرع ولا ضرع، ويكون بها العنبر، وشجرها الكندر وابلها تتميز بسرعة عدوها ولغتها اللسان الحميرى فى القديم وسكانها قبيلة مهرة وجل مكاسبهم الابـل والمعـز والسمك. واكلهم السمك وشربهم الالبان وقليل الماء انظر البكرى. معجم ما استعجم 3 : 783، ياقوت الحموى : معجم البلدان مـدة شحر والحميرى : الروض المعطـار 338 — 339.

** لقد نشـأ خلاف كبير بين المؤرخين والنسابة حول صل قبيلة صنهاجة ، وهل هى عربية من حمير كما يرى ابن الكلبى والطبرى، وابن خلكان، وابن الاثير، وابن تغرى بردى وغيرهم من المتأخرين وعند هؤلاء أن صنهاجة — بهذا — ترجع الى صنهاج ابن المثنى بن المنصور ابن مصباح بن عيصاب ابن مالك بن عامر بن حمير الاصغر، من سبـأ. ويرى بعضهم انها قبيله عربية لكنها ترجع الى قيس عيلان.

ويرى فريق آخر كابن حـزم وابن خلدون وغيرهمـا من المتأخرين أنها قبيلة بربرية وليست عربيـة. والبلاذرى وابن حزم يعللان رفضها لنسبتهـا العربية بأن النسابين لـم يعلموا لقيس عيـلان ابنـا اسمه بـر اصـلا، وبأنـه لم يكن لحمير طريق الى بـلاد البربر. ويرى حسن أحمد محمود — بحـق — فى هـذه النسبـة العربيـة التى كانت صنهاجة تشيعها حول نفسها، رغبة من صنهاجة فى أن تقف على قدم المساواة مع القبائل العربية حتى تستطيع المشاركة فى الحياة السياسية الجديدة، التى أظلت المغرب بمجىء العرب. انظر فتوح البلدان ص 265، جمهرة أنساب العرب ص 495، وفيات الاعيان ج 1 ص 240، 271، العبر ج 6 ص 309 — 310. النجوم الزاهرة ج 5 ص 454، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج 4 ص 115، 129، حسـن أحمـد محمود : قيـام دولة المرابطين ص 37، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 3. لقبـال موسى : المغرب الاسلامى ص 17، دور كتامة فى تاريخ الخلافة الفاطمية ص 79 ومـا بعـدهـا.

*** مابين قوسين زيادة من ج 2 : 103، ع.

الى داره ويضيفه ويكرمه ويقيم عنده ما شاء الله ان يقيم ، فاذا اراد الانصراف زوده وكساه ووصله وصرفه.

فانه على ذلك اذ اتاه آت فقال له ان في المسجد رجلا وصل هذه الساعة وهو يذكر أنه جاء من الحج وكان وقت صلاة الظهر فخرج مناد الى المسجد فصلى وسلم على الرجل وسأله عن حاله ومن يكون ومن أين أقبل فقال انه من أهل المغرب وانه انصرف من (*) الحج فخرج عليه لصوص وأخذوا ما كان معه فانقطع عن اصحابه ووصل الى افريقية فسمع بمناد وما كان «يفعل» (**) مع أبناء السبيل فقصده ليعينه على الوصول الى أهله فقال له مناد قد وصلت فابشر بالخير ان شاء الله ومضى به مناد الى منزله فأكل ونام وأمر مناد بشاة فذبحت وعمل طعام ثان وأيقظ الرجل وأتى بالطعام فاكل منه ونظر الى كتف الشاة فأخذه وقلبه ونظر فيه والى مناد واقبل يتعجب فقال له مناد لاي شيء تنظر في الكتف وتنظر الي، قال : لا لشيء. فعزم مناد عليه أن يخبره مم تعجبه (***) فقال تلك امرأة حامل، قال : بلى [264] قال فلك منها أولاد قال لا ولكن من غيرها قال فاعرضهم على فأعرضهم مناد عليه فقال الك غير هؤلاء قال ليس لى ذكر الا من رأيت فقال احتفظ بالمرأة الحامل فوالله لتلدن ولدا يملك المغرب جميعه ويملك بنوه من بعده فقال له مناد والله ما زلنا نتولف زمان هذا القائم منا رواية عندنا عن أسلافنا وكنا لا نعلم من أي فخذ من أفخاذنا يكون والان فقد انبأتنى بنبأ ما كنا ننتظر من هذا القائم، قال : وأكرم مناد الرجل وصرفه

* أهل زيادة في ج 2 : 103.

** مابين قوسين زيادة من ج 2: 103، ع.

*** يعجب منه في ج 2 : 103.

ذكر أخبـــار زيرى بن منـــاد

قال : ووضعت زوجة مناد حملها فجاء ذكـرا فسماه أبـوه زيـــري فخرج من أجمل مولـود رآه النـــاس وكذلك كان أولاده يضرب بجمالهـم المثل في المغرب فيقال لو انك من بنى منـــاد فلما صار لـــه من العمـــر عشـــر سنين كان من رآه يظن أنه ابن عشرين سنة لبهائه ، وكان (*) الصبيـــان يدورون حوله ويدعونه بالسلطـــان ويركبون العيدان يتشبهون بالعساكر ويأمرهم بالقتال بين يديه ويغري بعضهم ببعض ويأتى بهـــم الى أمـــه فيصنع لهم الطعـــام فيقف على رؤوسهم ويطعمهم ولا يأكـــل

فلما تكامل شبابه وقوي أمره جمع اليه جماعة من بنى عمه ومن كان لـــه نجـــدة فكان يشن بهـــم [265] الغارات على القبائل من زنانـــة فيقتل ويسبى ويقسم على اصحابه فـــلا يؤثـــر نفسه بشىء فحسده كثيـــر من قبائـــل صنهاجـــة (9) لان كل قبيل كـــان يطمـــع أن يكون القائم فيهم فلمـــا تحققوا أنه القائم اجتمعت القبائل من صنهاجة على زيري وحاربوه وطالت الحرب بينهم فظفر بهم وقتـــل وسبا ورجع بالغنائـــم الى الجبـــل

فلما سمعت بذلك زناتة اجتمعوا وتحالفوا وكاتبوا من كان خالفه من صنهاجـــة وحالفوهم على حرب زيـــري فاتصل ذلك بـــه فخـــرج اليهـــم وضرب على زنـاتة «بأرض مغيلة في الليل وهم مطمئنون فقتلهم وسباهم وقطع منهم» (**) رؤوسا كثيـــرة وخرج الى جبل تيطـــري وقد امتـــلات أيدي أصحابه من الغنائـــم وأخذ من خيلهم ثلاث مائة فـــرس فحمـــل

---

* وكانت فى ج 2 : 104، ع.

(9) وصنهاجة — بضم الصاد وكسرها — علم يطلق على وطن وقبيلة، أما الوطن فهو قطعة من أرض الجزائر مابين وطن زواوة شرقا وأماكن زناتة غربا، ويمتد من الساحل البحرى من مدينة الجزائر الى تونس، ويحده وطن الحضنة والمسيلة والمدية ومليانة.

وأمـــا القبيلة ذاتها راجعة بنسبها الى جذمين : قـــار وحزمـــار ابنى صنهـــاج، من قبـــائل البرانس، وهى ذات بطون وأفخـــاذ منتشرة بكـــامل شمال افريقيا، لا يكاد يخلـــو منها مكان، عبد الرحمن محمد الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ج 1 ص 325.

** مابين قوسين زيادة من ج 2 : 105، ع.

أصحابه عليها وشاع خبره في سائر أقطار المغرب وتسامع الناس به فعظموا أمره واستهالوه واجتمع اليه كل من فيه منعة فكثر اصحابه وضاق بهم المتسع وقالوا له لو رأيت مكانا أوسع من مكاننا هذا فأتى الى موضع أشير وهو اذ ذاك خال ليس فيه ساكن وفيه عيون فاستحسنه .

ذكر بناء مدينة اشير (10) :

قال : ولما نظر زيري الى موضعها قال لاصحابه هذا موضعكم الذي يصلح ان تسكنوه وعزم على بنائها وذلك في سنة أربع **[266]** وعشرين وثلاث مائة (11) في أيام القائم بامر الله بن المهدي ، قال فامر زيري باحضار البنائين والنجارين من حمزة والمسيلة وطبنة وبعث الى القائم بامر الله في طلب صناع فبعث اليه برجل لم يكن بافريقية أعلم منه وأعانه بعدة كثيرة من الحديد وغيره وشرع زيري في البناء الى ان كملت المدينة .

وكانت زناتة قد استطالت على أهل تلك الناحية من أيام بني الاغلب ثم تزايد ضررهم في أيام المهدي والقائم ، فلما سمع القائم ببناء زيري هذه المدينة حمد الله تعالى على ذلك وقال مجاورة العرب خير لنا من مجاورة

(10) وهى تقع فى طرف افريقية الغربى مقابل بجاية، وجنوب مدينة الجزائر الحالية، وتقع فى سطح جبل تيطرى بولاية الزاب، ولا تزال أطلال أشير باقية حتى الان وتسمى «بنية» وقد كان الهدف من بناء أشير هو السيطرة على قبائل زناتة الدائمة الثورة، ويذكر الحميرى بأنها «تعرف بأشير زيرى، وكانت مدينة قديمة فيها أثار عجيبة وانما بنى زيرى سورها وحصنها وعمرها فليس فى تلك الاقطار أحصن منها، وهى بين جبال شامخة محيطة بها». أنظر البكرى ص.60، الادريسى ص 59، الحميرى ص 60. ، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 321.

(11) يروى ابن الاثير أن زيرى، بنى مدينة أشير سنة 364هـ «فسر بذلك القائم». ولكن القائم توفى عام 334 هـ/935م ولذلك فتاريخ النويرى أقرب الى الصحة (324هـ) ويفسر لنا البكرى الاسباب التى أدت الى خطأ ابن الاثير بقوله : «والذى بنى سورها بلجين يوسف بن زيرى ابن مناد الصنهاجى سنة 367 هـ» أى ان الاب (زيرى) قام بتعمير المدينة وجاء الابن (يوسف) فقام ببناء سورها. أنظر البكرى ص 60، الكامل ج 8 ص 624، عبد الحليم عويس : دولة بنى حماد ص 86 — 87.

البربــر وأعانه وساعده ، ثم خرج زيــري الى طبنة والمسيلة وحمرة فنقل منهــا وجوه الناس الى مدينة أشيــر فعمرت وجاءت حصنا منيعــــا لا تقاتل الا من شرقيها يحميها عشــرة من الرجال ولو لم يكن عليهــا ســور لاستغنت بعلوهــا عن الســور وفي وسطها عيــان تجريــان بمــاء عــذب غزيــر وامتلات البلــد بالعلمــاء والفقهــاء والتجار وتسامع النــاس بهــا ولم يكن النــاس اذ ذاك يتعاملون بالذهــب والفضة وانمــا بالبعير والبقــر والشاة ، فضرب زيري السكة وبسط العطاء في الجند وجعل لهــم الارزاق فكثرت الدنانير والدراهم في أيدي الناس وأطمانت نفوس [267] أهل البادية للحرث (*) والزراعة وصانهم زيري مما كان ينالهم من زناتة وتمكنــت العــداوة بيــن صنهاجــة وزنــاتــة .

ثــم خــرج زيــري الى المغــرب وولــى أخــاه مــاكســن ابــن منــاد على أشيــر ، فلمــا وصــل الــى جــراوة (12) خــرج اليه صاحبها موسى بن ابى العافيــة (13) وكان واليا عليها لعبد الرحمان ابن محمد الاموي صاحب قرطبة بهدية سنيه وجواري وغير ذلــك وقال لــه يا مــولاي انما استعملت نفسى لبنى أميــة لارهب بهم على زناتــة واذ قــد أتانى الله بــك وجمع بينى وبينك فأنــا عبدك ومنقطع اليــك

---

(12) جراوة قبيلة ومدينة، أسسها ابو العيش عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسين ابن جسن فى سنة 259هـ. بالبكري، والحميري، وفي سنة 257هـ بابن عذارى. وتعرف بجراوة مكنــاسة وهى فى سهل من الارض وكان عليها سور من الطوب، وداخلهــا قصبة، وحولهــا ارباض من جميع جهاتها. وحولها عدة من القبائل البربرية : مطغرة وبنى يفرن وودانة ويغمر، وبينها وبين البحر ستة اميال.

ولعل أحمد بن عبد السلام الجراوى شاعر بني عبد المؤمن من هده المدينة اذ كــان يدعى الجراوى، ويقال انــه مدح فى صبــاه عبد المؤمن ثــم مدح ابنه يوسف وابنــه يعقوب المنصور ومحمدا النــاصر بن المنصور، وتوفى فى عام العقاب سنــه 609 هـ، وكــان حافظا وصنف للمنصور يعقوب مجموعا من اشعار الناس رتبة على ابواب (الحماسة) وكان غيورا على الشعر حسودا للشعراء ناقدا عليهــم. البكــرى ص 142، البيــان المغرب ج 1 ص 196، الروض المعطار ص 162 — 163.

(13) هو موسى بن ابى العافيه بن ابى ياسيل بن ابى الضحاك بن تــامر يــس بن ادريــس بن وليف بن مكناس ابن سطيف المكناســي. ملك بــلاد تــازى وفــاس وطنجه والبصــرة. ابن الخطيب : أعمــال الاعلام، القســم الثالث ص 213.

* للحرب فى د،ج واعتقد ان للحرث أوفق للمعنى، كما فى ع.

وغوثك انت منى قريب وسيف قريب منى أمنع من سيف بعيد فقربه زيري وأدناه ، وقال له اكتب لى بما يعن (*) لك فأنا أمدك بالعساكر متى أردت فشكا اليه من غمارة (14) وقال انهم (**) قوم على غير مذهب يبيحون المحارم ، وقام فيهم رجل يدعى النبوة وسن سننا من المنكرات فرحل زيري الى غمارة وصحبه موسى فاوقع بهم وأخذ الدي يدعى النبوة فوصل به الى أشير وجمع عليه الفقهاء فقالوا له ان كنت نبيا فما علامة نبوتك فقال اسمى في القرآن ، قالوا وما اسمك ، قال اسمى حم واسم ابى من الله وفي القرآن حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، فأباحوا قتله [268] فقتل (15) ، قال واتصلت المودة بين زيري والقائم بأمر الله وسبب ذلك أن أبا يزيد لما حاصر المهدية ومنع الميرة عنها كتب القائم الى زيري يعلمه ما الناس فيه من الجهد والغلاء فبعث اليه زيري بألف حمل حنطة وأخرج معها مائتى فارس من صنهاجة وخمس مائة من عبيده ، فلما وصل ذلك الى المهدية بعث القائم له هدية لم يسمع بمثلها من كسا جليلة وخيل مسومة بسروج محلاة (16) .

ذكر الحرب بين زيري وزناتة :

قال ثم آن كمات بن مدينى الزناتى سيد زناته جيش واحتفل ونزل على أشير فخرج اليه زيري وكانت بينهم حروب يطول

---

* يعنوا ى ج 2 : 106. ** انتم ف د وصحتها من ج 2 :106

(14) كانت قبائل غمارة فرعا من قبائل مصموده البربريه، تسكن جبال الريف الممتدة بحذاء البحر المتوسط من نواحى سبته وطنجه غربا، الى وادى نكور بالقرب من المزمة أو الحسيمة الحالية شرقا. وتمتد بلادهم جنوبا الى قرب فاس. ويذكر المؤرخون أن عددا كبيرا منها قد انحرف عن الاسلام فى القرن الرابع الهجرى.

انظر البكرى 101، الاستبصار ص 190، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 21.

(15) هو المعروف عند البكرى بأبى محمد حاميم بن من الله بن حريز بن عمرو بن وجفوال بن زروال الملقب بالمفترى وينسب اليه جبل حساميم على مقربة من مدينة تيطاوان، ويروى انه قتل بأحواز طنجة فى حروب له مع قبائل مصمودة الساحل فى 315هـ على حد قول البكرى وابن خلدون، أو فى حروب مع جيوش الخليفة الاموى عبد الرحمان الناصر، على حد قول صاحب الاستبصار وصاحب مفاخر البربر

(16) قارن ابن الاثير اذ يلاحظ اتفاق مصدره مع النويرى ولكنه يختصر الاحداث، الكامل ج 8 ص 623 — 624.

شرحها وكان لزيــري ولــد صغير اسمه كبــاب استخلفه على البلد ومنعه من الخروج لصغــر سنه فلما سمــع الصياح وضــرب الطبول لبـــس لامــة الحــرب وركب وهو اذ ذاك لــم يراهق الحلــم وخرج من بـــاب المدينة وكان كمات قــد ابلى في ذلــك اليــوم بلاء حسنا وقتل جماعــة من أصحاب زيــري فوقعت عين كباب عليــه فقصــده وعلا عليــه من فوق ربــوة فضربه على عاتقــه وكانت على كمات درع فقــدت الضربة الــدرع والعاتق وسقطت ذراع كمــات الى الارض فخر صريعا والناس ينظرون اليــه ولا يعلمــون [269] من هو قاتله فلما صــرع انهزم أصحابه ورجع كباب الى المدينة ودخل من الباب الذي خــرج منه فسمى باب كباب .

قال : ولما قتل كمات وقع التكبير والصياح فجاء بعض الجند الى زيري وكان قد نظــر كباب وعرفه عند ضربه لكمــات وقال له ان ابنك كبــاب قاتلــه وأتى بجماعة من أصحابه اساري فأمر زيري بضــرب اعناقهــم وصلــب جماعــة من كبارهــم (17) .

قال : ثم ظهر في جبل أوراس قائم يقال له سعيد بن يوسف وأظهــر النفاق على المنصــور بن القائم وأخرج اليه زيري ولــده بلكيـــــن في جيش كثيف فلقيه في موضع يعرف بفحص أبى غزالة من غربى باغايـــه فاقتتلوا وكان سعيــد قــد احتفل في جمــع من هــوارة وغيرهم فهزمهم بلكين وقتل سعيدا وجماعة من أصحابه وانفذ برؤوسهم الى المنصور (18) فقوى الحسد (*) لزيري من جميع القبائل وجمعوا عليــه الجموع وكـــان منصــورا على جميــع من عانــده .

---

(17) ينفرد النويرى بهذه المعلومات من بين المصــادر الخاصة بتاريخ بــلاد المغرب مشرقيــة كــانت أم مغربيــة والحدث الذى يتنــاوله فى ستة عشر سطــر بالمخطــوط، يجمله ابن الاثير فى سطرين كالاتى «ثــم ان زنــاتة حصرت مدينة اشير، فجمع لهم زيرى جموعــا كثيرة، وجرى بينهم عــدة وقعــات قتل فيها كثير من الفريقين، ثــم ظفر بهم واستبــاحهم» انظر الكــامل. ج 8 ص 624.

(18) ابــن الاثــير : الكــامل جـ 8 ص 624.

* الجند فى ج 2 : 108.

ذكـــر مقتـــل زيـــري :

كان مقتله في شهر رمضان سنة ستين وثلاثمائة في أيـــام المعـــز لدين الله بن المنصور بن القائم بن المهدي وسبب ذلك ان جعفر بن علـى صاحب المسيلة كان أميرا على الـزاب (19) [270] كله وأبـوه هو الذي بنى المسيلة وكبر جعفر وشمخ فكان ملكا جليلا وكان في طاعة المعـز ابـن المنصور وبينه وبين زيـري ضغائن في النفـوس وعداوة في الصدور ثم اتفـق ان المعز لدين الله أمـر ببناء دار ابـن رباح وهى المعروفـة في القيروان بدار الامارة فشاع عند النـاس أنهـا بنيت لجعفـر بـن علـى وانــه يعطى ولايــة افريقية وان المغـرب كله يعطـى لزيـري معظـــم ذلك على جعفـر بن على وأراد ان لا يكـون لاحد معه في المغـرب ولايه فأنفذ المعـز لدين الله اليــه يستدعيه فلم يأت ولم يمتنـع فأرسـل اليه ثانية فرج (*) الصقلبى، فلما بقى بين فـرج وجعفر مقـدار مرحلـة ، وكان في المسيلــة فخرج منها وأظهـر المسير الى المعـز ثم مال بعسكره ومعه السلاح والاموال ومضى الى زناتــة وخلـع الطاعـة وأظهر ان الذي حمله على ذلك عـداوة زيري بن منـاد لانه كـان يؤذيه في أعماله ووصل فرج الصقلبــى الى المسيلــة فأخبروه بخبر جعفـر.

(19) ومؤسس اسـرة بنى حمدون، على بن حمدون بن سمـــاك بن مسعود بن منصور من عرب جـذام ويعـرف بابن الاندلسى، جـاء مع الجيـوش العربيه مـن اسـام واستقر بكـورة البيرة بالاندلس ثـم انتقل على بن حمدون الى المغرب واتصل بالمهدى أول الخلفـاء الفاطميين وابنــه القـائم من بعـده وكـان موضع ثقتـه فاسند اليه القـائم اختطـاط مدينة المسيلة فى 315هـ/927م وهى التى سميت بعد ذلك بـالمحمدية ثـم عقد لـه القـائم ولايـة الـزاب وأنزله بهـا ونشأ ولـدا ابنى حمدون جعفـر ويحيى بدار القـائم وكانت لابن حمدون جولات مع ابى يزيـد تجلى فيها جـده وفرط نفسـه الى أن قتل فى 334هـ، وعقـد المنصور بعد القضـاء على الثورة لجعفر بن على بن حمدون على المسية والزاب بالاشتراك مع أخيـه يحيى بن على بن حمدون فأقـامـا بهـا سلطانا ودوله وبنيـا القصـور والمتنزهـات وقصدهمـا العلمـاء والشعراء ومنهم ابن هـانىء الاندلسى. البكرى : المغرب فى ذكر بـلاد افريقية والمغرب ص 59، ابن عـذارى : البيـان المغرب ج 2 ص 278، 279، ابن خلدون : العبر ج 4 ص 32، 82 — 83، المقرى : نفـح الطيب ج 2 ص 2، 212، وللمحقـق : أثـر القبـائل العربية فى الحيـاة المغربية ص 52 — 53.

* فرج فى ج 2 : 108.

قال : ولما وصل جعفر الى زناتة قبلوه أحسن قبول وقدموه على أنفسهم فبلغ الخبر زيري فبادر بالخروج الى جعفر وزحف اليه في عسكر عظيم من صنهاجة وغيرها وذلك في شهر رمضان من السنة وزحف جعفر في زناتة والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا [271] فكبا بزيري فرسه فسقط الى الارض وكانت جولة عظيمة وقطعت قدامه خمس مائة يمين ثم قتل وبعث جعفر بن على أخاه يحيى الى الحكم صاحب الاندلس يبشره بقتل زيري ثم أحس جعفر أن زناتة يريدون الغدر به وأنهم ندموا على قتل زيري فاحتال لنفسه ودخل الاندلس (20).

قال وكان زيري حسن السيرة في الرعية والتجار وكان له اشير التى بناها وأعطاه المنصور تاهرت وأعمالها وباغاية وأعمالها ، وكان شديدا على البربر وأقام على ذلك ستا وعشرين سنة ورزق من الاولاد ما يزيد على المائة كلهم انجاد فرسان كرماء ، كاد أن يكتفى بهم في بعض حروبه رحمه الله تعالى .

ذكر أخبار أبى الفتوح يوسف بلكين بن زيرى بن مناد

ولى الرئاسة على صنهاجة بعد مقتل ابيه فكان أول ما بدأ به انه لما جاءه الخبر بمقتل أبيه وهو بأشير جمع وحشد ونهض لطلب دم أبيه فاجتمع له خلق كثير فقال لا يخرج معى أحد ممن حضر مقتل والدى فلم يخرج معه منهم غير ثلاثة رجال ومضى مسرعا حتى لحق بزناتة فجرت بينه وبينهم حروب صبرت [272] فيها صنهاجة صبرا جميلا ثم انهزمت زناتة وقتل منهم مقتلة عظيمة وسبى جميع نسائهم ونهب أموالهم وهرب من بقى منهم ونزل في موضع المعركة ثلاثة أيام فشكا صنهاجة ريح القتلى فنادى أن لا تطبخ في العسكر قدر الا على ثلاثة رؤوس من رؤوس القتلى وجعل الجثث أكواما وصعد المؤذنون فاذنوا عليها ثم رجع الى أشير.

(20) قارن ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج 8 ص 625.

فلما اتصل بالمعز لدين الله ما فعل يوسف بزناتة أعجبه (*) ذلك وسر بقتلهم فزاده على ما كان لابيه المسيلة وأعمالها التى كانت لجعفر بن على ثم كتب المعز الى يوسف في المحرم سنة احدى وستين وثلاث مائة في القدوم عليه وان لا يتشاغل بقتال أحد وأمره ان لا يعترض زناتة ولا غيرها في هذا الوقت وان يستعمل اللين والرفق بزناتة ويرد عليهم ما سبى من نسائهم وأولادهم فامتثل يوسف ما أمره المعز به ورد على زناتة سباياهم وتجهز للمسير اليه واستعمل على تاهرت وأشير والمسيله وبسكرة وطبنه وباغاية ومجانة عمالا من عبيده.

وسار حتى قدم على المعز فلما دخل عليه أكرمه وأثنا عليه وحمد أفعاله وذكر فراسته فيه واختياره له وخلع عليه خلعته التى كانت عليه ونزع سيفه فقلده أياه بيده وأمر أن [273] يحمل بين يديه عند خروجه من عنده اربعون تختا من فاخر الكساء ومعها رزم مما يخلع على أصحابه وقادوا بين يديه أربعين فرسا بالسروج المحلاة المثقلة فشق ذلك على الكتاميين وحسدوه وتكلموا عليه عند المعز وعابوه فلم يضره ذلك ، ولما عزم المعز على الرحيل الى مصر أتاه بلكين بألفى جمل لحمل أمواله من ابل زناتة.

ذكر ولاية أبى الفتوح يوسف بلكين بلاد المغرب :

وهو أول ملوك بنى زيري وذلك أن المعز لدين الله أبا تميم معد ابن المنصور بنصر الله بن القائم بأمر الله بن المهدي ، لما توجه من المنصورية الى ديار مصر في سنة احدى وستين وثلاث مائة بعد أن فتحها القائد جوهر له توجه بجميع من كان في قصره وأهل بيته ورحل معه يوسف الى سردانية فسلم اليه افريقية وأعمالها وساير أعمال المغرب وذلك في يوم الاربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة

* اعجبهم في ج 2 : 110.

احدى وستين وثلاث مائة وأمر سائر الناس بالسمع والطاعة له وفوض اليه جميع الاعمال الا جزيرة صقلية ، فانها كانت بيد أبي القاسم على بن حسن بن على بن أبي الحسين ، وكذلك طرابلس، فان المعز جعل عليها عند وصوله اليها عبد [274] الله بن يخلف الكتامي فلم تزل بيده الى أن توفى المعز ثم سلمها ابنه نزار الى يوسف هى وسرت وماوالاهما في سنة سبع وستين وثلاث مائة بسؤال يوسف لذلك .

قال : ولما ولى المعز، يوسف، ولى أيضا، أبا مضر زيادة الله ابن عبد الله بن القديم نظر الدواوين بسائر كور افريقية ، وقال ليوسف عند وداعه انى تركت زيادة الله بن القديم عونا لك على جميع الاموال بافريقية (21) كبره، وأوصاه وصايا كثيرة كان آحرها أن قال له : يا يوسف ان نسيت مما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء لا ترفع الجباية عن أهل البلاد ولا ترفع السيف عن البربر ولا تول أحدا من احوتك فانهم يرون انهم احق بهذا الامر منك، واستوصى بأبى مضر خيرا.

ثم ودعه يوسف ورجع فكان دخوله الى المنصورية في يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وستين وثلاث مائه ، فنزل بقصر السلطان وخرج اليه أهل القيروان وتلقوه وأظهروا الفرح بمقدمه والبشر والسرور به . فأخرج العمال وجباة الاموال الى سائر البلدان وعقد الولايات للعمال واستقامت الامور بحسن تدبيره ، ولما رتب ذلك كله رحل الى المغرب في شعبان من السنة فوصل [275] الى باغاية فولى عليها عاملا وأمره أن ان يلطف بأهلها ففعل فدخلوا في الطاعة ثم خالفوا فقاتلهم العامل فتحصنوا بمدينتهم فهم يوسف أن يرجع اليهم فوافاه رسول الخلوف بن

(21) يروى ابن الاثير ان المعز «جعل على جباية أموال افريقية زيادة الله بن القديم، وعلى الخراج عبد الجبار الخراساني، وحسين بن خلف الموصدي». الكامل ج 8 ص 620 — 621.

محمد عامله على تيهرت يذكر أن أهلها خالفوا فسار اليهم وقاتلهم ودخل البلد بالسيف في شهر رمضان فقتل وسبا ونهب وأحرق البلد واراد الرجوع الى باغاية فأتاه الخبر أن زناتة قد نزلوا على تلمسان فرحل اليهم فهربوا بين يديه فحصر تلمسان مدة فنزلوا على حكمه فعفا عنهم من القتل ونقلهم الى أشير فبنوا بقربها مدينة سموها بلنسان (22) .

ذكر ولاية عبد الله بن محمد الكاتب :

كان سبب ولايته ان يوسف كان قد ولى جعفر بن تمرت مدينة القيروان وصبره وجعل معه خيلا كثيرة عند مسيره الى بلاد المغرب في شهر ربيع الاول فمات في جمادى الاخرة فكتب ابن القديم الى أبي الفتوح بموته ويسأله ان يرسل اليه بدلا منه يعاونه على أمور البلد فاستعمل عبد الله على ذلك فأبى عليه وامتنع واستعفى مرة بعد اخرى فجمع يوسف حبوس بن زيري وكرامة بن ابراهيم وكباب بن زيري وخلوف بن أبي محمد وأحضر عبد الله ، وقال لاؤلئك ما جزاء من عاند أمري وخالف رأيي [276] ومرادي ولم يعبأ بما كلفته قالوا القتل ونحن نتولى قتله، فقال : كاتبى هذا أمرته بالرجوع الي افريقية اذ لا ينوب عنى أحد غيره فامتنع فقالوا له ان لم ترجع والا قتلناك فرجع كارها وعبد الله هذا من بني الاغلب كان أبوه محمد قد هرب الى نفزاوة فولد بها عبد الله فرباه خاله صالح وتعلم الخط والترسل فاستكتبه زيري وهو صبي شاب ثم استكتبه بعده أبو الفتوح فحظى (*) عنده وكان فصيحا بليغا عالما بلغة العرب ولسان البربر .

قال : فلما وصل عبد الله الي القيروان تلقاه ابن القديم وترجل كل منهما لصاحبه وتعانقا واتفقا وصارت كلمتهما واحدة ثم وقع بينهما بعد

(22) ابن الاثير : الكامل جـ 8 ص 622 «تلنسان» في ج 2 : 112.
* نحضى في د، نحصى في ج 2 : 112.

ذلك وكانت فتنة عظيمة بالقيروان يطول شرحها انتصر فيها عبد الله وقبض على ابن القديم وأرسله الى الامير أبى الفتوح فحبسه حتى مات.

وكانت ولاية ابن القديم سنتين وشهرا ونصفا ثم توفى في الاعتقال يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من جادى الاولى سنة ست وستين وثلاث مائة واستقل عبد الله بن محمد الكاتب وحده لثمان مضين من شهر ربيع الاول سنة أربع وستين وثلاث مائة (23).

ذكر أخبار خلف بن خير (24) :

[277] قال : وفي سنة أربع وستين وثلاث مائة صعد خلف بن خير من بنى هراش الى قلعة منيعة من ناحية بلده واجتمع اليه خلق عظيم (*) من سائر قبائل البربر وخرج اليه كل من كان قد خالف مع ابن القديم فكتب عبد الله الى أبى الفتوح كتابا يذكر فيه أن افريقية قد استوت كلها له وانه لا خوف بها الا من الذين اجتمعوا مع ابن خير (25) في القلعة فرحل يوسف الى القلعة ونازلها في عساكر عظيمة فظفر بها في اليوم الرابع من منازلتها وهرب خلف وقتل في القلعة ما لا يحصى وبعث منها سبعة آلاف رأس طوفها عبد الله في القيروان ثم بعث الى مصر ونفى اكثر ممن قتل ، وغنم جميع ما فيها وسار خلف بن خير الى بلد كتامة فبعث اليهم يوسف يقول برئت الذمة ممن دفع عنه وأواه ومن فعل جازيته فأخذه القوم الذين انتهى اليهم ومعه ابنه وأخوه وخمسة من بنى عمه وأتوا بهم (**) الى يوسف فأحسن صلته من جاء بهم وبعثهم الى عبد الله الكاتب وأمره ان يشهرهم ويطوف بهم على الجمال ففعل ذلك بهم ثم صلبهم وضرب اعناقهم وبعث برؤوسهم الى مصر.

(23) لاحظ اختصار ابن الاثير : الكامل ج 8 ص 622 — 623.
(24) «خلف بن حسين»، «ابن حبير»، «ابن خير» فى نسخ ابن الاثير. انظر الكامل 8 : 623.
* كثير فى ج 2 : 113.
(25) «حبير» وصحتها «خير» كما هو وارد من قبل ومن بعد بالنويرى.
** وأنزلهم فى ج 2 : 113

قال : ولما فتح ابو الفتوح هذه القلعة اختار من عبيدهم أربعة آلاف من الشجعان [278] فشح بقتلهم (*) لشجاعتهم وقربهم وأراد ان يجعلهم في جملة عبيده .تفق ان احدهم سأل عن أبى الفتوح وقال عندي نصيحة ، فاشاروا اليه الى ابن عم لابى الفتوح يقال له ابراهيم ابن اليزيد كان اشبه الناس بابى الفتوح ولا يشك الدي اشار اليه انه هو فاتاه وقال له انى اريد ان اخبرك بنصيحة فلما دنا منه ضربه بسكين كانت معه فشق بطنه واخرج امعاه فسقط من ساعته ميتا وكان ذلك الغلام لرجل ممن قتله ابو الفتوح في تلك القلعه فعندها امر بقتل اولئك فقتلوا في ساعه واحدة.

ثم بعث عشرة من أهل القيروان الى باغاية يحذرهم المخالفة ويطلب منهم النزول على حكمه والا فعل بهم ما فعل بأهل القلعة فاجابوا الى الطاعة ونزلوا على حكمه فحكم بأن يسلموا اليه القلعة ويمضوا حيث شاءوا ففعلوا ذلك ووفا لهم واخرب المدينة القديمة التى عليها السور (26) ونزل (**) الربض ثم أتى افريقية، واتاه الخبر بوفاة المعز لدين الله وولايه ابنه نزار ابن معد فكتب اليه يوسف في سنة سبع وستين يسأله في طرابلس وسرت واجدابيه فأجابه ودفع ذلك اليه.

وفي سنة تسع وستين رحل أبو الفتوح الى فاس [279] وسجلماسة (27) وأرض الهبط (28) فملك ذلك كله وطرد منه عمال بنى اميه

---

(26) قارن ما جاء بابن الاثير ولاحظ تميز النويرى بالتفصيلات والاسهاب، الكامل 8 : 623.

* بقتلهم فى ج 2 : 114. ** وترك فى ج 2 : 114

(27) تقع سجلماسة فى شمال وادى درعة، على طرف الصحراء فى آخر بلاد العمران، وهى تعرف الان باسم تافللت ويتفق صاحب الاستبصار وابن عذارى وابن خلدون على ان جماعة من الصفرية يبلغ عددها اربعين رجلا اجتمعوا فى سنة 140هـ/57 — 758م، فى موضع سجلماسة حيث تداولوا فى امرهم، وبعد أن قدموا على أنفسهم عيسى بن يزيد الاسود — الذى كان له شأن بين الخوارج — شرعوا فى بناء سجلماسة التى أصبحت عاصمة لدولة بنى واسول الصفرية فى الفترة من 140 — 297هـ/757 — 909م). الاستبصار ص 200 — 201، البيان المغرب ج 1 ص 156، العبر ج 6 ص 130، الحميرى ص—305 وما بعدها ، ليون الافريقى : وصف افريقيا ص 498 — 499.

(28) بلاد الهبط : يحددها ليون الافريقى بقوله «تبتدىء هذه الناحية جنوبا عند نهر

ثم بعث الى سبتة في طلب من لجأ اليها من زناتة فلقى فيما قرب منها جبالا شامخة وشعاري غامضة فأمر بقطعها واطلاق النيران عليها حتى وجد العسكر فيها مسلكا وأمر عساكره بالوقوف ومضى هو بنفسه وخواص أصحابه حتى أشرف على سبتة من جبل عال مطل عليها فخاف أهل سبتة منه وغلقوا أبوابهم فنظر اليها ورأى متعبًا فعلم انه لا يستطيعها الا بالمراكب فرجع عنها.

ومضى يريد البصرة – بصرى المغرب (29) – فلما علمت به زناتة رحلوا بأجمعهم الى الرمال والصحاري هاربين منه ودخل البصرة وكانت قد عمرت عمارة عظيمة مع بني الاغلب فأمر بنهبها وهدمها فهدمت وحرقت ورحل بعساكره الى بلد برغواطة (30) وكان ملكهم عيسى بن أبى الانصار (31) مشعوذا ساحرا فسحر من عقولهم حتى جعلوه نبيا وأطاعوه في كل ما أمرهم به

= ورغة لتنتهى شمالا على المحيط، وتتاخم غربا مسننقمات ازغسار، وشرقا الجبال المشرفة على أعمدة هرقل. ويبلغ عرضها نحو ثمانين ميلا، وطولها نحو مائة ميل». أما السلاوى فيحددها فيما بين قصر كتامة المعروف بالقصر الكبير الى أزغار البسيط الافيح هناك الى ساحل البحر الاخضر». وصف افريقيا ص 305 – 306، الاستقصا ج 2 ص 151.

(29) وهى تعرف ببصرة الكتان، اذ كان اهلها فى بدء أمرها جميع تجاراتهم بالكتان، او ببصرة الذبان، لكثرة البسانها، أو بالحمراء لانها حمراء التربة. أسسها الادارسة فى القرن الثالث الهجرى فى الوقت الذى أسست فيه أصيلا أو قريبا منه، استقرت بهما بعض قبيلة قضاعة العربية اذ يذكر البكرى أن مقبرتها الغربية تعرف بمقبرة قضاعة». أنظر المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 110، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 235، الحميرى : الروض المعطار ص 108، ليون الافريقى : وصف افريقيا ص 310، 311.

(30) وبلد برغواطة او دولة برغواطة، وقد نشأت فى القرن الثانى للهجرة فى اقليم تامسنا، أو ما يسمى اليوم بالشاوية. وهى الاراضى التى تبدأ من مكان مدينة الرباط الحالية وتمتد الى ثغر فضالة الذى كان قاعدة لاسطولها وتنتهى عند بلدة أزمور عند مصب وادى أم الربيع وقد اتخذت هذه الدولة مدينة شالة عاصمة لها فى بعض الاوقات. راجع احمد العبدى : أسفى وما اليه ص 35، ابن الخطيب : أعمال الاعلام، القسم الثالث ص 184.

(31) هو أبو منصور عيسى بن ابى الانصار عبد الله بن أبى عفير بن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف. البكرى ص 134 – 135 ويذكر ابن الاثير انه يسمى عيسى بن أم الانصار. انظر الكامل 8 : 666.

وشرع لهم شريعة وأتاهم بغير دين الاسلام فأتبعوه (*) فضل واضلهم فغزاهم أبو الفتوح وكانت بينهم حرب شديدة لم ير مثلها ، كان الظفر للمسلمين وقتل عيسى الكافر وتفرقت عساكره فقتلوا قتلا ذريعا وسبى من نسائهم وذراريهم ما لا [280] يحصى كثرة فأرسل بسبيهم الى افريقية ورجع أبو الفتوح وملك فاس وسجلماسة وبلد الهبط (32) والبصرة وجميع بلدان المغرب واقام في تلك النواحى من سنة تسع وستين وثلاث مائة الى سنة ثلاث وسبعين (33) .

ذكر وفاة أبي الفتوح يوسف :

كانت وفاته رحمه الله في يوم الاحد لسبع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة (34) عند قفوله من برغواطة وقد فصل من سجلماسة بموضع يقال له واركنين ويقال فيه واركلان (35) بعلة القولنج وقيل بحبة حرجت في يده فمات منها.

حكى الشيخ أبو محمد بن حزم في كتابه المترجم بنقط العروس (36)

* زيادة من ج 2 : 115.

(32) اخطأ الناسخ وكتب «بلد الهند» بدلا من «بلد الهبط» التى سبق له ايرادها دون خطأ فى الصفحة السابقة، فى كل من د، ج، ع.

(33) تسعين، اخطأ الناسخ وصححه فى السطور التالية سبعين، وكذا فى ج2: 115، ع

(34) بينما يتفق كل من ابن الاثير وابن عذارى مع النويرى خول تاريخ وفاة أبى الفتوح يوسف، يذكر ابن الخطيب انه توفى فى 372هـ. أنظر الكامل ج 9 ص 34، البيان المغرب ج 1 ص 239 (لتسع بقين من دى الحجة) واذا علمنا شيوع خطأ النساخ بالنسبة للعدد سبع وتسع ادركنا أسباب خطأ تاريخ اليوم عند ابن عذارى. انظر اعمال الاعلام: القسم الثالث ص 67.

(35) «وارجلان» البكرى ص 182، «واركنفو» ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 239، «وارقلين» ابن الاثير : الكامل 9 : 34 وهى مدينة فى طرف الصحراء مما يلى افريقية، تحتوى على سبعة حصون مسورة حصينة بعضها قريب من بعض، وهى كثيرة الزرع والضرع والبساتين والمياه. وبين واركلان (وارجلان) والجريد أربعة وعشرين يوما. الاستبصار. ص. 224. الادريسى ص 120، الحميرى ص.600.

(36) هو عبارة عن تراجم متفرقة لخلفاء بنى أمية بالاندلس مع الاهتمام بالاحداث الغريبة النادرة التى وتمت فى عهدهم وهو يضم معلومات مقتضبة جامة عن خلفاء المشرق والاندلس وحكامها، مما يرجح أن ابن حزم وضع نقاط لينشر حولها من بعد كتابا مطولا. وقد نشر هذا الكتاب المستشرق الالمانى زيبولد 1911م ثم أعاد نشره شوقى ضيف فى مجلة كلية الاداب بالقاهرة سنة 1954م. كما ترجمه الى الاسبانية المستشرق الاسبانى لويس سيكو دى لوثينا Seco de Lucena . انظر بالنثيا : الفكر الاندلسى ص 220، أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلسى ص 485.

ان بلكين بن زيري كان له في موضع الف امرأة لا يحل له نكاح واحدة منهن كلهن من نسل اخوته وأخواته ومن الرجال مثل هذا العدد (37) قال : وكان له قبل ان يستخلفه المعز لدين الله على المغرب قصور يشتمل على اربعمائة جارية فيقال ان البشارات تواترت عليه في يوم واحد بولادة سبعة عشر ولدا.

وكانت مدة امارته منذ تسلم المغرب من المعز لدين الله اثنتي عشرة سنة ومنذ قام بالامر بعد ابيه ثلاث عشرة سنة وشهورا [281] ولما مات قام بالامر بعده ابنه المنصور أبو الفتح.

ذكر ولاية أبى الفتح المنصور بن يوسف بلكين بن زيرى

قال : ولما توفي يوسف اسند وصيته الى أبى زغبل بن مسلم (*) وكان من جملة عبيده وخاصة قواده ، فكتب الى المنصور يعرفه بوفاة ابيه وكان المنصور اذ ذاك باشير فاستقل بالامر بعد أبيه وأتاه عبد الله ابن محمد الكاتب ومشايخ القيروان والقضاة وأصحاب الخراج فعزوه بأبيه وهنوه بالولاية فاكرمهم وعظمهم وأحسن جوائزهم وأعطاهم عشرة آلاف دينار فدعوا له وشكروه فقال لهم : «ان أبى وجدي أخذا الناس بالسيف قهرا وأنا لا آخذ الناس الا بالاحسان ولست ممن يولى بكتاب ولا يعزل بكتاب ولا احمد في هذا الملك الا الله ويدي وهذا الملك ما زال في يد آبائى وأجدادي ورثناه عن حمير» وكلام كثير في هذا المعنى ثم قال لهم انصرفوا في حفظ الله فان قلوب أهليكم مشغولة بكم، فانصرفوا وقدم المنصور الى رقادة في يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة أربع وسبعين وثلاث مائة فتلقاه،

(37) ابن حزم : نقط العروس ص 82 — 83. ولقد علق حسن حسنى عبد الوهاب حول النص بقوله : «ان هذه العادة ليست مستغربة على قبائل صنهاجة فى ذلك الوقت لانها ظلت رغم اسلامها تتبع تقاليدها البربرية القديمة» ولكن احمد مختار العبادى يوضح ان ابن حزم يتعجب من كثرة عدد محارم ابى الفتوح يوسف، اذ واضح من النص أنه لايعنى وجود علاقة محرمة بهن، أعمال الاعلام، القسم الثالث ص 68 حاشية (3)

* أبو زغبل بن هشام فى ابن عذارى : البيان المغرب 1:239

عبد [282] الله الكاتب ووجوه الناس فأظهر لهم الخير ووعدهم بكل جميل وأتاه العمال من كل بلد بالهدايا والاموال وأهدى اليه عبد الله ما لا يحيط به الوصف فجهز المنصور هدية الى نزار بلغت قيمتها انف الف دينار وأقام برفادة الى يوم الاربعاء لثالث بقين من ذي الحجة من السنة ورجع الى المغرب ومعه عبد الله الكاتب واستخلف عبد الله ابنه يوسف على القيروان فسار احسن سيرة (38).

وفي هذه السنة أعطى المنصور، أخاه يطوفت العساكر والعدد ووجهه الى فاس (**) وسجلماسة يطلب ردها وكانت زناتة قد ملكت تلك البلاد بعد موت أبى الفتوح فمضى حتى وصل الى قرب فاس وبها زيري ابن عطية الزناتي المعروف بالقرطاس ومعه عساكر زناتة فعاجله زيري والتقوا واقتتلوا فانهزم يطوفت وجميع من معه وتبعه زيري فقتل من عسكره خلقا عظيما واسر وهرب من سلم الى تيهرت فلما بلغ المنصور هزيمة يطوفت ارسل أخاه (***) عبد الله بعسكر يلقاه به ثم وصل يطوفت الى أشير فلم يتعرض المنصور بعدها لشيء من بلد زناتة (39) .

وفي سنة ست وسبعين أخذ يوسف بن عبد الله بن محمد الكاتب في بناء قصر المنصور [283] فبلغ الانفاق عليه ثمان مائة الف

---

(38) قارن ماأورده ابن الاثير : الكامل 9:34، ابن خلدون : العبر 6: 207 — 208 ولاحظ التفصيلات بالنويري.

**قابس فى كل من د، ج، ع. وصحتها ه. ابن عذارى : البيان المغرب 1:240.

*** اضاف جاسبار «يطوفت» فأصبحت الجملة «أرسل أخاه (يطوفت) عبد الله الكاتب بعسكر تلقاه به» ولكن فى د، ع. لجملة واضحة المعنى وهو ارسال المنصور المدد بقيادة أخيه عبد الله.

(39) قارن ما أورده ابن الاثير : الكامل 9 : 46، ابن خلدون : العبر 6 : 208. ولاحظ ايجاز كل منهما وتفصيل معلومات النويرى ويوضح ابن عذارى ما أجمله النويرى ويقدم لنا رواية اخرى بقوله : ولما بلغ المنصور هزيمة أخيه... خرج ومعه عبد الله الكاتب... وبعث المنصور الى أخيه يطوفت بجيش آخر فتلقاه بتيهرت. أنظر البيان المغرب 1 : 241.

دينـــار ثم عمل عليه وعلى قصـــر بجواره كان بنـــاه قديما شميع الصقلبى صاحب المظلة سورا محدقا عليهما وغرست حولـــه الاشجار من كل جهة.

وفي سنة سبع وسبعين وصـــل المتصور من أشيـــر الى افريقية في يـــوم الاثنين منتصف المحـــرم ونـــزل في قصـــره الذي بنى له وتـــزل عبد الله الكاتـــب وجميع القـــواد حوله ووصل كتاب السلطان نـــزار الى المنصور يعلمه أنه جعل الدعـــوة لعبد اللـــه بن محمد الكاتب ويأمـــره بذلك ففعـــل المنصور ذلك وأمـــره أن يفرش له قصـــر السلطان في الموضع المعروف بقصـــر الحجر وذلك في يـــوم الاثنين لسبع خلون من جمـــادى الاخـــرة منها وجلس فيه المنصور وأقرباؤه ووجوه بنى عمه ثم دخـــل عبد الله فأخـــذ عليهم الدعـــوة وصار عبد الله داعيـــا فذكر أنه لما تـــم هذا له مســـح بيـــده على رأسه وقال الان قد خلصت من القتل وأمنت على شعري وبشري وما علم أن ذلـــك سبب هلاكـــه (40) .

ذكـــر مقتـــل عبد الله بن محمـــد وولـــده يوســـف :

قال كان عبد الله قـــد بلغ مبلغـــا عظيما لم يبلغه أحـــد من قرابـــة المنصور وأهل دولته وانحصرت أمور المنصور كلها [284] تحـــت قبضتـــه وأعطى الرياسة حقها ووثـــق بما قـــدم من نصحه فرفع فيه حسن ابـــن خاله (*) الى المنصور أمورا من القـــدح في دولته وأنه كاتب ابـــن كلس وزيـــر نـــزار واختلفت بينهم السفراء وعقد الغدر بالمنصور ، فوجد المنصور لذلك وكان عبد الله لا يـــداري أحـــدا من أولاد زيري ووجـــوه بنى منـــاد وغيرهم من أكابـــر الدولة فلمـــا أحسوا من المنصور بعض الامر وشـــوا

(40) يلقى النويرى هنا الضوء على طبيعة العلاقات بين الخلافة الفاطمية بمصر والدولة الزيرية بافريقية وسلطة صاحب الدعوة الشيعية المعين من قبل الخليفة الفاطمى وقارن ابن الاثير : الكامل 9 : 51 وابن خلدون : العبر 6 : 208 ولاحظ عدم اهتمامهمـــا بهذا الموضوع. وقارن ابن عذارى الذى ينقل من نفس مصدر النويرى، البيان المغرب 1: 242 – 243.

* ابن خالته، فى ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 242، خالد، فى ج 2: 118 وفى نسخة أخرى خاله.

بعبد الله وطعنـوا عليه فاستراب المنصور به وأراد ابقاءه مع التحرز منه فقال له : اعتزل عمل افريقية واقتصر على الخاتم والكتابة وكل من تولى فهو متصرف تحت امرك ونهيك ، فكان جوابه ان قال : القتلة ولا العزلة، فلما كـان يوم الاحـد لاحدى عشـرة ليلة خلت من شهـر رجب سنة سبع وسبعين وثلاث مائة ركب المنصور فركب عبد الله وهو يقـول :

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابـض على الماء خانته فروج الاصابـع

فلما نـزل المنصور نـزل عبد الله فقبل يـده ثم وقف ودار بينهما كلام كثير لم يقف أحد على صحته فطعنه المنصور برمحه فجعل أكمامـه على وجهه وقال على ملة الله وملة رسوله ولم يسمع منه غير ذلك وطعنه عبد الله أخو المنصور برمحه بين كتفيه فأخرجه [285] من بين ثدييه (*) فسقط الى الارض ثم أتـى بابنه يوسف فصاح واستغاث وقال العفـو فضربه المنصور برمحه وضربه ماكسن بن زيـري وضربه سائـر من حضر فماتا جميعا ولما قتـلا جاء القاضي وشيوخ القيروان واجتمعـوا بالمنصـور فقال لهـم ما قتلـت عبد الله على مـال ولا شيء أغتنمه وانما خفتـه على نفسى فقتلتـه فدعوا لـه بطول البقاء ثم انصرفوا ودفـن عبد الله وابنه بغير غسل ولا كفـن، وانما رد عليهما التراب في اسطبل كان للمنصـور تحت الحنايا (**) بالقرب من قصـره.

قـال وولى المنصور بعده افريقيـة يوسـف ابن أبى محمد وكان على قفصـه فأتـى يـوم الخميس لخمس خلون من شعبان فأعطاه المنصور الطبول والبنود وخلع عليه ثيابـه وأنزله في دار القائد جوهـر فولي الى سنة اثنين وثمانـين ثم عزلـه يـوم الاحـد لسبع بقين من شهر ربيع الاول وولى أبا عبد الله محمد بن أبـى العرب الكاتب (41) .

* ثديته فى ج 2 : 119، يديه فى نسخة اخرى حاشية (2)

(41) بينما تتشابه معلومات ابن عذارى مع النويرى ويكمل كل منهما الاخر تتميز معلومات ابن الاثير وابن خلدون بالاختصار الشديد، وبمقارنة روايات المؤرخين السابقين يتضح لنا الى أى حد تتميز رواية النويرى بالوضوح والتفصيل الذى يدل على المعنـى الـذى يهدف المـؤرخ الى ايضـاحـه . أنظـر الكـامل 9 : 51، البيـــان المغـرب 1 : 242، 243، العبر 6 : 208.

** الجنايا فى ج 2 : 119.

ذكـر أخبار أبى الفهم حسن بن نصروية الخراسانى (42) :

كان أبو الفهم رجلا خراسانيا قدم في سنة ست وسبعين وثلاث مائة من مصر من قبل نزار داعيا فأنزله يوسف بن عبد الله وأجرى [286] عليه جرايات جليلـة وأعطاه أموالا سنية وبـره وأكرمه ، فطلب أبـو الفهـم الخروج الى بلد كتامة يدعوهم وينتهى (*) الى ما أمـره به نزار ووجهه اليه ، فكاتب يوسف أباه فكتب اليه عبد الله ان اعطه (**) ما أراد وأتركه يذهب حيث يشاء فأعطاه يوسف ما طلب وحمله على أفراس بسروح محلاة وحمل بين يديه تخوت ثياب وبدر دراهم وتوجه الى بلد كتامة فوصـل اليهـم ودعاهم ثم تزايدت أمـوره حتى صار يجمع العساكر ويركب الخيل وعمل بتودا وضرب سكة واجتمع اليه خلق كثير من كتامة ، وكان هـذا من الاسباب التى حقدها المنصور على عبد الله وابنه ثم ورد من مصر رسولان من نـزار الى المنصـور في سنة سبـع وسبعين احدهما رجـل كتامى يعرف بأبى العـزم ورجل من عبيدهم يقال له محمد بن ميمـون الوزان ومعهما سجلات الى المنصـور فقيل أنهما أمراه عن نـزار ان لا يعرض لابى الفهم ولا لكتامـة فشتمهما المنصـور وأسمعهما مكروهـا، وقال أبو الفهم وكتامة فعلوا وفعلوا وأغلظ لهما في القول ولمن أرسلهمـا فأقاما عنده شعبان وشهر رمضان ومنعهما من الخروج الى كتامة وأبـى الفهم وقال امضيـا معى اليه حتى تريـا ما يكون منه.

ثم تهيأ المنصور للخروج الى كتامة [287] وأبى الفهم وقد تفاقم أمره وظهرت سكتة وصار حوله جيوش عظيمة فسار المنصور حتى وصل الى بلاد كتامة وتثاقل في مسيره حتى دخلت سنة ثمان وسبعين وثلاث مائة، فلما قرب من ميلة عـزم على قتل أهلها فخرج اليه النسـاء والاطفال ، فلمـا رأهم بكى وكف عنهم القتل ونهبت العساكر كلما فيها وأمـر بهدم سورها

(42) ابو الفهم حسن بن نصر، ابن الاثير : الكامل 9 : 53.
* وينتمى فى ج 2 : 120 وتتفق النسخة الاخرى مع د.
** أعطـاه فى ج 2 : 120.

فهدم ونقل أهلها الى باغاية فاجتمعوا ومضوا اليها وقد سلم لبعضهم ما خف من عين وورق وغير ذلك فلقيهم ماكسن بن زيري بعسكره فأخذ كل ما كان معهم ثم رحل المنصور الى داخل بلد كتامة فجعل لا يمر للكتاميين بمنزل ولا قصر ولا دار الا أمر بهدم ذلك وحرقه بالنار ومعه أبو العزم وابن ميمون ينظران الى فعله ويقول لهما هؤلاء الذين زعمتما انهم يمضون بى بحبل في عنقى الى مولاكما وكانا قد خاطباه بذلك لما اجتمعا به .

وسار حتى بلغ مدينة سطيف وبها جمعهم فحاربهم وظفر بهم وهزمهم وهرب أبو الفهم الى جبل وعر فارسل اليه المنصور من أخذه وجاء به اليه فأدخله الى حرمه فضر به ضربا شديدا حتى اشرف على الموت ثم أمر المنصور باخراجه وقد بقيت فيه حشاشة من الروح فنحره وشق بطنه وأخرجت كبده فشويت وأكلت وشرح (***) عبيد المنصور لحمه وأكلوه [288] حتى لم يبق الا عظامه وذلك في يوم الثلاثاء لثلاث خلون من صفر سنة ثمان وسبعين. وقتل جماعة من وجوه كتامة وأنزل بهم الذل والهوان وولى بلدهم أبا زغبل بن مسلم وأولاده وبقيت ميله خرابا ثم عمرت بعد ذلك ودخل المنصور الى أشير ورد أبا العزم وابن الوزان الى مصر ليخبرا من أرسلهما فأخبراه بما كان منه وقالا اتينا من عند شياطين يأكلون بنى آدم ليسوا من البشر في شيء (43) .

وفي سنة تسع وسبعين وثلاث مائة ثار ثائر آخر ببلد كتامة يقال له أبو الفرج وقيل أنه كان يهوديا وقال لكتامة أنه من أولاد الامراء الذين كانوا بالمهدية وأن أباه كان من ولد القائم فانضموا اليه وكثرت جموعه واتخذ البنود والطبول وزحف الى عسكر أبى زعبل وقاتله فلم

*** تتفق نسخة مع د، وشرحوا في ج 2 : 121.

(43) قارن ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 53 — 54 ولاحظ الاسهاب فيما اورده النويري.

يقــم بحربه فكتب الى المنصــور فقــدم بعساكره والتقوا واقتتلوا فهزمهم المنصــور وقتل من كتامة مقتلة عظيمة وهرب أبــو الفرج واختفى في غار في جبل فعمل عليه غلامان كانا له فأخذاه وأتيــا به الى أبى زعبل فأتى (*) بــه الى المنصــور فقتله شــر قتلة وشحن بلــد كتامة بالعمــال والعساكر ورجع الى أشيــر (44) .

ذكــر وفــاة المنصــور أبــى الفتــح يوســف :

[289] فكانت وفاته في يوم الخميس لثالث خلون من شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين وثلاث مائة ، فكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة وشهرين وعشرة أيــام وكان ملكا كريما جوادا صارما وكانت أيامه أحسن أيــام وأطيبها وما زال مظفرا منصورا لا تــرد له رايــة (45) .

ذكر ولاية أبى مناد (46) باديس بن أبى الفتوح المنصــور بن يوسف

قال : ولما مات المنصور قام بالامر بعده بافريقية ولده أبو مناد وكان مولده في ليلة الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهــر ربيع الاول سنــة أربع وسبعين وثلاث مائة ، فلما صار الامر اليه رحل الى سردانية يوم الاربعاء عشرة بقيت من شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين وثلاث مائة ونزل في قصرها وأتاه النــاس من كل ناحية بافريقية للتهنئة والتعزية وأقام بسردانية أياما ثم رجع الى قصره وتوفى بعد ولايته الامير نزار وولى بعــده ابنه الحاكم بأمــر الله (47) . .

---

* نأوتى فى ج 2 : 121.
(44) ابن‌الاثير : الكامل جـ 9 ص 67.
(45) قارن ابن الاثير : الكامل 9 : 127.
(46) مياد فى د وصحتها من ج 2 : 122 وابن الاثير : الكامل 9 : 127، ابن عذارى: البيــان المغرب1 : 247.
(47) أنظر ابن الاثير : الكامل 9 : 127، ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 247 — 248، ابن خلدون : العبر 6 : 208 — 209.

ذكر ولاية حماد بن يوسف (48) مدينة أشير (49) :

قال : وفي صفر سنة سبع وثمانين وثلاث مائة عقد أبو [290] مناد ولاية أشير لعمه حماد بن يوسف بن زيري وأعطاه خيلا كثيرة وكسا ثم اتسعت اعماله وعظم شأنه وكثرت عساكره واجتمعت أمواله (50).

وفي يوم الثلثاء لسبع بقين من شهر ربيع الاخر سنه سبع وثمانين وثلاث مائة وصل من مصر الشريف الداعى على بن عبد الله العلوي المعروف بالتيهرتى وكان أبو مناد بعث في حشد عساكره وأجناده فلم يبق بافريقية وأعمالها فارس ولا راجل الا وصل الى المنصوريه فنزل أبو مناد بهم اليه في هذا اليوم فكانوا صفوفا من باب قصر السلطان بالمنصورية الى باب قلشانة فرأى الداعى من العساكر والعدد ما لم ير مثله ، وأتى بسجلين قرئا على منبر المنصورية والقيروان احدهما بولاية أبى مناد باديس وتلقيبه نصير الدولة والثانى بوفاة نزار وولاية ابنه الحاكم والجواب عن وفاة المنصور والعراء عن نزار وعن المنصور وكان معه سجل ثالث بأخذ البيعة على باديس وجماعة بنى مناد للحاكم ، فأنزل الشريف بدار الامير يوسف بجوار قصر السلطان ثم جلس باديس بعد ذلك وأحضر الشريف ودعا بنى مناد وسائر قبائل صنهاجة وأخذ عليهم البيعة ثم كان الشريف يجلس في الدار التى (*) نزل فيها ويأخذ البيعة على كل من أتاه من

---

(48) للتوسع حول سيرة حياة حماد. أنظر الاستبصار ص 168 — 170.

(49) بولاية باديس، تغير ذلك الهدوء النسبى الذى ساد الى عهد المنصور فى الاسرة الحاكمة. فزناتة بدات تغزو بلاد المغرب الاوسط بشراسة وعنف، وفى نفس الوقت ظهر الانشقاق والصراع فى البيت الزيرى. ولذلك اضطر باديس الى استعمال عمه حماد بن يوسف بن بلكين — الذى كان يتمتع بالثقة المطلقة التى جعلت منه الرجل الثانى طيلة عهد باديس — على اشير، واقطعه اياها، اى افرده بها بعد أن كانت بالتداول بينه وبين يطوفت، وأبى البهار، وأعطاه من الخيل والسلاح والمدد شيئا كثيرا. وكان يحمل لقب «نائب باديس». ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 154 — 386، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج 1 ص 240، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 322، 350 ، ابن أبى دينار : المؤنس فى اخبار افريقية وتونس ص 80.

(50) ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 127 — 128.

* الذى فى ج 2 : 123.

الصنهاجيين وغيرهم ثم [291] وصله أبو مناد بمال جليل وتخوت ثياب وبراذين بسروج محلاة وصرفه الى مصر ثم جهز هدية بعده (51) .

ذكر خروج محمد بن أبى العرب الى زناتة :

قال : وفي سنة تسع وثمانين وثلاث مائة وصل كتاب يطوفت ابن يوسف بن زيري الى ابن أخيه أبى مناد يعرفه أن زيري بن عطية الزناتي قد نزل عليه بتيهرت وسأله أن يمده بالعساكر فأمر باديس محمد بن أبى العرب (52) بالخروج فنهض بالعساكر الثقيلة حتى بلغ اشير فاقام بها أياما يسيرة ثم رحل ورحل معه حماد بن يوسف عاملها بعساكر عظيمة حتى وصلا الى تيهرت فاجتمعابيطوفت في غرة جمادى الاولى من السنة وكان زيري بن عطية بموضع يقال له امسان (53) على مرحلتين من تيهرت فزحفوا اليه واقتتلوا قتالا شديدا وكان معظم جيش حماد التلكاتيين (54) وكان قد أساء عشرتهم وكلف بأمورهم غلامه خلف الحميري (**) فسامهم الخسف فلما حمى الوطيس واشتد الياس ولوا منهزمين واتبعهم الناس فكانت الهزيمة على الجميع ورام محمد رد الناس فلم يقدر على ذلك ووصلوا الى أشير وقد اسلموا عساكرهم وما فيها من بيوت الاموال وخزائن السلاح والمضارب وغير ذلك [292]

---

(51) ينفرد النويرى بوصف وصول داعية الخليفة الفاطمى لاخذ البيعة من الاسرة الزيرية لكل خليفة فاطمى جديد وفى نفس الوقت يصف استقبال زيرى لهذا الداعيه وما يصاحبه من استعراض للقوة بهدف تحذير الفاطميين. اذ بالرغم من ان العلاقات الودية بين مصر والمغرب الادنى ظلت سائدة، فى عصر باديس، ولكن هذه العلاقات كانت فى الواقع قناعا زائفا يخفى وراءه ما كان قائما بالفعل بين الخليفه الفاطمى والامير الزيرى من حقد وعداء بسبب اتجاه الزيريين الى الاستقلال عن الدولة الفاطمية. قارن مما اورده ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 248 — 249

(52) «الكاتب» ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 249.

(53) امنان فى ج 2 : 124 آمسار بوادى منياس، ابن عذارى البيان المغرب ج 1 ص 250، وقارن ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص 107، عبد الحليم عويس : دولة بنى حماد ص 59.

(54) «الوتلكاتيين»، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 250، ويذكر ابن الاثير : «وكان اكثر عسكر حماد يكرهونه لقلة عطائه، فلما اشتد القتال انهزموا»، الكامل ج 9 ص 152.

** الجيزى فى د، ج وصحتها من ابن الاثير : الكامل 9 : 254.

فاحتوى زيري على جميع ذلك وأمر ان لا يتبعوا ووقف على باب تيهرت فخرج اليه أهلها فوعدهم الجميل وأطلق خلقا كثيرا ممن أسر في المعركة أو لجأ الى تيهرت فمضوا حتى وصلوا الى أشير (55) وكانت هذه الهزيمة يوم السبت لاربع خلون من جمدى الاولى منها.

قال : وبلغ خبر الهزيمة للامير باديس فبرز بنفسه من رقادة للقاء زيري ابن عطية وذلك لليلتين خلتا من جمادى الاخرة، فلما وصل الى قرب طبنة بعث في طلب فلفل بن سعيد بن خزرون فخاف وأرسل يعتذر وسأل ان يكتب له سجل ولاية طبنة الى أن يقدم باديس فكتب له سجلا بولايتها وبعث به اليه وتمادى أبو مناد في مسيره ، فلما علم فلفل أنه أبعد عنه اتى الى طبنة فأكل ما حولها ونهب وأفسد ومضى الى تيجس (55م) وما والاها فنهبها وتمادى الى باغاية فحصرها أياما ثم رحل عنها وباديس في هذا مستمر السير الى أشير فلما بلغ المسيلة، رحل زيري بن عطية عن أشير الى تيهرت فرحل اليها باديس فلما بلغها توغل زيري هاربا منه الى داخل المغرب.

فعند ذلك ولى أبو مناد على تيهرت وأشير عمه يطوفت فاستخلف يطوفت على تيهرت ابنه أيوب وتركه في أربعة آلاف فارس ثم رجع باديس الى أشير وعمه يطوفت معه [293] فبلغه ما فعل فلفل بن سعيد فأرسل اليه أبا زعبل وجعفر بن حبيب ومحمد بن حسن في عسكر ثم رحل بعدهم من أشير وبقي يطوفت ومعه أولاد زيري ، وقد سألوا باديس ان يتركهم أعوانا ليطوفت فأبى ذلك وقال لابد من رحيلكم معي فقالوا لنا أمور نقضيها ونلحق بك فتركهم على هذا .

(55) لاحظ مدى التطابق مع رواية ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 250، وايجاز ابن الاثير لنفس المعلومات، الكامل ج 9 ص 152.

(55م) يصفها البكرى بقوله : ومدينة يتجس عليها سور صخر رومى، ولها ربض وبها أسواق وحمام ولها من قبائل البربر نفزة.. وحمزة من زناتة. ويذكر الحميرى انها بمقربة من تيفاش بقرب وادى الدنانير عند قصر الافريقى، وهى مدينة اولية شامخة البناء، كثيرة الكلأ والربيع. أنظر المغرب فى ذكر بلاد افريقية ص 63 والروض المعطار ص 146.

ورحل ومعه أبو البهار بن زيري حتى وصل الى المسيلة فعيد بها عيد الفطر، فبينما هو في صلاة العيد اذ وصل الى ابى البهار رسول أخبره ان اخوته ماكسن وزاوي ومغنين وعرما نافقوا باشير وقبضوا على يطوفت وانه أفلت منهم بحيلة بعد أن عزموا على قتله فخاف أبو البهار أن يصل يطوفت الى باديس فيتهمه بمباطنة اخوته فهرب لوقته وطلب فلم يدرك فلقى يطوفت في طريقه فعرفه ما كان من اخوته فحلف أنه لم يعاقدهم على ذلك وانه انما هرب خوفا على نفسه وفارقه والتحق باخوته.

وسار يطوفت حتى لحق بابن أخيه الامير باديس وهو بالمسيلة فرحل الى افريقية فاتصل به ان فلفل بن سعيد قتل أبا زعبل وهزم أصحابه وأسر حميد بن ابى زغبل فمثل به ثم قتله وان فلفلا تمادى الى القيروان فرحل باديس الى باغاية فوصل اليها لاحدى عشرة بقيت من شوال فأقام بها بقية الشهر ورحل في غرة [294] ذي القعدة حتى وصل الى مرمجنة (56) فلما صار الى بنى سعيد زحف اليه فلفل في يوم الخميس لست خلون من ذي القعدة فلم يلقه باديس ولم يلتفت اليه فلما كان يوم الاثنين زحف فلفل اليه فالتقيا بوادي اغلان فكانت بينهم من الحروب العظيمة ما لم يسمع بمثلها وقد كان اجتمع لفلفل من قبائل البربر ما لا يحصى كثرة وكذلك من زناتة وكلهم أصحاب خسائف فثبتت صنهاجة بين يدي باديس وظهر منه في ذلك اليوم ما قرت به اعينهم ثم أجلت الحرب عن هزيمة زناتة والبربر هزيمة فاحشة وهرب فلفل واتبعته صنهاجة والعبيد حتى حال بينهما الليل ورحل باديس من الغد فنزل في مناخ فلفل وقتل من زناتة في ذلك اليوم تسعة آلاف [رجل] سوى من قتل من البربر.

(56) مرمجنة : تقع بالقرب من الاربس، وهى «مدينة كبيرة قديمة أولية وفيها آثار للاول وبها عيون سائحة». انظر البكرى ص 145، الادريسى ص 119 مرمجانة، الاستبصار ص 162.

ثم رحل باديس فوصل الى المنصورية (57) في يوم الاربعاء لعشر بقين من ذي القعدة ثم وصل الخبر أن فلفل بن سعيد وأولاد زيري بن مناد. عمومه والد باديس تصالحوا وتعاقدوا على قتال باديس فلما تحقق ذلك خرج الى رقادة سنة تسعين وثلاث مائة ورحل حاتى انتهى الى قصر الافريقى فبلغه أن أولاد زيري رجعوا الى المغرب خوفا منه وانه ما بقى مع فلفل منهم سوى ماكسن وولده محسن فرجع باديس الى المنصورية وفي سنة احدى وتسعين وثلاثمائة دخل باديس الى المغرب في طلب فلفل بن سعيد فهرب منه الى الرمال وافترق جمعه [295] فرجع باديس الى افريقية ومعه أبو البهار زيري عم أبيه ، وكان قبل ذلك قد أتاه معتذرا بأنه لم يدخل في شيء مما دخل فيه اخوته (*) فقبل عذره وطيب قلبه، واما فلفل بن سعيد فانه سار الى طرابلس فقبله أهلها أحسن قبول فدخلها واستوطن بها (58) .

وفي سنة اثنتين وتسعين وصل رسول ابن يوسف الى ابن اخيه باديس يذكر انه زحف اليه عمه ماكسن واولاده «ومن معه فكانت بينهم وقعة شديدة فقتل فيها ماكسن واولاده» (**) محسن وباديس وحباسه ثم توفى زيري بن عطيه الزناتى (***) بعد ذلك بتسعة أيام.

وفي سنة خمس وتسعين وثلاث مائة اشتد الغلاء بافريقية وأعقبه وباء عظيم فكان يدفن في اليوم الالف والاكثر والاقل (59) .

وفي سنة أربع مائة مات فلفل بن سعيد الزناتى من علة أصابته وولى أخوه وروا فأطاعته زناتة ثم سار باديس في عساكر عظيمة لقتال زناتة فلقيه في بعض الطريق عبد الله وشواشى أولاد ينال

(57) قارن التطابق مع ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 152 — 153.
(58) ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 251 — 252.
* اخوه فى د وصححتها من ج 2 : 126، ع.
** مابين قوسين زيادة من ج 2 : 126، ع.
(59) ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 155، 185، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 256 — 257. لاحظ التفصيلات برواية ابن عذارى.
*** الزيانى فى د وصححتها من ج 2 : 127، ع.

التركي وأصحابهما فعرفوه انهم لما علموا بخروجه أغلقوا أبواب طرابلس ومنعوا الزناتيين منها فسر بذلك ووصلهم وأحسن اليهم وسار الى طرابلس فتلقاه أهلها فدخلها ثم جاءته رسل وروا بن سعيد ومن معه من الزناتيين يرغبون في الامان ويسألون أن يجعلوا عمالا كسائر رجال (*) الدولة ووصل جماعة منهم فأحسن اليهم وأعطاهم نفزاوة على انهم يرحلون [296] عن اعمال طرابلس وأعطا النعيم قصطيلية ورجع الى المنصورية (60) ثم تغير وروا ومن معه وخلعوا الطاعة في سنة احدىوأربعمائة ورحلوا عن نفزاوة ولم يتغير النعيم فأضاف باديس نفزاوة الى النعيم، وفي سنة خمس وأربع مائة وصلت رسل الحاكم بأمر الله الى المنصورية وهما عبد العزيز بن أبى كدية وأبو القاسم بن حسين ومعهما خلع سنيه وسيف مكلل وسجل من الحاكم الى المنصور بن باديس بولايه ما يتولاه أبوه في حياته وبعد وفاته ولقبه عزيز الدولة فقرىء السجل على الناس بالمنصورية والقيروان وسر باديس به وتقرب وجوه الدولة الى المنصور بالهدايا الجليلة والاموال .

ذكر خلاف حماد بن يوسف واخيه ابراهيم على ابن أخيهما الامير باديس:

قال : كان سبب ذلك انه لما وصل سجل الحاكم الى المنصور ابن باديس ولقب أراد أبوه ان يقدمه ويرفع قدره ويضيف اليه اعمالا يستخدم له فيها اتباعه وصنائعه وكانت قد اتصلت به عن حماد امور انكرها وأراد اختبار حقيقة ما هو عليه فكتب اليه كتابا لطيفا يأمره فيه ان يسلم العمل الذي بيد أبى زغبل وهو مدينة تيجس وقصر الافريقى وقسطنطينية الى خليفه ولده المنصور ودعا [297] باديس هاشم بن جعفر فخلع عليه وأعطاه الطبول والبنود وأمره بالخروج الى هذا العمل فخرج (**) بخزائن وعدد وبعث باديس الى عمه ابراهيم بن يوسف يشاوره من يمضى بالكتاب الى حماد فقال ابراهيم لا يجد سيدنا من عبيده انصح له ولا انهض بخدمته منى وضمن له ذلك وأكد على نفسه العهود

* العمال فى ج 2 : 127 .
(60) ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 258 — 259.
** يخرج فى د آصحتها من ج 2 : 128، ع.

والمواثيق تبرعا منه وذكر انه لا يقيم في مضيه وعوده باحكام هذا الامر الا أقل من عشرين يوما .

فاشار على باديس ثقاته أن يعتقل (**) ابراهيم حتى يرى ما يكون من طاعة أخيه فأبت نفسه ذلك ، وقال له : امض الى أخيك ياعم فان كنت صادقا فيما عقدته على نفسك ووفيت بعهدك والا فاجعل يدك في يده وافعلا ما تقدران عليه وتستطيعانه فخرج ابراهيم بمال جملته أربعمائة الف دينار عينا وبجميع خزائنه وذخائره ورجاله وعبيده وكان خروجه على تلك الحال من أذل الاشياء على نفاقه وذلك لاحدى عشرة ليلة بقيت من شوال سنة خمس واربعمائة وصحبه هاشم بن جعفر وقد أضمر ابراهيم الغدر اذا صار الى الموضع الذي يدخل منه الى عمل أخيه فلما قرب منها ترك هاشما واعتذر اليه باشغاله بباجة وعدل الى طريقها ووعده ان يلحق به.

ومضى ابراهيم حتى وصل الى مدينة تامديت (***) وكاتب أخاه حمادا بالذي في نفسه فوصل اليه في ثلاثين الف فارس فاجتمعت [298] كلمتهما على خلع الطاعة واظهر النفاق فانتهى ذلك الى باديس فرحل لخمس خلون من ذي الحجة ونزل برقادة ووضع العطاء ثم رحل بعد عيد الاضحى وكتب الي هاشم بن جعفر ان يصعد الى قلعة شقنبارية فيتحصن بها ، ففعل فحاصره حماد وابراهيم بها ووقع بينهم قتال شديد فانهزم هاشم ومن معه الى باجة واحتوى حماد وابراهيم على جميع ما كان معه من الاموال والخزائن والاثقال والخدم ونجا هو بأولاده ووجوه أصحابه.

ورحل باديس حتى نزل بمكان يسمى قبر الشهيد. فوصل اليه جماعة كثيرة من عسكر حماد ثم ورد عليه كتاب من حماد على يد أبى مغنين الوتلكاتي يذكر فيه أنه على الطاعة

** يعتقد فى ج 2 : 128 ويتفق ابن عذارى مع د انظر البيان المغرب 1 : 261.
*** فى د، ع وكذا فى ابن عذارى : البيان المغرب1 : 262، تامدين فى ج2 : 128

وأنه كان قد هيأ هدية في جملتها الفا برذون وغير ذلك لينفذها الــى المنصور الى أن وافــاه ابراهيم واعتذر اعذارا كثيــرة فخالفها ما يظهر بوفاة ابنه المنصــور بجدري أصابه فكتم أصحابه عنه ذلك فبعث اليــه ابراهيم يقــول ان ولدك الذي [299] طلبت لــه ما طلبت قد مات فمـا تضعضع لذلك وتلقاه بالصبــر والشكــر وجلس للعزاء ، وذلك لخمــس خلون من صفــر .

ثم سار ونــزل بمدينــة دكمــة وجــاءه جماعــة مــن أقــارب حماد وخواصه ورجال دولته وكتاب من قبل خلف الحميري (*) وهو الوالى على مدينــة أشير وكان عند حماد اقرب من الولد لا يوازيه في رتبته أحد، يذكر انه منع حمادا من الدخول الى مدينة أشير واغلقها دونه فكان ذلك أول الفتــح واعظــم الظفــر .

قــال : فلمــا رأى حمــاد مخالفــة خلــف عليــه ، مضــى الــى تاهرت ورحل باديس يوم الجمعة الثانى من شهر ربيع الاول فنزل مدينة المحمدية وهى المسيلة فأقام بها ساتة أيام ثم زحف الى القلعــة ورجــع من غير قتال ثم انفد باديس أخاه كرامت الى المدينة التى أحدثها حمــاد فخرج اليها في عسكر كبير فهدم قصورها ومساكنها جزاء لما فعله حمــاد وأخوه في البلاد ولم يتعرض لاخذ مال ولا سفك دم واتصل ذلك بابراهيم فأقبل يهــدم كل قصر كان لاخيه خارجا عن القلعة مخافة أن يسبقه كرامت اليه وهرب من القلعة جماعة الى باديس وتركوا نساءهم وأموالهم وأولادهم فأقبل ابراهيم يذبح الاولاد على صدور امهاتهم، ويشق بطونهم، ويشوه بهم وفعــل أفعالا شنيعــة .

قــال : ورحــل باديــس الــى أشيــر ، ثــم منهــا الــى [300] وأدى شلف، ونزل حماد في الجهة الاخرى من الوادي، ورتب كــل منهمــا عساكره وعبأها وتهيــأ للحــرب والتقوا في يــوم الاحد غــرة جمادى الاول ، وكان حماد قــد اسند ظهــره الى جبــل بنى واطيل، وهو جبــل

* الحيرى فى د وصحتها من ج 2 : 129، ابن الاثير : الكامل 9 : 254.

منيـع صعب المرتقـى ، وبينه وبين عسكـر باديـس الوادي وهـو واد عميـق لا يطمع في تعديته لشـدة توعره ، وعمـق قعره وصعوبة انحداره، وكثـرة مائه فلمـا راى باديـس ذلك حمل بفرسـه واقتحم الوادي فتبعته العساكر، وعدت الرجالة سباحه ، فما كان الا دريجع الطـرف حتى صاروا في الجهـة الاخرى مـع عسكر حمـاد ثم اصطفـوا واقتتلوا واشتـد القتال، وكثـر القتل، فانكشف حمـاد، وتفـرق اصحابه عنه بعد قتـال شديد، فولى منهزما لا يلوي على «شيء»(*)، وقتل حرمه بيده، فوقف باديس عليهن وهن قتيلات، وخلص حماد فيمن ثبت معه من عبيده الى قلعة مغيلة، في خمسمائة فـارس ولولا اشتيغـال الناس بالنهب لما فاتهم ، وأصبح باديـس فبعث في طلب حماد فسبقهم الى القلعـة وأراد التحصن بها ان ادركتـه العساكر ثم سـار عنها الى قلعته فوصل اليهـا لسبع مضين من جمـادى الاولى واستعد للحصـار .

وسـار باديـس الـى المحمدية فوصـل اليهـا لليلتيـن بقيتـا من الشهـر ، فاتـاه رسـول عمـه ابراهيـم [301] بـالاعتـذار ويذكـر باديـس لما سلف بحماد من الخدمـة في دولتـه وانه هو الذي سـد ثغـور المغرب وقام محاميـا عن هذه الدولـة كقيـام الحجاج بـ يوسف بدولـة بني اميـه واعترف بالخطـا نرد عليه باديـس رسلـه بجواب واخلفت الرسائـل اليه منهما طلبا للمدافعـة فأمر باديس بالبذل وبـذل الرجالة الامـوال، وأعطى الالفـى دينـار والالف دينـار والخمس مائة ماشتـد ذلك على حمـاد ورأى من رجاله مـا انكـره وضعفت نفسه وغلت الاسعـار عنـده فجعل يكـذب على من عنـده ويكتب كتبا يذكـر فيها ان باديـس قد عـزم على الرحيل الـى افريقيا وان كتبـه تصـل اليـه في الصلح الى غيـر ذلك مما يختلقـه (**) وداوم باديـس الحصار حتـى مـات (61) .

* مابين قوسين زيادة من ج 2 : 130. ** يختلف في ج 2 : 131

(61) ابن الاثير : الكامل جـ 9 ص 253 — 255، ابن عذارى : البيان المغرب جـ 1 ص 261 — 264.

ذكر وفاة باديس .

كانت وفاته في ليلة الاربعاء آخر ذي القعدة سنة ست وأربعمائة وذلك أنه وصل اليه وهو في الحصار سليمان بن خلف بعساكر عظيمة، جمهورهم تلكاتة وصنهاجة، فضمن لباديس فتح القلعة وسائر بلاد المغرب، فلما كان يوم الثلاثاء لليلة بقيت من ذي القعدة، أمر باديس بالعرض فعرضهم الى الليل ثم مات في نصف الليل (62) فخرج الخادم الى حبيب بن أبى سعيد وباديس «بن» (63) [302] حمامة وأيوب ابن يطوفت ابن عمه وكان حبيب من أكبر رجاله وبينه وبين باديس ابن حمامة منافسة وعداوة . فلما اعلمه الخادم خرج حبيب مسرعا الى فازه باديس ، وخرج باديس مسرعا الى فازه حبيب، فاجتمعا في الطريق فقال كل منهما لصاحبه : «بيننا عداوة ولا تبرح والاولى بنا في هذا الوقت الموافقة والاجتماع في تدبير هذا المهم فاذا انقضى رجعنا الى ما كنا عليه» ، فحضرا ومعهما أيوب بن يطوفت، وقالا ، «ان صاحب هذا الامر بعيد منا والعدو قريب مشرف علينا ومتى لم نقدم رأسا نرجع في أمورنا اليه لم نامن العدو على انفسنا ونحن نعلم ان مثل تلكاته وصنهاجة المغرب الى كرامت بن المنصور اخى باديس» .

فاجتمع رأيهم على تولية كرامت ظاهرا فاذا وصلوا الى موضع الامن قدم المعز بن باديس وينقطع الخلاف ويصان بيوت الاموال والعدد فاحضروا كرامت وبايعوه وكتموا الامر وأصبحت العساكر للسلام على ما جرت به العادة ولم يعلم بوناته سوى من ذكرنا، فأرادوا صرف الناس بأن(*) يقولوا أن الامير قد أخذ دواء فبيناهم في ذلك أتى الخبر أن أهل مدينة المحمدية قد شاع عندهم

(62) يذكر ابن الخطيب أن وفاة باديس «بعقرب قتالة تعلقت بثيابه» أعمال الاعلام — القسم الثالث، ص 72.

(63) مابين قوسين زيادة من ج 2 : 131 وابن الاثير : الكامل ج 9 ص 256، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 266.

* ان فى د وصححتها من ج 2 : 132

موت باديس وانهم اغلقوا أبـواب المحمدية وطلعوا على [303] سورهـا وكأنما نودي في النـاس بوفاتـه فاضطرب لموته بنـوا منـاد وجميـع القـواد وخافوا من الفرقـة وشتات الكلمـة فاظهروا ولاية كرامت وأمـر بالكتب الى سائـر الاعمـال باسمه ولم يذكـر المعز بن باديـس ، فلما رأى عبيـد باديـس ومن كان على مثـل رأيهم من الحشـم والاجنـاد انكـرا ذلك انكـارا شديدا فخلا حبيب بن أبى سعيـد بأكابرهم وقـال : «انمـا رضينـاه وقدمناه على ان يحـوط الرجال ويحرس الخزائـن والاموال حتى يسلم جميع ذلك الى مستحقه وهو المعز» ومشى(**) بعضهم الى بعـض وتحالفوا على ذلـك سـرا.

ثـم اتفـق رأي الجميـع على تقديـم كرامـت في الخـروج الـى أشيـر ليحشـد قبـائـل تلكاتـة وصنهـاجـة فـاذا اجتمعـوا رجـع بهم الى المحمديـة فتقطـن بهـا وترحـل العساكـر بتـابـوت باديـس حتى يسلمـوه الى ولده المعـز ودفعوا الى كرامت مائة الف دينار وخزانـة سـلاح وأمتعة وتوجه الى مدينـة اشير يـوم الاحـد لاربـع خلـون من ذي الحجة سنة سـت وأربعمائـة (64) وكان من خبـره مـا نذكـره ان شـاء اللـه في أيـام المعـز .

وكانت مدة ولايـه باديـس عشرين سنـة وتسعة أشهر الا اربعة أيام وعمره اثنـان وثلاثون سنة وثمانية أشهـر وأيامـا .

[304] ذكر ولاية أبى تميم المعز بن أبى مناد باديس بن المنصور ابن يوسف بن زيرى

كانت ولايته بالمحمدية يـوم السبت لثلاث خلون من ذي الحجـة سنـة ست وأربعمائة على ما قدمنـاه وله من العمـر يـوم ذلك ثمـان سنين وسبعـة أشهـر واما ولايتـه بالمهدية فكانـت يـوم الاثنيـن

** رسما في د وصححناها من ج 2 : 132

(64) ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 256 ـ 257، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 266 ـ 267.

لسبـع بقين من ذي الحجـة هذا وذلـك ان الخبـر اما وصـل بمـوت باديـس كانت السيـدة أم مـلال (*) بالمهدية فخـرج اليها منصور ابـن رشيـق عامـل القيروان بجماعة القضـاة والفقهاء والمشايخ وشيـوخ صنهاجـة الى المهديـة يعزوهـا وأخرجت المعـز وبين يديه الطبـول والبنـود فنـزل اليـه النـاس وهنـوه وعزوه وعـاد الى قصـره ودخل النـاس على السيـدة فهنوها فأمرت منصور بن رشيـق بالانصراف بمن كان معـه فرجعوا الى القيروان (65) .

قال : واما العسكر الذي بالمهدية فانهم ارتحلوا عن منهاجها (**) يوم عيـد الاضحـى بعـد أن أضرمـوا النـار فيمـا كان هناك من الابنيـة وسارت العساكر على تعبئة الزحف مقدمة وساقة وقلبا تتقدمها التابـوت وأمامه البنـود والطبول والجنائب والقباب وكان وصولهم الى المنصورية يـوم الاثنين [305] لاربع خلون من المحـرم سنـة سبع وأربعمائـة ووصلوا الى المهديـة لثمـان خلون منـه فركب المعـز وقام حبيـب ابن أبـى سعيد عن يسـاره ونـزل الناس فوجا فوجـا وحبيب يعرفه بهـم قائدا قائـدا وعرافه عرافة وهو يسـأل النـاس عن أحوالهـم الطـف سؤال فرأى الناس من عقله واقباله وفطنته ما مـلأ قلوبهم وأقر عيونهم وقاموا يركبـون اليـه في كـل غدوه وعشيـة ثلاثة أيام ثم خرج المعـز من المهديـة الـى القيروان ودخـل المنصورية (66) يوم الجمعة النصف من المحـرم سنة سبع وأربعمائة فسـر به الناس وابتهجوا .

ذكـر قتـل الروافـض :

قـال وفي يوم السبـت سادس عشر المحرم منها ركب المعـز في القيـروان والناس يسلمون عليـه ويدعـون له فمـر بجماعة فسأل عنهم

* وكذا في ابن عذارى : البيان المغرب 1 : 267 «وام ملال» في ج 2 : 133 .

(65) ابن عذارى : البيان المغرب جـ 1 ص 267 .

** منـاخهـا في ج 2 : 133 .

(66) ابن الاثير : الكـامل جـ 9 ص 257، ابن عذارى : البيان المغرب جـ 1 ص 268، ابن الخطيب : اعمال الاعلام، القسم الثالث، ص 72 .

فقيل : هؤلاء رفضة والذين قبلهم سنة. فقال : «وأي شيء الرفضة والسنة» قالوا : «السنة يترضون عن أبى بكر وعمر ، والرفضة يسبونهما» فقال : «رضى الله عن أبى بكر وعمر» فانصرفت العامة من فورها الى الناحية المعروفة بدرب المقلا (67) من مدينة القيروان وهو موضع يشمل على جماعة منهم [306] فقتلوا منهم جماعة ووقع القتل فيهم فصادفت شهوة من العسكريين واتباعهم طمعا في النهب وانبسطت أيدي العامة فيهم فأقبل عامل القيروان يظهر أنه يسكن الناس وهو يحرضهم ويشير اليهم بزيادة الفتنة لانه كان قد أصلح البلد فبلغه انه معزول فأراد افساده فقتل من الرافضة خلق كثير في ديارهم وحوانيتهم وأحرقوهم بالنار وانتهبت ديارهم وأموالهم وزاد الامر واتصل القتل فيهم في جميع بلاد افريقية وقيل أن القتل وقع فيهم في جميع المغرب في يوم واحد في المدائن والقرى فلم يترك رجل ولا امرأة ولا طفل الا قتل واحرق بالنار ونجا من بقى منهم بالمهدية الى الجامع الذي بالحصن فقتلوا فيه عن آخرهم.

ولما كان في يوم الثلثاء لاثنى عشرة خلت من جمادى الاولى خرج من بقى من المشارقة (68) وهم الرافضة الى قصر المنصور بظاهر المنصورية وهم زهاء الف وخمس مائة وتحصنوا به فحاصرهم السنة فاشتد عليهم الحصار والجوع فأقبلوا يخرجون والناس يقتلون فيهم ويحرقون الى أن قتلوا عن (*) آخرهم وطهر الله تعالى المغرب منهم.

وعمل الشعراء في هذه الواقعة القصائد (69) فممن عمل فيها أبو الحسن الكاتب المعروف بابن زنجي من قصيدة :

---

(67) عند ابن عذارى «درب المقلي»، البيان المغرب ج 1 ص 268.

(68) كانت الشيعة تسمى بالمغرب المشارقة نسبة الى ابى عبد الله الشيعى، وكان من المشرق. ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 295.

* الى في ج 2 : 135.

(69) قارن التطابق مع ابن الأثير : الكامل ج 9 ص 294 — 295.

[307]

شفى الغيظ في طي الضمير المكتم — دماء كلاب حللت في المحرم
فلا ارقا الله الدموع التى جرت — أسى وجوى في ما أريق من الدم
هى المنة العظمى التى حل قدرها — وسارت بها الركبان في كل موسم
فيا سمرا أمسا علالة منجد — ويا خبرا أضحى فكاهة متهم
ويا نعمة بالقيروان تباشرت — بها غضب بين الحطيم وزمزم
وأهدت الى قبر النبى وصحبه — سلاما كعرف المسك عن كل مسلم
غزونا أعادي الدين لا رمح ينثنى — نبوا ولاحد الحسام المصمم
بكل فتى شهم الفؤاد كانما — تسربل يوم الروع جلده شيهم
اذا ام لم يشدد عرى متخوف — ان هم لم يحلل حبى متندم
من القيروانيين في المنصب الذي — نمى وإلى خير الصحابه ينتمى (70)

وأوسع الشعراء في ذلك وقالوا قصائد كثيرة تركناها اختصارا.

واما كرامت بن المنصور فانه أقام بمدينة اشير ومعه من تلكاتـه وغيرهم من قبائل صنهاجة فما شعر الا وقد وافاه حماد في الف وخمسمائة فنزل اليه كرامت في سبعة آلاف فلما شبت الحرب بينهم عمد التلكاتيون الى بيت ماله فانتهبوه ورجعوا على (*) ادراجهم فكانت الهزيمة على كرامت فدخل مدينة اشير وحماد في أثره فارسل الى كرامت ليجتمع به [308] فتوثق منه فأتاه فراوده حماد بثلاثة آلاف دينار وبعث معه من اصحابه من يشيعه فوصل الى الحضرة في يوم الاربعاء لاحدى عشرة بقيت من المحرم سنة سبع وأربعمائة وطلب حماد تلكاته وصنهاجة بما صار اليهم من أموال كرامت ومواشيه فتفرقوا عنه وامتنعوا عليه.

وفي يوم السبت لعشر بقين من صفر منها ولى محمد ابن حسن أمور المعز (**) وجيوشه وكان قبل ذلك على طرابلس وأضيف

(70) ينفرد النويرى بهذه القصيدة الخاصة بذم الشيعة.

* الى في ج 2 : 136 ** المغيرة في د وصححتها منج

اليـه قابس ونفزاوة وقصطيلية وقفصة فبعث عمالـه عليها وعقـــد لايـوب بن يطوفـت على سائـر أعمـال المغرب .

وفي يـوم الاحـد لعشر بقين من ذي الحجـة سنة سبع وأربعمائـة ختـن المعز وختـن معه من أبنـاء الضعفاء عـدة كثيرة وأعطوا الكساوي والنفقـة .

وفي آخـر ذي الحجـة هذا وصلت الرسل من مصر بسجل الحاكم الى المعـز واللقـب والتشريـف وخوطب بشرف الدولـة .

ذكـر مسيـر المعـز لحـرب حمـاد :

قال وفي يـوم الخميس لسبـع بقين من صفـر سنة ثمـان وأربعمائة يـرز المعـز الى مدينـة رقـادة في عساكـره وفـرق الامـوال ثم رحـل منها لاربـع خلـون من شهـر ربيـع الاول ووصل اليـه عـدة من القبائل من عسكـر حمـاد ومن كتامـة ، فجاءه الخبر أن ابراهيم وقف على [309] بـاب مدينة بـاغايـة ودعا بايـوب بن يطوفت فخرج اليه فعاتبه علـى ما كان منه وذكر انهـم اخـوة وان الـذي كان انما وقع بقضاء اللـه وقدره وقال نحن على طاعـة سيدنـا المعز وقد اردنـا ان نتم الصلـح علـى يـدك وحماد يقـرأ عليـك السـلام ويقـول لك ابعث من تثـق بـه أن يحلفنـي ويأخـذ علي من العمـود ما يسكـن اليه قلبـك ويكتب بـه

فانخـدع أيوب ودعا بحمامة أخيه وحبوس بن القاسم بن حمـامـة وأنفذهما معه ثـم تبعهما تورين (*) غـلام أيـوب وهو أعـز عنـده من اخوتـه فلمـا وصـل بهم ابراهيم الى أخيـه حمـاد انزلهم في فـازه السـلام ومضى الى أخيـه فأخبره فبعث اليهما ذكنـون بن أبـي حـلا فجـرد ما عليهمـا من الثيـاب والقى عليهمـا ثيابـا رثـة وقيدهما بقيدين ثقيلين وانفذهما الى القلعـة ودعـا حمـاد بتـورين فقـال لـه : هـذان

* بـورين في ج

ابنـا عمـى وانت فمـا جـاء بك معهمـا أردت ان نتـحدث فتقـــول قـال لى حمـاد وقلـت لحمـاد» وأمـر به فضربت عنقه ، فلما اتصـل الخبـر بالمعـز سـار بالعساكر حتـى انتهى الى حمـاد والتقوا واقتتلوا فكانـت الهزيمـة على حمـاد وعساكـره وقتـل حمـاة اصحابه واسـر ابراهيـم وفـر حمـاد وعقـد المعـز لعمـه كرامـت بن المنصـور على أعمـال المغـرب ففـرق عمالـه .

[310] ذكـر الصلـح بيـن المعـز وحمـاد عـم أبيـه :

قال: ولما تمت الهزيمة على حماد راسل(*) المعر في طلب الصلح واعترف بالخطـأ وسـأل العفـو عنه فأنفذ المعـز من يقف على صحة أمـره وصدق طاعته فعاد بسمعه وطاعتـه ورغب في تـرك العمل وان يعقـد له أخـــوه ابراهيـم ما يسكـن اليـه من العهـود والمواثيـق التى يطمئـن اليها فيبعث حينئـذ بولـده القائـد أو يصـل بنفسه فحصل الاتفـاق وأرسل ابنـه القائـد الى المعـز فوصل بعـد عودة المعـز الى المنصورية وذلـك في النصـف من شعبـان من السنـة فأكرمه المعـز واحسن اليه وكتـب لـه منشـورا بولايـة المسيلـة وطبنـة ومرسى الدجاج وزواوة ومقـرة ودكمـة وبلزمـة وسـوق حمـزة واعطى البنـود والطبـول وانصرف الى أبيـه لاربـع خلـون من رمضـان سنـة ثمان وأربع مائة، فلما وصـل الى أبيـه أظهـر الطاعـة وبقى القائـد يتـردد الى المعـز .

ذكـر مقتـل القائـد محمـد بن حسـن :

كـان مقتلـه لسبـع خلـون من شهـر ربيع الاخـر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وذلـك أنه كـان استقل بالامـور وجبى الامـوال منذ فوضت اليـه أمـور الدولـة فلم يدخـر درهما واحـدا في [311] سبـع سنين مع ما ورد من الهدايـا الجليلة والتقادم النفيسة وانتهت حاله الى أن أخـذ مـالا من الذخيرة فلـم يـرد عوضه وضاقت الدولـة واتسعت أحوالـه

* أرسل في د، ج.

وكثرت ابنيته التي لا تصلح الا للملوك وهادي الاكابر بمصر حتى وصل اليه سجل من الحضرة فضاق منه المعز فدس اليه بعض خواصه وأشار عليه ان يقتصر على الخدمة وله ما حصله من الاموال والابنية فأبى الا تماديا واستمرارا فقتله المعز في التاريخ الذي ذكرناه وكتب بالحوطة على أمواله ونعمه ورجاله وقلد القاسم بن محمد ابن أبى العرب سيفه واخرج بين يديه الطبول والبنود وصرف اليه النظر في سائر افريقية .

قال : ولما قتل محمد بن حسن ثار أخوه عبد الله بن حسن عامل طرابلس وغضب لذلك وبعث الى زناتة فعاهدهم وادخلهم طرابلس فقتلوا من كان بها من صنهاجة والعسكريين وأخذوا المدينة فلما انتهى ذلك الى المعز امر بالقبض على جميع بنى محمد وحبسهم ثم ظفر محمد بن وليمة بعبد الله فانفذه الى المعز فاعتقله ثم امر بقتل الجميع وذلك لما استغاثت نساء الصنهاجيين وأولادهم الذين قتلوا أبائهم بطرابلس (71) .

وكان بافريقية في تلك السنة مجاعة [312] شديدة لم يكن مثلها قط.

وفي ليلة الاربعاء لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة وأربعمائة ولد للمعز مولود سماه نزارا. وفي صفر سنة تسع عشرة واربعمائة ورد الخبر الى المعز بوفاة حماد بن يوسف بلكين وهو عم أبيه فكتب الى ولده القائد بالتعزية بأبيه.

وفي سنة تسع وعشرين واربعمائة خرج عسكر المعز الى الزاب ففتح مدينة قورس (*) وقتل من البربر خلقا كثيرا وفتح من بلاد زناتة قلعة تسمى كردوم (**) .

---

(71) ابن الاثير : الكامل جـ 9 ص 327 — 328.

* بورس فى ج، وابن الاثير : الكامل 9 : 461 يورس ونونس.

** كردم فى ج، وابن الاثير : الكامل 9 : 461.

وفي سنة ثلاثين وأربعمائة دخل قائده جزيرة جربة (***) ففتحها وقتل رجالها وأسر مقدمهم بن كلدة وصلبه لقطعهم الطريق وسوء اعتقادهم ، وفي سنة اثنتين وثلاثين وأربع مائة خرج المعز بجيوشه الى قلعة حماد (72) وحاصرها مدة سنتين وضيق عليهم لرجوعهم الى ما كانوا عليه من النفاق .

وفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة (73) أظهر المعز الدعاء للدولة العباسية ووردت عليه الرسل ووصله السجل من القائم

*** جريسه في ج

(72) قلعة بنى حماد : قام حماد ببناء القلعة لتدعيم استقلال دولته المادى والعسكرى والسياسى فى سنة 398 هـ/1007م . كان موقع القلعة محتلا من قبل بواسطة الرومان، ومن المعتقد أن قلعة رومانية كانت تقوم فى نفس موقع القلعة. وفى القرن الرابع الهجرى – أى قبل قيام القلعة الحمادية بقرابة نصف قرن، اتخذ ابو يزيد الشهير بصاحب الحمار، والثائر على الفاطميين، من هذا المكان حصنا يحتمى به فى صد القوات الفاطمية.

وقد اختطها حماد للتحصن والامتناع وتخزين المواد الغذائية والذخائر والاموال وغير ذلك، كما يؤكد هذه الوظيفة فرديناند جوتييه F. Gautier ودائرة المعارف الاسلامية ودوبليه، حين يوضحون أن حمادا قد راعى فى مكان اختيار القلعة ان يؤدى وظيفة عسكرية، تحميه من أعدائه القادمين من الغرب – زناتة – ومن اعدائه الذين يمكن أن يأتوا من المشرق – الزيريين –.

وتقع قلعة بنى حماد على جبل عجيسة البرنسية، وهو جبل عظيم من جبال كيانة، يمتاز بمناعته واطلالته على بحيرة الحضنة واتصاله بسهول نسيحة، وسمو علوه وصعوبة ارتقائه.

أنظر البكرى ص 49، الادريسى ص 86، الاستبصار ص 167، الحميرى ص 470

F. Gautier : le passé de l'afrique du nord ... p. 368.
De beylie : la kalaa des beni hammad - une capitale berbere
De l'afrique du nord ... p. 9
Encyclopedia of islam, v. II, p. 679.

(73) اختلف المؤرخون حول تحديد تاريخ انفصال المعز بن باديس عن الدولة الفاطميه فابن الاثير يتفق مع النويرى انه تم فى سنه 436هـ «فى هذه السنه اظهر المعز ببلاد افريقيه الدعاء للدولة العباسية» الكامل ج 9 ص 521. اما بن عذارى فيحدد سنه 440هـ لقطع الخطبة، 441 هـ.لتبديل السكة الشيعية الى السنية ويتفق كل من ابن الخطيب وابن ابى الضياف مع التاريخ الاخير. وكذلك يحدد لين بول سنه 438 معتمدا فى ذلك على اخر عمله نقدية وجدت تحمل اسم الخليفة الفاطمى فى مدينة المنصورية. واخيرا يذكر ابن عذارى انه فى سنه 443هـ «كان لباس السواد بالقيروان، والدعاء لبنى العباس» ويتفق المقريزى وابن ميسر مع هذا التاريخ لان وزارة أبى محمد اليازورى التى كانت من دواعى الانفصال، بدأت عام 442هـ. ويلاحظ أن تعدد هذه التواريخ يعكس لنا ظاهرة التدرج فى العداء ومراحل الانفصال الزيرى الفاطمى. أنظر ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 277، 278، 280، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ق 3 ص 73 حاشية 2.
المقريزى : اتعاظ الحنفا ج 2 ص 216، ابن ميسر : أخبار مصر ج 2 ص 5 – 6، ابن أبى الضياف : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان ج 1

بأمر الله وأوله من عبد الله ووليه أبى جعفر القائم بأمر الله أمير المومنين الى الملك الاوحد نور الاسلام وشرف الايام وعمدة الانام ناصر دين الله وقاهر أعداء الله ومؤيد سنة رسول الله صلى الله [313] عليه وسلم أبى نميم المعز ابن باديس بن المنصور ولى أمر المومنين بالفاظ طويلة وخلع طائلة وسيفه وفرسه وخاتمه والويه كثيرة فوصل ذلك في يوم الجمعه والخطيب على المنبر في الخطبة الثانية عند الاستغفار فدخلت الالويه الى الجامع فقيل للخطيب اذكر الساعة ما أمكن فقال هذا لواء الحمد يجمعكم وهذا معز الدين يسمعكم واستغفر الله لى ولكم.

ذكر خروج العرب الى المغرب والسبب الموجب لذلك :

كان سبب ذلك ان المستنصر لما ولى خلافة مصر بعد الظاهر ابن الحاكم خطب المعز في أيامه للقائم بأمر الله العباسى فكتب اليه وهو يرغبه ويرهبه ويقول له هلا (*) اقتفيت اثار من سلف من ابائك في الطاعة والولاء ويتوعده بارسال الجيوش فكتب المعز اليه ان ابائى واجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن يملكه أسلافك ولهم عليهم من الخدم (**) اعظم من التقديم ولو اخروهم لتقدموا باسيافهم

وكان المستنصر قد ولى وزارته في سنة اثنتين واربعين واربعمائة لابى محمد الحسن بن اليازوري ولقبه بالوزير الاجل المكين سيد الوزراء وتاج الامراء قاضى القضاة [314] وداعى الدعاة علم المجد خالصه أمير المؤمنين ولم يكن من أهل الوزارة ولا من الكتاب بل كان من أهل التناية (74) والملاحة بالشام فأجراه ملوك الاطراف في مكاتباتهم على سادة الوزراء الا المعز فانه امتنع من مخاطبته بما كان يخاطب به الوزراء قبله وذلك أنه كان يكاتب الوزراء بعبده فكاتبه بصنيعته فعظم ذلك

* هل لا فى د، ج. ** الخلل فى ج.
(74) التبانة، فى الاصل عند ابن الاثير و (التناية) فى الحاشية (1)، انظر الكامل ج9 ص 556. والتناية هى الزراعة.

عليه فأعمل الوزير الفكرة ودس الى زغبة ورياح (75) دسائس ووصلهم بصلات سنية وبعث اليهما أحد رجال الدولة حتى أصلح بين الفئتين بعد فتن توالت وحروب استمرت ودماء أريقت ثم أحضر أمراءهم وأباحهم على لسان المستنصر أعمال القيروان ووعدهم بالمدد والعدد وأمرهم بالعبث والاخراب فدخلت العرب الى بلاد المغرب في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة وانفذ اليازوري كتابا يقول فيه : «اما بعد فقد أرسلنا اليكم فحولا وأرسلنا عليها رجالا كهولا ليقضى الله أمرا كان مفعولا». ودخلت العرب فوجدوا بلادا خالية طيبة كثيرة المرعا كانت عمارتها زناتة فأبادهم المعز فأقاموا بها واستوطنوها وعثوا في اطراف البلاد وبلغ ذلك المعز فاستحقر أمرهم (76) لتمام المقدور.

ذكر وفاة القائد بن حماد وولاية [315] ابنه وقتله وولاية بلكين بن محمد :

وفي شهر رجب سنة ست وأربعين وأربعمائة توفى القائد بن حماد ابن يوسف بلكين بن زيري وكان في مرضه ولى ولده محسنا ووصاه بالاحسان الى بني حماد عمومته فلما ولى خالف ما أمره به أبوه وأراد عزل جميعهم فلما سمع عمه يوسف بن حماد ما أراده من الغدر باخوته بني حماد خالف عليه وجمع العساكر فاجتمع له خلق كثير وكان يوسف قد بنا قلعة في جبل منيع وسماها الطيارة فلما اتصل بمحسن خلافة خرج اليه والتقي بعسكر عمه مديني فانهزمت تلكاته عنه فظفر به فقتل من عمومته أربعة وهم مديني واخوته منادا ونعلانا وتميما وكتب الى عمه يوسف يأمره بالقدوم اليه فقال كيف اطمان اليك وقد قتلت أربعة من عمومتك.

(75) زغبة أخو رياح وهم أبناء أبى ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر. وبطون زغبة هم : يزيد وحصين ومالك وعامر وعروة. أما بطون رياح هم : عمر، وعلى، وغامر، وسعيد، ومرداس.

وكانت زغبة ورياح تقيمان على حدود مصر الغربية فى اقليم برقة. للمحقق : اثر القبائل العربية فى الحياة المغربية. ص 57، 202، 213.

(76) لاحظ التطابق مع ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 566 — 567.

وكـان ابـن عمـه بلكيـن بـن محمـد متولـى افـريـــون (*) نكتـب اليـه محسـن بأمـره بالقـدوم فقـدم عليـه فلمـا قـرب منه أمـر محسـن قوما من العرب ان يأتوه برأسه فلما خرجوا قال لهـم اميرهم خليفة بن مكن : «هذا بلكين لم يزل محسنا (**) إلينا فكيف نفعل بـه هذا» فأتـوه وأعلموه بما امـروا به فخاف عند ذلك فقـال له خليفة : «لا خوف عليك ان كنت تريد قتل محسن فانـا اقتله لك» فتـدرع [316] بلكين وركب وأقبـل يريد لقـآه فبلـغ محسنا قصـده اليه فهرب الـى القلعـة فأدركـوه في الطريق فقتله بلكين ودخل القلعـه وولـى الامـر وذلـك في شهـر ربيـع الاول سنة سبـع واربعين واربعمائة (77) .

نعـود الى أخبـار المعز بن باديـس ، قال : ولما تكاسلت صنهاجة عن قتال زناتة اشترى لمعز العبيد فاجتمع له ثلاثون الف مملوك وكانت العرب زغبة قد ملكوا مدينة طرابلس في سنـة ست واربعين ووصل مؤنس ابن يحيى المرداسى (78) الى المعز الى القيروان فأكرمـه المعـز وأحسـن اليـه فنهاه مونس ان يجعل للعـرب سبيلا الـى دخـول افريقيـة وقـال له : انهم قوم لا طاقة لك بهم فقـال له المعـز : هم دون ذلـك فلما رأي مونس استهزاء المعـز بالعـرب حرج عنه ولحـق بارض طرابلس

وتتابعوا بنوا رياح والاثبج (79) وبنوا عدي فدخلوا افريقية وقطعوا السبيـل وعاثـوا في البـلاد وعزموا على الوصـول الى القيروان فقـال لهم مؤنس : «ليس هذا عنـدي برأي وهذا يحتاج الى تدبيـر» فقالوا له :

---

* افريون فى ج، ابن الاثير : الكامل 9 : 601.

** محسبا فى د وصحتها من ج، ع.

(77) ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 600 — 601.

(78) وهو من قبيلة مرداس من رياح، ومرداس من اشهر بطونهم، ورياسة رياح لمرداس طوال عهدهم . أنظر المحقق : أثر القبائل العربية فى الحياة المغربية ص 202.

(79) الاثبج : يزعمون انهم من ولد الاثبج بن أبى ربيعة بن نهيك بن هلال وكانوا من أوفر القبائل الهلالية الداخلة لافريقية عـددا وأكثرهم بطونا وأهم بطونهم : دريد وكرفـة وقـرة وعيـاض والعاصم ومقدم ولطيف . أنظر للمحقق : أثر القبائل العربية فى الحياة المغربيـة ص 197.

«وكيف تحب ان نصنع» : قال : ايتوني ببساط فأتوه به فبسطه وقال لهم : «من يدخل الى وسط هذا البساط من غير ان يمشي عليه» قالوا : «وكيف يقدر أحد على [317] هذا» . قال : أنا ، «قالوا : فأرنا كيف تقدر على ذلك» (*) فطوى البساط وأتى الى طرفه ففتح منه مقدار ذراع ووقف عليه ثم فتح شيئا آخر ودخل اليه وقال هكذا : «فاصنعوا ببلاد المغرب أملكوها شيئا فشيئا حتى لا يبقى عليكم الا القيروان فاتوها فانكم تملكوها» فقال له رافع ابن حماد : صدقت يامؤنس والله انك لشيخ العرب وأميرها ، فقد قدمناك على انفسنا فلسنا نقطع أمرا دونك .

وقدم أمراء العرب الى المعز وهم : مطرف بن كسلان وفرخ بن أبي حسان وزياد بن الدوينة وفارس ابن كثير وفارس بن معروف وهم امراء بني رياح وساداتهم فانزلهم المعز وأكرمهم واحسن اليهم فخرجوا من عنده ولم يجازوه بما فعل معهم بل شنوا الغارات على البلاد وقطعوا على الرفاق وافسدوا الزروع وقطعوا الاشجار وحاصروا المدن فضاق الناس . وساءت أحوالهم وانقطعت اسفارهم وحل بافريقية من البلاء ما لم ينزل بها مثله قط (80) .

ذكر الحرب بين المعز والعرب وانتصار العرب عليه :

قال : ولما كان من أمرهم ما ذكرناه احتفل المعز وجمع العساكر وخرج في ثلاثين الف فارس ومثلهم رجالة حتى انتهى [318] الى جندران (81) وهو جبل على مسيرة ثلاثة أيام من القيروان وكانت عدة العرب ثلاثة آلاف فارس فلما شاهدوا عساكر صنهاجة هالهم ذلك فقال مؤنس بن يحيى المرداسي : يا وجوه العرب ما هو يوم فرار فقالوا : اين

* يابين قوسين زيادة في ج، ع.
(80) ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 567.
(81) جندرا في د، ع وصححتها من ج وابن الاثير : الكامل 9 : 567 وقرية بني هلال عند ابن عذاري ويضيف انه بعد الهزيمة — سلك أكثر الناس الجبل المعروف بحيدران — البيان لمغرب ج 1 ص 289 — 290.

نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكازغندات والمغافر ، فقال أمير منهم . في اعينهم فسمي من ذلك اليوم ابا العينين . والتقوا والتحم القتال وحميت الحرب فانتقضت صنهاجه على الهزيمة وتركوا المعز مع العبيد حتى ترى فعلهم ويقتل اكثرهم، وبعد ذلك يرجعون على العرب فانهزمت صنهاجه وثبت المعز والعبيد ووقع القتل فيهم فقتل منهم خلق كثير وحاولت صنهاجه الردة على العرب فلم يمكنهم واستمرت الهزيمة وقتل من صنهاجه امه عظيمه وانهزم المعز ودخل القيروان مهزوما على كثرة من كان معه وقله العرب واحتوت العرب على الخيل والعدد والخيم والاثقال والاموال وفيها يقول الشاعر .

وان ابن باديس لافضل مالك ولكن لعمري ما لديه رجال

ثلاثون الف منهم يغلبهم (82) ثلاثة آلاف (83) ان ذا لمحال

قال : ولما كان يوم عيد النحر من السنه جمع المعز سبعه وعشرين الف فارس وهجم على العرب وهم في صلاة العيد فقطعت [319] العرب الصلاة وركبوا خيولهم فانهزمت صنهاجة وقتل منهم خلق كثير ثم جمع المعز وخرج في صنهاجة وزناتة في جمع عظيم فلما اشرف على بيوت العرب ركبت العرب خيولها(*) وهم زغبة وعدي وكانوا سبعة آلاف والتقوا واقتتلوا فانهزمت صنهاجة وولى كل رجل منهم الى منزله ثم انهزمت زناتة وكان اميرها (**) المنصور بن خزرون وثبت المعز في من كان حوله من عبيده ثباتا ما سمع بمثله ثم رجع الى المنصورية واحصى من قتل من صنهاجة في ذلك اليوم فكانوا ثلاثة آلاف وثلاثمائة ثم اقبلت العرب حتى نزلوا بمصلى القيروان ووقعت الحرب فقتل من أهل رقاده والمنصورية خلق كثير فلما رأى المعز ذلك ذهب الى رفع الحرب بينهم وعلم عكس الدولة

(82) هزمتهم، عند ابن عذارى : البيان المغرب جـ 1 ص 290.
(83) الف، عند ابن الاثير : الكامل جـ 9 ص 568.

* خيولهم في ج . ** أميرهم في ج

وظن انهم راجعون فأباح لهم دخول القيروان لما يحتاجون اليه من بيع وشراء ، فلما دخلوا استطال عليهم العامة وأهانوهم فوقعت بينهم حرب كانت الغلبة ميها للعرب (84) .

قال : وكانت الكسرة الاولى على المعز في سنة ثلاث وأربعين والثانية في سنة اربع وأربعين واربعمائة .

ذكر انتقال المعز الى المهدية ومحاصرة العرب القيروان واستيلائهم عليها

[320] قال : وفي سنة ست وأربعين حاصرت العرب القيروان وأخذ مؤنس باجة، فاشار المعز على الرعية بالانتقال الى المهدية وشرع العرب في هدم الحصون والقصور وقلع الثمار وتعمية العيون وخراب الانهار فخرج المعز من القيروان الى المهدية في سنة تسع وأربعين وأربعمائة لليلتين مضتا من شعبان ، وكان بها ابنه الامير تميم ، فتلقا أباه ومشا في ركابه من ميانش (*) الى القصر وفي أول شهر رمضان منها نهبت العرب القيروان .

وفي سنة خمسين وأربعمائة خرج بلكيس بن محمد ومعه من العرب الاثبج وعدي لحرب زناتة فكسرهم وقتل منهم عددا كثيرا (85) .

وفي سنة احدى وخمسين قتل منصور آفروم البرغواطى فتله حموا بن مليل البرغواطى غدرا وملك سفاقس مكانه .

وفي سنة اربع وخمسين وأربعمائة ، غدر الناصر بن علناس ، بلكين بن محمد وولى مكانه وذلك في غرة شهر رجب (86).

---

(84) ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 568 — 569.

* ميابس فى د، ع وميانس فى ج وميانش فى البكرى ص 29. وصحتها من معجم البلدان 5 : 239 وهى قرية من قرى المهدية على بعد نصف فرسخ، ينسب اليها أحمد ابن محمد بن سعد الميانشى الاديب وعمر بن عبد المجيد بن الحسن المهدى الميانشى نزيل مكة.

(85) ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 569.

(86) ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 294 — 295.

ذكـر وفـاة المعـز بـن بـاديـس :

كانت وفاتـه في سنـة ثلاث وخمسين واربعمائة بضعف الكبد وكانت مدة اقامته في الملك سبعا (*) وأربعين سنة وكان رقيق القلب كثيـر الرحمة خـاشعـا لله، متحرزا من سفـك الـدمـاء، الا في [321] الحـدود حليمـا ينجاوز عن كبائر الجرائـم لينـا لخدامه وعبيده وجلسائه وندمائه حتـى كانه واحـد منهم أو أخ لهـم محبا للرعيـة مشفقا عليهم مكرمـا لأهل الفضل والعلم ، كثير العطاء لهم شجاعا كريما رحمه الله (87) .

وكان له من الاولاد الذين مـات عنهم تسعة وهم نـزار وتميم وعبد اللـه وعلى وعمـرو وحمـاد وبلكيـن وحمامة والمنصور ، ولما مـات المعـز ملـك بعـده ابنـه .

ذكر ولاية تميم بن المعز بن باديس ابن المنصور ابن يوسف ابـن زيـرى

كانت ولايته بعـد وفـاة ابيه في سنة ثلاث وخمسين واربعمائـة وكان أبوه قد ولاه المهدية في صفر سنة خمس واربعين ، وأقام بها الى ان خرج المعـز اليها فدبـر الامر بين يديه الى أن توفـي المعز فاستقـل بعـده بالملك ودخل القضاة ووجوه الناس اليه فعزوه بأبيـه وهنـوه بالولايـة، ووصل كتاب الناصر بـن علنـاس بذلـك.

ذكـر خـروج حموا عن طاعة الاميـر تميـم وحربه وانهزامه :

[322] وفي سنة خمس وخمسين واربع مائة خرج حموا بن مليل (88) صاحب مدينـة سفاقـس عن الطاعـة فجمـع اصحابـه واستعـان بالعرب فوافقته طائفة من الاثبج وعدي فزحف بهـم الى المنـزل المعروف ببيـر

* تسعا في د، ج وصححتها من ابن الاثير : الكامل 10 : 15.

(87) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 15.

(88) ابن مليك، ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 29، ابـن ومليـل، البرغـواطى، ابن عذارى البيـان المغـرب ج 1 ص 299.

قشيل فملكه ثم توجه منه نحو المهدية فخرج اليه تميم في عساكره ومعه طائفة من العرب زغبة ورياح ووصل الى حموا والتقوا واقتتلوا فكانت الهزيمة على حموا واصحابه وأخذهم السيف فقتل أكثر اصحابه ونجا هو بنفسه وكانت هذه الوقعة بسلقطة .

وفيها بعد هذه الوقعة قصد تميم مدينة سوسة وكان أهلها قد خالفوا على أبيه فملكها وعفا عنهم وحقن دماءهم (89) .

ذكر الحرب بين بني حماد والعرب وانتصار العرب عليهم :

وفي سنة سبع وخمسين واربعمائة كانت الحرب بين الناصر ابن علناس بن محمد بن حماد ومن معه من رجال المغاربة من صنهاجة وزناتة ومن العرب عدي والاثبج وبين العرب وهم رياح وزغبة وسليم (91) ومع هؤلاء المعز بن زيري الزناتي وكان سبب هذه الوقعة ان حماد بن يوسف بلكين جد الناصر كان بينه وبين باديس ابن المنصور الخلف الكبير والحرب التي ذكرناها ومات [323] باديس وهو يحاصر قلعة حماد كما ذكرنا ثم دخل حماد في طاعة المعز وكان القائد بن حماد بعد أبيه يضمر الغدر وخلع طاعة المعز والعجز يمنعه الى ان رأى قوة العرب وما نال المعز منهم فعندما خلع الطاعة واستبد بالبلاد وجاء بعده ولده محسن وبعده ابن عمه بلكين وبعده ابن عمه الناصر بن علناس وكل منهم متحصن بالقلعة وهي المعروفة بقلعة حماد وقد جعلوها دار ملكهم فلما رحل المعز من القيروان وصار الى المهدية وتمكنت العرب واخربوا البلاد ونهبوا الاموال انتقل كثير من أهل القرى والبلاد الى بلاد بني حماد

(89) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 29 — 30.

(91) هم بطن متسع من أوسع بطون مضر وأكثرهم عددا، انتقلوا الى افريقية مع الهلاليين وأقاموا ببرقة وجهات طرابلس زمانا ثم انتقلوا الى أفريقية ، أهم بطونهم : زغب وذباب وهبيب وعوف ولبيد، أنظر للمحقق : أثر القبائل العربية في الحياة المغربية ص 204.

لحصانتها فعمرت بلادهم، وكثرت أموالهم وفي نفوسهم ما فيها من الضغائن والحقود من باديس وبنيه (*) يرثه صغير عن كبير وولى تميم ابن المعز بعد أبيه واستبد كل منهم ببلد وقلعة وتميم بصبر وبيداري .

فاتصل بتميم ان الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه ويذمه وانه عزم على المسير ليحاصره بالمهدية وانه حالف بعض صنهاجة وزناتة وبني هلال ليعينوه على حصار المهدية ، فلما صح ذلك عنده ارسل الى بني رياح فأحضرهم اليه وقال لهم : «انتم تعلمون أن المهدية حصن منيع اكثرها في البحر لا تقابل [324] من البر الا من اربعة أبرجة يحميها أربعون رجلا ، وانما جمع الناصر هذه العساكر اليكم والى بلادكم» : فقال له أمراء العرب : «ان الذي قاله السلطان حق ونحب (**) منك المعونة بالعدة» فقال : «على العدة والرفادة» وأمرهم بعشرة آلاف دينار لكل امير منهم الف دينار والف درع والف رمح والف سيف هندي فخرجت الامراء من عنده وجمعوا رجالهم وتحالفوا على لقاء الناصر وأنفذوا شيخين سرا الى بني هلال الذين صاروا مع الناصر فقالا لهم : كيف وقعتم في هذا الامر وأردتم تلاف ملككم ، هذا الناصر قد سمعتم غدر جده حماد لباديس وغدر بنيه بعضهم بعضا وقد اتفق مع زناتة فاذا وطى بلدنا بصنهاجة وزناتة قاصدا تميم بن المعز وتميم في حصن منيع بالمهدية لا يقدر عليه فعندما يملك بلاد افريقية ويخرجنا وأياكم عنها، فقال لهما مشائخ بني هلال : والله لقد صدقتم فاذا التقينا فقاتلوا فأنا ننهزم ونرجع عليهم فاذا ملكنا رقابهم كان لنا من الغنيمة الثلث ولكم الثلثان . فقال الشيخان : رضينا .

---

* وبينه في د.

** ويجب في د.

وأرسل المعـز بن زيـري الزناتــى الى من مــع الناصر من زناتــة بنحــو ذلك فوعـدوه أن ينهزموا .

فحينئذ رحلت رياح وزناتة جميعا وسار اليهم الناصر بصنهاجة وزناتة وبنى هلال [325] فالتقوا بموضع يسمى سبيبه (92) فلما تراءى الجمعان حملت بنوا رياح على بنى هلال فانهزم بنوا هلال كما وقع الاتفاق وأظهروا الغــدر من وراء العسكر فانهزم عند ذلـك الناصر بن علناس وسلـم في عشــرة افــراس .

فكــان جملة من قتــل في هذه الوقعــة من صنهاجـة وزنــاتـــــة اربعة وعشرون ألفا وصارت الغنائــم كلهــا للعرب وبهذه الوقعــة تــم لهم ملــك البــلاد فان أكثرهم عند دخولهم كانــوا رجالة والفرسان منهم في اضــق حال فتقاسموا هذه الغنائــم على ما قرروه بينهم الا الطبول والبوقات والفازات بأبغالها فانهم حملوها الى تميــم فردها ولم يقبلها فعــز ذلــك على العــرب وقالوا نحــن خدمك وجند بين يديك ، فقال : ما فعلــت هذا انتقاصــا بكم وانمــا المانــع منه أنني لا أرضا أخذ سلب ابن عمــى وظهر عليــه من الحزن بقــوة العرب مالم يوصــف (93) .

ذكــر بنــاء مدينــة بجايــه (94) والسبــب فيــه :

قــال : ولما كانت هذه الوقعة بين بنى (*) حماد والعرب وبلغ الناصر مــا نــال ابن عمــه تميــم من الالــم والحزن وكان وزيــره أبو بكر ابــن أبى المتبــوج مجبا في دولة تميــم فقــال للناصر : «يــا مولاي الــم اثــر

(92) سبتة، عند ابن الاثير وهذا غير صحيح، انظر الكامل ج 10 ص 46.

(93) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 44 — 46.

* يدى فى د وصحتها من ع، ج.

(94) بجاية : مدينة بالجزائر من عمل قسنطينة وتقع على ساحل البحر المتوسط فى خليج مفتوح تكتنفه جبــال بابور. وكان المكــان الذى تقع فيه بجاية موقعا لمدينة أسسهــا الفينيقيون تعرف باســم ـــ صلــدة ـــ ثم انتقلت الى الرومانيين وعرفت باسم صلداى، ثم خربت بعد ذلك ولــم يعرف تاريخ اندثارها ولكن الشىء الثابت أنها كانت من أهم مدن نوميديا، وكانت بها أسقفية الى أوائل القرن الخامس الميلادى، ومن بداية العصر الاسلامى، لم يكن لها شأن، وكانت تسكنها قبيلة بجاية او بوجى. انظر دائرة المعارف الاسلامية، مــادة بجاية.

عليك ان لا تقصد ابن عمك وان تتفقا على العرب فلو [326] اتفقتما لاخرجتما العرب» فصدقه الناصر ورجع الى قوله وقال له : «اصلح ذات بيننا» فأرسل الوزير رسولا من عنده الى تميم يعتذر ويرغب في الاصلاح فقبل تميم قوله .

وأراد أن يرسل رسولا الى الناصر فاستشار أصحابه فاتفقوا على ارسال محمد بن البعبع وقالوا هذا رجل غريب قد شمله احسانك وبرك وقد اقتنى من انعامك الاموال والاملاك وهو لا يعرف صنهاجة فما يصلح لهذا الامر سواه فاحضر تميم، محمد بن البعبع وأمر له بعبيد وخيل وكسا ودنانير واوصاه وأرسله وأجاز الرسول الواصل .

وخرجا معا الى أن وصلا الى بجاية وهي حينئذ منزل ينزله رعيه (95) البربر فنظرها ابن البعبع وتأملها وقال في نفسه: هذا المكان يصلح مدينة ومرسى وصناعة للسفن وتمادى الى أن وصل الى القلعة ودخل على الناصر وقد علم ابن البعبع ان الوزير محب في دولة تميم فلما انبسط ودفع المكاتبة قال للناصر : «يا مولاي معي وصية اليك فأحب أن تخلى المجلس» فقال الناصر : «ليس هنا الا الوزير وأنا لا أخفى عنه أمرا» فقال : بهذا أمرني سيدنا تميم ، فقال الناصر لوزيره انصرف ، فلما خرج قال محمد للناصر : «يامولاي ان الوزير مخامر عليك مع تميم وهو لا يخفى عنه من أمورك شيئا ، وتميم مشغول مع عبيده النصارى [327] قد استبد بهم وأطرح صنهاجة وتلكاته وجميع القبائل ، فوالله لو وصلت بعسكر الى المهدية ما بت الا فيها لبعض الاجناد والرعية في تميم وأنا أشير عليك بما تملك به المهدية وغيرها ، وقد عبرت الان ببجاية فرأيت فيها مرافق من صناعة وميناء وجميع

---

(95) زغبة في د، ج، وصححنها من ع، وابن الاثير : الكامل 10 : 47.

ما يصلح لبنـاء مدينة فاجعلهـا لك مدينة يكون فيها دار ملكـك (96) وتقـرب من جميع بـلاد افريقية وانا انتقـل اليك بأهلي وولـدي واتـرك مالي بالمهديـة من الرباع وأخدمك حق الخدمة» فأجابه الناصـر الى ذلـك واستـراب من وزيـره.

وخـرج النـاصـر من ساعتـه ومعـه ابـن البعبـع الـى بجايه وترك الوزير بالقلعه ذوعـلا اليها ورسم ابن البعبع المدينـة والصناعه والميناء وموضع القصـر واللؤلؤة وأمـر الناصر من ساعتـه بالبنـاء والعمل وشكـره واثنا عليه وعاهده على وزارته ورجعا جميعـا الـى القلعـة .

وأحضـر الوزيـر وقال : هذا محـب لدولتنا ناصـح في خدمتنـا وقـد أشار علينـا ببناء بجايـة وعـزم على الانتقال الينا بالاهـل والولد فاكتـب له جـواب كتبه الى تميـم وأمر لـه بألف دينـار وأربع خـدم وأربـع وصايف وأربع بغال من مراكبه وسـار ابن البعبـع فوصل الـى المهدية بكتب ناقصة وصلة تامة فاستراب به تميم وسألـه عـن [328] بنـاء بجاية وسببه فقال ي مـولاي مالي بهذا علـم أنا رجل غريب فتحقق تميم أنـه الذي أشـار عليه ببنائها وخـرج ابن البعبـع الى داره خائفـا وجـلا .

وكـان لمـا فـارق الناصـر سأله ان ينفذ معـه رجلا من ثقاته ينفذ معـه ما يعايـن من الاخبـار فنفـذ معـه رجـلا فلما خرج الى داره كتب الى الناصـر انني لمـا وصلت الى تميـم لم يسألنـي عن شيء قبـل

(96) يذكر المؤرخون اسبابا اخرى لبنـاء بجاية، فابن الخطيب يقول : لما استقـام الامر للناصر بن علناس، كـره مجاوره بنى حماد أكناف القلعة المنسوبة اليهم، اذ كان يسكنهـا من فرسـان صنهاجة اثنا عشر الف فـارس، فبنى قريبا منها بالجبل مدينـة وتصورا شامخة ..... وهو الذى بنى مدينة بجاية، وسماها الناصرية، وبنى بهـا قصر اللؤلؤة — انظر اعمال الاعلام، ق 3، ص 94، 96. وثمة آراء أخرى يرى بعضها أن بنـاء بجـاية يرجع الى مجرد الخوف من غزوات الهلاليين، ويرى بعضها أن بنـاء بجاية يرجع الى الصدفة، اذ أن الناصر كان يمر في طريقه الى القلعة فأعجبته ضيعة صغيرة لصنهاجة تدعى بجـاية. انظر الحميرى : الروض المعطار ص 80 — 82، دائرة المعارف الاسلامية ج 3 ص 351، رابح بونار : المغرب العربي ص. 211، . ابراهيم العـدوى : المجتمع المغربى ص 273.

سؤالــه عن امــر بجاية وانــه قــد وقع على قلبــه منها أمــر عظيم وقد اتهمنى فانظــر من تثــق به من العــرب ممن يصــل الى أولاد عكايــش فاننى خــارج اليهم مسرعا وقد عاقدتهم علي ذلك فتنفذ من بنــى هــلال من تثــق بــه وقد أوثقت شيوخ(*) زويلة وغيرها على طاعتــك فالله اللــه اســرع الى بمن ذكــرت .

قــال : فمضــى الرســول بالكتــاب فقــرأه النــاصــر وأوقــف الوزيــر أبا بكر عليه فاستحسن الوزيــر (**) ذلك منه وقال : لقد خدم هــذا الرجل ونصــح . فقــال النــاصــر : خذ الكتــاب اليــك وجاوب الرجل عنه وانظــر في انفــاذ العرب اليــه قــولا وفعــلا ولا تؤخــر ذلك عنه. فمضــى الوزيــر الى داره وكتــب نسخــة كتاب ابن البعبــع وحكاها حتى كأنها هي خشيــة ان يسألــه الناصــر عن الكتاب بعد ذلــك وانفــذ كتابه الذي بخطــه الى تميــم وكتــب كتابــا منه يصــف الحــال من [329] أوله الى آخــره .

فلمــا وقف تميــم على ذلك عجب منــه وبقــى يتوقــع له ما يأخذه به وجعل عليــه من يحرسه في ليلــه ونهــاره من حيث لا يشعــر فأتاه بعــض الحــرس واخبــره ان ابن البعبــع صنع طعاما وأحضــر عنــده الشريف الفهري وكان هذا الشريف من خواص تميم فلما أصبــح استدعاه تميــم فحضــر وقال : يــا مولاي ما كنت الا واصــلا اليك وحدثه ان محمــد بن البعبــع دعانــى وقــال لــى : أنــا في ذمامك وحسبك أحب ان تعرفنى من ايــن أخــرج من المهدية فانــت أعــرف النــاس بذلك فقلت لــه ولــم تفعل ذلك وأنت في هذه المنزلة الكبيــرة مع مولانا تميم فقال انــه اتهمنى اننى اشــرت على الناصــر ببناء بجاية وقــد خفت فقلت له يــا أبــا عبد اللــه ان كنت سالمــا من قــول قلتــه أو أمــر أبرمته فلا تبالــى فسيدنــا تميــم رجل رؤوف لا يواخذ بقــول ولا بظــن ، فقال : دعنــى

---

* ممسوح في د وصححتها من ع، ج

** الوزير زيادة في د، ع.

فلا قدرة لي على المقام فقلت له أنا أنظر في هذا الامر بالغداة ان شاء الله وأعرفك بمن تثق به من العرب فأخذ يدي على ذلك.

قال : فاخرج تميم كتاب ابن البعبع الذي بخطه الى الناصر وأوقف الشريف عليه ثم قال له احضره الى فمضى الشريف اليه وقال : سيدنا تميم أمر بحضورك معي ولا يكون الا خيرا [330] فلبس ثيابه (*) وخرجا فلقيهما ماضي بن عكايش فقال له يا أبا عبد الله، الهلاليون قد وصلوا الينا البارحة وهذه كتب قد وصلت اليك معهم فتناولها الشريف من يده فقال له ابن البعبع استر على ستر الله عليك وسأله فدخلا القصر وابن البعبع بسأله فيها فقال : خذها فوالله ما ينفعك أخذها فتناولها وخرج تميم اليهما فجزع ابن البعبع حتى سقطت الكتب من يده واذا عنوان احدها من الناصر بن علناس الى شيخنا وخليلنا فقال له : تميم من أين هذه الكتب فسكت فقرأها تميم فوجد فيها الحجة عليه فقال ابن البعبع : العفو يا مولانا فقال : لا عفا الله عنك وأمر بضرب عنقه وتغريق جثته (97).

ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس :

وفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة سير تميم عسكرا كثيفا الى مدينة تونس فأقام محاصرا لها مضيقا عليها سنة وشهرين وكان بها احمد بن خراسان وقد أظهر الخلاف وسبب ذلك ان المعز بن باديس أبا تميم لما فارق القيروان والمنصورية ودخل الى المهدية استخلف على القيروان وعلى تونس قائد بن ميمون الصنهاجي فأقام بها ثلاث سنين ثم غلبته هوارة عليها فسلمها [331] اليهم وخرج الى المهدية فلما ولى تميم بعد أبيه رده اليها فأقام بها مدة ست سنين ثم أظهر الخلاف على تميم واطاع الناصر بن علناس فجرد اليه

* :يابيها في د وصححتها من ع، ج.
(97) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 46 ــ 49.

تميم عسكرا من أجناده وعبيده فعلم انه لا طاقة له بهم فترك القيروان وسار الى الناصر ودخل عسكر تميم القيروان وخربوا قصر القائد الذي بناه بباب سلم وسار العسكر الى تونس وبها ابن خراسان فحصروه فأطاع وصالح الامير تميم واما قائد بن ميمون فانه مكث عند الناصر سنتين ثم مضى الى حموا بن مليل فاشترى له مدينة القيروان من العرب وولاه عليها فابتدأ بناء سورها وحصنها (98) .

وفي سنة سبعين وأربعمائة تم الصلح بين تميم والناصر ابن علناس وزوجة تميم ابنته السيدة بلارة (*) وجهزها اليه من المهدية في البر (99) .

ذكر استيلاء مالك بن علوي الصخري على القيروان وأخذها منه وعودها الى تميم :

وفي سنة ست وسبعين وأربعمائة جمع مالك بن علوي العرب وسار الى المهدية وحصرها فدفعه تميم عنها ولم يظفر منها بشيء فسار الى القيروان فحصرها وملكها فجرد تميم العساكر اليه فحصروه بها فلما رأى مالك أنه لا طاقة له بعساكر تميم تركها واستولت [332] عساكر تميم عليها وعادت الى ملكه كما كانت (100) .

ذكر ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها :

قال : وفي سنة احدى وثمانين وأربعمائة اجتمع الروم في اربع مائة قطعة وأعانهم الفرنج وأتوا كلهم الى جزيرة قوصرة واخربوا ونهبوا وأحرقوا وملكوا مدينة زويلة وهى بقرب المهدية وكانت

---

(98) ابن الاثير . الكامل ج 10 ص 50 — 51.

* نلاره فى د وصحتها من ع، ج وابن الاثير 10 : 107، ابن عذارى 1 : 300.

(99) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 107.

(100) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 132.

عساكر تميم غائبة في قتال الخارجين عليه. فصالح تميم الروم على ثمانين الف دينار (101، بشرط ان يؤدوا (102) جميع ما خذوه من السبى ففعلوا ذلك ورجعوا جميعا (103) .

وفيها مات الناصر بن علناس وولى ابنه المنصور فقفا آثار أبيه في الحزم والعزم والرئاسة وأتته كتب تميم وغيره بالتهنئة والتعزية (104) ».

ذكر خبر شاه ملك التركي ودخوله الى افريقية وغدره بيحي بن تميم :

كان شاه ملك هذا من أولاد بعض أمراء الاتراك ببلاد المشرق منالـه في بلده أمر أخرجه عنها فخرج وسار الى مصر في مائة فارس فأكرمه الافضل أمير الجيوش ووصله وأعطاه اقطاعا ومالا ثم بلغه عنه اشياء أوجبت حبسه هو وأصحابه وجرى بمصر امر فخرج ملكشاه هو واصحابه هاربين واحتالوا على (*) [333] خيل وعدة.

وتوجهوا الى المغرب فوصلوا الى طرابلس الغرب وأهل البلد كارهون لواليها فادخلوهم البلد وأخرجوا الوالى فصار شاه ملك أمير البلد فبلغ تميم الخبر فأرسل العساكر فحصروها وفتحوها وأخذوا شاه ملك ومن معه الى المهدية فسر بهم تميم وقال : قد ولد لى مائة ولد انتفع بهم وكانوا لا يخطىء لهم سهم .

فلم تطل الايام حتى جرى منهم أمر غير تميما عليهم فعلم شاه ملك ذلك وكان صاحب دهاء وخبث ، فلما كان

---

(101) ثلاثين الف دينار، عند ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 166.
(102) على ان يردوا في م ص 454.
(103) راجع م ص 454.
(104) قارن التفاصيل عند ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 165 — 166. ورواية ابن عذارى واختلاطها، البيان المغرب ج 1 ص 301.
(*) في نسخة ع.

فيسنة ثمان وثمانين وأربع مائة خرج يحيى بن تميم الى الصيد في نحو مائة فارس من اعيان اصحابه ومعه شاه ملك ومن معه وكان أبوه قد تقدم اليه ان لا يقر به فلم يقبل منه فلما ابعدوا في طلب الصيد غدر به شاه ملك وقبض عليه وسار به وواحد من أصحابه الى حموا بن مليل صاحب مدينة سفاقس فركب حموا وخرج للقاء يحيى بن تميم وترجل وقبل يده ومشى في ركابه وعظمه واعترف له بالعبودية واقام عنده أياما ولم يذكره أبوه بكلمة واحده ، وكان قد جعله ولي عهده ، فلما أخذ اقام أبوه مقامه ابنا آخر اسمه مثنى

قال : ثم ان صاحب سفاقس خاف يحيي على نفسه ان يثور معه الجند وأهل البلد فيملكوه عليهم [334] فكتب الى تميم يسأله انفاذ الاتراك وأولادهم اليه ليرسل اليه ابنه يحيى ففعل ذلك بعد امتناع كثير وقدم يحيى فحجبه أبوه عنه مدة ثم رضى عنه واعاده وجهزه الى سفاقس بجيش فحصرها برا وبحرا مدة شهرين فخرج الاتراك عنها الى قابس (105) .

ذكر خلاف مثنى بن تميم على أبيه :

قال : كان سبب ذلك ان تميم بن المعز لما رضى عن ابنه يحيى وأعاده الى ولاية عهده عظم ذلك على المثنى وداخله الحسد فلم يملك نفسه فنقل الى أبيه عنه ما غير قلبه عليه فأمر باخراجه من المهدية بأهله وولده وعبيده فركب في البحر الى سفاقس فلم يمكنه عاملها من الدخول اليها فقصد مدينة قابس فلقيه الثائر بها مكن ابن كامل الدهماني فانزله وأكرمه فحسن له مثنى الخروج معه الى سفاقس والمهدية وأطمعه فيهما وضمن له الانفاق على الجند من ماله فجمع ما أمكنه جمعه وسار الى سفاقس ومعهما شاه ملك التركي وأصحابه فنزلوا على سفاقس وقابلوا من بها فبلغ تميم الخبر فجرد

(105) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 241 — 242.

اليهـا جنـدا من الرماة فلما علـم المثنى ، ومن معه أنهم لا طمع لهم فيها تركوهـا وقصدوا المهديـة فنزلوا عليهـا وقاتلوا فتولى قتالهم بها يحيى ابـن تميـم وظهـر من شدته [335] وصبره وحزمه وحسن تدبيـره مـا استـدل به على نجـاح امـره وحسن عاقبتـه ولم يبلـغ أولئك منها غرضا فعادوا وقد تلف ما كان مع المثنـى من مال وغيره (106).

ذكـر ملـك تميـم مدينـة قابـس :

وفي سنة تسع وثمانين واربعمائة ملك تميـم مدينة قابس وأخـرج منها أخـاه عمرو بن المعـز وكان أهلهـا ولـوه عليها بعـد موت قاضي ابـن ابراهيم بن يلمويـه (107) فلم يحسن عمـرو السياسة ولا نهـض بشرط الولايـة وكان قاضي بن ابراهيم عاصيا على تميم وتميم يعـرض عنـه فسلك عمـرو طريقته في العصيان فأخرج تميـم العساكر الى أخيـه ليأخـذ قابـس منه فقال لـه أصحابه يـا مولانا لما كـان فيها قاضـي توانيت عنه وتركته فلما صـار أمرها الى اخيـك جردت اليه العساكـر فقـال : لما كان فيهـا عبد من عبيدنا كـان زواله سهلا علينا وأمـا الان فابـن المعـز بالمهدية وابـن المعـز بقابـس هذا لا يمكن السكوت عليـه وفي فتحهـا يقـول ابـن خطيـب سوسـة قصيدته المشهورة التـي أولهـا :

ضحك الزمان وكان يلقـى عابسـا لمـا فتحت بحـد سيفـك قابسـا
انكحتها بكرا وما امهرتهـا الا قنـا وصوارما وفـوارسا (108)
[336] الله يعلم ما جنيت (109) ثمارها الا وكـان أبـوك قبـل الغارسـا
من كان بالسمر العوالى خاطبـا جليت له بيض الحصون عرائسا (110)

(106) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 242 — 243.
(107) بلمونة عند ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 257.
(108) هذا البيت زائد عما أورده ابن الاثير : قارن الكامل ج 10 ص 257.
(109) حويت عند ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 257.
(110) من كان في رزق الاسنة خاطبا كـانت له تلك البلاد عرائسا، ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 257.

فابشر تميم بن المعز بفتكه نزكتك في اكناف قابس قابسا
ولؤا فكم تركوا هناك مصانعا ومقاصرا ومخالدا ومجالسا
لكانها قلب وهن وساوس جاء اليدين فذاد عنه وساوسا (111)

وفي سنة احدى وتسعين واربعمائة فتح تميم جزيرة جربة وجزيرة قرقنة ومدينة تونس وكان بافريقية غلاء شديد هلك فيه كثير من الناس (112) .

وفي سنة ثلاث وتسعين فتح تميم مدينة سفاقس وخرج منها حموا بن مليل هاربا فقصد مكن بن كامل الدهمانى فأحسن اليه وأقام عنده حتى مات وكان حموا قد تغلب عليها واشتد أمره بوزير كان عنده من كتاب المعز حسن الرأي والتدبير والسياسة فاستقامت به دواته وعظم شأنه فأرسل اليه تميم وبالغ في استمالته ووعده بكل جميل فلم يقبل فاشتد أمره على تميم فسير جيشا الى حصار سفاقس وأمر مقدم الجيش ان يهدم ما حول المدينة ويحرقه ويقطع الاشجار سوى ما يتعلق بذلك الوزير فانه لا يتعرض اليه ويبالغ في صيانته ففعل ذلك فلما رأى حموا ذلك [337] اتهمه وقتله فانحل نظام دولته وتسلم عسكر تميم البلد (113) .

وفي سنة ثمان وتسعين وأربعمائة مات المنصور بن الناصر ابن علناس وولى بعده ولده باديس ثم مات بعد بيسير فولي أخوه العزيز بالله (114) .

---

(111) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 257 ـ 258.
(112) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 279،
(113) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 298.
(114) ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 302، وقارن ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ق 3 ص 97.

ذكـر وفـاة تميـم بـن المعـز :

كانـت وفاته في شهـر رجب سنة احدى وخمس مائـة وله من العمر تسـع وسبعـون سنة ومـدة ولايته سبعة وأربعين سنة وعشرة أشهـر وعشرين يومـا .

وكان شهما شجاعـا كريما حليمـا كثير العفـو عن الجرائم العظيمة ذكيـا حسن الشعر فمن شعـره ما قالـه وقد وقعت حـرب بين طائفتيـن من العـرب وهما عدي وريـاح فقتل رجل من ريـاح ثم اصطلحوا وأهدروا دمـه وكان صلحهم مما يضـر ببنى تميـم وبـلاده فقال أبياتا يحـرض فيها على الطلـب بـدم المقتـول، وهى :

متـى كانـت دماؤكـم تطـــل أمـا فيكـم بثـار مستقـــل
أغانـم ثـم سالـم ان فشلتـــم فمـا كانـت أوايلكـم تـــذل
ونمتم (115) عن طلاب الثار حتـى كـأن العـز فيكـم مضمحـــل
ومـا كسرتـم فيـه العـوالـي ولا بيـض تفـل ولا تسـل

[338] فعمد أخوه «المقتول فقتلوا اميرا من بنى عدي فقامت الحـرب بينهم واشتد القتال وكثرت القتلى بينهم حتى أخرجوا» (116) بنى عدي من افريقية وبلغ تميم فيهم ما يريد وكان يوقع بالشعر الحروب بيـن العـرب فبلـغ بلسانـه ما لـم يبلـغ بسنانـه .

ومن اخباره في رعيته وشفقته عليهـم ما حكى أنه اشترى جاريـة بثمـن كثير فبلغـة أن مولاهـا الذي باعهـا ذهب عقلـه واسـف على فراقهـا فأحضره تميـم الى بين يديـه وأرسـل الجارية الى داره ومعها من الكسـوة والاوانـى والفضـة والطيـب شيئـا كثيـرا ثـم أمـر مولاها بالانصراف وهو لا يعلـم بذلك فلمـا وصل الى داره ورآهـا

(115) تميم فى ج، وصحتها من ع، وابن الاثير.

(116) مابين القوسين تكملة من ع، ج. وابن الاثير اذ يبدو الناسخ أسقط سطرا كاملا، الكامل ج 10 ص 450.

بمنزلـه سقـط الى الارض وغشـي عليـه لكثـرة ما ناله من السـرور ثم افـاق وأصبـح من الغـد فحمل الثمن وجميـع ما كان معها الى دار تميـم فغضـب وانتهره وامـره باعـادة ذلك الى داره وهـذه نهايـة في الجـود وغايـة في الكـرم والشفقـة والاحسان وكان له في البـلاد أصحاب اخبار يطالعونـه بأخبـار الناس لئـلا يظلمـوا .

قـال : وخلف من البنين مائـة ومن البنـات ستين .

ولمـا مـات رحمه الله ولـى بعـده ابنـه يحيى .

ذكر ولايـة يحى بـن تميـم
ابن المعز بن باديس بن المنصور بن يوسف بن زيرى

[339] كانت ولايتـه عند وفاة أبيـه تميـم في يوم السبت النصف من شهر رجب سنة احدى وخمس مائة ومولـده بالمهدية في يوم الجمعـة لاربـع بقين من ذي الحجـة سنة سبـع وخمسين واربعمائة ولما ولـى عـم أهل دولتـه من الخواص والجند بالخلع السنية ووهب الاجنـاد والعبيـد أموالا كثيـرة (117) .

وفي هذه السنة جـرد عسكرا الى قلعة اقليبية (118) وهـي مـن احصـن قلاع افريقيـة وقدم عليهم الشريف على الفهري فنزل عليهـا وحاصرها حصارا شديدا ففتحهـا وكان تميم قـد رامها فلم يقدر على فتحهـا .

وفي سنـة اثنتين وخمس مائة وصل الى المهدية ثلاث نفـر غربـاء فكتبوا الى يحيى يقولـون انهم يعملـون الكيميـاء فأحضرهم عنده وامرهم ان يعملوا شيئا من صناعتهم وأحضر لهـم ما طلبـوه من آلـة وغيرهـا وقعد معهم هو والشريف أبـو الحسن (*)، فلما رأي الكيمائية المكان خاليا

(117) ابن الاثير : الكامل ج10 ص 450، 451.

(118) قليبية، ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 451، اقليبية، ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 304.

* وقائد جيشه اسمه ابراهيم، زيادة في ابن الاثير : الكامل 10 : 472 والقائد ابراهيم قائد الاعنة في ابن خلكان 2 : 24، ومبدة ابو خنوس في ابن عذارى: البيان 1 : 305.

ثاروا بيحيى فضربه احدهم على رأسه فوقعت السكين في عمامته فلم يصنع شيئا ورفسه يحيى فألقاه على ظهره ودخل يحيى بابا وأغلق على نفسه وضرب الثاني الشريف فقتله وأخذ ابراهيم القائد السيف فقاتل [340] الكيمائية ورفع الصوت فدخل أصحاب الامير يحيى فقتلوا اولئك وكان زيهم زي أهل الاندلس فقتل جماعة في البلد على مثل زيهم.

وقيل ليحيى أن هؤلاء رآهم بعض الناس عند المقدم بن خليفة واتفق أن الامير أبا الفتوح ابراهيم أخا يحيى وصل في تلك الساعة الى القصر في أصحابه وقد لبسوا السلاح فمنع من الدخول فثبت عند يحيى أن ذلك بوضع منهما فأحضر المقدم ابن خليفة وأمر أولاد أخيه فقتلوه قصاصا لانه كان قد قتل أباهم واخرج الامير أبا الفتوح وزوجته الى قصر زياد بين (119) المهدية وسفاقس ووكل بهما فبقى هناك حتى مات يحيى وولى ابنه على فسيرة الى ديار مصر في البحر (120) .

وفي سنة اربع وخمسمائة انفذ ابنه أبا الفتوح واليا على مدينة سفاقس فقام أهلها عليه فنهبوا قصره وهموا بقتله فلم يزل يحيى يعمل الحيلة حتى فرق كلمتهم وبدد شملهم وملك رقابهم وملأ السجون منهم ثم عف عن دمائهم وعفا عن ذنوبهم (121).

وفي أيام يحيى وصل الى المهدية من طرابلس المهدي محمد ابن تومرت وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى .

(119) بن فى د، ج وصحتها من ع، وابن الاثير : الكامل جـ 10 ص 473.
(120) ابن الاثير : الكامل جـ 10 ص 472 — 473، وقارن ابن عذارى : البيان المغرب جـ 1 ص 305، 306، ابن الخطيب. اعمال الاعلام، ق 3 ص 81.
(121) ابن الاثير : الكامل جـ 10 ص 478 ويروى الحادثة فى سنة 503 هـ.

ذكـر وفـاة يحيى بن تميـم وشيء من أخبـاره :

[341] كانت وفاته فجـأة يوم عيد الاضحى سنة تسـع وخمس مائة وكان منجمـه قد قـال له في تسيير مولـده ان عليه قطعـا في هذا اليـوم ومنعه من الركـوب فلم يركـب وخرج اولاده وأهل بيته وأربـاب دولتـه الى المصلى فلمـا انقضت الصـلاة حضروا للسلام عليه وتهنئته وقـرا القـراء وانشـد الشعراء وانصرفوا الـى الطعام فقام يحيى من باب اخـر ليحضـر معهم على الطعام فلـم يمش غير ثلاث خطـوات ووقع ميتا رحمه الله وكان عـادلا في رعيته ضابطـا لامور دولته مدبـرا لجميـع أحوالـه رحيما بالضعفـاء والفقـراء كثير الصدقة بقـريب أهل العلـم والفضل وكان عالما بالاخبار وأيـام النـاس والطب وكـان حسن الوجـه أشهـــل العينيـن مائلا في قـده الى الطـول ومات وله من العمـر اثنان وخمسـون سنة الا سبعـة عشـر يومـا ومـدة ولايتـه ثماني سنيـن وخمسه اشهر الا خمسـة ايـام وخلف من الاولاد الذكـور ثلاثيـن ولـدا.

وقـال عبد الجبـار محمد بن حمديس الصقلي يرثيه ويهنىء ابنـه عليـا بالملـك :

ما أغمـد العضب حتـى جـرد الذكر ... ولا اختفـى قمـر حتـى بدا قمـر

[342] بموت يحيى اميب الناس كلهم ... حتى اذا ما علـى جاءهم نشـروا

ان يبعثـوا بسـرور من تملكـه ... فمن منية يحيـى بالاسـا قبـروا

أوفى على فسـن الملك ضاحكـا ... وعينـه من ابيـه دمعهـا همـر

شقت جيوب المعالى بالاسا فبكـت ... في كـل أفـق عليـه الانجـم الزهر

وقـل لابن تميـم حـزن مأتمهـا ... فكل حـزن عظيـم فيـه محتقـر

قـام الدليـل ويحيى لا حيـاة لـه ... ان المنية لا تبقى ولا تـذر (122)

---

(122) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 512 — 513. يراجع ديـوان ابـن حمديس نشر احسـان عباس، بيروت 1960م. ص 221 — 223.

ذكر ولاية على بن يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس بن المنصور بن يوسف بن زيرى

كانت ولايته بعد وفاة أبيه وكان اذ ذاك بمدينة سفاقس فاجتمع رجال الدولة منهم عبد العزيز بن عمار والقائد زكوا وغيرهما ووقع الاتفاق علي ان يكتب كتاب على لسان يحيى لولده يؤمر فيه بالوصول اليه مسرعا فكتب وسير اليه فوصل اليه ليلا فخرج لوقته ومعه طائفة من أمراء العرب وجد السير فوصل الى المهدية الظهر من يوم الخميس الثاني من يوم العيد وهو الحادي عشر من ذي الحجة سنة تسع وخمسمائة ودخل القصر وبدأ بتجهيز ابيه ومواراته في قبره ثم جلس للعزاء والهناء (123) ولما استقامت له الامور جهز أسطولا الى جربة [343] وكان أهلها يقطعون على الناس في البحر وجعل قائد الاسطول القائد ابراهيم قائد جيشه واصحبه جماعة من رجال الدولة فمضوا اليها وحاصروها وضيقوا على أهلها حتى اذعنوا للطاعة ونزلوا على الحكم والتزموا الكف عن الفساد فأمن من يسافر في البحر (124) .

وفي سنة عشر وخمس مائة جهز جيشا الى مدينة تونس وبها احمد ابن خراسان فحاصرها وضيق على من بها فصالح ابن خراسان السلطان علي ما أراد .

وفتح أيضا في هذه السنة جبل وسلات واستولى عليه وهو جبل منيع لم يزل أهله طول الدهر يقطعون الطريق ويقتلون الناس فملكه وقتل من فيه (125) .

---

(123) ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 306، قارن ابن الخطيب. أعمال الاعلام، ق 3 ص 81.

(124) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 513 — 514، وقارن ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 306.

(125) لاحظ التفصيلات فى ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 521 — 522.

وفي سنة احدى عشرة وخمس مائة حاصر الامير على مدينة قابس في البحر وسبب ذلك ان رافع بن مكن الدهمانى انشأ مركبا بساحلها وقصد اجرآه في البحر «في آخر» (126) أيام يحيى فلم ينكر ذلك عليه وأعانه بالخشب والحديد وتوفى يحيى قبل اكماله ، فلما ولى على انف من ذلك فعمر ست حربيات (127) وأربع شوانى فاستعان رافع برجار صاحب صقلية فأنفذ رجار لاعانته اسطولا جملته أربعة وعشرون شينيا لتأخذ المركب معها وتشيعه [344] الى صقلية لئلا تقطع عليه مراكب على فلما اجتاز اسطول رجار بالمهدية اخرج على الحربيات والشوانى تتبعه الى قابس فتوافوا بها فرجع اسطول رجار الى صقلية وبقى أسطول على يحاصر قابس فضيق على من بها واثر في ماجلها وأفسد ثم رجع الى المهدية وتمادى رافع في اظهار المخالفة والتمسك بصاحب صقلية (128) .

ذكر حصار رافع المهدية وانهزامه :

قال : ثم أقبل رافع بن مكن الدهمانى على جميع قبائل العرب وحالفهم وسار بهم لحصار المهدية ونازلها فأمر علي العسكر بالخروج اليه وقتاله فخرجوا عشية النهار فحملوا على رافع ومن معه حتى أزالوهم عن مواقفهم ووصل الجند الى اخبية العرب فصاح الحريم هكذا نسبى هكذا نستباح معادت العرب ونشبت الحرب واشتد القتال الى المغرب ثم افترقوا وقد قتل من عسكر رافع خلق كثير ولم يقتل من اصحاب على الا رجل واحد ثم خرج اليهم الجند مرة ثانية واقتتلوا فكان الظهور لاصحاب على وهرب رافع بالليل الى القيروان فدخلها بعد قتال فارسل علي بن يحيى اليه عسكرا [345] فحاصره

---

(126) الزيادة مابين قوسين من م ص 454، ج، ع.

(127) حربيات جمع حربى وحربية، السفن الحربية هي التى تنشأ لغزو العدو، وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة، وبالتالي نخرج بأن اللفظ ما هو الا تسمية عامة لانواع السفن المختلفة المستعملة فى القتال البحرى، والتى قد يطلق عليهما أحيانا اسم مراكب مقاتلة.. انظر المقريزى : الخطط ج2 ص 189، درويش النخيلى : السفن الاسلامية ص 37. ومما بعدها.

(128) راجع م ص 454 — 455. ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 529 — 530.

بالقيروان ووقـع بينهم قتـال شديد قتل فيه احمـد بن ابراهيم صاحـب الجيش بسهم أصابـه (129) وكان الغلـب مع ذلك لاصحـاب علي ورجع رافـع الى قابـس وتوسط ميمـون بن زيـاد لرافع في الصلح مـع علي فأجاب الى ذلـك بعد امتنـاع وتـم الصلح بينهما وانتظـم وزالـت الوحشـة (130) .

ثم وصل رسـول رجار صاحب صقليـة بمكاتبة يلتمس فيها تاكيد العهـود وتجديد العقـود فأجاب الى ذلك ثم وقعت الوحشة بينهما فأمـر علي بتجديد الاسطول فعمر عشرة مراكب حربية وثلاثين غرابـا (131) وشحنهـا بالرجال والعدد والنفـط وجميـع ما يحتاج اليه (132) وكـان دأبـه الحـزم والصرامـة والشهامة والعزم الى أن توفـى.

وكانـت وفاتـه في يـوم الثلاثـاء لسبـع بقين من شهـر ربيـع الآخـر سنة خمس عشـره وخمس مائة وكان مولده بالمهديـة صبيحـة يـوم الاحـد للنصف من صفـر سنـة تسـع وسبعين واربعمائة وكانـت مـدة ولايته خمس سنين وأربعة أشهـر وثلاثة عشـر يوما وخلف من الاولاد أربعـة وهم الحسـن وباديـس (133) وأحمد وعزيز ، ولما مـات ولـى بعـده ولـده الحسـن .

---

(129) اصحابه ى م ص 455.

(130) ابن الاثير : الكامل جـ 10 ص 530.

(131) غراب والجمع اغربة، وغربان من المراكب الحربية شديدة البأس التى استعملها المسلمون والفرنج فى العصور الوسطى وكانت معروفة فى العصور القديمة عند القرطاجيين والرومانيين وغيرهم. وسميت غربانا لرقتها وطولها وسوادها بالاطلية المانعة للماء عنهـا كالزفت وغيره، فصارت تشبه فى سوادها الغربان من الطير لسوادها وسواد مناقيرها. والغراب يسير بالقلع والمجاديف ومنه الصغير والكبير، ويحدد حجمه وضخامته عـدد مجاديفه، فأجله مـا كان يجره مسائة وثمانون مجدافا، وأصغره تجدف به عشرة مجاديف. انظر محمد ياسين الحموى : تاريخ الاسطول العربـى ص 39، ابراهيـم العدوى : الاساطيل العربية ص 153 ــ درويش النخيلى : السفن الاسلامية ص 104.

(132) ويضيف ابن الاثير أن علي بن يحى، كاتب المرابطين بمراكش فى الاجتماع معه على الدخول الى صقلية، فكف رجار عمـا كـان يعتمـده، الكـامل جـ 10 ص 530. وقـارن ابن عذارى : البيان المغرب جـ 1 ص 307.

(133) بن ف د وصحتها من م ص 456.

ذكر ولاية الحسن بن علي بن يحيى بن تميم ابن المعز بن باديس بن المنصور بن يوسف بن زيري : [346]

كانت ولايته بعهد من أبيه فاستقل بعد وفاة أبيه وله من العمر اذ ذاك اثنتا عشرة سنة وشهورا تدبر دولته صندل الخصي وحفظ الملك فلم تطل أيام صندل حتى مات ووقع الاختلاف بين أكابر الدولة والقواد وكل منهم يطلب التقدم على الجميع ويبدي انه صاحب الحل والعقد فلم يزالوا كذلك الى أن فوض أمور دولته الى القائد أبي عزيز موفق وهو من قواد أبيه فصلحت الامور (134).

ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة جربة (135) :

وفي سنة تسع وعشرين وخمس مائة (136) استولت الفرنج على جربة من بلاد افريقية وكان أهلها لا يدخلون تحت طاعة سلطان فخرج اليها جيش من صقلية وأداروا المراكب بجهاتها فقاتل أهلها قتالا شديدا فقتل منهم خلق كثير وانهزموا وملكها الفرنج وغنموا الاموال وسبوا النساء والاطفال وهلك أكثر رجالها وعاد من بقي منهم فأخذوا لانفسهم أمانا من صاحب صقلية وافتكوا اسراهم وسبيهم.

---

(134) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 588 — 589، وقارن ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 308.

(135) جربة : جزيرة بالساحل التونسي على مقربة من قابس طولها ستون ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا، وأهلها من الخوارج الوهبية لايماسح ثوب احدهم ثوب رجل غريب ولا يمسه بيده ولا يؤاكله ولا يأكل له في آنية الا أن تكون انيه لا يقربها سواه، ورجالهم ونساؤهم يتطهرون في كل يوم عند الصباح ويتوضؤون ثم يتيممون لكل صلاة، وخيرات جربة كثيرة وفواكهها طيبة وارضها كريمة. انظر البكري ص 19 والادريسي ص 127، الحميري ص 158، ليون الافريقي ص 466 — 467.

(136) يحدد ابن عذارى التاريخ في 530 هـ. البيان المغرب ج 1 ص 313، ويتفق كل من الحميري وابن أبي دينار مع النويري في التاريخ، الحميري ص 158، المؤنس ص 93

ذكر ملك الفرنج مدينة طرابلس (137) :

[347] وفي أيامه ملك الفرنج مدينة طرابلس الغرب وذلك في سنة احدى وأربعين وخمس مائة (138) وسبب ذلك أن رجار صاحب صقلية جهز أسطولا كثيرا (139) وسيره اليها فأحاطوا بها برا وبحرا في ثالث المحرم من السنة فقاتلهم أهلها. ودامت الحرب بينهم ثلاثة أيام فلما كان في اليوم الثالث سمع الفرنج صيحة عظيمة في البلد وخلت الاسوار من المقاتلة وكان سبب ذلك أن أهل طرابلس كانوا قبل وصول الفرنج بأيام يسيرة قد اختلفوا واخرجت بنوا مطروح طائفة وقدموا على انفسهم رجلا من الملثمين كان قد قدم يريد الحج ومعه جماعة فولوه أمرهم فلما نازلهم الفرنج اغارت تلك الطائفة على بني مطروح فوقعت الحرب بين الطائفتين وخلت الاسوار فانتهز الفرنج الفرصة ونصبوا السلاليم وصعدوا على السور وملكوا المدينة فسفكوا دماء أهلها وسبوا نساءهم ونهبوا أموالهم وهرب من قدر على الهرب والتجوا الى البربر والعرب ثم نودي بالامان للناس كافة فرجع كل من فر منها وأقام الفرنج ستة أشهر حتى حصنوا أسوارها وحفروا خندقها وعند رجوعهم أخذوا رهائن أهلها والملثم وبني مطروح ثم اعادوا رهائنهم [348] واستقام أمر المدينة وعمرت (140) سريعا (141) .

---

(137) طرابلس أو اطرابلس [illegible] لبدة وصبرة واباس وهي من مدن افريقيه ويصفها الحميرى بقوله « وبها أسواق حفله وحمامات كثيرة وفي شرقها بساتين كثيره... واهلها تجار يسافرون برا وبحرا، وهم أحسن الناس معاملة، اما ليون الافريقي فيقول عنها : مدينة قديمة بناها الرومان وبعدند حجمها لغوط (الفندال) ثم اقتحمها المسلمون واحتلوها في عهد عمر، الخليفة الثاني. انظر البكرى ص 6 — 7، الادريسي ص121، الاستبصار ص 110، الحميرى ص 389 — 390، ليون الافريقي ص 469 — 470

(138) يتفق ابن ابى دينار مع النويرى، بينما يحدد الحميرى سنة 540هـ تاريخ الغزو الصقلي، انظر المؤنس ص 94، الروض المعطار ص 390.

(139) «كبيرا» في م ص 457.

(140) عمرت زيادة في د عن م ص 458.

(141) راجع م. ص 455 — 458.

ذكـر استيلاء الفرنج على مدينة المهديـة وسفاقس وسوسة :

كان استيلاء الفرنج على ذلك في سنـة ثلاث وأربعين وخمس مائـة وذلـك ان الغـلاء تتابع في جميـع بـلاد المغـرب من سنة سبـع وثلاثين الى هذه السنـة وكان أشده في سنـة اثنتين وأربعين فان النـاس فارقوا البـلاد ودخل أكثرهـم الى جزيـرة صقليـة وأكـل الناس بعضهم بعضا وكثـر الفنـاء فاغتنـم رجار ملك صقليـة هذه الفرصة (142) وعمـر أسطولا نحـو مائـة وخمسين شينيا وشحنها بالرجـال والعـدد وساروا الى جزيرة قوصرة وهى بين المهدية وصقلية فصادفوا بهـا مركبـا وصـل من المهدية فأخذ أهلـه وأحضروا بيـن يـدي جرجى (143) مقـدم الاسطول فسألهم عن حـال افريقيـة ووجد في المركب قفص حمام فأمر الرجل الذي كان الحمام صحبته ان يكتب بخطه أننا لما وصلنـا الى قوصـرة وجدنا بهـا مراكبـا من صقليـة فسألناهم عن الاسطـول المخذول فذكروا انـه أقلـع الى القسطنطينية وأطلق الحمام فوصل الـى المهدية فسر [349] الامير والناس وأراد جرجى بذلك أن يصل بغتته.

ثم سار الاسطول من قوصرة فوصل الى المهدية في ثانى صفر فارسل مقـدم الاسطول الى الحسن يقـول أنـا لم نأت الا طلبـا بثـار محمـد ابـن رشيد صاحب قابـس ورده اليهـا وكان قد اخـرج منها وبينه وبين الفرنج مودة ومصالحة وأما أنت فبيننا وبينك عهود ومواثيـق الى مـدة ونريد منك عهودا ومواثيـق الى مـدة ونريد منـك عسكرا يكـون معنا.

---

(142) وهناك روايات اخرى حول أسباب فتح المهدية منها، مايرويه ابن عذارى بقوله : وكان قائد روجار صاحب صقلية جرجى بن ميخائيل الانطاكي، وكان أبوه علجا من علوج أبيه تميم، فكان هذا اللعين عارفا بعورات المسلمين بالمهدية وغيرها. فلم يزل رجار وقائده يحيلان على المهدية بحيلهما، الى أن استولوا عليها فى هذه السنة. اما ابن ابى دينار فيروى أن الحسن سـاعد فى الاستيلاء على قـابس وشارك فى قتل صاحبها يوسف ففر أخوه الى صقلية ، وأعلم النصرانى رجار أن الحسن ممن أعـان على يوسف، فأنف اللعين من ذلك لكونه كل منهمـا تحت طـاعته فعـول على غزو المهدية. أنظر البيان المغرب ج 1 ص 313، المؤنس ص 94.

(143) جرجى بن ميخائيل الانطاكي، عند ابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 313.

فجمع الحسن الناس من الفقهاء والاعيان وشاورهم فقالوا نقاتل عدونا فان بلدنا حصين فقال : «نخشى أن ينزلوا الى البر ويحصرونا برا وبحرا وتنقطع الميرة عنا وليس عندنا ما يقوم بنا شهرا واحدا وأنا أرى سلامة المسلمين من القتل والاسر خير من الملك» (144)، وقد طلب مني عسكرا الى قابس فان فعلت فما تحل لي اعانة الكفار على المسلمين وان امتنعت يقول انتقض ما بيننا من الصلح وليس لنا بقتاله طاقة والرأي عندي أن نخرج بالاهل والولد ونترك البلد فمن أراد أن يفعل كفعلنا فليبادر معنا وأمر في الحال بالرحيل وأخذ معه ما خف حمله وخرج وتبعه الناس على وجوههم بأهلهم وأولادهم وما خف من أموالهم وأثاثهم ومن الناس من اختفى عند [350] النصارى في الكنائس هذا والاسطول في البحر يمنعه الريح من الوصول الى المدينة فما مضى ثلثى النهار حتى لم يبق بالبلد ممن عزم على الخروج أحد.

ودخل الفرنج البلد بغير مانع ولا مدافع ودخل جرجي القصر فوجده على حاله لم يأخذ منه الحسن شيئا الا ما خف من ذخائر الملوك ووجد فيه عدة من حظاياه (*) ورأى الخزائن مملوءة من الذخائر النفسية ومن كل شيء غريب فختم عليه وجمع سراري الحسن في قصر ولما ملك المدينة نهبت مقدار ساعتين ثم نودي بالامان فخرج من كان مستخفيا وأصبح جرجي من الغد فأرسل الى من قرب من العرب فدخلوا البلد فأحسن اليهم وأعطاهم أموالا جزيلة وأرسل امانا الى من خرج من المهدية ودواب يحملون عليها الاطفال فرجعوا .

قال : ولما استقر جرجي بالمهدية سير أسطولا بعد أسبوع الى مدينة سفاقس وأسطولا الى مدينة سوسة ، فأما سوسة سنان

(144) قارن ما أورده التجاني في رحلته ص 341.

* خصاياه في د، ج وصححتها من ابن الاثير : الكامل 12 : 127.

أهلها لما سمعوا خبر المهدية وكان على بن الحسن واليا عليها فخرج الى أبيه وخرج الناس لخروجه فدخلها الفرنج بغير قتال في ثاني عشر صفر منها .

وأما سفاقس فان أهلها أتاهم كثير من العرب فامتنعوا بهم فقاتلهم الفرنج فخرج اليهم أهل [351] البلد فأظهر الفرنج الهزيمة وتبعهم المسلمون حتى ابعدوا عن البلد ثم عطفوا عليهم فانهزم قوم الى البلد وقوم الى البرية وقتل منهم جماعة ، ودخل الفرنج البلد بعد قتال شديد وقتلى كثيرة وأسر من بقي من الرجال وسبى الحريم وذلك في الثالث عشر من صفر منها ثم نودي بالامان فعاد أهلها اليها ووصلت كتب من رجار صاحب صقلية بالامان الى جميع أهل افريقية والمواعيد الحسنة وصار للفرنج من طرابلس الغرب الى قريب تونس ومن المغرب الى دون القيروان (145) .

ذكر انقراض دولة بنى زيرى من أفريقية وما اتفق الحسن بن على بعد خروجه من المهدية

كان انقراض دولتهم من افريقية بخروج الحسن بن علي بن يحيى ابن تميم من المهدية وكان خروجه منها على ما قدمناه في ثاني صفر سنة ثلاث وأربعين وخمس مائة ومدة ملكه سبعا وعشرين سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام.

وعدة من ولى منهم تسعة ملوك وهم : زيري ابن مناد ثم ابنه يوسف بلكين ثم ابنه المنصور بن يوسف ثم ابنه باديس بن المنصور ثم ابنه المعز بن باديس ثم ابنه تميم ابن المعز ثم ابنه يحيى [352] بن تميم ثم ابنه على بن يحيى ثم ابنه الحسن بن علي هذا وعليه انقرضت الدولة .

(145) قارن رواية ابن ابى دينار : المؤنس ص 94 ـ 95.

ومدة قيامهم منذ عمر، زيري بن مناد مدينة أشير في سنة أربع وعشرين وثلاث مائة والى هذا الوقت مائتى سنة وتسعة عشر سنة ومنذ تسلم يوسف بلكين بلاد المغرب من المعز لدين الله أبى تميم معد عند رحيله الى الديار المصرية على ما قدمناه مائة سنة واحدى وثمانين سنة وشهرا واحدا وتسعة أيام ولم يبق منهم ببلاد المغرب غير بنى حماد وسنذكر انقراض دولتهم في أخبار عبد المؤمن ان شاء الله تعالى (146).

ذكر ما اتفق للحسن بن علي بعد خروجه من المهدية :

قال : لما خرج من المهدية سار بأهله وأولاده وكانوا اثنى عشر ذكرا غير الاناث وقصد محرز بن زياد وهو بالمعلقة فوصل اليه فلقيه لقاء جميلا وتوجع لما حل به وأقام عنده شهورا والحسن كاره للمقام وأراد المسير الى ديار مصر الى الحافظ العبيدي واشترى مركبا ليسافر فيه فاتصل ذلك بجرجى الفرنجي المتغلب على ملكه فجهز شوانى لاخذه فرجع [353] الحسن عن ذلك.

وقصد المسير الى عبد المؤمن ببلاد المغرب يستنصر به على الفرنج فأرسل ثلاثة من أولاده ومنهم يحيى وعليا وتميما الى يحيى بن العزيز بالله وهو من بنى حماد وهما ابناء عم يرجعون كلهم في النسب الى زيري ابن مناد وكان يحيى هذا قد ولى بعد أبيه وأستأذنه في الوصول اليه وتجديد العهد به والمسير من عنده الى عبد المؤمن فأذن له يحيى في ذلك فسار الحسن اليه فلما وصل الى بلاده لم يجتمع به وسيره الى جزيرة بنى مزغنان (*) هو وأولاده ووكل بهم من يمنعهم من التصرف فبقوا هناك الى أن ملك عبد المؤمن مدينة بجاية في سنة سبع وأربعين وخمس مائة ثم صار الحسن من أصحاب عبد المومن وشهد معه فتح المهدية على ما نذكره ان شاء الله في أخبار عبد المؤمن (147).

---

(146) ابن ابى دينار : المؤنس ص 95.

* مدينة بنى مزغنان فى ج، وجزيرة بنى مزغناى فى ابن الاثير : الكامل 12 : 128

(147) قارن ابن الاثير : الكامل 12 : 125 — 128، ابن الخطيب : أعمال الاعلام، القسم الثالث ص 83.

ذكر ابتداء دولة الملثمين وأخبارهم ومن ملك منهم

كان ابتـداء أمرهم على **ما حكـاه عـز الدين أبو محمد عبد العزيز ابن شـداد بن الاميـر تميـم بن المعز بن باديـس في تاريخه المترجم بالجمع والبيان في اخبار المغـرب والقيروان بسند يرفعه الـى [354] القاضـي أبي** (*) **الحسن علي بن قنون** (**) **قاضي مراكش ان رجلا من قبيلة جدالة** من كبرائهم اسمه الجوهر (1) أتى من الصحراء الى بلاد المغرب طالبـا للحج وذلك في عشـر الخمسيـن وأربع مائة (2) وكان مؤثـرا للدين محبا في الخيـر مكرمـا للصالحيـن فمـر بفقيه يقـرأ عليـه مذهب الامام مالك

---

* أبو في د وصححتها من ج، ع.

** قنون في د، ج وصححتها من ابن الابار : التكملة 2 : 285 — 286.

(1) تجمع المصادر التاريخية ان الزعيـم الجدالي (الكدالي) الذي توجه للحج هـو الامير يحيى بن ابراهيـم . انظر ابن أبي زرع، الانيس المطرب ص 122، كتاب الحلل الموشية ص 19، ابـن الخطيب : اعمـال الاعلام ق 3 ص 226. ابن ابي دينار : المؤنس ص 104، السلاوي : الاستقصا ج 2 ص 6. أما الجوهر هذا فيذكر البكري ص 165 انه أحد الثائرين على عبد الله بن يـاسين (فقيه منهم كان اسمه الجوهر بن سلم) وشـارك في طرده من صنهاجة، أما ابن عذاري فيسميه (الجوهر بن سجيم) تعلمه المرابطين من البيـان ص 8 ويسميه صاحب ترتيب المدارك الجوهر بن سكن ويتفق مع النويري 8 : 81.

(2) اختلفت الروايات في تحديد السنة التي التقى فيها يحيى بن ابراهيم بالفقيه أبـي عمـران بين 440، 445، 448، 427، 429. ابن الاثير: الكامل ج 9 ص 258، الانيس المطرب ص 122، ابن عذاري : البيـان المغرب ج 1 ص 7. الحلل الموشية ص 19، ابن ابي دينـار : المؤنس ص 104، السـلاوي : الاستقصا ج 2 ص 5.

ونظرا لان المصادر تذكر أن أبي عمران موسى الفاسي قد توفي في 430 هـ، لذلك ترجح روايـة ابن أبي زرع للقـاء في 427 أو 429 هـ. ومـن نقل عنه مثل صـاحب المؤنس والاستقصـا.

ابن أنس وحوله جماعة ، قال : والغالب أنه أبو عمران (3) قاضي القيروان فأوى اليه وأصغى الى ما يذكر في مجلسه من علم الشريعة فأحب جماعة وأناب اليه قلبه ثم استمر في وجهته الى الحج وقد اثر ذلك في نفسه .

فلما حج وأنصرف قصد المسجد الذي كان فيه الفقيه وسمع الكلام فيما تقتضيه ملة الاسلام من الفرائض والسنن والاحكام فقال الجوهر : يا فقيه ما عندنا في الصحراء من هذا الذي تذكرونه شيء إلا الشهادتين في العامة والصلاة في بعض الخاصة قال الفقيه : فاحمل عنك ما يعلمهم عقائد ملتهم وكمال دينهم فقال له الجوهر : فابعث معي أحد الفقهاء وعلي حفظة وبره واكرامه وكان للفقيه ابن أخ اسمه عمر فقال له : اذهب مع هذا السيد الى الصحراء فعلم القبائل بها ما يجب عليهم من دين الاسلام ولك الثواب الجزيل من الله عز وجل والذكر الجميل من الناس [355] فأجابه الى ذلك فلما أصبح عمر من الغد جاء الى عمه فقال له اعفني من الدخول الى الصحراء فان أهلها ناس (*) جاهلية قد الفوا سيرا نشأوا عليها فمتى نقلوا عنها قتلوا من أمرهم بخلافها (4) وكان من طلبه الفقيه رجل يقال له عبد الله بن ياسين الكزولي فرأي الفقيه وقد عز عليه مخالفة ابن أخيه فقال : يا فقيه ارسلني معه والله

(3) هو الفقيه أبو عمران موسى بن الحاج الغفجومي الفاسي، نسبه الى بني غفجوم، وهم فرع من زناتة، ولد ونشأ بفاس ثم رحل الى القيروان حيث درس على أبي الحسين القابسي ورحل الى قرطبة فتفقه بها عند الاصيلي وسمع من ابي عثمان وغيرهم، ثم رحل الى بغداد، فحضر مجلس الفقيه القاضي أبي بكر بن الطيب، فأخذ عنه علما كثيرا، ثم عاد الى القيروان، حيث قام بالتدريس بجامع القيروان وتوفى في 430هـ وكان ابو عمران من أحفظ الناس واعلمهم، جمع حفظ المذهب المالكي الى حديث النبي (ص) ومعرفة معانيه وألف كتاب التعاليق على المدونة وخرج عوالي حديثه في نحو مائة ورقة. أنظر ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص 122، عبد الله كنون : النبوغ المغربي 1 : 58 – 59.

* ناس زيادة من ج .

(4) ينفرد النويري بهذه الرواية عن غيره من المصادر المنشورة والتي تتناول تاريخ بلاد المغرب، اذ يذكر ابن أبي زرع أن أبا عمران كتب الى أحد تلاميذه بمدينة نفيس قرب أغمات واسمه واجاج بن زلو اللمطي من أهل السوس الاقصى يرسل معه أحد طلابه. الانيس المطرب ص 123.

المعيـن فأرسله معـه وتوجهـا الى الصحراء وكان عبد الله بن ياسيـن فقيها عالمـا ورعـا دينـا شهما قـوي النفـس حازما ذا رأي وصبـر وتدبيـر حسـن .

فلمـا دخـل الجوهـر وعبـد اللـه بـن ياسيـن الـى الصحراء فانتهوا الـى قبيلـة لمتونـة وهى على ربـوة عاليـة فلما رأوها نـزل الجوهـر عن جمله واخـذ بزمـام جمل عبد الله بن ياسيـن تعظيما لديـن الاسـلام فأقبلت اعيـان لمتونـة وأكابرهم للقـاء الجوهر والسـلام عليـه فراوه يقـود الجمل فسالـوه عنه فقـال هو حامل سنـة رسول الله صلى الله عليـه وسلم قـد جاء يعلم أهـل الصحراء ما يلزمهم في ديـن الاسـلام فرحبوا بـه وأنزلوه في أكـرم نزل ثم اجتمعت طائفة كبيـرة من تلك القبيلة في محفـل وفيهم أبـو بكر بن عمـر فقالوا تذكـر لنا ما اشـرت اليـه أنـه يلزمنـا [356] فقص عليهـم عبد اللـه عقائـد الاسلام وقواعـده وبين لهـم حتـى فهم ذلـك أكثرهم ثم اقتضاهم الجـواب فقالـوا أما ما ذكرته مـن الصلاة والزكـاة فذلك قريب وأما قولك من قتل يقتـل ومن سـرق يقطع ومن زنـا يجلـد فأمر لا نلتزمه ولا ندخل تحته اذهـب الى غيرنـا فرحلا عنهـم والجوهر الجدالى يجـر زمـام جمل عبـد اللـه بـن ياسيـن فنظـر اليه شيـخ كبير منهم فقـال أرأيتم هذا الجمل لابد أن يكون له في هذه الصحراء شأن عظيم (*) يذكر في العالم (5).

قـال : وكان بالصحراء قبائـل العـرب وهى لمتونـة وجدالة ولمطة وانبيصر وايتواري ومسوفـة وأفخـاد عدة وكـل قبيلـة قد حازت أرضا يسـرح فيهـا مواشيهم ويحمونها بسيوفهم وهذه القبائل ينسبـون الى حميـر ويذكـرون ان اسلافهم خرجوا من اليمـن في الجيـش الذي انفـذه أبـو بكـر الصديق رضى الله عنه الـى الشـام وانتقلوا الى مصـر ثم

(*) عظيم زيـادة في ج.

(5) انظر ابن الاثير وهو يعتمد على نفس مصدر النويرى، ولاحظ ما تتميز به رواية النويرى من التفصيلات الغير موجودة عنـد ابن الاثير، الكامل ج 9 ص 618 — 619

توجهوا الى المغرب مع موسى بن نصير وتوجهوا مع طارق الى طنجة ثم اختاروا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها وأقاموا بها (6).

قال : وسار الجوهر حتى انتهى بعبد الله الى قبيلة جدالة فخاطبهم عبد الله هم والقبائل المتصلة بهم فمنهم من سمع وأطاع ومنهم من اعرض وعصى ثم ان المخالفين لهم تحزبوا [357] وانحازوا فقال عبد الله للذين قبلوا منه الاسلام قد وجب عليكم ان تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحق وانكروا دين الاسلام فاستعدوا لقتالهم واجعلوا لكم حزبا واقيموا لكم راية وقدموا لكم اميرا ، فقال له الجوهر : انت الامير فقال عبد الله : لا يمكنني هذا انما أنا حامل امانة الشرع اقص عليكم نصوصه وأبين لكم طريقه واعرفكم سلوكه ولكن أنت الامير قال الجوهر لو فعلت هذا لتسلطت قبيلتي على الناس ولعاثوا في الصحراء ويكون وزر ذلك علي ، لا رأي لي في هذا فقال عبد الله مهدا ابو بكر بن عمر (7) رأس لمتونة وكبيرها وهو رجل جليل القدر مشكور الحال محمود السيرة مطاع في قومه نسير اليه ونعرض تقدمه الامرة عليه فلحب الرئاسة يستجيب الى ذلك بنفسه ولمكان الجاه ستجتمع اليه طائفة من قبيلته يقوى بها علي عدونا (8) والله المستعان .

---

(6) قارن ابن ابى زرع : الانيس المطرب ص 119 ـ 120 ونظرا لسيطرة المرابطين على المنطقة الممتدة من جنوب المغرب الاقصى الى النصف الغربي من بلاد المغرب، وتركهم النصف الشرقي من بلاد المغرب لاخوانهم من بنى زيرى وبنى حماد الصنهاجيين، لقد كان لكل من هذه الاسر الحاكمة أن تستند الى الاسس الشرعية اللازمة كالنسب النبوى او الاصل العربى، ومادام النسب النبوى من الصعب اختلاقه لقد اشاعوا أن اصولهم عربية من حمير.

(7) بعد تولية يحيى بن ابراهيم الجدالى الجناح العسكرى من الحركة ولسانه، نقل عبد الله بن ياسين القيادة العسكرية من قبيلة جدالة الى قبيلة لمتونة، وذلك نتيجة لمنافسة قديمة قامت بين هاتين القبيلتين حول زعامة صنهاجة. فتولى ابو زكرياء يحيى بن عمر القيادة وبعد استشهاده فى معركة قبل لمتونة سنة 448هـ تولى أبو بكر بن عمر، أخوه القيادة، احمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ص 290، 293، 295.

(8) قارن رواية ابن الاثير التى تتفق مع رواية النويرى، الكامل ج 9 ص 618 ـ 619

ذكر ولاية أبي بكر بن عمر اللمتوني

قال : فأتوا أبا بكر بن عمر فأجاب وعقدوا له راية وبايعوه بيعة الاسلام وتبعه زمرة من قومه وسماه عبد الله بن ياسين أمير المسلمين ورجعوا الى جدالة وجمعوا اليهم من امكن من الطوائف [358] الذين حسن اسلامهم ومن الاقوام الذين تألفت قلوبهم وحرضهم عبد الله على الجهاد في سبيل الله وسماهم المرابطين (9) وتألبت عليهم أحزاب من الصحراء ومعاندين من أهل الشر والفساد وجيشوا لمحاربتهم فلم يناجزهم الحرب ولا بدرهم بلقاء بل تلطف عبد الله وأبو بكر في أمرهم واستمالوهم واستعانوا على أولئك الاشرار المفسدين بالمصلحين من قبائلهم يسبونهم (10) قوما بعد قوم بضروب من التوصل حتى حصلوا منهم تحت زرب (11) عظيم وثيق ما ينيف على الفي رجل من المفسدين وتركوهم فيه أياما بغير طعام وهم يحفظون الزرب من سائر جهاته وقد خندقوا حوله ثم أخرجوهم قوما بعد قوم وقتلوهم عن آخرهم فحينئذ دانت لهم أكثر قبائل الصحراء وهابهم من كان فيها وقويت شوكة المرابطين هذا وعبد الله بن ياسين يعلم الشريعة ويقرى الكتاب والسنة حتى صار حوله فقهاء وكل من انقاد الى الحق على طريق الورع والتقى والخشية لله والمراقبه فرتب له أوقاتا للمواعظ والتذكير وايراد الوعد والوعيد فاستقام منهم خلق كثير وخلصت عقائدهم وزكت نفوسهم وصفت قلوبهم.

---

(9) اختلف المؤرخون حول اصل هذا الاسم فابن ابى زرع ومن تابعه يذكرون ان عبد الله بن ياسين وزعيم جدالة حين اخفقوا في هداية جدالة، التجاوا الى احدى جزر مصب السنغال، وبنى عبد الله بن ياسين رابطته، فاجتمع له نحو الف رجل سماهم المرابطين للزومهم رابطته. اما ابن عذارى ومن تابعه فيرون ان هذا اللقب اطلقه عبد الله بن ياسين على قبيلته لمتونة عقب معركة عنيفة انتصرت فيها على قبائل من البربر كانت على غير دين الاسلام. انظر الانيس المطرب ص 124 — 125، ابن خلدون، العبر ج 6 ص 183، السلاوي : الاستقصا ج 2 ص 7، 8، ابن عذارى: البيان المغرب، القطعة الخاصة بتاريخ المرابطين نشر احسان عباس ص 12، الحلل الموشية ص 21.

(10) فاستمالهم عند ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 620.

(11) مكان للمواشي او ممر ضيق.

ذكر مقتل الجوهر الجدالي :

[359] قال : كان الجوهر أصح القوم عقيدة وأخلصهم لله دينا وأكثرهم صوما وتمجدا فلما استبد أبو بكر بالامر دونه وعبد الله ينفذ الامور بالسنة فصارت الدولة لهما وبقى الجوهر لا حكم له فداخله الحسد وأزله الشيطان فشرع في افساد الامر سرا فعلم بذلك منه وعقد له مجلس فثبت عليه ما ذكر عنه فحكم عليه بالقتل لانه نكث البيعة وشق العصا وهم بمحاربة أهل الحق ، فقال الجوهر : وأنا أيضا أحب لقاء الله عز وجل جئني أرى ما عنده فاغتسل وصلى ركعتين وتقدم طائعا فضربت عنقه رحمه الله تعالى (12) .

قال : وكثرت طائفة المرابطين وتتبعوا المعاندين لهم من قبائل الصحراء بالقتل والنهب والسبى الا من أسلم منهم وسالم وبلغت الاخبار الفقيه بما جرا في الصحراء على يد ابن ياسين من سفك الدماء ونهب الاموال وسبى الحريم فعظم ذلك عليه واشمأز منه وندم على ارساله وكتب له في ذلك فأجابه عبد الله بن ياسين ، اما انكارك على ما فعلت وندامتك على ارسالى فانك ارسلتنى الى امة كانت جاهلية يخرج أحدهم ابنه وابنته لرعى السوام فيعزبان (12 م) في المرعا فتأتى المرأة حاملا من أخيها ولا ينكرون ذلك وليس دأبهم الا اغارة [360] بعضهم على بعض لا ديه عندهم في الدماء ولا حرمه عندهم للحريم ولا توقى بينهم في الاموال فأخبرتهم بالمفروض عليهم والمسنون لهم والمحدود فيهم فمن قبل واليته ومن تولى اريديته وما تجاوزت حكم الله ولا تعديته والسلام

ذكر خروج الملثمين الى السوس أولا وثانيا ومقتل عبد الله بن ياسين :

قال وفي سنة خمسين وأربعمائة قحطت بلاد الملثمين وماتت مواشيهم ولقوا شدة عظيمة فأمر عبد الله ضعفاءهم بالخروج الى

(12) ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 620.

(12م) اى يبتعدان بماشيتهم عن الناس في المرعى.

السوس الاقصى وأخذ الزكاة فخرجوا وقالوا نحن مرابطون خرجنا اليكم من الصحراء نطلب حق الله من أموالكم فجمعوا لهم شيئا له بال فرجعوا به الى الصحراء ثم ضاقت الصحراء بالمرابطين لشظفها وكثرتهم فطلبوا اظهار كلمة الحق. (13) فخرجوا الى السوس الاقصى فتسامع بهم أهل بلاد السوس فاجتمعوا وجيشوا وخرجوا لقتالهم وصدقوهم القتال فكسروهم وقتل ابن ياسين وأنهزم جيش المرابطين فجمع أبو بكر جيشا وخرج الى بلاد السوس ثانية في الفى راكب فاجتمع عليه من قبائل بلاد السوس وزناتة اثنى عشر الف فارس فأرسل اليهم رسلا..وقال لهم افتحوا لنا الطريق «لنجوز الى الاندلس» (*) فما [361] قصدنا الا غزو المشركين فأبوا ذلك واستعدوا للقتال فنزل أبو بكر وصلى الظهر على درقته ثم قال اللهم ان كنا على الحق فانصرنا عليهم وان كنا على الباطل فأرحنا بالموت مما نحن فيه ثم ركب ولقيهم فانهزموا وقتل فيهم قتلا ذريعا واستباح اسلابهم وأموالهم وعددهم فقويت نفسه ونفوس أصحابه (14) .

ذكر استيلائه على مدينة سجلماسة :

قال : ثم سار أبو بكر في أطراف البلاد الى مدينة سجلماسة فنزل عليها وطلب أصحابه من أهلها الزكاة فقالوا لهم انكم لما اتيتمونا في عدد قليل وسعكم فضلنا والان فضعفاؤنا فيهم كثرة وقد أثرناكم سنين وما هذه حالة من يطلب الزكاة بالسلاح والخيل وانما انتم قوم محتالون ولو اعطيناكم أموالنا باسرها ما عمتكم وخرج اليهم صاحبها في عسكر كبير فحاربوه وطالت الحرب بينهم ثم ساروا الى قول وهو جبل قريب من الصحراء فاجتمع اليهم

(13) «والعبور الى الاندلس ليجاهدوا الكفار»، التكملة من عند ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 621.

* مابين قوسين زيادة من ج وابن الاثير : الكامل 9 : 621.

(14) ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 621.

من كزولـة خلـق كثيـر ورجعوا الى سجلماسـة واستولوا عليها بعـد حروب وقتل مسعـود بن وروا واستخلـف أبو بكـر عليهـا يوسف ابـن تاشفيـن اللمتونـى من بنى عمـه الاقربين ورجع الى الصحراء وكـان فتحهـا في سنـة ثلاث وخمسين وأربعمائة (15) .

[362] قـال : ولما ولى يوسف بن تاشفين ، أحسن الى الرعيـة ، واقتصر منهم على الزكـاة ، قـال : وأقام أبوبكـر بالصحراء مدة ، ثـم عاد الى سجلماسة ، فأقام بها سنة، والخطبة والدعاء والامر والنهـى لـه، ثم استخلف على سجلماسـة ابن أخيه أبابكر (16) بـن ابراهيـم ابن عمـر ، وجهز يوسف بن تاشفين ، جيشا من المرابطين الى السوس ففتـح له وعلى يديه . وتوفى أبو بكـر في سنة اثنتين وستين واربعمائة بالصحـراء .

ذكر ولاية يـوسـف بن تـاشفين

قـال : ولما توفى أميـر المسلمين أبو بكـر بن عمـر ، اجتمعـت طوائف المرابطيـن على يوسف بن تاشفيـن وولوه أمرهم وسموه أميـر المسلمين (16 م) وكانت الدولة حينئذ في بـلاد المغرب لزناتة الذين ثاروا في أيام الفتن وهى دولـة ردية مختلة سيئة السيـرة مذمومة الطريقـة وكان يوسـف ومن معه على نهج السنـة واتبـاع ائمـة الشريعة فاستغاث بـه أهل المغرب فافتتحها شرقـا وغربـا بايسـر سعـى واحبتـه الرعيـة وصلحـت احوالهـم (17) .

(15) ابن الاثير : الكامل 9 : 621.

(16) التكمله من ج، ابن الأثير : الكامل ج 9 ص 622.

(16م) اول من تلقب بأمير المسلمين هو يوسف ابن تاشفين فى منتصف محرم سنه 400 هـ. حسب الكتاب الذى أورده صاحب الحلل الموشية «امير المسلمين وناصر الدين». بينمـا اغلب المصادر تحدد تلقبه به بعد انتصـاره فى وقعة الزلاقـة سنة 479 هـ. ويبـدو ان المرابطين لم يتلقبوا «بأمير المؤمنين» لاعترافهم بالسيادة العباسية او لاحترامهم لذكرى عبـد الله ابن ياسين صاحب دعوتهم والذى ربما نعتـوه أحيانا ببعض القاب الخلافة حسب رأى شـان. انظر حسن باشا : الالقاب الاسلامية ص 193، محمد ولد داداه : مفهوم الملك فى المغرب ص 113، 216.

(17) ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 622.

ذكر بناء مدينة مراكش (18) :

قال : ثم قصد أمير المسلمين موضع مدينة مراكش ، وهو قاع صفصف لا عمارة فيه، وهو صقع متوسط في مملكة [363] بلاد المغرب، كالقيروان في بلاد افريقية ، تحت جبال المصامدة ، الذين هم أشد أهل المغرب قوة وامنعهم معقلا ، فاختط المدينة هناك ، ليتقوى على تدويخ أهل تلك البلاد ، واتخدها دار ملكه، ومقر سكنه، فلم يعانده احد من أهل تلك النواحى ، لهيبته في نفوسهم ، وعظم ذكره بالمغرب وملك المداين المتصلة بالبحر مثل سبتة وسلا وطنجة وغيرها وكثرت أمواله وجنوده وخرج اليه جماعة لمتونة وكثير من القبائل وضيق لثامه هو وجماعته (19) .

ذكر ما قيل في سبب لثام المرابطين :

قيل أنهم كانوا في الصحراء، يتلثمون لشدة الحر والبرد، كما يفعل العرب في البرية ، والغالب على ألوانهم السمرة، فلما ملكوا البلاد ضيقوا ذلك اللثام.

وقيل ان طائفة منهم من لمتونة في الصحراء، خرجوا للاغارة على عدوهم فخالفهم العدو الى بيوتهم ، ولم يكن بها الا الصبيان والمشايخ والنساء فلما تحقق المشايخ ، انه العدو ، أمروا النساء، أن يلبسن ثياب رجالهن ، ويتعممن بالعمائم ، ويسترن وجوههن باللثام، وان يضيقنه، حتي لا يعرفن ، ففعلن ذلك ولبسن السلاح . وتقدم [364]

---

(18) اختلفت الروايات حول تاريخ تأسيس مدينة مراكش وكذا حول مؤسسها. فالرواية الاولى تذكر انها اسست فى 454هـ او 459هـ او 462هـ او 470هـ على يد يوسف ابن تاشفين. وتتفق هذه الرواية مع النويرى حول المؤسس ولكن تختلف معه حول التاريخ. (روض القرطاس ص 138، اعمال الاعلام ق 3 ص 234. الروض المعطار ص 540.) اما الرواية الثانية فتذكر انها اسست فى 462 هـ. على يد أبى بكر بن عمر اللمتونى. وتتفق الرواية الثانية مع النويرى فى التاريخ وتختلف حول المؤسس — قطعة المرابطين من البيان المغرب ص 19 — 20 ، الحلل الموشية ص 15.

(19) ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 622.

المشايخ والصبيان أمامهن واستدرن هن بالبيوت ، فلما أشرف العدو رأى جمعا عظيما ، هاله ، وقال : هاؤلاء حول حريمهم يقاتلون عليه قتال نخوة (*) فقد ترجلوا للموت ، والرأي أن نسوق النعم (20) ونمضي ، فان تبعونا قاتلناهم خارج البيوت ، فبينما هم في جمع النعم من مراعيها اذ أقبل رجال الحي فصار العدو بينهم فقتلوا شر قتلة، ولم يسلم منهم الا القليل ، وقتل النساء منهم اكثر مما قتل الرجال. فاستحسنوا اللثام من ذلك الوقت فلا يزيلونه ليلا ولا نهارا حتى أن الرجل لا يأكل ولا يشرب مع أهله الا من تحت اللثام والمقتول منهم في المعركة لا يعرفه أصحابه بوجهه بل بلثامه (21) .

قال ابن شداد : ومما رأيت انه كان لى صديق منهم بدمشق، فأتيت يوما الى زيارته ، فدخلت اليه وقد غسل عمامته وسراويله مشدود على رأسه ، وقد تلثم بخلخاله . هذا بعد ان انقضت دولتهم وتفرقت جملتهم وتغربوا في البلاد .

قال : ولقد حكى لى من اثق به، انه رأى شيخا من الملثمين بالمغرب، بعد انقضاء الدولة، منزويا في ضفة نهر، يغسل خلقانه وهو عريان، وعورته بارزه، ويده اليمنى يغسل خلقاته (**) بها والاخرى يستر بها وجهه ، فقال له : استر عورتك بيدك، فقال : أنا ملثم [365] بها وقال بعض الشعراء (22) في اللثام :

قوم لهم درك العلا في حمير وان انتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

* نجده في ج 2 : 178.
(20) النعم : الابل وتطلق على البقر والغنم.
(21) ابن الاثير : الكامل جـ 9 ص 623.
** خلقاته زيادة من ج، ع وهى الثياب البالية.
(22) وهو الفقيه الكاتب أبو محمد بن حامد. انظر ابن أبى زرع، الانيس المطرب ص 137. ولاحظ الفروقات لبعض الكلمات بالبيتين.

وقال آخر :

اذا التثموا بالريط خلت وجوههم أزاهر تبدوا من فتوق الكمائم
أو النامـوا بالسابرية ابـرزوا عيون الافاعي من جلود الاراقم

نرجع الى أخبار يوسف بن تاشفين . قال : واستقامت له الامور ونزوج زينب بنت ابراهيم (23) زوجة أبي بكر بن عمر وكانت حظية عنده وآمرة عليه، وكذلك جميع الملثمين ، ينقادون لامور نسائهم، ولا يسمون الرجل الا بامه فيقولون ابن فلانة ولا يقولون ابن فلان.

وكانت زينب لها عزم وحزم، حكى عنها أن زرهون ويعرف بابن خلوف، وكان له أدب، فبلغ زينب انه مدح حسوا امرأة سير بن أبي بكر، وفضلها على سائر النساء بالجمال والكمال ، فأمرت بعزله عن القضاء فوصل الى اغمات واستأذن عليها فدخل البواب وأعلمها به، فقالت قل له · امضي الى التي مدحتها تردك الى القضاء، فبقي بالباب أياما، حتى نفذت نفقته، فأتى الى خادمها فقال له : ان مولاتك صرفتني [366] ونمت علي ، مدحه لامراة سير، ولو علمت ان ذلك يغضبها ما قلته، وقد نفدت نفقتي ، وأردت بيع هذا المهر، وعز على ان يصير في يد من لا يستحقه، وأنا أحب ان تعطيني مثقالين اتزود بهما الى أهلي، وخذ المهر فانت احق به، فسر الخادم وأعطاه مثقالين، وأخذ المهر ودخل على مولاته زينب وهو فرحان ، فقالت له : ما شأنك، فأخبرها الخبر، فرقت للقاضي وندمت على ما فعلت به، وقالت : اذهب فأتني به الساعة فأحضره اليها ، فقالت له : تمدح زوجة سير، وتفضلها على سائر النساء، وخرجت في وصفك لها عن الحد، وزعمت ان ليس في

---

(23) زينب بنت اسحاق الهوارى، في روض القرطاس ص 134، زينب النفزاوية، في قطعة البيان المغرب ص 18، زينب، في أعلام الاعلام ق3 ص 232.

الارض أجمل منها . وما هذه منزلة القضاة ، ولا يليق بك ان تنزل نفسك في هذه المنزلة ، فقال ارتجالا :

انت بالشمس لاحقة وهي بالارض لاصقة
فمتى ما مدحتها فهي من سير طالقة

فقالت له : يا قاضي طلقها منه . قال نعم ثلاثه وثلاثة وثلاثة، فضحكت حتى افتضحت، وقالت له : والله لاشم لها قفا أبدا وكتبت الى يوسف برده الى القضاء فرده .

ذكر استيلائه على مدينة غرناطة من جزيرة الاندلس .

[367] كان سبب ذلك ما قدمناه في اخبار الدولة العبادية ان المعتمد ابن عباد، لما وقع بينه وبين الادفونش، ملك الفرنج صاحب طليطلة، وقتل ابن عباد رسله وجمع الادفونش عساكره، استنجد ابن عباد بامير المسلمين يوسف بن تاشفين ، فدخل بعساكره الى جزيرة الاندلس، واجتمع بالمعتمد بن عباد وتوجها جميعا لقتال الفرنج ، وكانت وقعه الزلاقة التى انهزم فيها الادفونش ، وقتل عامة عسكره ، على ما قدمناه مبينا في أخبار المعتمد بن عباد، وذلك في العشر الاول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين واربعمائة (24) .

ورجع أمير المسلمين الى مراكش ، فأقام بها الى العام الاتى، ثم دخل الى الاندلس ، وخرج اليه محمد بن عباد من اشبيلية في عسكره،

(24) يختلف المؤرخون حول تحديد تاريخ المعركه فيذكر المراكشى فى المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص 72 أنها فى رمضان سنة 480هـ ويتفق كل من ابن خلكان وابن الاثير وابن أبى ررح وصاحب الحلل الموشية مع النويرى فى تحديد السنة التى تمت فيها المعركة وهى 479هـ ولكنهم يختلفوا فى اليوم والشهر فابن خلكان يحدد يوم الجمعة 15 رجب وابن الاثير والنويرى فى العشر الاول من شهر رمضان، أما ابن أبى زرع وصاحب الحلل الموشية فيذكران أنها كانت يوم الجمعة 12 رجب وهذا هو التاريخ الصحيح لانه ورد فى خطاب الفتح ليوسف بن تاشفين، كما يوافق 23 أكتوبر 1086م وهو التاريخ الذى أوردته المصادر الاسبانية للموقعة.

انظر وفيات الاعيان ج 2 ص 484، الكامل ج 10 ص 154، الحلل الموشية ص 64، روض القرطاس ص 149، محمد عبد الله عنان : دولة الطوائف ص 323، 324.
Dozy : Historive ... V. III P. 129.

وانى عبد الله بن بلكين صاحب اغرناطة في عسكره ، وساروا حتى نزلوا على ليطة، وهو حصن منيع كان فيه النصارى، فحاربوه أياما فلم يطيقوا فتحه ، فرحلوا عنه بعد مدة ، ورجع المعتمد الى اشبيلية. وكان طريق يوسف بن تاشفين على مدينة اغرناطة ، فدخل عبد الله ابن بلكين اليها ليخرج الى يوسف الوظائف، فغدر به يوسف، ودخل اغرناطة وأخرجه منها، واستولى عليها ودخل قصر عبد الله، فوجد فيه من الاموال والذخائر ما لم يحوه ملك من ملوك الاندلس. [368] ومما وجد فيه سبحة ، فيها أربع مائة جوهرة قومت كل جوهرة بمائة دينار (*) ، ومن أنواع الجواهر واليواقيت والزمرد ما لا تحصى قيمته، ومن العين الفى الف دينار، ومن فاخر الثياب وأوانى الذهب والفضة ما لا يعرف له قيمة ، وأخرج عنها تميم بن بلكين أخا عبد الله، وسار بهما الى مراكش وذلك في سنة ثمانين (**) وأربعمائة (25) ورجع أمير المسلمين الى مراكش فأطاعه من كان لم يطعه من بلاد السوس وورغة وقلعة مهدي (26) .

ذكر ملك أمير المسلمين جزيرة الاندلس :

وفي سنة اربع وثمانين واربع مائة، ملك من جزيرة الاندلس ما كان بقى بيد المسلمين بها، وهى قرطبة واشبيلية والمرية وبطليوس، وذلك انه سار في هذه السنة من مراكش الى سبتة، وادخل العساكر مع سير بن أبى بكر الى الاندلس ، وحشد خلقا كثيرا وأمره بمحاصرة اشبيلية ، فحاصرها وفتحها في يوم الاحد لتسع بقين من شهر رجب من هذه السنة وأسر المعتمد بن عباد ونقله الي اغمات فحبسه بها حتى مات على ما قدمناه مبينا في أخبار ابن عباد.

* بمائة مثقال فى د.
** ثمان فى د وصحتها من ج 2 : 182، ع.
(25) تم ذلك فى جوازه الثالث الى الاندلس فى سنة 483هـ، الحلل الموشية ص 71..
(26) ابن الاثير : الكامل جـ 10 ص 154 ــ 155.

قال : ثم خرج سير من اشبيلية الى مدينة المرية، فنزل عليها وكان واليها محمد بن معن بن (26 م) صمادح [369] . فقال لولده : «ما دام المعتمد بن عباد باشبيلية فلسنا نسائل عنه» فأتاه الخبر بفتح اشبيلية وأسر ابن عباد فمات غما فخرج ولده باخوته وأهله في مركب حربي شحنه بأمواله ، وأقلع الى الجزائر والتحق ببني حماد، فأحسنوا اليه وأسكنوه مدينة تدلس.

قال : وكان أبو محمد عمر بن محمد بن عبد الله بن مسلمة (*) المعروف بابن الافطس صاحب بطليوس ، ممن أعان المعتمد فلما سمع بفتح اشبيلية رجع الى بلده ، فسار اليه سير بن أبي بكر فحاربه وغلبه ، وأتى به وبولده الفضل اسيرين ، فأمر سير بضرب اعناقهما (**)، فقال : قدموا ولدي قبلي للقتل ليكون في صحيفتي، فقتل قبله ثم قتل هو بعده.

قال : ولم يترك سير من ممالك الاندلس وملوكهم سوى بني هود فانه لم يقصد بلادهم وهي شرقي الاندلس ، وصاحبها يومئذ المستعين بالله هود ، وهو من الشجعان الذين يضرب بهم المثل، وكان قد حصل عنده من آلات الحصار والاقوات ما يكفيه عدة سنين، بمدينة روطة، وكانت قلعة حصينة ، وكان يهادي أمير المسلمين قبل ملكه الاندلس ، ويكثر مراسلته فرعا له ذلك ، حتى أنه أوصى ابنه على بن يوسف عند موته بترك التعرض الى بلاد هود. وقال : اتركهم بينك وبين العدو [370] فانهم شجعان .

(26م) محمد بن صمادح بن معن في النويري وهو أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبي. راجع أخباره في الذخيرة، القسم الاول، المجلد الثاني، : 729، البيان المغرب 3 : 173. والمغرب 2 : 195، والحلة السيراء 2 : 78 — 88.

* مسلم في النويري وصحتها من الذخيرة، القسم الثاني، المجلد الثاني : 640، 646 وانظر مصادر ترجمته في حاشية (3).

** أعناقهم في ج 2 : 183.

قال : وتتابعت للفتوح على امير المسلمين حتى احتوى على جميع بلاد الاندلس ، التي كانت للمسلمين وما والاها من البلاد، في البر الكبير من جميع بلاد السوس والجبال والصحراء، وفتح في بلاد الفرنج فتوحا كثيرا (27) .

ذكر حيلة لامير المسلمين ظهرت ظهورا عجيبا :

قال : كان بالمغرب انسان ، اسمه محمد بن ابراهيم الكزولي سيد قبيلة كزولة ، ملك جبلها ، وهو جبل شامخ منيف، وهي قبيلة كبيرة ، وكان بينه وبين يوسف بن تاشفين مودة واجتماع ، فلما كان في سنة اثنتين وثمانين وأربع مائة ارسل يوسف اليه يطلب الاجتماع به ، فركب حتى قاربه (27 م) ثم رجع وخافه على نفسه فكتب اليه أمير المسلمين يحلف أنه ما أراد به سوءا ولا قصد الا خيرا ، فلم يرجع لذلك . فدعا يوسف حجاما وأعطاه مائة دينار وضمن له مثلها ، ان سار الى محمد بن ابراهيم وتحيل في قتله ، فسار الحجام ومعه مشاريط مسمومة فصعد الجبل وجعل ينادي بالقرب من مساكن محمد، فسمعه فقال : «هذا الحجام من بلدنا» ؟ فقيل : «انه غريب» فقال : «أراه يكثر الصياح وقد ارتبت منه» فأحضره عنده واستدعى حجاما غيره وأمره أن يحجمه [371] بمشاريطه (*) التي معه ، فامتنع الحجام الغريب فأمسك وحجم بها فمات، فلما بلغ ذلك يوسف أزداد غيظا وحنقا ، ولج في السعى في أذي يوصله الى الكزولي.

فاستمال قوما من أصحابه، فمالوا اليه، فأرسل اليهم جرارا من عسل مسموم ، فحضروا عند محمد وقالوا قد وصل الينا قوم معهم جرار من عسل ، وأردنا اتحافك به وأحضروها بين يديه ، فلما قدمت

(27) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 187، 189، 192، 193.
(27م) فارقه في د، ج 2 : 184 حاشية (1) وصححتها من ابن الاثير 10 : 178.
* بمشاريط في ج 2 : 183.

لـه امـر باحضار خبـز، وأمـر أولئك القـوم الذين أحضروا العسل ان يأكلـوا منه، فامتنعـوا واستعفوا من الاكـل، فقال من لم يأكـل منه قتل بالسيف، فأكلـوا فماتـوا عن آخرهم، فكتب الى أمير المسلميـن، انـك قد اردت قتلـى بكل سبب فلم يظفـرك الله ، وكشف لى عن سريرتك. وقد اعطاك اللـه المغرب باسـره، ولم يعطنـى الا هذا الجبـل وهو في بـلادك كالشامة البيضـاء في الثـور الاسـود، فلم تقنع بما اعطاك الله عـز وجل ، فكـف أميـر المسلميـن عنـه (28) .

ذكـر ولايـة أميـر المسلميـن من قبل الخليفة أمير المومنين المستظهر بالله:

قال : كان الفقهاء بالاندلس، قالوا لامير المسلمين يوسف بن تاشفين، انه لا تجب طاعتك على المسلمين حتى يكون لك [372] عهد من الخليفة، فارسل قوما من أهلـه (29) الى بغـداد بهدية نفيسـة وكتاب يذكـر فيه ما فعل بالفرنـج وما قصـده من نصـرة الدين والجهـاد في سبيـل اللـه، فجاءه رسول من أميـر المومنيـن ابى العبـاس احمـد المستظهـر باللـه (30) بهديـة وكتاب وتقليـد وخلـع.

ودام ملك أميـر المسلمين الى سنـة خمـس مائة فتوفى فيها فكانت مـدة ولايتـه ثمانى وثلاثيـن سنـة تقريبـا.

وكـان دينا حازمـا سؤوسـا ذا دهـاء الا انـه أبـان عن لوم لمـا اعتقـل المعتمد بـن عبـاد باغمات فانه لم يجـرِ عليه ما يقـوم به حتى كانت بناته يغزلن بالاجـرة للنـاس وينفقن عليهـن وعليه ولما مـات يوسـف ولـى بعـده ابنـه (31) .

(28) يتطابق العنوان والنص مع ابن الاثير، انظر الكامل ج 10 ص 178 — 179.
(29) يروى ابو بكر بن العربى المعافرى المالكى قاضى قضاة اشبيلية على عهد المرابطين، انه قسام في 485 هـ، برحلة الى المشرق صحبة والده وكـان عمره اذ ذاك لم يتجاوز 17 سنة، بهدف طلب خطاب شريف من حضرة الخلافة يشتمل على تسليم جميـع بـلاد المغـرب الى الامير يوسف بن تـاشفين ليكون رئيسهم وؤروسهم تحت طاعته. انظـر احمد مختار العبادي : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص 103.
(30) حكم فى الفترة من 487 — 512هـ / 1094 — 1118م وقد استجاب الخليفة العباسى لهـذا الطلب.
(31) ابـن الاثـير : الكـامل ج 10 ص 417.

ذكر ولاية على بن يوسف بن تاشفين

كانت ولايته بعد وفاة أبيه في سنة خمس مائة ، وكان أبوه قد عقد له الامر بعده في سنة تسع وتسعين وأربعمائة، فاستقل بالامر بعده وتلقب بأمير المسلمين ، وكان يقتدي في القضايا والاحكام بفقهاء بلاده ويقربهم ويكرمهم واذا اتته نصيحة قبلها أو موعظة خشع لها وسار في رعيته احسن سيرة فأحبه الناس واشتملوا عليه ومالوا اليه (32) .

ذكر محاربته الفرنج خذلهم [373] الله تعالى وانهزامهم :

وفي سنة خمس وخمس مائة خرج ملك الفرنج صاحب طليطلة. ابى بلاد الاسلام، وجمع وحشد وكان قد قوى (33) طمعه في البلاد. لما مات يوسف بن تاشفين ، فخرج امير المسلمين علي ، لحربه ولقيه واقتتلوا قتالا شديدا ، وكان الظفر للمسلمين وانهزم الفرنج اقبح هزيمة وقتلوا قتلا ذريعا واسر منهم اسرى كثيرة، وسبى وغنم من أموالهم ما يخرج عن الاحصاء، فخافه الفرنج بعد ذلك وامتنعوا من قصد بلاده وذل الاذفونش (34) .

ذكر الفتنة بقرطبة :

وفي سنة ثلاث عشرة وخمس مائة وقيل اربع عشرة، كانت فتنة عظيمة بين عسكر أمير المسلمين علي بن يوسف وبين أهل قرطبة، وسببها انه كان قد استعمل عليها أبا بكر يحيى بن داود، فلما كان يوم عيد الاضحى ، خرج الناس متفرجين فمد عبد من عبيد أبى بكر يده الى امرأة ومسكها، فاستغاثت بالمسلمين فأغاثوها (34 م)، فوقع بين العبيد وأهل البلد فتنة عظيمة، ودامت جميع النهار الى الليل

(32) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 417.
(33) طوى فى د، ج وصححتها من ع وابن الاثير، الكامل 10 : 490.
(34) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 490، 491.
(34م) فأعانوها فى د، ع وصححتها من ج 2: 186.

وتفرقوا، واجتمع الفقهاء والاعيان الى أبي بكر ، وقالوا له المصلحة ان تقتل واحدا من العبيد الذين أشاروا [374] الفتنة، فأنكر ذلك وغضب منه، واصبح من الغد وأظهر السلاح والعدد واراد قتال أهل البلد ، فركب الفقهاء والاعيان والشباب ، وقاتلوه فهزموه. وتحصن منهم بالقصر فحصروه ونصبوا السلاليم وصعدوا اليه فهرب من البلد بعد مشقة وتعب، فنهبوا القصر واحرقوا جميع دور المرابطين، ونهبوا أموالهم وأخرجوهم من البلد على اقبح صورة.

واتصل الخبر بأمير المسلمين ، فأكبر ذلك واستعظمه وجمع العساكر من صنهاجة وزناتة والبربر وغيرهم ، وجاء الى قرطبة في سنة خمس عشرة وخمس مائة وحصرها، فقاتلهم أهلها قتال من يذب عن نفسه وماله وحريمه ، فلما رأي شدة قتالهم ، دخل السفراء بينهم وسعوا في الصلح ، فاجاب الى ذلك على أن يغرم أهل قرطبة للمرابطين ما نهبوه من أموالهم ، فاستقرت القاعدة على ذلك وعاد عن قتالهم (35) .

وفي أيام علي بن يوسف ظهر المهدي محمد بن تومرت وعبد المؤمن بن علي ، فضعف أمر الملثمين وكان بينهم من الحروب ما نذكره من أخبار (*) الموحدين .

وكانت وفاة علي بمراكش في سنة خمس وثلاثين وخمس مائة فكانت مدة ولايته خمسا وثلاثين سنة وولى بعده ابنه.

---

(35) لاحظ التطابق عند ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 558.

* «في أخبار» بنسخة ع.

[375] ذكر ولاية تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين :

كان أبوه قد ولاه العهد وأخرجه لحرب عبد المؤمن ، فما زال يحاربه والغلبة والظفر لعبد المؤمن الى أن توفي والده على ابن يوسف، فاستقل بالامر بعده ولازم حرب عساكر عبد المؤمن ، الى ان مات في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمس مائة (**) ، وولى بعده أخوه :

اسحاق بن على

[ابن يوسف بن تاشفين]

فضعف أمر دولتهم ، واستولى عبد المؤمن على البلاد ، وملكها بلدا بلدا الى أن حاصر عبد المؤمن مراكش ، وملكها في سنة احدى وأربعين وخمس مائة فقتله عبد المؤمن صبرا، وانقرضت دولة الملثمين وكانت مدة ولايتهم من حين خرجوا من البرية (35 م) الى أن قتل اسحق احدى وتسعين سنة. وعدة من ملك منهم خمسة ملوك وهم : أبو بكر بن عمر ، ثم يوسف بن تاشفين، ثم ابنه على بن يوسف، ثم ابنه تاشفين بن علي، ثم اسحق بن علي وعليه انقرضت الدولة، وسنورد في اخبار الموحدين طرفا من أخبارهم وحروبهم ان شاء الله تعالى .

** ويضيف ابن خلدون «يقال سنه احدى وأربعين... ثم بويع بمراكش ابنه، ابراهيم والفوه مضعفا عاجزا فخلع وبويع عمه اسحق بن على بن يوسف ابن تاشفين» العبر 6 : 189.

(35م) فى سنة خمسين وأربعمائة، زيادة فى ع، ج 2 : 188.

[376] ذكر ابتداء دولة الموحدين واخبارهم وسبب ظهورهم

أول من ظهر من ملـوك هذه الدولة ، وأسس قواعدها، وقام باعبائها وأنشأها المهدي محمد بن تومـرت، وكان ابتداء امره وظهوره في سنـة اربع عشرة وخمسمائة وستذكر ابتداء حاله وكيف تنقلت (36) به الحال ومـا كـان منه ان شـاء اللـه تعالـى .

ذكـر اخبـار المهـدي محمد بـن تومـرت :

هو أبـو عبد اللـه محمد بن تومـرت الحسنى (36 م) وقبيلته مـن المصامدة تعـرف بهرغة في جبل السوس، نزلوا به لما فتحه المسلمـون مـع موسـى بن نصيـر .

---

(36) المغرب في ج 2 : 188.

(36م) لقد اختلف المؤرخون حول نسب ابن تومرت ، فابن القطان، يورد ثلاثة روايات،
الاول : محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن هـود بن خالد بن تمـام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد بن الحسن بن على بن ابى طالب
والثانى : يختلف عن الاول بحذف سفيان، وادراج يحيى بين صفوان، وعطاء، ويسار بن العباس بين رباح ومحمد.
والثالث : هو محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن على بن ابى طالب.
وتدور روايات بقية المؤرخين حول الانساب الثلاثة السالفة، بعد اضافة اسم أو حذف اسم آخر. ومن الصعب ترجيح رواية احد هؤلاء المؤرخين على رواية غيره، غير ان ابن ابى زرع يذكر ان ابن تـومرت نفسه هو الذى ادعى هذا النسب الشريف وانه اما من قبيلة هرغة أو كنفسة البربريتين. أنظر ابن القطـان : نظم الجمان ص 34، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج 4 ص 137، ابن ابى زرع : روض القرطاس ص 172، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 464 ــ 465، الحلل الموشية ص 103.
غير أنه يبدو أن النسب الثالث لابن القطان فيمـا يخـص الاسمـاء الاولى على الاقل، هو أكثر الروايات احتمالا. ذلك أن صاحب الانساب قد أورد، اسم عم لابن تومرت هو أبو ركن بن وجليد واسم عمة له هى حواء بنت وجليد.
Levi-Provençal : Documents Inedites d'histoire almohade, P. 21.

وكــان ابتــداء امــر المهدي ، انه رحل في شبيبته (37) الى بــلاد المشــرق ، في طالــب العلــم ، وكان فقيهــا فاضلا محدثا عارفــا بأصولى الديــن والفقــه محققا لعلــم العربيــة وكان ورعــا ناسكا، ووصـــل في سفـره الى العراق ، واجتمع بالغزالى ، والكيا الهراس، وقيل لم يجتمـع بالغزالى (38) ، واجتمـع بابى بكر الطرطوشى (39) بالاسكندرية ، وحج ورجع الى المغــرب.

قــال : ولما ركــب البحــر من الاسكندرية مغربا غير المنكــرات في المركــب ، والــزم من فيه باقامــة الصــلاة [377] وقــراءة القرءان، حتى انتهــوا الى المهديــة، وسلطانها حينئذ يحيى بن تميــم بن المعز ابــن باديــس، وذلك في سنـــة خمس وخمسمائة ، فنزل بمسجد وليس معــه سوى ركوة وعصــا فتسامــع به أهــل البلــد، فقصدوه يقــرؤون عليــه أنــواع العلــوم، فكان اذا مــر بــه المنكــر أزالــه وغيــره ، فلما كثــر

(37) يتفق كل من ابن الاثير وابن خلكان مع النويرى فى ان ابن تومرت شرع فى رحلته فى شبيبته اى فى نهاية فترة المراهقة . أما ابن عذارى وصاحب الحلل الموشيه فيحددان سنة 500 هـ/ 1106 — 1107م، ويذكر ابن خلدون انهــا تمت على راس المائه الخامسه للهجرة، والمراكشى يقول فى سنة 501هـ/1107 — 1108م. راجع الكامل ج 10 ص509. وفيات الاعيان ج 4 ص 144، البيان المغرب (قطعة المرابطين) ص 59، الحلل الموشية ص 103، العبر ج 6 ص 465، المعجب ص 178.

(38) يتفق ابن الاثير مع النويرى فى احتمــال عدم اللقــاء بين ابن تومرت والغزالى، وتابعهمــا المستشرق جولدزيهر فى مقدمته لكتاب محمد بن تومرت، وروجــى لوتورنـــو، وهويس ميراندا، اذ ثبت وصول ابن تومرت الى المشرق فى 502 هـ/1108م وان وفاة الغزالى حدثت فى 505 هـ/1111م. وكان الغزالى يدرس بمدرسه نيسابور بين سنتــى 499 هـ و 502هـ وفى 503هـ عــاد الغزالى الى عزلته بطوس، شرقى نيسابور، لذلك امــا ان يكون اللقــاء تــم ببغداد وهذا يستلزم سفر الغزالــى اليها — عــدم ثبوت ذلك حتى الان — او أن يكون اللقاء تــم بطوس وهذا يستلزم سفر ابــن تومرت اليها وبالرغــم مــا يمتــاز بــه الطالب السوسي من رغبــة شديدة فى تحصيل العلم، الا أنــه يستبعــد هذا السفر، خصوصا لم يشر اليه اية مصدر. أنظر ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 569.

— Goldziher : Introduction au livre d'ibn T'umart P. 12.

رشيد بورويبة : ابن تومرت 31 — 32.

— R. Le Tourneau : The Almohad movement in North Africa in the twelfth and thirteen centuries P. 6

— Huici Miranda : Historia politica del Imperio almohada P. 29-32.

(39) الطوسى، عند النويرى والتصحيح من ابن الاثير ويبدو أن الخطأ جــاء نتيجــة أن الغزالى هو المقصود بالطوسى وليس أبى بكر، الكامل ج 10 ص 569.

ذلك منه، احضره الامير يحيى مع جماعة من الفقهاء، فأعجبه سمته وكلامه فاحترمه وسأله الدعاء.

ثم رحل من المهدية وأقام بالمنستير، مع جماعة من الصالحين مدة، وسار الى بجاية وفعل مثل ذلك، فاخرج منها الى قرية بالقرب منها اسمها ملالة (40)، فلقيه بها عبد المؤمن، فرأى منه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم والقيام بالامر، فسأله عن اسمه وقبيلته، فأخبره أنه من قيس عيلان ثم من بني سليم، فقال محمد بن تومرت : هذا الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين قال ان الله لينصر هذا الدين في آخر الزمان برجل من قيس، فقيل من أي قيس ؟ فقال : من بني سليم» واستبشر بعبد المؤمن، وسر بلقائه، وكان مولد عبد المؤمن بمدينة تاجرة (40 م) من أعمال تلمسان، وهو من بني عابد (41) قبيلة من كومية [378] نزلوا بذلك الاقليم في سنة ثمانين ومائة.

قال : ولم يزل المهدي يلازم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الى ان وصل الى مراكش، وهى دار مملكة علي بن يوسف بن تاشفين، فرأي فيها من المنكرات أكثر مما عاينه في طريقه، فزاد أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فكثر اتباعه وحسنت ظنون الناس فيه.

فبينما هو في بعض الايام في طريقه، اذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها، ومعها عدة من الجواري الحسان وهن مسفرات، وكانت هذه (*) عادتهم، فحين رأي النساء كذلك، انكر عليهن وأمرهن بستر وجوههن، وضرب هو واصحابه دوابهن، فسقطت اخت أمير المسلمين

(40) ملاية، عند النويرى والتصحيح من البيدق وابن خلدون، انظر اخبار المهدى بن تومرت ص 36 — 37، العبر ج 6 ص 467.

(40م) وهى تقع على بعد ثلاثة أميال من مرسى هنين بالجزائر ويسميها ابن خلدون تاكرارت ويجعلها حصنا فى الجبل المطل على هنين. انظر ابن أبى زرع : القرطاس 183، ابن خلدون : العبر 6 : 127.

(41) وهى قبيلة بحوز ندرومة (فى غرب الجزائر حاليا) وما زالت تعرف بهذا الاسم حتى الان. وفى ج عائذ 2 : 189.

* من زيادة فى ج 2 : 190، ع.

عن دابتهـا، فرفع أمـره الى أميـر المسلمين علي بن يوسـف، فاحضره واحضر الفقهـاء لمناظرته، فأخذ يعظـه ويذكـره ويخوفه فبكـا أميـر المسلميـن (*)، وأمـر أن يناظروه فلـم يكن فيهم من يقوم له لقـوة ادلته، وكان عند أمير المسلمين رجل من وزرائه اسمه مالك بن وهيب (**) فقال له : «يا أمير المسلمين ان هذا والله لا يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكـر، انما هو يريد اثـارة فتنة والغلبة على بعض النواحي، فاقتله وقلدني دمه». فلم يفعل ذلك فقال : [379] «اذا لم تقتلـه فاحبسه وخلده السجن، والا اثـار شرا لا يمكـن تلافيه» فاراد حبسـه فمنعه من ذلك رجل من أكابـر الملثميـن يسمى يثبان بن عمران (41 م)، فأمر باخراجه من مراكـش.

فسـار الى اغمـات ولحق بالجبل ، وسار منه حتى التحق بالسوس الذي فيه قبيلته هرغة وغيرهم من المصامدة، وذلك في سنة أربع عشـرة وخمسمائة ، فأتوه وأجتمعوا حوله ، وتسامـع به أهل تلك النواحـي. فوفدوا اليه وحضر اعيانهم بين يديه ، فجعل يعظهم ويذكرهم شرائع(***) الاسـلام وما غير منها وما حـدث من الظلـم والفساد، وانه لا تجـب طاعـة دولـة من هذه الـدول لاتباعهم الباطـل بل الواجب قتالهم ومنعهم مما هم عليه، فأقام على ذلك نحـو سنة وتابعته قبيلة هرغـة ، وسمى اتباعـه الموحديـن، وأعلمهم ان النبى صلى الله عليـه وسلم بشـر بالمهـدي الدي يمـلا الارض عـدلا، وان مكانه الـذي يخرج منه المغـرب الاقصى ، فقام اليـه عشـرة رجال منهم عبـد المؤمن فقالوا : «لا يوجـد هذا الا فيـك وانت المهـدي» فبايعـوه على ذلـك.

فانتهـى خبـره الى أميـر المسلميـن، فجهز جيشـا من أصحابـه لقتالـه ، فلمـا قربـوا من الجبل الـذي هو فيـه، قال لاصحابه : ان هاؤلاء يريدوننـي وأخـاف عليكـم منهـم [380] والرأي أن أخـرج الى غير هذه

* على بن يوسف زيادة فى ج 2 : 190.
** مالك بن وهب فى ع، د.
(41م) ينتيان بن عمر، فى الحلل الموشية ص 84، بيان بن عثمان، عنـد ابن الاثـير : الكامل ج 10 ص 571.
*** شعائر فى ع.

البــلاد لتسلموا انتــم ، فقــال لــه ابن توقيان من مشايــخ هرغة : هــل تخاف شيئا من السماء ؟ فقال : «بل من السماء تنصرون»، فقال ابـن توقيان : «فلياتنا كل من في الارض» ووافقته جميــع قبيلتــه ، فقــــال المهــدي : عنــد ذلك ابشــروا بالنصــر والظفــر بهذه الشرذمة، وبعــد قليــل تستأصلون دولتهم، وترثــون ارضهم ، فنزلوا من الجبــل ولقــوا جيش أميــر المسلمين فهزموهم وأخذوا اسلابهم ، وقوى ظنهم بصــــدق المهــدي حيث ظفــروا كمــا أخبرهم.

فاقبلــت اليــه أفــواج القبائــل من الجبــال التى حوله شرقــا وغربا فاقبــل عليهــم واطمأن اليهم، وأتتــه رسل أهل تينمــل بطاعتهــــم وطلبــوه اليهــم ، فتوجــه الى جبــل تينمــل وأقــــام بــــــه واستوطنـــه ، وبايعته قبيلــة هنتاتــة وهى من اقوى القبائــل، والــف كتابا في التوحيــد ، وكاتبا في العقيــدة، ونهج لمن معــه طريق الادب مع بعضهــم بعضــا، والاقتصار على لبــاس الثيــاب القليلــة الثمن، وهو في خــلال ذلك يحرضهم على قتــال عدوهم واخراج الاشــرار من بين أظهرهم. وبنــى لــه مسجــدا بتينمــل خارج المدينــة، فكان يصلى فيه الصلوات الخمــس هو وجميــع من معه ، ويدخل البلــد بعد العشــاء الاخرة، فلمــا رأي كثــرة أهل البلــد وحصانــة المدينــة، [381] خاف ان يرجعوا عنــه فأمرهــم ان يحضروا عنــده بغير ســلاح ففعلوا ذلــك عــدة أيــام، ثــم أمــر اصحابه ان يقتلوهم فقتلوهــم في ذلك المسجــد، ثم دخل المدينــه فقتل بها وأكثر وسبى الحريــم ونهب الاموال، فكانت عــدة القتلــى خمســة عشــر الفــا. وقسم المساكن والارض بين أصحابه وبنــا على المدينــة ســورا وقلعــة على رأس جبــل تينمــل (42) وهو جبل عــال فيــه أشجار وزرع وأنهــار جاريــة، والطريق اليــه صعب.

(42) بعد اقامة المهدى فى قرية ايجى لمسدة ثلاث سنوات وهى التى ولد فيها ابن تومرت انتقل الى تينمل وكانت تمتــاز بمنعتهــا، كما يظهر من خلال أخبار المؤرخين والجغرافيين وذلك للاعتصام من هجمات المرابطين، التى مــا فتئـت تزداد قسوة، يومــا بعد يوم، انظر روايــات ابن القطان : نظم الجمــان ص 85، وصاحب الحلل الموشية ص 86. والادريسى : وصف شمال افريقية والصحراء ص 40 — 41، هنرى بــاسى وهنــرى تيراس H. Basset et H. Terrasse : Timmel, Hesperis, 1924..
رشيد بوروبية : ابن تومرت ص 74 — 75.

وقيل انه لما خاف أهل تينمل نظر الى أولادهم فرآهم شقرا زرقا، والذي يغلب على الاباء السمرة ، فقال لهم مالي أراكم سمر الالوان واولادكم شقرا زرقا، فقالوا لان لامير المسلمين عدة من المماليك الفرنج والروم ، وانهم يصعدون الى هذا الجبل في كل عام مرة ، يأخذون ما لهم فيه من الاموال المقررة من جهة السلطان، فيسكنون البيوت ويخرجون اصحابها منها ، فقبح الصبر على هذا، وأزرى عليهم وعظم الامر عندهم، فقالوا له فكيف الحيلة في الخلاص منهم، وليس لنا بهم قوة، فقال اذا حضروا عندكم في الوقت المعتاد وتفرقوا في مساكنكم ، فليقم كل رجل الى نزيله فيقتله، واحفظوا جبلكم فانه لا يرام ، ففعلوا ذلك عند مجيء [382] مماليك أمير المسلمين اليهم، ثم خافوا على نفوسهم فامتنعوا في الجبل، وسدوا ما فيه من طريق يسلك اليهم منه ، فقويت عند ذلك نفس المهدي، ثم أرسل أمير المسلمين جيشا كثيفا فحصرهم في الجبل، وضيق عليهم ومنع عنهم الميرة ، فقلت الاقوات عند أصحابه، فكان يطبخ لهم الحسا في كل يوم، وجعل قوت الرجل منهم، ان يغمس يده في ذلك الحسا ويخرجها فما علق عليها فهو قوته في ذلك اليوم ، فاجتمع أهل تينمل وأرادوا اصلاح حالهم مع أمير المسلمين فبلغه ذلك فاعمل الحيلة عليهم على ما نذكره (42 م) .

ذكر خبر ابي عبد الله الونشريسي :

قال : كان مع المهدي انسان يقال له أبو عبد الله الونشريسي (43) وهو يظهر الوله وعدم المعرفة بشيء من العلم والقرءان، ويصاقه

(42م) «فاعمل من الحيلة عليهم بما نذكره» في ع ولاحظ التطابق مع رواية ابن الاثير الكامل ج 10 ص 569 — 5/4.

(43) هو ابو محمد عبد الله بن محسن بن بكيمان بن الحسن بن ابحسين بن عبد الملك ابن كباب بن ريس — المكنى بالبشير — وهو من العشرة صحابة المهدي الاولين، وينتسب الى ميس عيلان مثل عبد المؤمن بن على وبعد أن ترك قبيلته بالمغرب الاوسط وهاجر الى المغرب الاقصى في صحبة المهدي، آخى المهدي بين البشير وبين قبيلة هرغة وعرف بالونشريس نسبة الى جبال ونشريس بابطاس التلي بالمغرب الاوسط. والنويري يذكره الونشريشي. نظر البيذق : خبار المهدى بن تومرت ص 27 — 28، والمقتبس من كتاب الانساب ص 23 وما بعدها.

يجري على صدره، وهو كالمعتوه ، والمهدي يقربه ويكرمه ويقول : «ان لله سرا في هذا الرجل سوف يظهر» هذا والونشريسي يشتغل بالقرءان والعلم في السر بحيث لا يعلم به أحد، فلما كان في سنه تسع عشرة وخمسمائة ، خاف المهدي من أهل الجبل، فخرج يوما لصلاة الصبح ، فرأي الى جانب محرابه انسانا طيب [383] الرائحة، فاظهر انه لا يعرفه ، وقال : من هذا ؟ فقال : «أنا أبو عبد الله الونشريسي» فقال له المهدي : «ان امرك لعجيب» ثم صلى فلما فرغ من صلاته نادى في الجبل، فاجتمع الناس وحضروا اليه، فقال لهم : ان هذا الرجل يزعم انه الونشريسي فانظروه وحققوا أمره، فلما أضاء النهار عرفوه ، فقال له المهدي : ما قصتك ؟ قال : «اتني أتاني الليلة ملك من السماء فغسل قلبي وعلمني القرءان والموطا وغيره من العلوم والاحاديث» فبكا المهدي بحضرة الناس، ثم قال له نمتحنك، فقال افعل، وابتدأ بقراءة القرءان فقرأ قراءة حسنة من أي موضع سئل ، وكذلك الموطأ وغيره وكتب الفقه والعلوم والاصول، فعجب الناس من ذلك واستعظموه.

ثم قال : ان الله قد أعطاني نورا اعرف به أهل الجنة من أهل النار، وامركم ان تقتلوا أهل النار وتتركوا أهل الجنة ، وقد انزل الله تعالى ملائكة الى للبير الفلانية يشهدون بصدقي ، فسار المهدي والناس معه وهم يبكون الى تلك البير، ووقف عند رأسها وصلى، وقال : يا ملائكة الله ان ابا عبد الله قد زعم كيت وكيت، فسمع من اسفل البير صدق صدق، وكان قد رتب بها رجالا [384] يفعلون ذلك فلما تكلموا قال المهدي ان هذا البير بير مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة والمصلحة أن تطم لئلا يقع فيها نجاسة، فالقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمها ثم نادى في الجبل بالحضور للتمييز (**) ومعناه العرض، فكان الونشريسي يعمد الى الرجل الذي يخاف

** عن التمييز الذى دبره المهدى بمساعدة البشير، انظر البيذق : اخبار المهدى، ص71، 72، المقتبس من كتاب الانساب ص 24، ابن القطان: نظم الجمان ص 102، 104

ناحيتيــه فيقول هذا من أهــل النــار . فيلقــى من الجبــل، والى الشــاب الغــر ومن لا يخشــاه فيقول هذا من أهــل الجنــة، فيتــرك عن يمينــه، فكــان عــدة القتلى سبعين الفــا، فلمــا فــرغ من ذلك أمــن على نفســه هــذا هو المشهــور عنــه في التمييــز.

وقيــل ان ابــن تومــرت لما رأى كثــرة أهل الشــر والفساد في الجبل، أحضر شيــوخ القبائل ، وقال لهــم انكــم لا يصلح لكــم دين ولا تقوى الا بالامــر بالمعــروف والنهــى عن المنكــر واخراج المفسدين من بينكــم. فابحثوا عن كــل من عندكــم من أهــل الشــر والفساد، فانهوهم فــان انتهوا والا فأثبتوا اسماءهم وارفعوها الى لانظر في امرهــم ، ففعلــوا ذلك وكتبــوا اليــه اسمــاء المفسديــن من كل قبيلــة، ثم امرهــم بذلك «مــرة» (43 م) ثانية وثالثــة ، ثــم جمع أوراقهم وأخذ منها ما تكــرر من الاسماء واثبتــه عنده، ودفع ذلك الى الونشريسى المعروف بالبشير، وأمــره أن يعــرض القبائــل وان [385] يجعل أولئك من جهــة الشمال، ومن عداهــم في جهــة اليميــن، ففعل ذلك ، وأمر المهدي ان يكتف مــن على شمــال الونشريسى فكتفوا ، ثم قال ان هؤلاء اشقياؤكم قد وجــب قتلهــم وأمــر كل قبيلــة بقتــل اشقيائها فقتلــوا عن آخرهم.

قــال : ولما فــرغ من التمييز ، رأى من بقــى من أصحابه على نيات خالصــة وقلــوب متفقة على طاعته، فجهــز جيشــا وسيرهم الى جبــال اغمــات، وبها جمع كثيــر من المرابطين، فقاتلوهم فانهزم أصحاب ابــن تومرت وكان أميرهم الونشريسى وقتل كثير منهم وجرح عمر انتات (44) وهو الهنتاتى ، وكان من أكبــر أصحاب المهدي، وسكن حسه ونبضــه، فقالوا مــات فقــال الونشريسى لــم يمــت ولا يموت حتى يملك البــلاد، فبعيــد ساعة فتــح عينيه وعــادت قوته الــيه فافتتنوا به ، ورجعــوا

(43م) مابين قوسين زيادة في د، ع.

(44) عمر اينتى شيخ قبيلة هنتاتة عند البيذق : اخبار المهدى بن تومرت ص 68 وهو المعروف بأبى حفص عمر بن يحيى الهنتاتى جد الحفصيين امراء تونس. أنظــر الانيــس المطرب ص 176، 190، 193، 198.

الى ابن تومرت فوعظهم وشكر صبرهم. ثم لم يزل بعد ذلك يرسل السرايا في أطراف البلاد، فاذا رأوا عسكرا تعلقوا بالجبل (*) فأمنوا على انفسهم وعلا أمر المهدي فرتب أصحابه على طبقات .

ذكر ترتيب أصحاب المهدي :

قال : ورتب المهدي «أصحابه» (**) مراتب، فالاولى : أية عشرة يعنى أهل عشرة وأولهم عبد المؤمن، ثم أبو حفص عمر انتات، وهو [386] الهنتاتي، وغيرهما وهم أشرف أصحابه، وأهل الثقة عنده والسابقون الى مبايعته .

والثانية : أية خمسين وهم دون تلك الطبقة وهم جماعة من رؤساء القبائل .

والثالثة : أية سبعين ، وهم دون الذين قبلهم في الرتبة السابقة.

وعامة : اصحابه والداخلين في طاعته موحدين (44 م).

ذكر حصار مراكش ووقعة البحيرة ومقتل أبى عبد الله الونشريسى :

قال : وفي سنة اربع وعشرين وخمسمائة ، جهز المهدي جيشا كثيفا يبلغون اربعين الفا أكثرهم رجالة ، وجعل عليهم الونشريسى ، وسير معه عبد المؤمن ، فساروا الى مراكش وحصروها وضيقوا على من بها، وبها أمير المسلمين علي بن يوسف ، فبقى الحصار عليها عشرين يوما، فارسل أمير المسلمين الى متولى سجلماسة يأمره ان يحضر ومعه الجيوش، فجمع جمعا كثيرا وسار فلما قارب عسكر المهدي، خرج أهل مراكش من غير الجهة التى اقبل منها ، والتقوا واقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل في أصحاب المهدي وقتل اميرهم الونشريسى.

---

* بالخيل في ة وصححتها من ج، ع.

** مابين قوسين زيادة من ج 2: 194، ع:

(44م) لاحظ التطابق مع رواية ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 574 — 576.

فولوا عبد المؤمن أمرهم وقدموه عليهم ، ودام القتال بينهم عامة النهار ، وصلى عبد المؤمن صلاة الخوف [387] الظهر والعصر والحرب قائمة ، فلما رأى المصامدة كثرة المرابطين وقوتهم ، اسندوا ظهورهم الى بستان كبير، يسمونه عندهم البحيرة، وصاروا يقاتلون من وجه واحد الى ان حجز بينهم الليل ، قال : ولما قتل الونشريسى دفنه عبد المؤمن لوقته سرا فطلبه المصامدة فلم يروه في القتلى فقالوا رفعته الملائكة. قال : ولما جنهم الليل سار عبد المؤمن ومن سلم من القتل الى الجبل (45) وسميت هذه الوقعة بالبحيرة وعام البحيرة.

ذكر وفاة المهدي محمد بن تومرت :

كانت وفاته في سنة اربع وعشرين وخمسمائة ، وذلك انه مرض بعد ارسال الجيش لحصار مراكش واشتد مرضه ، وأتاه خبر الهزيمة وقتل الونشريسى ، فسأل عن عبد المؤمن فقيل هو سالم، فقال ما مات أحد والامر قائم وهو الذي يفتح كل البلاد، ووصى أصحابه بتقديمه واتباعه وتسليم الامر اليه والانقياد له ، ولقبه أمير المؤمنين ثم مات ، وكان عمره احدى وخمسين سنة، وقيل مات وله خمس وخمسون سنة، ومدة ولايته عشرسنين (46).

ذكر ولاية عبد المؤمن * بن على

كانت ولايته بعد وفاة المهدي محمد بن تومرت، في سنة [388] اربع وعشرين وخمسمائة ، بوصية من المهدي كما ذكرناه، وكان في الغزو.

---

(45) ابن الاثير ' الكامل ج 10 ص 576، 577.

(46) عشرين سنة في ج 2 : 196، ابن الاثير : الكامل 10 : 578 ويبدو ان التاريخ الموجود بالنسخة د هو الصحيح اذ اتفق معظم المؤرخين ان المهدى بن تومرت بويع لامامة الموحدين فى 515هـ وبالتالى فقد استمر حكمه لمدة عشر سنوات انظر البيذق : أخبار أخبار المهدي ص 177، الحلل الموشية ص 87 — 88، ابن خلدون : العبر 6 : 469 رشيد بورويبة : ابن تومرت ص 65.

* ذكر ولاية عبد المؤمن فى ع.

فساد الى تينمل، وتسلم الامر ، وتلقب بأمير المؤمنين على ما لقده به المهدي، قبل وفاته، وأقام يتألف القلوب، ويحسن الى الناس الى (**) سنة ثمان وعشرين وخمسمائة .

ذكر خروجه للغزو وما فتحه من البلاد ومن أطاعه من القبائل :

قال : وفي هذه السنة ، ابتدأ عبد المؤمن بالغزو، وسار في جيش كثيف ، وجعل يمشي في الجبال الى ان وصل الى تادلة (47) فمانعه أهلها وقاتلوه فهزمهم وفتحها ، وتم (47 م) منها الى البلاد التي تليها، ومشى في الجبال يفتح ما امتنع عليه، وأطاعه صنهاجة الجبل، قال : فعند ذلك جعل امير المسلمين على بن يوسف ولده تاشفين ابن علي ولي عهده، واحضره من الاندلس ، وكان اميرا عليها وندبه لقتال عبد المؤمن، وذلك في سنة احدى وثلاثين فسار تاشفين لحربه، فكان يمشي في الصحراء ، وعبد المؤمن في الجبال.

وفي سنة اثنتين وثلاثين ، كان عبد المؤمن بجيشه في النواظر وهو جبل عال مشرف ، وتاشفين في الوطاة، ويخرج من الطائفتين قوم يتطاردون ويترامون، ولم يكن بينهم [389] لقاء ، ويسمى هذا عام النواظر ويؤرخون به.

وفي سنة ثلاث وثلاثين توجه عبد المؤمن مع الخيل في الشعراء حتى انتهى الى جبل كرانطة ، فاقام به في ارض صلبة بين شجر ،

(**) الى ساقطة من نسخة ع.

(47) فى المغرب الاقصى ويقول الحميرى : وهى مدينة قديمه ازلية فيها آثار للاول، بنى الملثمون فيها حصنا منيعا هو الان معمور وفيه الاسواق والجامع، والبلد، كله كثير الخيرات والأرزاق الحاطة به القبائل من جميع الجهات. — وهذا يفسر لنا بداية حمله عبد المؤمن بها. ومنها الشاعر احمد بن عبد السلام الجراوى، يقال انه مدح عبد المؤمن وولده يوسف وولده يعقوب وولده محمدا الناصر ومات عام العقاب 609 هـ انظر الاستبصار ص 200، الروض المعطار ص 127، وانظر ترجمة احمد بن عبد السلام فى التكملة ص 128 والغصون اليانعة ص 98 وابن خلكان : وفيات الاعيان ج 7 ص 12، 136. وقارن ليون الافريقى ص 183 .

(47م) تم، فى ج : 196 وتم بنسخة د ادل على أن المعنى لان تم الى موضع كذا : بلغه. انظر المنجد كلمة تم.

وتاشفيـن قبالتـه في الوطأة في ارض لينـة (*) لا نبات بها، وكان الفصل شتـاء فتوالت الامطـار أيـاما كثيـرة ، فصار الموضع الذي فيه تاشفين وعسكره كالسبـاخ، لا يستطيع الماشى ان ينتقـل فيها قدمـا ، وقلـت الاقـوات عندهم فهلكـوا جوعـا وبـردا حتى وقدوا رماحهم وقرابيـس سروجهم ، وعبد المؤمن ومن معه في تلـك الارض الصلبـة والميـرة تصـل اليهـم .

وفي ذلك الوقت سيـر عبد المؤمن جيشا الى اوجدة (**) من اعمال تلمسـان ، وقدم عليهم ابـا عبد اللـه محمد بن رفوا من ايـة خمسين، فبلـغ خبرهم الى محمد بن يحيى متولى تلمسان فخرج اليهم بجيش من الملثمين ، فالتقوا بموضع يعرف بمرج الخمر (48) واقتتلوا فهزمهـم الموحدون، وقتل محمد بن يحيى وكثيـر من أصحابه، وغنـم الموحـدون ما معهم ورجعوا بأسلابهم الى عبد المؤمن . فتوجه عبد المؤمن بجميـع جيشـه الى جبال غمـارة فأطاعوه قبيلـة بعـد قبيلـة، وأقام عندهم مدة، وما بـرح يمشى في الجبـال، وتاشفيـن يحاذيـه في الصحاري الى سنة خمـس وثلاثين وخمس مائـة ، فتوفى علـي بن تاشفيـن بمراكش، وملك بعده ابنـه تاشفيـن ، فقوي طمع عبد المؤمـن في البلاد، الا انـه لـم ينـزل الصحـراء . [390]

وفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة توجه عبد المؤمن الى تلمسـان فنازلهـا وضرب خيامـه في جبل عـال باعلاها يسمى بين الصخرتين . ونـزل تاشفين خـارج مدينة تلمسان على بـاب القرمادين، وكان بيـن أقوام من العسكرين مراماة ومطاردة مع الايـام، ودام ذلك اشهـرا ولـم تكن بينهم مناجزة. ورحل عبد المؤمن في سنـة تسع وثلاثين ، الى جبل تاجـرة ووجه جيشـا مع عمـر بن يحيى الهنتاتى الى مدينة وهـران، فهاجمها بغتـة وصار هو وجيشـه فيها، فسار اليـه تاشفيـن فخـرج

* لتبه فى ج 2 : 197. أى موحله.
** أوجره فى د، ع، وجره فى ابـن الاثير الكامل 10 : 579.
(48) خندق الخمر، عند ابن الاثير : الكامل ج 10 ص_579.

الهنتاتى منهـا ، ونـزل تاشفيـن على الجانب الاخـر من البلـد، وذلـك في شهـر رمضـان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة .

فلما كان في ليلـة سبـع وعشرين من الشهر وهى ليلـة معظمـة سيمـا بالمغـرب ، وبظاهر وهـران ربـوة مطلـة على البحـر، وباعلاها بنيـة يجتمـع فيها المتعبـدون ، وهو موضع معظم عندهم، فسار اليه تاشفيـن في نفـر قليـل من خاصته (*) ، وصعد الى ذلك المعبـد سرا بالليـل، ولم يعلـم بـه الا النفـر الذيـن معه ، وقصـد التبرك بحضور ختـم القـرءان مع الصالحيـن ، فانتهى خبـره الى الهنتاتى فسار لوقته بجميـع عساكـره الى ذلك المعبـد وأحاطـوا به وملكـوا الربـوة ، فخاف تاشفيـن على نفسـه ان ياخذوه [391] فركـب فرسه وحمل به الى جهة البحـر من جـرف عال فسقط على حجـارة فهلـك. ، ورفعت جثته على خشبـة وقتـل من كـان معـه.

وقيل ان تاشفيـن قصد حصنا هنـاك على رابية ولـه فيـه بستان كبير فيه من كل الفواكـه ، واتفـق ان الهنتاتى سير سرية الى ذلـك الحصـن لضعف من فيه ، ولـم يعلم ان تاشفيـن هناك، فالقوا النـار في بـاب الحصـن فاحتـرق ، فركب تاشفيـن فرسه واراد الهـرب فوثـب بـه الفـرس من داخل الحصـن الى خارج السور فسقـط في النـار، فأخذ تاشفيـن ، فعرف، فأرادوا حمله الى عبد المؤمن فمات لوقته، وتفـرق عساكره واحتمى بعضهم بمدينة وهران . قال وارسل الموحدون بالخبر الى عبد المؤمن فجاء من تاجـرة من يومـه، ودخل وهران بالسيف وقتـل مـن فيهـا (49) .

---

* من خاصة اصحابه فى نسخة ع.
(49) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 578 — 580.

ذكر استيلاء عبد المؤمن على تلمسان وفاس ومكناسة وسلا وسبتة :

قال : ثم سار عبد المؤمن الى تلمسان ، وهي مدينتان بينهما شوط فرس، أحدهما تاجررت (50) وبها أصحاب السلطان، والاخرى أجادير (51) وتاجررت ينطق بها بجيم محيرة بين الكاف والجيم ، وكذلك أجادير وتاجررت محدثة البناء، وأكادير قديمة [392] فامتنعت أجادير، وتأهب أهلها للقتال ، واما تاجررت فكان بها يحيى بن الصحراوية واليا عليها، فخرج منها بعسكره فارا الى مدينة فاس ، ودخلها عبد المؤمن فلقيه أهلها بالخضوع والاستكانة، فلم يقبل ذلك منهم، وقتل اكثرهم ثم رحل عنها في سنة اربعين وخمسمائة الى مدينة فاس، ورتب على أجادير جيشا يحصرها ، وجعل عليهم يوسف بن وانودين ابن تامصلت (52) الهنتاتى فداوم الحصار وضيق على من بها ، ونصب عليها المجانيق وابراج الخشب والدبابات، ودام الحصار نحو سنه، وكان المقدم على أهلها الفقيه عثمن، فلما اشتد الحصار على أهلها اجتمع جماعة منهم وراسلوا الموحدين بغير علم الفقيه، وادخلوهم البلد، فلم يشعر أهله الا والسيف قد أخذهم، فقتل أكثر أهل البلد ونهبت الاموال وسبيت الذراري والحرم، وبيع من لم يقتل بأبخس الاثمان

---

(50) بالرغم من ذكر ابن الاثير لتاجررت، احدى مدينتى تلمسان واتفاقه مع النويرى، الا أن محقق الكتاب استبدلها بكمة تاهرت وقد جانبه الصواب، اذ يؤيد رواية النويرى، يحيى بن خلدون فى بغية الرواد ص 90 — 91 اذ يصف تلمسان بقوله : وهي مؤتلفة من مدينتين ضمهما الان سور واحد، احداهما أولية.. وتعرف باجادير.. والاخرى تعرف بتاجرارت، بناها ملك لمتونة يوسف بن تاشفين فى حدود 462هـ، بمكان محلته ولذلك سميت باسم تاجرارت، فانه اسم المحلة بلسان زناتة.

(51) أما اجادير (اقادير) عند ابن الاثير ج 10 ص 581، ويطلق البكرى عليها تلمسان وهى جمع للكلمة البربرية تلماس Tilmas بمعنى الغدير أو النبع واصل المدينة قرية ادغادير (اجادير) التى اسسها على أنقاض معسكر رومانى المولى ادريس الاول مؤسس الدولة الادريسية بالمغرب، وحينما استولي عليها يوسف بن تاشفين، أسس بجوارها مدينته العسكرية تاجررت (تاكررت)، ولم تلبث المدينتان ان اندمجتا واصبحتا تلمسان التي سوف تزدهر أثناء الحكم المرابطي والموحدى، حتى صارت عاصمة الدولة الزيانية 632 — 932هـ. أنظر البكرى ص 76، 77، الاستبصار 176، الادريسى ص 80 الحميرى ص 135، دائرة المعارف الاسلامية مادة تلمسان، أحمد توفيق المدنى : كتاب الجزائر ص 201 — 203.

(52) من بنى تامصلت فى ج 2 : 199.

وأخذ من الاموال والجواهر ما لا يحصى ، وكان عدة من قتل مائة الف وقيل أن عبد المؤمن هو الذي حصر تلمسان وفتحها، وسار منها الى فاس (53) .

قال : ولما وصل عبد المؤمن الى مدينة فاس، نزل على جبل الفرض (53 م)، المطل عليها، وعمل حول مخيمه سورا وخندقا وحصرها تسعة اشهر وبها يحيى بن الصحراوية بعسكره الذين فروا من تاجرزت ، فعمد عبد [393] المؤمن الى نهر يدخل البلد ، فسكره حتى صار بحيرة تسير السفن فيها، ثم هدم السكر، فجاء الماء دفعة واحدة فخرب سور البلد ، فأراد الدخول فقاتله أهلها خارج السور، وكان القائد عبد الله بن خيار الجياني، عاملا عليها وعلى جميع أعمالها ، فاتفق هو وجماعة من اعيان البلد، وكاتبوا عبد المؤمن سرا في طلب الامان لاهل فاس فأجابهم عبد المؤمن الى ذلك ففتحوا له بابا من أبواب المدينة ، فدخلها عسكره وهرب يحيى ابن الصحراوية بمن معه الى مدينة طنجة، وكان فتحها في اواخر سنة اربعين وخمسمائة . ورتب عبد المؤمن أمرها ، وأخذ جميع ما فيها من سلاح، وسير سرية الى مكناسة فحصروها ثم سلمها أهلها بالامان، فوفوا لهم ثم سار عبد المؤمن الى مدينة سلا ففتحها، وحضر اليه جماعة من أعيان سبتة فدخلوا في طاعته وسألوا أمانه فآمنهم، وذلك في أول سنة احدى وأربعين وخمسمائة (54) .

ذكر ملك عبد المؤمن مراكش وقتله أسحاق بن علي وانقراض دولة الملثمين :

قال : ولما فرغ عبد المؤمن من مدينة فاس وتلك النواحى ، سار الى مدينة مراكش ، وهى كرسى مملكة الملثمين ، وبها [394]

(53) قابس عند النويرى ولكن النويرى فى السطور التاليه يعود ويصحح خطأه ويذكر فاس . وانظر كذلك ابن الأثير : الكامل ج 10 ص 582.

(53م) العرض فى ج 2 : 199.

(54) احدى واربعين فى ع وقارن ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 580 — 582.

اسحــق بن علي بن يوســف بن تاشفين ، وهو صبي ، فنازلها في سنــة احدى وأربعيــن وخمسمائة ، وضرب خيامه في غربيها علي جبــل صغير وبنــا عليه مدينــة لــه ولعسكره وجامعــا ، وجعل لنفسه بنــاء عاليــا يشــرف منه على المدينــة ، ويــرى أحوال أهلهــا وأحوال المقاتلين، فاقــام عليهــا أحــد عشــر شهــرا ، والقتال مستمر ، ومن بها مــن المرابطين، يخرجون يقاتلــون ظاهر البلــد ، فاشتــد الجــوع على أهلــه. وتعذرت الاقوات عندهم، ثم زحف اليهم يوما وجعل لعسكره كمينــــا، وقــال لعسكــره قاتلوهم ثم انهزموا لهــم، وقال للكمين لا تخرجوا حتــى تسمعوا الطبــل ، وجلس هو على المنظرة يشاهــد القتال ، وتقــــــدم اصحابــه للقتــال فقاتلــوا وصبروا ثم انهزموا ، وتبعهم أهل مراكــش حتى جاوزوا الكميــن ، ووصلوا الى مدينــة عبد المؤمن ، وهدموا أكثــر سورها ، وصاحت المصامــدة ليضرب الطبــل ، فقــال عبد المؤمن : اصبــروا حتى يخرج كــل طامــع من البلــد، فلما خــرج أكثــر أهله، امر بضــرب الطبــل ، فضــرب وخرج الكمين عليهم، وعطف المصامدة فقتلوا الملثمين كيف شاءوا ، وتمت الهزيمة فمات في زحمــة الابــواب خلــــق كثيــر.

وكــان شيــوخ الملثميــن يديــرون (*) دولــة [395] اسحــق لصغر سنــه ، فاتفــق ان انسانا من جملتهــم يقال لــه عبد اللــه بن أبي بكر، استأمن الى عبد المؤمن واطلعــه علي عــورة البلــد وضعــف مــن فيــه وقــوى طمعه فيهم ، فنصب عبد المؤمن عليه المجانيــق والابراج، وفنيــت الاقــوات فأكلوا دوابهم ، ومات من العامــة بالجــوع ما يزيد على مائــة الــف انسان ، فجــاف البلــد من جثتهــم.

وكان بمراكش جيش من الفرنــج كان (**) المرابطــون قد استنجدوا بهم وأتوهــم نجــدة ، فلمــا طال الامــر عليهم ، راسلوا عبــد المؤمــن

* يدبرون في ج 2 : 201.
** يقال لهم في النويري وصحتها من ابن الاثير 11 : 584.

يطلبون الامان فأمنهم ففتحوا له بابا من أبواب البلد يقال له باب أغمات (55) ، فدخلت عساكر عبد المؤمن بالسيف وملكوا المدينة عنوة ، وقتلوا من وجدوه ووصلوا الى دار امير المسلمين فأخرجوا اسحق وجميع من معه من المرابطين وقدموهم للقتل، واسحق يرتعد ويسأل العفو عنه رغبة في البقاء ويدعو لعبد المؤمن ويبكي، فقام اليه الامير سير بن الحاج وكان الى جانبه مكتوفا، فبصق في وجهه، وقال تبكي على امك أم أبيك اصبر صبر الرجال فهذا رجل لا يخاف الله تعالى ، ولا يدينه بدين ، فقام الموحدون اليه فضربوه بالخشب حتى مات ، وكان من [396] الشجعان وضربت عنق اسحق وذلك في سنة اثنتين واربعين وخمسمائة أو ثلاث واربعين.

قال : وأقام عبد المؤمن بمدينة مراكش واستوطنها واستقر ملكه بها ، وقتل من أهلها فاكثر واختفى كثير منهم ، فلما كان بعد اسبوع أمر فنودي بالامان فخرج من اختفى من أهلها فأراد المصامدة قتلهم فمنعهم وقال : هؤلاء صناع وأهل الاسواق ومن ينتفع به فتركوا. وبنى بالقصر جامعا كبيرا وزخرفة واتقن عمله وأمر بهدم الجامع الذي بناه امير المسلمين يوسف بن تاشفين (56).

---

(55) يتفق كل من ابن الاثير وصاحب الحلل الموشية مع رواية النويري الخاصه بدور فرقة الروم فى فتح المدينة بينما يروى كل من البيذق، ابن عذارى ان الموحدين استولوا على المدينة عنوة من باب ايلان اذ أمر عبد المؤمن بالدنو من المدينة، فأحرقوا حواليها ورفعوا بسلاليمها الى السور وطلعوا عليها فدخلوا المدينة عنوة. أنظر البيذق ص 64 البيان : المغرب ـ القسم الثالث ـ الموحدون ص 23. ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 584 ـ 585؛ الحلل الموشية ص 138.
(56) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 583 ـ 585.

ذكـــر ظفـــره بدكالـــة (57) :

وفي سنـــة ثلاث واربعين وخمسمائة ، سار بعض المرابطيـــن من الملثمين (57 م) الى دكالـــة ، فاجتمع اليه قبائلهـــا وصاروا يغيرون على اعمـــال مراكش ، وعبد المؤمن لا يلتفت اليهم ، فلما كثر ذلك منهم ســـار اليهـــم عبد المؤمن في سنة اربـــع وأربعيـــن ، فلمـــا سمعت دكالـــــة بمسيـــره، اجتمعـــت كلهـــا وانحسروا الى ساحـــل البحـــر، وكانوا في مائتى الـــف راجـــل وعشرين الـــف فـــارس، وهم من الشجاعة بالمكان المعـــروف وكانت جيوش عبد المؤمن تخرج عن الحصر، وكان الموضـــع الذي فيـــه دكـــالة كثيـــر الحجـــر [397] والحزون (58) فكمنوا فيه كمينا ليخرجوا على عبد المؤمن اذا سلكـــه ، فكـــان من الاتفـــاق الحسن أنـــــه قصدهـــم من غيـــر الجهـــة التى فيها الكمنـــا، فانحل عليهم النظـــــام وفارقـــوا ذلك الموضـــع ، وأخذهم السيف فدخلـــوا البحـــر، فقتـــل أكثرهم وغنمت أموالهم واغنامهم ، وسبيت نساؤهم فبيعت الجارية بدراهـــم يسيرة وعاد عبد المؤمن الى مراكش بالظفـــر والنصر وثبت ملكه وخافـــه جميع من بالمغـــرب واذعنوا لـــه بالطاعـــة (59) .

ذكـــر ملكـــه جزيـــرة الاندلـــس :

قـــال : كان ملكه لها في سنة احدى وأربعيـــن وخمسمائة ، وذلـــك انه لما كـــان يحاصر مراكش ، ورد عليـــه جماعـــة من اعيـــان الاندلـــس،

(57) يذكر ليون الافريقى متـــاطعة دكـــالة ص 175 ولكنه يخلط فى رســـم حدودها، اذ كانت منـــازلهـــا تقع على ســـاحل المحيط الاطلسى بين وادى ام الربيع شمالا ووادى تنسيفت جنوبـــا وغربها البحر المحيط، لكن الجـــد الشرقى الفاصل بين دكـــالة وتادلا آنذاك غـــير واضح، وربمـــا كـــان هو ملتقى نهـــر أم الربيع وواد العبيد. ومنذ القرن الســـادس الهجرى، داخلت قبائل دكـــالة قبائل بنى هلال واحلافها، فاستعربت دكالة، ثم انقسمت بعد ذلك الى قسمين- : دكالة الحمراء، وهى الجنوبية، مساكنها حول آسفى، وتسمى اليوم عبدة. ودكـــالة البيضاء، وهي الشمالية التى ما تـــزال تحتفـــظ باسمـــم دكالة. انظر تعليق رقم (73) بالحلل الموشية ص 147.

(57م) المسلمين فى النويرى وصحتها من ابن الاثير : الكامل 10 : 585.

(58) الارض الغليظه الوعرة.

(59) ابن الاثير : الكامل ج 10 ص 585، 586. وقارن ابن عذارى : البيان المغرب، القسم الثالث (الموحدون) ص 22. وصاحب الحلل الموشية ص 147.

منهم أبو جعفر احمد بن محمد بن حمدين (60) ومعهم مكتوب يتضمن بيعة أهل الاندلس لعبد المؤمن ودخولهم في زمرة أصحابه الموحدين والتزامهم لطاعته واقامتهم لامره في بلادهم، وجميع اسماء القوم الذين بايعوه مثبتة في المكتوب ، فقبل عبد المؤمن طاعتهم وشكر هجرتهم وطيب قلوبهم ، فطلبوا منه النصرة على الفرنج ، فان الفرنج كانوا قد ملكوا من بلاد المسلمين مدينة شنترين وباجة ومارده [398] واشبونة، وسائر المعاقل المجاورة لها، وذلك في سنة اربعين وخمسمائة ، وكان سبب ذلك ما وقع من الاختلاف بين المسلمين، فطمع العدو فيهم ، وأخذ هذه المدن وقوى بها ، ثم ملكوا في سنة اثنتين واربعين مدينة المرية (60 م) ومدينة بياسة وجميع ولاية جيان .

فجهز عبد المؤمن جيشا كثيفا ، وجعل مقدمه أبو عمر بن صالح من أية الخمسين ، وجهز أسطولا في البحر وجعل قائده يحيى ابن عيسى ابن ميمون، فغدوا «الى جزيرة الاندلس ودخل الاسطول» (61) الى مدينة اشبيلية في النهر ، وحاصروها برا وبحرا وبها جيش من

(60) هو أبو جعفر حمدين بن محمد بن على حمدين وكان بينهم من اقدم البيوتات العربية. دخل جدهم الاندلس مع الطالعة البلجية سنة 122 هـ.واستقروا فى باغة، وبها ازدهر بيتهم، وكان ابن حمدين قد ولى قضاء قرطبة فى شعبان سنه 529هـ. وبعد ظهور الموحدين بالمغرب ثارت قرطبة وخلع اهلها دعوة المرابطين ونادوا بابن حمدين اميرا فى رمضان 539 هـ. وانغمس ابن حمدين فى الصراع حول السلطة مع المرابطين من جهة وبنى هود من جهة ثانيه، ثم استعان بملك قشتاله المسيحى الذي اتخذ من بقية الوجود المرابطي الواهي بالاندلس حليفا له وحاجزا وسدا بينه وبين الموحدين، مما اضطر ابن حمدين وغيره الى عبور البحر الى الخليفة عبد المؤمن أنظر ابن الابار : الحلة السيراء ج 1 ص 38، 39، 225، التكمله رقم 119، محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس ص 312 — 316.

(60م) وكان لمدينه المرية منزلة خاصة عند المسلمين، اذ كانت مركزا للتصوف الاسلامى فى القرن السادس الهجرى بالاضافة الى أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية ويذكر اشباخ أن المرية كانت امارة مستقلة يحكمها القراصنة وان النصارى اتجهوا الى غزوها لان اهلها كانوا يغيرون بسفنهم على شواطىء اسبانيا المسيحية وفرنسا وايطاليا الجنوبية، ولذلك فقد حاصر النصارى المرية برا وبحرا بحملة صليبية مشكلة من امارات قشتالة وقطلونية وجنوة وبيزة بدعوة من البابا ومباركته وقيادة الفونسو السابع، أنظر أشباخ : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ص 224، عبد الله على علام : الدولة الموحدية بالمغرب ص 175.

(61) مابين قوسين زيادة فى ج 2 : 203، ع .

الملثمين (*) فملكتهـا عساكر عبد المؤمن عنـوة، وقتلوا فيهـا جماعة ، ثم امـن الناس واستولت عساكره على البـلاد الاسلامية التى بها ودان له أهلهـا (61 م).

وفي سنـة ثلاث وأربعين ، ملك الفرنج مدنـا من الاندلـس، وهى طرطوشـة وجميـع قلاعها وحصون لاردة وذلك لاختلاف المسلميـن (62).

ذكـر حصـار الفرنج مدينـة قرطبـة ورجوعهم عنهـا :

قال : وفي سنة خمـس وأربعين وخمسمائة ، حصر السليطين (63) وهو الاذفونش ملـك طليطلـة واعمالها وهو من ملـوك الجلالقة مدينـه قرطبة ـ أعادها الله ـ في اربعين الف فارس من الفرنـج فبلغ [399] الخبر عبد المؤمن وهو بمراكش، فجهز اثنى عشـر الف فـارس ومقدمهم أبـو زكريـا يحيى بن يومـور (63 م) فساروا حتى قربوا من قرطبـة فلـم يقدروا على لقـاء الفرنج في الوطاة، فساروا في الجبـال الوعـرة، وجعلوا يقطعون الاشجار حتى يجدوا مسلكـا فمشـوا عشرين يومـا في الوعـر مسافة اربعـة أيـام في السهـل فأفضوا الى جبل شامـخ مطل علـى قرطبـة ، فلما رآهم السليطين وتحقـق امرهم رحل لوقتـه بجميـع من معـه، وسـار حتى غاب عن فجـاج قرطبـة، وكان بقرطبـة القائـد أبـو الغمـر السائـب من ولـد القائـد بن غلبـون من ابطال الاندلس، فخرج لوقته من قرطبة وصعد الى الجبـل ، واجتمـع بيحيي ، وقـال لـه : انزل بمن معـك الى قرطبـة وعجل ففعلوا ذلـك وباتوا بها، فمـا أصبـح اليـوم الثانى الا وعسكـر السليطين قد غشى الجبـل الـذي كان

* المسلمين فى النويرى وصححتها من ابن الاثير.

(61م) تتميز روايه النويرى هنـا بالتفصيل عن روايه ابن الاثير تارن الكامل ج 11 ص 115، 121، 122.

(62) ابن الاثير : الكـامل ج 11 ص 136.

(63) هو الفونسو السابع ملك قشتـالة وليون أنظر أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص 330، اشباخ : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ج 1 ص 234.

(63م) تومرت فى ج 2 : 203، يرموز فى ابن الاثيـر : الكامل 11 : 150

فيه يحيى، فقال لهم أبو الغمـر هذا الذي كنت خفتـه عليكم ، فلمـا علـم انهـم قـد فاتـوه ورأى أنه لا مطمـع له في قرطبـة، رحل الى بـلادة بعـد ان حاصرهـا ثلاثة أشهـر قبل وصولهم (64) .

ذكـر ملكـه مدينة بجايـة وملـك بنى حمـاد وانقراض دولتهـم :

[400] وفي سنة سـت وأربعين وخمسمائة، سار عبد المؤمن من مدينة مراكش الى سبتـة، وهيأ الاساطيل ، والنـاس يعتقدون انه يدخـل الاندلس، ونفـذ أعيـان اصحابه الى جميع القبائل ان يجمعـون العساكـر ويرتبونهـا ، وقطع السابلـة عن بـلاد شرق المغرب بـرا وبحرا، ثـم خرج من سبتـة في صفـر سنة سبـع وأربعين، وتوجه الى المشـرق مسرعا ، وطـوى المراحل والعساكـر المرتبة تلقـاه ، فلـم يشعـر أهـل بجايـة الا وهو في أعمالهـا، وكانـت ليحيى بن العزيز باللـه آخـر ملوك بنـي حمـاد، وكان مولعا بالصيـد واللهـو واللعب لا ينظـر في شيء من امـور مملكتـه، بل فوضها لميمون بن حمدون ، فجمع ميمون العساكـر وخـرج عن بجايـة فأقـام أيـام وأحجم عن اللقـاء ورجع ولـم يقاتل عساكـر عبد المؤمن ، واعتصم يحيي بن العزيـز بقلعـة قسنطينة (65)، وهرب أخوه الحارث في مركـب الى جزيـرة صقلية ، ولحقه أخـوه عبـد اللـه (*) وجماعة من بني عمـه الى صقلية ، ودخل عبد المؤمن بجاية، وملـك جميـع بـلاد يحيى بن العزيز بغير قتـال، ثم نزل اليه يحيى بالامـان فأمنـه وانفـذه الي المغـرب، وكان فيها مـدة حياتـه رخـى البـال (66) .

وانقرضت دولة بنى حمـاد وكانت مدة ملكهم ، منذ ولى حمـاد مدينـة [401] إشيـر من قبل أبـى مناد باديـس بن المنصـور ابـن

(64) ابن الاثير . الكامل جـ 11 ص 150، 151.
(65) قسنطينة في د ، ج 2 : 204 وصحتها من ابن الاثير : الكامل 11 : 159.
* عبد العزيز فى د، ج، ع وصحتها من ابن الاثير : الكامل 11 : 158.
(66) ابن الاثير : الكامل جـ 11 ص 158، 159.

يوسف في صفر سنة سبع وثمانين (**) وثلثمائة، مائة سنة وستين سنة، وعدة من ملك منهم تسعة ملوك وهم حماد بن يوسف بلكين ابن زيري، ثم القائد بن حماد، ومحسن بن القائد بن حماد ثم ابن عمه [illegible] بن محسن ، ثم الناصر بن علناس بن محمد بن حماد ، ثم ابنه المنصور بن الناصر ، ثم ابنه باديس بن المنصور، ولم تطل أيامه حتى مات وولى بعده العزيز بالله بن المنصور بن الناصر، ثم يحيى بن العزيز هذا وعليه لنقرضت دولتهم .

وكان يحيى قد اعتقل الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس كما ذكرناه ، وسر بما ناله من أخذ الفرنج بلاده، فلم تطل المدة حتى فاجأه القدر واستلب ملكه، واجتمع الحسن ويحيى في مجلس عبد المؤمن على بساط واحد ، واستصحب عبد المؤمن الحسن معه والحقه بخاصته واعلا مرتبته، ولم يفارقه في سفر ولا حضر الى أن فتح المهدية فاقر الحسن بها ، وامر واليها ان يقتدي برأيه على ما نذكره ان شاء الله تعالى (67) .

ذكر ظفره بصنهاجة وملكه قلعة حماد :

قال : ولما ملك عبد المؤمن بجاية ، تجمعت صنهاجة في [402] أمم كثيرة ، وتقدم عليهم رجل اسمه أبو قبيصة ، واجتمع معهم من كتامة ولواته وغيرها ما لا يحصى كثرة، وقصدوا حرب عبد المؤمن. فأرسل اليهم جيشا كثيفا ، ومقدمهم أبو سعيد يخلف، وهو من أيية خمسين ، والتقوا في عرض الجبل شرق بجاية، فانهزم أبو قبيصة وقتل اكثر من معه ، ونهبت أموالهم وسبيت نساؤهم وذراريهم، ثم سار أبو سعيد الى قلعة حماد وهي من احصن القلاع واعلاها، فلما

(**) وثلاثين في د.

(67) ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 159 ويضيف ابن الاثير : لما فتح عبد المؤمن بجاية لم يتعرض الى مال أهلها ولا غيره، وسبب ذلك أن بنى حمدون استأمنوا فوفى بأمانه.

رأى أهلها عساكر الموحدين هربوا منها في رؤوس الجبال، وملكت القلعة وحمل جميع ما فيها من الاموال والذخائر وغير ذلك الى عبد المؤمن (68).

ذكر الحرب بين عبد المؤمن والعرب وظفر عساكر عبد المؤمن بهم :

قال : وفي سنة ثمان واربعين وخمس مائة في صفر ، كانت الحرب بين عساكر عبد المؤمن والعرب عند مدينة سطيف ، وذلك أن عبد المؤمن لما فتح بلاد بنى حماد ، اجتمعت العرب وهم بنوا هلال والاثبج وعدي ورياح وزغبة (*) وغيرهم ممن يقول بقولهم من ارض طرابلس الى أقصى المغرب ، وقالوا ان جاورنا عبد المؤمن أجلانا من بلاد المغرب وليس الرأي الا اللقاء [403] معه وأخذه بالجد واخراجه من البلاد قبل ان يتمكن ، وتحالفوا على التعاون والتعاضد وعزموا على لقائه بالرجال والاهل والمال، واتصل الخبر بصاحب صقلية الفرنجي، فأرسل الى أمراء العرب، وهم محرز بن زياد، وجبارة بن كامل، وحسن بن ثعلب وعيسى بن حسن وغيرهم، يحثهم على ذلك ويعرض عليهم ان يرسل اليهم خمسة آلاف فارس من الفرنج، يقاتلون معهم، على أن يرسلوا اليه رهائن فشكروه وقالوا لا حاجة بنا الى نجدته، ولا نستعين على المسلمين بغيرهم، وساروا في عدد لا يحصى.

---

(68) قارن ابن الاثير : الكامل 11 : 159 — 160. ومن الجدير بالذكر أن معظم الباحثين يذكرون ان سكان قلعة حماد كان معظمهم من القبائل العربية ولذلك يرجحون ان سقوط القلعة كان سببا فى اثارة القبائل بالمغرب الاوسط، اذ يبدو ان القلعة كانت واقعة تحت نفوذهم فى الحقبة الاخيرة من الدولة الحمادية، وانهم كانوا مستقرين فيها وحولها. وانهم نجحوا فى البداية فى هزيمة الجيش الموحدى بقيادة عبد الله بن وانودين صهر عبد المؤمن، الذى قتل فى المعركة مما ادى الى غضب عبد المؤمن وحشد كافة الموحدين لقتالهم، فهزم العرب وقتل زعيمهم هلال بن عامر انظر مجموع رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية، نشر ليفى بروفنسال ، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية 1941م، عبد الحليم عويس : دولة بنى حماد ص 196 — 197.

* زغبة فى النويرى وصحتها من أثر القبائل العربية فى الحياة المغربية للمحقق وانظر المصادر. ص 57. حاشية 128.

وكان عبد المؤمن قد رحل من بجاية الى بلاد المغرب، فلما بلغه خبرهم جهز اليهم جيشا من الموحدين، زهاء ثلاثين الف فارس ومقدمهم أبو سعيد يخلف وعبد العزيز وعيسى أولاد أبي مغار (68 م) وكان العرب اضعافهم ، فاستخرجهم الموحدون ، وتبعهم العرب الى أن وصلوا ارض سطيف بين جبال ، فصدمهم الموحدون بغتة والعرب على غير اهبة، والتقى الجمعان واقتتلوا اشد قتال واعظمه فانحلت المعركة عن هزيمة العرب، وذلك في يوم الخميس غرة صفر وتركوا أموالهم وأهاليهم وأولادهم ونعمهم، فأخذ الموحدون جميع ذلك [404] وعادوا به الى عبد المؤمن ، فقسم الاموال في عسكره وترك النساء والاولاد تحت الاحتياط، ووكل بهم الخصيان يخدمونهم، وامر بصيانتهم ونقلهم معه الى مراكش ، فانزلهم في المساكن الفسيحة ، وأجرى عليهم النفقات الواسعة .

وامر عبد المؤمن ابنه محمدا بمكاتبة العرب ويعلمهم ان نساءهم وأولادهم تحت الاحتياط والحفظ والصيانة ، وأمرهم ان يحضروا ليسلمهم اليهم فلما وصل كتابه اليهم سارعوا الى المسير الى مراكش، فأعطاهم عبد المؤمن نساءهم وأولادهم واحسن اليهم ووصلهم بالاموال الجزيلة، فاسترق قلوبهم بذلك واقاموا عنده، واستعان بهم على ولاية ابنه محمد العهد بعده (69) .

ذكر البيعة لمحمد بن عبد المؤمن بولاية العهد بعد أبيه :

قال : وفي سنة احدى وخمسين وخمسمائة ، أمر عبد المؤمن بالبيعة بولاية العهد لابنه محمد ، وكان الشرط بين عبد المؤمن وعمر الهنتاتي، ان يلي الامر بعده، فلما تمكن عبد المؤمن من الملك وكبرت (*) أولاده،

(68م) أبى معاذ فى ج 2 : 207 ويذكر ابن الاثير أن الجيش بقيادة عبد الله بن عمر الهنتاتى وسعد الله بن يحيى انظر الكامل 11 : 186.
(69) قارن التطابق مع ابن الاثير : الكامل 11 : 185 — 186.
* وكثرت فى نسخة ع.

احب ان يكون الملك فيهم، فأحضر امراء العرب من هلال وزغبة وعدي وغيرهم اليه، ووصلهم واحسن [405] اليهم ، ثم وضع عليهم من يقول لهم : اطلبوا من عبد المؤمن أن يجعل لكم ولى عهد من ولده بعده ، ففعلوا ذلك ، فلم يجبهم اكراما، لعمر الهنتاتى لعلو منزلته في الموحدين فلما علم الهنتاتى ذلك خاف على نفسه فحضر عند عبد المؤمن وخلع نفسه «فحينئذ» (69 م) بايع عبد المؤمن لابنه بولاية العهد وكتب الى جميع بلاده بذلك وخطب له في جميع البلاد وأخرج من آلاموال شيئا كثيرا في ذلك اليوم (70) .

ذكر استعمال (*) عبد المؤمن اولاده على البلاد والاعمال (**) :

وفي سنة احدى وخمسين ايضا ، استعمل عبد المؤمن أولاده على البلاد والاعمال، فجعل ابنه أبا محمد عبد الله على بجاية وأعمالها، وابا حفص عمر على مدينة تلمسان وأعمالها ، وأبا الحسن عليا على مدينة فاس واعمالها ، وابا سعيد على سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة. ولقد سلك عبد المؤمن في استعمالهم من حسن السياسة وجميل التدبير طريقا عجيبا يستدل به على جودة رايه وتوصله الى مقاصده بأحسن صورة وأجمل طريقة ، وذلك انه كان قد استعمل على الاعمال شيوخ الموحدين المشهورين من اصحاب المهدي، فكان يتعذر عليه ان يعزلهم، فأخذ أولادهم [406] وتركهم عنده ، واشغلهم بالعلوم فلما مهروا فيها قال لابائهم انى أريد ان تكونوا عندي استعين بكم على ما أنا بصدده ويكون أولادكم في أعمالكم، فاجابوا الى ذلك وفرحوا به، فاستعمل أولادهم ، ثم وضع عليهم من يعتمد عليه منهم، فقال لهم انى أرى أمرا عظيما قد فعلتموه فارقتم فيه الحزم والادب ، فقالوا وما هو ؟ قال أولادكم في الاعمال ، وأولاد أمير المؤمنين ليس

(69م) سابين قوسين زيادة في د.
(70) ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 211.
* اشتغال في د ** وأعماله في ع.

لهم (***) شيئا منها مع ما هم فيه من العلم وحسن السياسة، وانى اخاف ان ينظر في هذا فتسقط منزلتكم عنده ، فعلموا صدقه وحضروا الى عند عبد المؤمن وسألوه أن يستعمل أولاده ، فقال : لا أفعل فعزموا عليه حتى فعل بسؤالهم (71) .

ذكر ملكه مدينة المرية من الفرنج وغرناطة من الملثمين :

قال : وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة كاتب ميمون ابن بدر صاحب اغرناطة ، أبا سعيد بن عبد المؤمن صاحب مالقة والجزيرة الخضراء وسبتة، ان يسلم اليه اغرناطة فتسلمها منه، وسار الى مالقة باهله وولده، فسيره أبو سعيد الى مراكش، [407] فاقبل عليه عبد المؤمن واكرمه، وانقرضت دولة الملثمين ولم يبق لهم الا جزيرة ميورقة (71 م) مع حمو بن غانية اللمتونى .

قال : ولما ملك أبو سعيد غرناطة جمع الجيوش وسار الى مدينة المرية وهى بيد الفرنج، كانوا قد أخذوها في سنة اثنتين واربعين وخمسمائة ، فنازلها وحاصرها برا وبحرا، ونزل عسكره على الجبل المشرف عليها ، وبنا سورا على الجبل الى البحر ، وعمل عليه خندقا فصارت المدينة والحصن الذي فيه الفرنج محصورين بهذا السور والجبل ، لا يمكن ان يصل اليها من ينجدها، وجمع السليطين ملك الفرنج بالاندلس الجيوش (72) وجاء اليها فلم يتمكن منها ورجع ومات قبل وصوله الى طليطلة وتمادى الحصار على المرية ثلاثة أشهر ، فقلت الاقوات على الفرنج ، فطلبوا الامان ، فأمنهم أبو سعيد وتسلم الحصن، ورحلوا في البحر عائدين الى بلادهم، وكان مدة ملكهم المرية عشر سنين .

*** اليهم في نسخه ع.

(71) ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 211 — 212.

(71م) مايرقه فى خ من د، ج 2 : 209 حاشية (3).

(72) يضيف ابن الاثير أن جيش الفونسو السابع كان 12 الف فارس وحالفه محمد بن سعد بن مردنيش فى 6 آلاف فارس من المسلمين. أنظر الكامل ج 11 ص 224.

ذكر ملك عبد المؤمن مدينة المهدية من الفرنج وجميع بلاد افريقية :

كان الفرنج قد تغلبوا على مدينة المهدية وملكوها، في سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ، كما قدمناه في أخبار الحسن بن على بن [408] يحيى ابن تميم بن المعز بن باديس ، وفعلوا بمدينة زويلة الافعال الشنيعة ، من القتل والنهب والتخريب ، فسار أهلها الى عبد المؤمن وهو بمراكش يستنجدونه ويستجيرون به ، فأكرمهم وأخبروه بما جرى على المسلمين، وانه ليس في ملوك الاسلام من يقصد غيره، فاطرق ثم رفع راسه ، وقال : «ابشروا لانصرنكم ولو بعد حين» .

وامر بانزالهم واطلق لهم الفى دينار ، ثم أمر بعمل الروايا والقرب والحياض وما يحتاج اليه العساكر، وكتب الى جميع نوابه ببلاد المغرب، وكان قد ملك الى قريب تونس، فأمرهم بتحصيل الغلات وان تترك في سنبلها وتخزن في مواضعها ، وان يحفروا الابار في الطرق ، ففعلوا ذلك وجمعوا غلات ثلاث سنين ونقلوها الى المنازل وطينوا عليها فصارت كأنها تلال .

فلما كان في صفر سنة اربع وخمسين وخمسمائة ، سار عن مراكش يريد افريقية، ومعه من العساكر مائة الف مقاتل ، ومن السوقة والاتباع أمثالهم ، وبالغ في حفظ العساكر حتى كانوا يسيرون بين الزروع فلا تتأذى بهم سنبلة واحدة واذا نزلوا صلوا جميعهم مع امام واحد بتكبيرة واحدة، لا يتخلف منهم أحد.

وقدم بين يديه الحسن بن على بن يحيى بن تميم ، [409] الذي كان صاحب المهدية وافريقية، فسار حتى وصل الى مدينة تونس في الرابع والعشرين من جمادى الاخرة ، واقبل الاسطول في البحر في سبعين

شيبيا (73) وطريدة (74) وشلندي (75) ، فنازلها وارسل الى اهلها يدعوهم الى الطاعه ، فامتنعوا وقاتلوا أشد قتال، فلما جاء الليل، خرج اليه سبعه عشر رجلا من اعيان أهلها ، وسألوا عبد المؤمن الامان لاهل بلدهم، فاجابهم الى الامان في انفسهم واهليهم واموالهم، لمبادرتهم الى طاعته، واما من عداهم من اهل البلد فامنهم في انفسهم واهليهم ويقاسمهم اموالهم واملاكهم نصفين ، وان يخرج صاحب البلد هو واهله، فاستقر ذلك، وتسلم البلد وارسل امناء يقاسموا الناس على اموالهم، واقام عليها ثلاثه ايام ، وعرض

---

(73) شيني، أو شاني، او شينيه، او شونه : والجمع شواني (والكلمه من أصل مصري) هي السفينه الحربيه الكبيرة، وكانت من اهم القطع الكبيرة التى يتكون منها الاسطول في الدول الاسلاميه. ويستدل من النصوص التاريخية العديدة ان الشيني هو الاصل الذى يتفرع منه اسماء السفن الحربيه الاخرى ولواحقها، فكل سفينة حربيه شيني تحمل اسما معينا يدل على وظيفتها فمنها الغراب والطريدة والجفنة والحراقه. وقد ذكر ان الشيني كانت تسير بمائه واربعين مجدافا، وفيها المقاتله والجدافون، وحدد النويري اسكندري عدد المقاتله في كل شيني بمائه وخمسين رجلا وان كان المقريزى يشير الى ان منها ما كان يقل العدد من المحاربين. انظر ابن مماتي: قوانين الدواوين ص 340، 456، النويري السكندري : الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام المقضيه في وقعه الاسكندرية، سنة سبع وستين وسبعمائة (برلين) لوحه 124م، المقريزي : السلوك، حوادث سنتي 767، 768هـ، الخطط ج 1 ص 94، درويش النخيلي السفن الاسلاميه على حروف المعجم ص 83 — 85.

(74) طريده، وطراد، وطرادة، ونطريدة : وهي مفتوحه المؤخرة بأبواب تفتح وتغلق، معدة لحمل الخيل بسبب الحرب ويقول ابن مماتي : واكثر ما يحمل فيها أربعون فرسا». ونفهم ايضا من النصوص التى نقلها العبادي : ان الطريدة كانت تستعمل في المغرب والاندلس لتكون هي سفينه القائد الاعلى في الاسطول الحربي والتي كانت تمتاز برايتها البيضاء. يضاف الى ذلك جواز استعمال الناس لها في أسفارهم البحرية مع ما تحمله من امتعتهم فهي في بعض الحالات هنا اشبه بالسفن التجارية التى قد تنقلب الى نوع من المراكب الحربيه المقاتلة وقت الحاجة. سعاد ماهر : البحرية في مصر الاسلاميه ص 354، ابن مماتي : قوانين الدواوين ص 339، على مبارك : الخطط التوفيقية، ج 14 ص 81، أحمد مختار العبادي : دراسات ص 391 — 392، محمد المنوني : ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ص 79، درويش النخيلي : السفن الاسلامية ص 89 — 91.

(75) شلندى : مركب مسقف تقاتل الغزاة على ظهره، وجدافون يجدفون تحتهم ويصفها الحموي : وهي مراكب حربية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح، وتعادل في أهميتها الشونة والحراقة. ويضيف العدوي، وتستخدم كذلك في نقل البضائع . استخدمه البيزنطيون اولا ثم عرفته الدولة الاسلامية فيما بعد. ابن مماتي : قوانين الدواوين، ص 339 — 340، الاسطول العربي ص 36، 37 ابراهيم العدوي : الاساطيل العربية ص 154، أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجاريه.، ص 325.

الاســلام على من بهــا من اليهــود والنصارى، فمن اسلم سلــم ومن أبى قتــل .

وسار عبد المؤمن منها الى المهدية ، والاسطول يحاذيــه في البحــر، فوصــل اليها في ثانــى عشر شهــر رجب من السنــة ، وبها أولاد ملوك الفرنــج وأبطــال الفرسان ، وقد أخلــوا مدينــة زويلــة، وبينها وبيــن المهديــة غلوه سهــم ، فدخلهــا عبد المؤمن وامتلات بالعساكر والسوقــة فصارت مدينة معمورة في ساعة واحدة ، ومن لم يكن له من [410] العسكر موضع نــزل بظاهرها، وانضاف اليه (*) من صنهاجــة والعرب وأهــل البــلاد ما يخــرج عن الاحصــاء، واقبلوا على قتال من بالمهديــة، وهــى لا يؤثــر فيها شىء لحصانتهــا وقــوة سورها ، وضيــق موضع القتــال عليهــا لان البحــر دائــر باكثرها وهى كأنها كف في البحــر وزندهــا متصــل بالبــر ، فكانت شجعان الفرنــج تخــرج الى اطــراف العسكــر فينالــون منه ويسرعــون العــود، فأمــر عبد المؤمن ببنــاء ســور مــن غربى المدينة يمنعهم من الخــروج ، وأحاط الاسطول بها في البحــر، وهال عبــد المؤمــن ما رأى من حصانــة البلد ، وعلم انها لا تفتــح بقتــــال وليس لها غير المطاولــة ، وقــال للحسن : كيف نزلت عن هذا الحصن ؟ فقال : لقلة ما يوثق بــه وعــدم القوت وحكــم القــــدر . فقــــال : صــدقــت (76) .

وأمــر بجمع الغــلات ، فلم يمض غيــر قليــل ، حتى صــــار في العسكــر كالجبليــن من الحنطة والشعيــر ، وتمادى الحصار ، وفي مدتــه أطاع عبد المؤمن أهــل سفاقس وطرابلــس وجبــال نفوسة وقصــور افريقيــة وما والاهــا، وفتح مدينــة قابــس بالسيــف وأتــاه يحيى ابــن تميــم صاحب قفصــة ومعــه جماعة من اعيانهــا، ولما قدمــوا عليه دخل حاجبــه عبد الســلام الكومى يستأذنه عليهم ، فقال له عبد المؤمــن .

* اليهم فى نسخة ع.
(76) قارن رواية ابن شداد فى رحلــة التجانى ص 347 — 348.

آتي (77) عليك [411] ليبسن هاؤلاء أهل قفصة . فقال : لم يشتبه علي، وانهم اهلها فقال عبد المؤمن : كيف يكون ذلك والمهدي يقول ان اصحابنا يقطعون اشجارها ويهدمون اسوارها ؟ ومع هذا فنقبل منهم ونكف عنهم وننتظر ما يكون ليقضي الله امرا كان مفعولا، وقضى شغلهم وأرسل معهم طائفة من الموحدين، وفيهم زدري ابن بيرمون وولاه عليها، وورد في جمله اهل قفصه شاعر (77 م) منهم فمدحه بقصيدة اولها :

ماهز عطفيه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

فلما أنشده هذا البيت قال حسبك ووصله بألف دينار.

قال : ولما كان في يوم الاثنين لثمان بقين من شعبان سنة اربع وخمسين ، جاء أسطول صاحب صقلية ، في مائة وخمسين شينيا غير الطرائد ، فقاتلهم اسطول عبد المؤمن فانهزموا ، وتبعهم المسلمون واخذوا منهم سبعه شواني، فحينئذ ايس من بالمهدية من النجدة، وصبروا على الحصار الى آخر ذي الحجة من السنة، حتى فنيت اقواتهم واكلوا خيلهم، فنزل عشرة من فرسانهم الى عبد المؤمن ، وسألوه الامان لمن فيها من الفرنج على انفسهم وأموالهم ليخرجوا منها ويعودوا الى بلادهم، فعرض عليهم الاسلام [412] فأبوا، ولم يزالوا يستعطفوه حتى اجابهم وآمنهم واعطاهم سفنا فنزلوا فيها وساروا الى جزيرة صقلية، وكان الفصل شتاء فغرق اكثرهم، ولم يصل منهم الى صقلية الا القليل ، وكان صاحب صقلية قد قال : ان قتل عبد المؤمن اصحابنا بالمهدية قتلنا المسلمين الذين بجزيرة صقلية ، وأخذنا حرمهم وأموالهم، فأهلك الله الفرنج غرقا.

---

(77) قد إشتبه عليك، عند ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 244.

(77م) هو ابو عبد الله محمد بن أبي العباس التيفاشي. انظر العماد الاصفهاني خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب 1 : 128 — 129، ابن خلكان وفيات الاعيان 3 : 239.

وكان مدة استيلاء الفرنج على المهدية اثنى عشر سنة ودخل عبد المؤمن مدينة المهدية بكرة عاشوراء سنة خمس وخمسين وخمسمائة وسماها عبد المؤمن سنة الاخماس وقام بالمهدية عشرين يوما ، ورتب احوالها وتقل اليها الذخائر من الاقوات والسلاح والعدد والرجال، واستعمل عليها ابا عبد الله محمد بن فرج، وجعل معه الحسن ابن علي بن يحيى الذي كان صاحبها ، وامره ان يقتدي برأيه في افعاله، واقطع الحسن بها اقطاعا ، واعطاه دورا بالمهدية ، ورتب لاولاده وعبيده ارزاقا، ثم رحل عبد المؤمن من المهدية في غرة صفر سنة خمس وخمسين وخمسمائة (78) .

ذكر ايقاع عبد المؤمن بالعرب :

كان سبب ذلك انه لما أراد العودة الى بلاد المغرب، بعد فراغه [413] من أمر المهدية ، جمع أمراء العرب من بنى رياح الذين كانوا بافريقية ، وقال لهم : انه قد وجب علينا نصرة الاسلام، وان المشركين قد استحفل أمرهم بجزيرة الاندلس، واستولوا على كثير منها، مما كان بيد المسلمين ، وما يقاتلهم احد مثلكم، فبكم فتحت البلاد أول الاسلام ، وبكم دفع عنها العدو الاول ، ونريد منكم عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والشجاعة، يجاهدون في سبيل الله. فأجابوه بالسمع والطاعة ، فحلفهم على ذلك وساروا معه حتى انتهوا الى مضيق جبل زغوان ، وكان منهم انسان يقال له يوسف ابن مالك وهو من امرائهم ورؤوس القبائل فيهم ، فجاء الى عبد المؤمن بالليل ، وقال له سرا : ان العرب قد كرهت المسير الى الاندلس، وقالوا : ما غرض عبد المؤمن الا اخراجنا من بلادنا، وانهم لا يفون بأيمانهم، فقال : يأخذ الله تعالى الغادر .

---

(78) ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 241 — 245، وقارن رواية ابن شداد فى رحلة التجانى ص 348 — 349.

فلما كانت الليلة الثانية هربوا الى عشائرهم ، ودخلوا البر ولم يبق منهم الا يوسف بن مالك ، فسماه عبد المؤمن، يوسف الصادق ، ولم يحدث في امرهم شيئا، وسار مغربا يحث السير حتى قرب من القسنطينة (79) ونزل في موضع مخصب ، يقال له وادي السنافا (80) فاقام به وضبط [414] الطرق ، فلا يسير أحد البتة ، ودام هناك عشرين يوما، وانقطع خبره عن جميع الناس، لا يعرفون للعسكر خبرا مع كثرته وعظمه ، ويقولون ما ازعجه الا خبر وصله من الاندلس فعادت العرب الدين اجفلوا منه من البرية الى البلاد، لما امنوا جانبه.

فلما علم برجوعهم جهز اليهم ولديه أبا محمد وأبا عبد الله في ثلاثين الفا من اعيان الموحدين وشجعانهم ، فجدوا السير وقطعوا المفاوز ، فما شعرت العرب الا والجيش قد اقبل وجاء من ورائهم، من جهة الصحراء من يمنعهم من الدخول اليها ، وكانوا قد نزلوا جنوبا من القيروان عند جبل القرن ، وهم زهاء ثمانين الف بيت، ومشاهير مقدميهم محرز (80 م) بن زياد وجبارة بن كامل ومسعود ابن زمام وغيرهم، فلما أطلت عليهم العساكر اضطربوا وماجوا واختلفت كلمتهم، فنفر(*) مسعود وجبارة ومن معهما من عشائرهما، وثبت محرز بن زياد ومعه جمهور العرب ، فناجزهم الموحدون القتال ، وذلك في العشر الاوسط من شهر ربيع الاخر سنة ست وخمسين، واشتد القتال وكثرت القتلى، فانجلت الحرب عن قتل محرز وانهزام العرب.

ولما انهزموا اسلموا البيوت والحريم والاولاد والاموال، [415] فحمل جميع ذلك الى عبد المؤمن ، وهو بتلك المنزلة فأمر بحفظ النساء العربيات

(79) القسطنيطينية، في د، ج وصحتها من ع وابن الاثير : الكامل 11 : 246.
(80) وادى السنات فى ج 2 : 214، وادى النساء فى ابن الاثير : الكامل 11 : 246.
ويعتبر هذا الوادى من الامكنة التى ظلت مجهولة وكل ما نعلم عنه أن الادريسى ذكر بعد مغيلة واديا أسماه وادى سنات. انظر صاحب الصلاة: المن بالامامة ص444 حاشية 2
(80م) حجرز فى د وصحتها من ع، ج 2 : 214، ابن الاثير : الكامل 11 : 247.
* فر بنسخة ع.

الصرائـح ، وحملن معه تحت الحفظ والبـر والصيانـة، الى بـلاد المغـرب ، ثم اقبلت اليـه وفود ريـاح فاجمل لهم الصنيـع، ورد اليهم الحريـم ، فلم يبـق منهـم الا من صـار له كالعبـد الطائـع ، وهـو يخفض لهم الجنـاح ، ويبذل فيهـم الاحسان ، ثم جهزهم الى ثغـور الاندلـس علي الشـرط الاول .

قـال : وجمعـت عظام من قتـل من العـرب ، عند جبل القـرن، فبقيت دهرا طويلا ، كالتـل يلوح للناظر من مكـان بعيـد ، وبقيـت بـلاد افريقيـة بيد نـواب عبد المؤمن آمنـة ساكنـة ، لم يبـق مـن العـرب خارج عن الطاعـة ، الا مسعـود بن زمـام وطائفـة في اطراف البـلاد (81) .

وفي سنـة سـت وخمسين ، توجه عبد المؤمـن الى جبـل طـارق، وهو على ساحـل الخليـج ، مما يلى الاندلـس ، فعبـر المجاز اليـه وبنـا عليه مدينة حصينـة ، وأقـام بهـا أشهـرا ، ثم انصـرف الـى مراكـش (82) .

ذكـر وفـاة عبد المومن بن على وشيء من اخبـاره :

كانت وفاته في العشر الاخر من جمادى الاخر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، بمدينة سلا، فكانت مدة ولايته ثلاثا وثلاثين سنـة **[416]** وأشهرا، وخلف ستة عشر ولدا ذكورا، وكان عاقلا حازما سديد الرأي، حسن السياسـة للامـور ، كثير البـذل للامـوال ، الا انه كـان كثيـر السفك لدماء المسلمين ، على صغار الذنـوب، وكان يعظم أمـر الديـن ويقويه ، ويلزم الناس في سائـر بـلاده بالصلاة ، ومن رئى في وقـت الصـلاة غير مصـل قتـل ، وجمـع الناس على مذهب الامـام مالـك

(81) ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 245 — 247.
(82) ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 279.

ابـن انـس (82 م) رحمه اللـه، في الفـروع وعلى مذهب أبى الحسـن الاشعـري (83) في الاصـول. وكان الغالـب على مجلسـه أهل العلـم والديـن واليهـم المرجـع والكـلام معهـم (83 م).

قـال ابـن شداد : وقفت على كتاب كتبه عنه بعـض كتابـه ، يقـول فيه بعد البسملة : «من الخليفة المعصـوم ، الرضى الهاشمـى الزكـى ، الذي وردت البشـارة به من النبـى صلى الله عليه وسلـم ، العربى القامـع لكل مجسـم غوي ، الناصر لدين الله الكبير (*) العلى، أمير المؤمنيـن الولـى ، عبد المؤمـن بـن على» .

وحكى أيضـا قـال : اخبرنى رجـل من أهـل المهديـة اجتمعت به بمدينـة صقليـة سنة احدى وخمسيـن وخمسمائة قـال : لما فتـح عبد المؤمن مدينة بجاية وجميـع ملـك بنى حمـاد وافق ذلـك وصولى بعد أيام من المهدية الى بجاية باحمال متاع مع قفل (**) [417] فبتنـا على مرحلـة من بجايـة ، فلما اصبـح الصباح فقدت شبدة من المتـاع

(82م) من المعروف ان الدولة الموحدية قامت على اساس دعوة دينية اصلاحيه، طابعها التجديد والاختلاف عن المرابطين وهم جماعة سلفية على مذهب أهل السنة والجماعة، يتمسكون بمذهب مالك بن انس. والمذهب الموحدى يعتمد على مؤلفات المهدى التى وصلتنا ترجمتها العربية، اذ كان معظمهـا قد كتبه باللغة البربرية. ويذكر الفردبل أن الاصلاح الذى دعا اليه ابـن تومرت وحققه، لم يكن له نظير فى بلاد الاسلام، لا قبله ولا بعده. وقد تميز عن مذهب أهل السنة فى ميداني عقيدة الالوهية والتشريـع ، وكذلك فيما يتصل بصلة المهدى، بوصفه اماما معصوما التى ادعاها.

ولكن مـا ان بدات الدولة الموحدية فى الضعف حتى بدات تتخلى عن هـذه الحركة الدينية الاصلاحية فى عهد الخليفة الثامن ادريس المأمون (624 ـ 629 او 630هـ/ 1227 ـ 1232م) والعودة الى مذهب الامام مالك بن انس. انظر الفردبل : الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقي ص 264، 265، 279 وما بعدهـا.

(83) يشكل مذهب الاشاعرة، مذهبا وسطا بين الاعتزال ومذهب أهل السنة. ولقد تم تأسيس هذا المذهب فى أوائل القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى على يد معتزلى يدعى أبـا الحسن الاشعرى (873 ـ 935م) غادر صفوف المعتزلة عندما بلغ حوالى سن الاربعين، ويمتاز هذا المذهب الاعتقـادى الجديد برفضه فى آن واحد، غلو أهـل السنة فى التقليد، وغلو المعتزلة فى العقلانية. انظر رشيد بورويبة : ابن تومرت ص 22، الفردبل : الفرق الاسلامية ص 124.

(83م) ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 291 ـ 292.

* ساقطة فى ع. ** قفل : قافلة.

فحمدت الله وسألته الخلف، ودخلنا البلد وبعت المتاع احسن بيع ، وافدت فيه فائدة كثيرة ، فقلت لصاحب الحانوت الذي بعت على يديه ، فقدت من هذا المتاع شدة ، واخلف الله على في الباقى ، فقال لى : وما أنهيت ذلك الى أمير المؤمنين عبد المؤمن ؟ قلت لا ، قال : والله ان علم ذلك من غيرك لحقك الضرر بسترك على المفسدين فاتق الله في نفسك ، فرحت الى القصر ، واستأذنت عليه وأعلمته، ثم خرجت فسألنى خادم عن منزلى فوصفته له ، ورجعت الى صاحب الحانوت فأخبرته . فقال : قد خرجت من العهدة.

فلما كان صبيحة اليوم الثالث من وصولى اليه ، جاءنى غلام أسود فقال : اجب لأمير المؤمنين . فخرجت معه فلما وصلنا باب القصر ، وجدت جماعة كبيرة (*) ، والمصامدة دائرة عليهم بالرماح ، فقال لى الاسود ، تعلم من هؤلاء ؟ قلت : لا ، قال : هم أهل المكان الذي أخذ متاعك فيه، فدخلت وأنا خائف ، فأجلست بين يديه، واستدعى مشايخهم وقال لى : كم صح لك في الشدة التى فقدت اختها. فقلت : كذا وكذا، فأمر من وزن لى المبلغ ثم قال لى : قم انت اخذت [418] حقك وبقى حقى وحق الله عز وجل . وامر باخراج المشايخ وقتل الجميع ، وقال : هذه طريق شوك ازيلها عن المسلمين ، فأقبلوا يبكون ويتضرعون ، ويقولون يؤاخذ سيدنا الصلحاء بالمفسدين ؟ فقال : تخرج كل طائفة منكم من فيها من المفسدين فصار الرجل يخرج ولده وأخاه وابن عمه ، الى ان اجتمع منهم نحو خمسمائة ، فأمر أهلهم أن يتولوا قتلهم ، ففعلوا ذلك وخرجت أنا الى صقلية خوفا على نفسى من أولياء المقتولين.

قال : وكان عبد المؤمن لا يداهن في دولته ، ويأخذ الحق من ولده اذا وجب عليه .

* كثيرة فى نسخة ع.

قال : ولا مشرك في بلاده ولا كنيسة في بقعة منها، لانه كان اذا ملك بلدا اسلاميا ، لم يترك فيه ذميا الا عرض عليه الاسلام، فمن اسلم سلم ، ومن طلب المضى الى بلاد النصارى اذن له في ذلك ، ومن أبى قتل . فجميع أهل مملكته مسلمون لا يخالطهم سواهم، ولا لهو لا هزل تحت أمره ، بل تلاوة كتاب الله العزيز ومدارسة الاحاديث الصحيحة النبوية ، والاشتغال بالعلوم الشرعية وأقام الصلوات فهذا كان دأب أصحابه.

وكان لعبد المؤمن من الاولاد الذكور ستة عشر وهم : محمد وهو ولى عهده [419] وعلى ، وعمر ، ويوسف ، وعثمان ، وسليمان ويحيى ، واسمعيل ، والحسن ، والحسين ، وعبد الله وعبد الرحمن وعيسى ، وموسى ، وابراهيم ، ويعقوب (84) .

ذكر ولاية ابى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن على

كانت ولايته بعد وفاة ابيه ، وذلك ان عبد المؤمن لما حضرته الوفاة ، جمع أشياخ الموحدين ، وقال لهم : قد جربت ابنى محمدا، فلم أجد فيه نجابة ، تصلح للامر ولا يستحق الولاية . ولا يصلح لها الا ابنى يوسف، وهو أولى بها فقدموه لها، ووصاهم به فبايعوه وعقدوا له الولاية ، وخوطب بأمير المومنين. ثم مات عبد المؤمن ، فكتموا موته وحمل في محفة من سلا بصورة أنه مريض . الى ان وصل الى مراكش . وكان ابنه أبو حفص حاجبا لابيه، فبقى مع اخيه على مثل حاله مع ابيه، يخرج الى الناس، فيقول : أمر أمير المؤمنين بكذا وكذا . ويوسف يقعد مقعد ابيه، الى ان كملت المبايعة له في جميع البلاد، فأظهر موت ابيه بعد انقضاء اشهر من وفاته، واستقامت الامور لابى يعقوب وانقاد الناس لامره (85) .

(84) ينفرد النويرى بهذه الاحداث عن ابن الاثير.
(85) ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 291 — 292.

[420] ذكـر عصيـان غمـارة مع مفتـاح بن عمر وقتالهم وقتل مفتاح :

قـال : ولما تحقق الناس موت عبد المؤمن ، ثارت قبائل غمـارة في سنـة تسـع وخمسيـن وخمسمائة ، مع مفتـاح بن عمر وكان مقدما كبيرا فيهـم ، فاتبعـوه بأجمعهم وامتنعوا في جبالهم ، وهى معاقل مانعـة ، وهـم أمم جمة ، فتجهـز اليهم أبـو يعقوب ومعه اخواه عمر (**) وعثمن في جيـش كثيـف من الموحديـن والعـرب ، وتقدمـوا اليهـم والتقوا واقتتلـوا في سنـة احدى وستيـن فانهزمت غمـارة وقتل مفتـاح وجماعة من اعيانهـم ومقدميهـم وخلق كثيـر منهم ، وملكـوا بلادهم عنـوة، وكانـت قبائـل كثيـرة يريـدون الفتنـة ، وهم ينظـرون ما يكـون من غمـارة ، فلمـا قتلـوا انقـادت تلك القبائل الى الطاعـة ، ولم يبـق متحـرك لفتنـة وسكنت الدهمـاء في جميـع المغـرب (86).

وفي سنـة خمس وستين وخمسمائة، وجـه أبـو يعقـوب أخاه عمر ابن عبد المؤمن الى الاندلس بالعساكر، لقتال محمد بن سعـد (86 م) ابـن مردنيش ، وكـان قـد ملـك شـرق الاندلـس ، واتفـق مع الفرنج وامتنـع على عبـد المؤمـن ثم على ابنـه وتمادى في عصيانه واستفحـل أمـره، فدخل [421] العسكـر الى بـلاده، وجاس خلال دياره واخـذوا متبينين من بلاده، وأقاموا مـدة يتنقلون في بلاده ويجبون أموالها. ثـم توفى محمد بن سعـد في سنـة سبع وستين ، وأوصى أولاده أن يقصدوا الامير أبـا يعقـوب، ويسلموا الـبلاد اليه، ويدخلوا في طاعته، فلما مات قصـدوه فسـر بهم وأكرمهم وتسلـم البـلاد منهم ، وهى مرسية وبلنسية وجيان وغيـر ذلك ، وتزوج اختهـم واقامـوا عنده مكرميـن ، وكـان

** هو أبو حفـص عمر بن عبد المؤمن من زوجته صفية بنت أبى عمران، وزر لابيه حتى وفاته. انظر ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص 124.

(86) ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 312 — 313.

(86م) سعيد فى د، وينسب الى أصل اسبانى (مردنيش) محرف عن Martinez وتسمية المراجع النصرانية بالملك لوبو El-Rey Lobo وقد منحه البـابـا لقب «صاحب الذكر الحميد».

Dozy : Recherche sur l'histoire et la litterature de l'Espagne. T. I p. 365-66.

اجتماعهم به بمدينة اشبيلية ، وقد دخل الاندلس في مائة الف فارس في سنة ست وستين وخمسمائة (87)

ذكر غزوة الفرنج :

قال : وفي سنة ثمان وستين (*) ، جمع أبو يعقوب عساكره، وسار من اشبيلية وقصد بلاد الفرنج، ونزل على مدينة وبذة (88) وهي بالقرب من طليطلة شرقا منها ، وحصرها فاجتمعت الفرنج مع الاذفونش ملك طليطلة في جمع كبير، فلم يقدموا على لقاء المسلمين، واتفق ان الغلاء اشتد على المسلمين ، وعدمت الاقوات عندهم ، فعادوا الى اشبيلية، وأقام ابو يعقوب بها الى سنة احدى وسبعين، وهو يجهز العساكر في كل وقت، ويرسلها الى بلاد الفرنج [422] وكان في هذه المدة ، عدة وقائع وغزوات ، ظهر فيها من شجاعة العرب ما لا يوصف ، حتى كان الفارس من العرب يبرز بين الصفين، ويطلب مبارزة الفارس المشهور من الفرنج، فلا يبرز اليه أحد ثم عاد أبو يعقوب الى مراكش (89) .

ذكر ملك ابي يعقوب مدينة قفصة :

قد ذكرنا ان صاحب قفصة قدم على عبد المؤمن ، وهو يحاصر المهدية واطاعه ، وما قاله عبد المؤمن لحاجبه عند قدوم أهل قفصة، من أخبار المهدي عن قفصة ، فلما كان في سنة ثمان وستين وخمسمائة، دخلت طائفة من الترك من ديار مصر في أيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب، مع قراقوش مملوك تقى الدين، واجتمع اليه

---

(87) خمسين في د وصححنها من ع وابن الاثير : الكامل ج 11 ص 358، 374.

* وخمسين في ع.

(88) وبذى في ع، د، ج 2 : 219 رندة عند ابن الاثير وهذا غير صحيح لان رندة تقع في كورة شذونة في جنوب الاندلس . انظر الكامل 11 : 390 وهي وبذة كما أوردها ابن عذارى في البيان المغرب (الموحدون) ص 96 وهي تقع شرق طليطلة.

(89) ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 390.

مسعود بن زمام وجماعة من العرب ، ونزلوا على طرابلس وملكوها واستولى على كثير من بلاد افريقية، فعند ذلك طمع صاحب قفصة ونزع يده من الطاعة ، واستبد بالامر ووافقه أهل بلده، فقتلوا من عندهم من الموحدين، وذلك في شوال سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، فكتب والى بجاية الى أبى يعقوب بالخبر، واضطراب امور البلاد، فسد الثغور التى يخشى عليها بعد [423] مسيره.

وسار الى افريقية في سنة خمس وسبعين، ونزل على مدينة قفصة وحصرها ثلاثة اشهر، وقطع اشجارها، فلما اشتد الامر على صاحبها خرج منها مستخفيا، لم يعلم به أحد من أهل البلد، وجاء الى خيمة أبى يعقوب فاستأذن عليه فاذن له، وقد عجب من اقدامه على الدخول عليه بغير آمان ، فدخل عليه واستعطفه ، وقال : قد حضرت اطلب عفو أمير المؤمنين عنى وعن أهل بلدي وان يفعل ما هو أهله، معفا عنه وعن أهل بلده وتسلم المدينة في أول سنة ست وسبعين وخمسمائة وسيره الى المغرب ، وكان مكرما عزيزا واقطعه ولاية كبيرة ، ورتب لقفصة واليا من الموحدين ، ووصل مسعود بن زمام أمير العرب الى يوسف فعفا عنه ، وسيره الى مراكش، وتوجه يوسف الى المهدية ونساهدها ، ووافاه رسول من صاحب صقلية يلتمس الصلح، فهادنه عشر سنين ورجع الى المغرب (90) .

ذكر وفاة ابى يعقوب يوسف :

كانت وفاته في شهر ربيع الاول سنة ثمانين وخمسمائة ، وكان قد سار الى بلاد الاندلس في جمع عظيم ، فلما عبر الخليج، قصد غزو الفرنج ، فحصر مدينة شنترين شهرا، فأصابه بها [424] مرض فمات ، وحمل في تابوت الى مدينة اشبيلية وكانت مدة ولايته اثنتين وعشرين سنة وشهورا (91) ومات وله عدة من الاولاد ، رأيت في بعض

(90) ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 389، 467، 468 .
(91) ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 505.

التواريخ ، انهم كانوا خمسة عشر وهم : عمر ، ويعقوب وهو ولي عهده ، وابو بكر ، وعبد الله ، واحمد ، ويحيى ، وموسى، وابراهيم ، وادريس ، وعبد العزيز ، وطلحة ، واسحق ، ومحمد ، وعبد الواحد ، وعثمان ، وعبد الحق ، وعبد الرحمن ، فهذه (91 م) سبعة عشر عدها، وجمع على خمسة عشر والله اعلم .

وذكر هذا المؤرخ ان وفاته كانت في يوم السبت لسبع خلون من شهر رجب من السنة ، من طعنة طعنها، على مدينة شنترين من أيدي الروم ، لما عبر المسلمون، وتركوه في شرذمة يسيرة، ومات في الليلة الثالثة والله تعالى أعلم .

وقال أيضا : ودفن بتينمل عند أبيه وابن تومرت.

قال : وكان يحمل اليه من مال افريقية في كل سنة ، وقر مائة وخمسين بغلا، خارجا عما يرتفع اليه من سائر البلاد (92) .

وكان حسن السيرة يحب العلماء ويقربهم ويشاورهم وهم أهل خاصة وكان فقيها عالما حافظا متقنا رحمه الله تعالى .

ذكر ولاية أبي يوسف يعقوب
[425] أبن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن

كانت ولايته بعد وفاة أبيه ، في شهر ربيع الاول سنة ثمانين وخمسمائة ، وكان أبوه قد مات ، ولم يوص لاحد بالملك ، فاجتمع رأى أشياخ الموحدين وأولاد عبد المؤمن على تقديم أبي يوسف يعقوب، فبايعوه وعقدوا له الولاية وقدموه للامر ودعوه بامير المؤمنين فقام بالملك أحسن قيام ، ورفع راية الجهاد واحسن

(91م) نهؤلاء فى د وصحتها من ع .
(92) هذه المعلومات لا ترد فى ابن الاثير.

السيـرة ، فاستقامـت لـه الدولـة باسرهـا مـع سعة (92 م) اقطارها. ورتـب ثغـور الاندلـس وشحنهـا بالرجـال ، ورتـب المقاتلـة في سائر بـلادها واصلـح احوالهـا وعـاد الى مدينـة مراكـش (93) . .

ذكـر اخبـار الملثميـن وما ملكـوه من افريقية واستعادة ذلك منهم :

قال : ولما بلغ على بن اسحق بن محمد بن على بن غانيـة اللمتوني، صاحب جزيـرة ميورقة، وكان من اعيـان الملثمين، وفاة أبى يعقوب، سار الـى بجايـة في عشريـن شينيـا ، وملكهـا في شعبـان سنـة ثمـانيـن وخمسمائة ، واخرج من كان بهـا من الموحدين ، وكان الامير بها سليمن ابـن عبد اللـه بن عبـد المؤمـن، وخطب اللمتونى بهـا للخليفـة الناصر لديـن الله العباسـى ، فاتصـل الخبـر بأبى يوسـف [426] فجهـز العساكـر واستعادها في صفـر سنة احدى وثمانين، وكان بها يحيـى وعبد الله أخـوا على بن اسحـق قد تركهما بها وتوجه لحصار القسنطينة. (94) فخرجا منها هاربيـن والتحقا باخيهما، فاقلـع الى جهـة افريقيـة. واجتمـع بمن بها من العـرب ، وانضاف اليـه التـرك الذين كانـوا قـد دخلوهـا من مصـر، ودخل من مصر مملوك آخر اسمه بـوزابـة (94 م) فانضـم اليـه وكثـر جمعـه وقويت شوكتـه ، واتبعـوه جميعا لانه من بيـت الملـك ، ولقبـوه بأميـر المسلميـن ، فقصد بـلاد افريقية فملكها شرقـا وغربـا، الا مدينتى تونـس والمهديـة ، فان الموحـدون حفظوهما على خوف وضيق وشـدة. وانضاف الى اللثـم كل مفسـد يريـد الفتنـة والفساد والنهب ، فارسـل الوالى على تونـس وهو عبد الواحـد بن عبد اللـه الهنتاتـى الـى أبى يوسف يعلمـه بالحـال .

(92م) سبعة فى ج 2 : 221.
(93) ابن الاثير : الكامل جـ 11 ص 505.
(94) القسطنطينية فى د، ج 2 : 222 وصححتها من ابن الاثير : الكامل جـ 11 ص 507
(94م) انظر أبو شامة : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين 2 : 171، 177، ابن الاثير: الكامل 11 : 520، 524.

فلما ورد عليه الخبر ، اختار من عساكره عشرين الف فارس من الموحدين (95)، وقصد قلة العسكر لقلة القوت في البلاد، وسار في صفر سنة ثلاث وثمانين، فوصل الى مدينة تونس وأرسل ستة آلاف مع ابن أخيه أبى حفص (95 م)، فساروا الى على بن اسحق الملثم وهو بقفصة ، فوافوه، وكان مع الموحدين جماعة من الترك [427] الذين كانوا مع قراقوش ، فلما التقوا خامر الترك عليهم وانضموا الى اصحابهم، الذين مع الملثم، فانهزم الموحدون (96) وقتل جماعة من مقدميهم، وذلك في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين.

قال : فاقام أبو يوسف بمدينة تونس، الى نصف شهر رجب منها، ثم خرج في خمسة عشر الف فارس من الموحدين ، وسار يريد حرب الملثم ، فالتقوا بالقرب من مدينة قابس، واقتتلوا، فانهزم الملثم ومن معه، وأكثر الموحدون القتل فيهم حتى كادوا يفنونهم، ورجع من يومه الى قابس ففتحها ، وأخذ منها أهل قراقوش وأولاده وأمواله ، فحملهم الى مراكش وتوجه الى مدينة قفصة فحصرها ثلاثة اشهر ، وقطع اشجارها وخرب ما حولها ، فأرسل اليه الترك الذين كانوا بها في السر يسألونه الامان لانفسهم ولاهل قفصة ، فأجابهم الى ذلك، وخرج الاتراك منها سالمين، فسيرهم الى الثغور، لما رآه من شجاعتهم ونكايتهم (96 م)، وتسلم يعقوب البلد، وقتل من فيه من الملثمين وهدم اسواره وترك المدينة مثل قرية، وظهر ما قاله المهدي ، ولما فرغ من أمر قفصة واستقامت له افريقية ، عاد الى مراكش، فكان وصوله اليها في سنة اربع [428] وثمانين (97) .

(95) قارن ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 507، 508.

(95م) اخيه ابى حفص فى د، أبو يوسف بن ابى حفص فى بن خلدون : العبر 6 : 244، السلاوى : الاستقصا 2 : 160.

(96) قارن التجانى : الرحلة ص 14.

(96م) نكائتهم فى ج 2 : 223.

(97) ابن الاثير : الكامل ج 11 ص 519 — 522.

واما ابن غانية، اللمتونسي .فانه، ثبت بعد انكشاف اصحابه وقاتل قتالا شديدا .فأصابته جراحات كثيرة ، .ومر على .وجهه ، نمات في خيمة لعجوز اعرابية وكان معه اخوته عبد الله ، ويحيى، وأبو بكر ، وسير ، فقدموا عليهم يحيى لشجاعته وشهامته، ولحقوا بالعرب ، ولم يزل بافريقية يثور ثارة ويسكن اخرى (98).

ذكر .ملك الفرنج مدينة شلب (98 م) :

وفي سنة ست .وثمانين وخمسمائة ، ملك الفرنج بغرب الاندلس مدينة شلب ، وهي من أكبر مدن المسلمين ، فوصل الخبر الى أبي يوسف ، فتجهز بالعساكر الكثيرة ، وعبر المجاز الى الاندلس ، وسير طائفة كبيرة في البحر، ونازل شلب وحصرها وقاتل من بها قتالا شديدا، حتى ذلوا وطلبوا الامان، فآمنهم، وتسلم البلد ورجع من به الى بلادهم، وسير جيشا من الموحدين ومعهم جمع من العرب، الى بلاد الفرنج، ففتحوا اربع مدن ، كان الفرنج قد ملكوها قبل ذلك باربعين سنة ، .وقتلوا طائفة من الفرنج ،. فخافهم .ملك طليطلة .وأرسل في طلب الهدنة ، فصالحه خمس سنين، .وعاد أبو يوسف .[429] بعد ذلك الى مدينة مراكش (99) .

ذكر غزوة الفرنج بالاندلس والوقعة الكبرى (100) والثانية وحصر طليطلة :

كانت هذه الغزاة المباركة، في سنة احدى وتسعين وخمسمائة، وكان سببها ان الفنش ملك الفرنج صاحب طليطلة كتب الى أبي يوسف كتابا نسخته :

---

(98) هذه المعلومات لا توجد عند ابن الاثير .
(98م) وعودها الى المسلمين زيادة فى ع،ج 2 : 223، ابن الاثير: الكامل 12 : 57.
(99) ابن الاثير : الكامل ج 12 ص 57 — 58.
(100) هى المشهورة بغزوة الارك Alarcas نسبة الى حصن منيع بمقربة من قلدة رباح وتسمى اليوم Santa marla de alarcas . انظر الحميرى : الروض المعطار ص 27.

«باسمك اللهــم فاطــر السموات والارض · أما بعــد ايها الاميــر فانــه لا يخفــى على ذي عقــل لازب ، ولا ذي لب وذكاء ثاقب، انــك اميــر الملــة الحنيفيــة ، كما أنــا أميــر الملــة النصرانيــة .

وانك لا يخفى عليك ، ما هم عليــه رؤساء الاندلس، من التخــاذل والتواكل واهمــال الرعية، واشتمالهم على الراحات، وأنا اسومهم ســوم الخســف ، واسبي الذراري ، واخلي الديــار ، وامثــل بالكهــول ، واقتــل الشبــاب، ولا عذر لــك في التخلــف عن نصرتهم ، وقد امكنتك منهم القــدرة.

وانتــم تعتقــدون ان الله تعالــى فرض عليكم قتــال عشرة منــك بواحــد منكم، والان خفف الله عنكــم وعلــم ان فيكــم ضعفــا وقــد فرض عليكم قتــال اثنيــن منا بواحد منكم (*)، ونحن الان [430] نقاتل عددا منكــم بواحد منا ولا تقدرون دفاعا، ولا تستطعون امتناعا.

. ثــم حكــى لي عنك أنــك أخذت في الاحتفــال ، واشرفت على ربــوة القتــال ، وتمطــل نفســك عاما بعــد عــام ، تقدم رجــلا وتؤخر اخرى، ولا ادري الجبــن ابطــأ بك، أم التكذيــب بما انــزل عليك، وحكى لــي، عنك انــك لا تجــد سبيــلا الى الحــرب، لعلك ما يســوغ لك التقحم بها.

أنــا أقــول لك ما فيه الراحــة واعتذر عنــك ولك ان توفينى بالعهــود والمواثيــق والايمان : «ان تتوجه بجملة من عنــدك في الشوانى والمراكب، واجوز اليك بجملتــي وأبــارزك في اعــز الاماكن عنــدك ، فان كنت لــك فغنيمــة عظيمــة ، جاءت اليك وهديــة مثلت بين يديــك، وان كانــت لــي كانــت يــدي العليــا عليــك واستحققت امــارة المسلمين ، والتقــدم على الفيئتيــن ، والله يسهــل الارادة، ويقــرب السعــادة بمنــه، ولا رب غيــره ، ولا خيــر الا خيــره» .

---

* أنظر الايتين 65، 66 من سورة الانفال بالقرآن الكريم

قال : فلما وصل كتابه وقرأه كتب في اعلاه «ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون» (100 م) واعاده اليه، وجمع عساكره وعبر المجاز الى الاندلس.

وقيل : كان سبب عبوره الى الاندلس، انه لما صالح الفرنج [431] في سنة ست وثمانين كما ذكرناه ، بقيت طائفة من الفرنج لم ترض بالصلح ، فلما كان الان ، جمعت تلك الطائفة جمعا من الفرنج، وخرجوا الى بلاد الاسلام ، فقتلوا وسبوا واسروا وغنموا وعاثوا ، فانتهى ذلك الى أبي يوسف ، فجمع العساكر وعبر الى الاندلس، في جيش يضيق به الفضا، وجمعت الفرنج قاصيها ودانيها، وأقبلوا اليه مجديين واثقيين بالظفر لكثرتهم، والتقوا في تاسع شعبان من السنة شمالي قرطبة عند قلعة رباح بمكان يعرف بمرج الحديد ، واقتتلوا قتالا عظيما ، كانت الحرب في أولها على المسلمين ، ثم صارت الدائرة على الفرنج ، فانهزموا اقبح هزيمة ، وانتصر المسلمون عليهم.

وكان عدد من قتل من الفرنج مائة الف وستة وأربعين الفا، واسر ثلاثة عشر الفا ، وحاز المسلمون من الخيل ستة وأربعين الفا . ومن البغال مائة الف ، ومن الحمير مائة الف ، وكان يعقوب نادى في عسكره ، من غنم شيئا فهو له، سوى السلاح ، فاحصى ما حمل اليه، فكان يزيد على سبعين الف لباس، وقتل من المسلمين نحو عشرين الفا، ولما انهزم الفرنج اتبعهم أبو يوسف، فراهم قد خلفوا قلعة رباح ، وساروا عنها فملكها ، وجعل فيها واليا [432] وجندا ، وسار الى مدينة اشبيلية .

وأما الفنش فانه حلق رأسه ، ونكس صلبانه ، وركب حمارا، واقسم ان لا يركب فرسا ولا بغلا ، حتى ينصر النصرانية، فجمع

(100م) القرآن الكريم : سورة النمل رقم 27 آية 37.

جموعا كثيرة، فبلغ الخبر الى أبي يوسف، فأرسل الى مراكش وغيرها من بلاد المغرب ، يستنفر الناس من غير اكراه، فاجتمع اليه جمع عظيم، فالتقوا في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، فانهزم الفرنج «هزيمة قبيحة، وغنم المسلمون ما معهم، من الاموال والسلاح» (101) والدواب وغير ذلك.

وتوجه ابو يوسف الى مدينة طليطلة ، فحصرها وقاتل من بها قتالا شديدا، وقطع اشجارها، وشن الغارة على ما حولها من البلاد، وفتح عدة حصون فقتل رجالها، وسبا حريمها، وهدم اسوارها وخرب دورها، فضعف النصرانية حينئذ، وعظم أمر الاسلام بالاندلس ، وعاد الى اشبيلية فأقام بها.

فلما دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة سار الى بلاد الفرنج وفعل مثل فعله الاول والثاني فذل العدو، واجتمعت ملوك الفرنج وراسلوه في الصلح فاجابهم اليه بعد امتناع، وكان عزم على أن لا يجيبهم الى الصلح، وان يداوم الغزو حتى يفنيهم، فأتاه خبر على بن اسحق الملثم بخروجه على افريقية، فصالحهم خمس سنين، وعاد الى مراكش في آخر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة (101 م) .

[433] ذكر ما فعله الملثم بافريقية :

قال : ولما عبر أبو يوسف يعقوب ، الى الاندلس، وداوم الغزو، وانقطعت اخباره عن افريقية، قوي طمع علي بن اسحق «بن محمد ابن على بن غانية فيها، ، حكاه ابن شداد وذكر بعض المؤرخين ان هذا الثائر الان هو يحيى أخو على ، وان عليا كان قد مات. انتر تلك الوقعة على ما تقدم من قوله والله أعلم»(*) .

(101) ما بين قوسين زيادة من ع، ج 2 : 226، ابن الاثير : كامل 12 : 115.
(101م) ابن الاثير : الكامل ج 12 ص 113 — 116.
* مابين قوسين زيادة في د، ج.

قـال ابـن شـداد : وكـان بالبرية مع العـرب، يعنـي عليـا، فعاود قصـد افريقيـة وبث جنـده في البـلاد ، واكثـر الفسـاد وأظهـر انـه اذا استولى على بجاية، سـار الى المغـرب، فوصـل الخبـر الـى أبي يوسـف، فصالـح الفرنـج، وعاد الى مراكـش، عازما على قصـده واخراجـه (102) ، ولما عـاد استعمـل على مدينة تونـس ابا سعيـد عثمان بن عمـر الهنتاتي ، وولـى أخـاه أبـا على يونـس بن عمر على المهدية، وجعل قائد الجيوش (**) بالمهدية محمد بن عبد الكريـم، وهو رجل مشهـور بالشجاعه، فعظمت نكايتـه في العـرب، ولم يبـق الا من يخافـه. وخـرج الى طائفـة من عـوف، فانهزموا منه وتركوا أموالهـم وعيالهـم، فأخذ الجميـع ورجـع الى المهديـة، وأخذ من الغنيمـة والاسـلاب ما شـاء، وسلـم البعـض لابى على والبعـض للجنـد.

[434] فجاءت تلـك الاعراب ، الى أبى سعيـد بن عمـر، فوحـدوا وصاروا من حـزب الموحديـن، واستجاروا بأبى سعيـد في رد عيالهـم واموالهـم. فاحضـر محمد بن عبد الكريـم، وامره باعـادة ما اخذ لهم، فقـال : أخـذه الجنـد ولا اقـدر على رده. فأغلـظ له في القـول واراد ان يبطـش به، فاستمهلـه الى ان يرجـع الى المهديـة، ويسترد مـن الجنـد ما يجـده وما عـدم غرمه من مالـه ، فأمهلـه وانصرف الـى المهديـة ، وهو لا يامـن على نفسـه.

فلما وصل اليهـا ، جمع اصحابـه ، واعلمهم بما كـان من أبـى سعيـد، وحالفهم على المخالفـة عليـه، فحلفوا له على ذلـك، فقبـض على أبى على يونس (102 م) وتغلب على المهديـة وملكها ، ونـزع يده من الطاعـة، فأرسـل اليـه أبـو سعيـد في اطـلاق اخيه يونـس فأطلقـه ، على اثنى عشـر الـف دينـار، فأخذها وفرقها في جنـده.

(102) قارن ابن الاثير : الكامل ج 12 ص 116.

** الجيش فى ع.

(102م) على بن يونس في د وصححتها من ج 2 : 227، ابن الاثير : الكامل 12 : 147.

فجمع أبو سعيد الجند وأراد قصده، فأرسل محمد بن عبد الكريم الى علي بن اسحق الملثم، واعتضد به، فامتنع ابو سعيد من قصده، وفي خلال ذلك مات ابو يوسف (103) .

ذكر وفاة أبي يوسف يعقوب :

كانت وفاته في سابع عشر شهر ربيع الاخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة، بمدينة سلا، وكان قد سار اليها من مراكش، [100أ] وبنا مدينة مجاورة لها وسماها المهدية (*)، وجاءت من أحسن البلا وانزهها ، فسار ليشاهدها ، فتوفى بها وقيل بل توفى (103 م) بمراكش ، بعد انصرافه من سلا ، في جمادى الاولى سنة خمس وتسعين ، وقيل كانت وفاته في صفر منها، «وكانت ولايته خمس عشرة سنه» (104) وكان رحمه الله دينا حسن السيرة كثير الجهاد ، الا انه كان يتمذهب بمذهب الظاهرية (104 م) ولا يكتمه فعظموا في أيامه ، وانتشروا في البلاد، «واستقضى الشافعة على بعض البلاد ومال اليهم» (105) .

(103) قارن ابن الاثير : الكامل ج 12 ص 146 — 147.

* كانت تسمى حلق الوادى وحلق سبو ويرجح عبد العزيز بنعبد الله ان مهدية عبد المؤمن الموحدى هى قصبة الاوداية على نهر أبى رقراق. وهى غير مهديه الفاطميين بافريقية. أنظر الحموى : معجم البلدان 5 : 229، الموسوعة المغربية ملحق 2 :359.

(103م) امامها بالهامش «تاسع عشر، الثانى والعشرين» فى د.

(104) مابين قوسين زيادة من ع، ج 2 : 228، ابن الاثير : الكامل 12 : 145.

(104م) الظاهرية نسبة الى الفقيه داود بن على الاصبهانى، المعروف بداود الظاهرى (200 — 270 هـ) درس مذهب الشافعى وتعصب له والف فى مناقبه، ثم استقل بمذهب يعرف بمذهب الظاهرية، وتبعه كثير من الناس خصوصا فى فارس والاندلس وموقفه من الفقه موقف النقيض من الحنفية، ينكر القياس، ويرى أن فى القرآن والحديث وعموماتهما ما يكفى لبيان الاحكام، فهو يتمسك بظاهر الكتاب والسنة، ومن هذا اشتق اسم الظاهرية (أنظر احمد أمين : ضحى الاسلام 2 : 236) وأول من نشر مبادىء مذهب أهل الظاهر فى الاندلس هو عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال ت 272هـ. ومنذر بن سعيد بن عبد الله ابن عبد الرحمن البلوطى ت 355هـ. ولقد توقف انتشار المذهب الظاهرى أيام المنصور بسبب ما تظاهر به من انكار غير المالكية من المذاهب وما أن توفى حتى ظهر المذهب من جديد وانصرف الى اذاعته فى قرطبة أبو الخيار بن مغلت وتلميذه ابن حزم. أنظر بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ص 439، 441.

(105) مابين قوسين زيادة فى د، ج، وقارن ابن الاثير : الكامل 12 : 145 — 146.

وحكى بعض المؤرخيـن ، انه كـان في سنـة ثلاث وثمانيـن وخمسمائة، أظهـر الزهـد والتقشـف وخشونـة الماكل والملبـس، وانتشـرت في أيامـه الصالحون وأهل الحديث، وانقطع علم الفروع ، وامـر باحراق كتـب المذهب ، بعد أن يجـرد منها الحديـث والقرآن ، فحـرق منها جملـة في سائـر البـلاد، كالمدونة، وكتاب ابن يونـس، ونوادر ابن أبى زيـد، ومختصره، والتهذيـب للبرادعى ، والواضحـة ، وأمـر بجمـع الحديـث من المصنفـات ، كالبخاري ، ومسلـم ، والترمذي، والموطا، وسنن ابى داوود، والنسياي، والبزار، وابن ابـى شيبة، والدارقطنى ، والبيهقى ، فجمـع ذلك كله (105 م) فكـان يمليـه بنفسـه على النـاس ؛ ويأخذهـم [436] بحفظه .

قـال : وانتشـر هذا المجمـوع في بـلاد المغرب، وحفظه العـوام والخواص ، وكان يجعل لمن يحفظه الجوائـز السنية، وكان قصده ان يمحـو مذهـب مالـك من بـلاد المغـرب ، ويحمـل النـاس على الظاهـر من الكتـاب والسنـة .

قال : وكان له من الاولاد : محمد وهو ولـي عهده ، وابراهيم ، وعبـد الله ، وعبـد العزيـز ، وأبـو بكـر ، وزكريـاء ، وادريـس وعيسـى ، وموسـى ، وصالـح ، وعثمـان ، ويونـس وسعيـد ، ومساعـد ، فهاؤلاء اربعـة عشـر ولـدا . ولمـا مات ولـى بعـده ابنـه محمـد (106) .

ذكر ولاية أبى عبد الله محمد بن أبى يوسف يعقوب بن أبى يعقوب يوسف ابن عبة المؤمن بن على الملقب الناصر لدين الله

كـان أبـوه قد ولاه العهـد في حياته، واستقل بالملك بعـده ، واستقـام أمـر دولته واطاعـه النـاس .

(105م) كله زيـادة من ع.
(106) هذه المعلومات غير واردة بابن الاثير.

وذلك في جمدى الاولى سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، ولما ولى اتصل به ، فساد افريقية ، فانقذ عمه أبا العلاء في سبعين تينيا مشحونة بالعدد والمقاتلة ، وجهز جيشا في البر مع أبى الحسن على بن ابى حفص عمر بن عبد المؤمن، فوصل الى قسنطينة (107) [437] الهوا ، ووصل الاسطول الى بجاية، فلما اتصل خبرهم بعلى ابن اسحق ومن معه من العرب ، هربوا وتركوا افريقية ، ودخلوا الى الصحراء ، وتمادى بعض الاسطول الى المهدية ، فقبح مقدمهم على محمد بن عبد الكريم، فعله، فشكا اليه ما ناله من أبى سعيد، وقال : انا في طاعة سيدنا أمير المؤمنين محمد، وما اسلم المهدية الا له، أو لمن يامرني بتسليمها اليه، وأما أبو سعيد فلا اسلمها اليه أبدا. فارسل محمد من تسلمها منه، وعاد الى الطاعة

قال : وجهز محمد جماعة من العرب الى الاندلس ، واحتاط واحترز (108) فاتاه جماعة رسل من ملوك الفرنج يطلبون دوام الهدنة، ويشاهدون احوال الدولة ، فانزلهم على العادة، وحضروا مجلسه ، فطلبوا دوام الهدنة التى كانت بينهم وبين أبيه، واستقراض مائة الف دينار، فقال لهم : المال والحمد لله لدينا، والرجال ونحن نجيب الى ذلك ، بشرط ان ترهنوا عندنا معاقل على المال، تكون بأيدينا الى حين الوفاء، وان كان هذا منكم امتحانا، فالسيوف التى تعرفون ما ردت في أغمادها ، والرماح ما حصلت على أوتادها ، فانصرفوا وقد ملأ قلوبهم رعبا، وابقوا الهدنة على ما كانت واعرضوا عن ذكر السلف .

قال : [438] وخرج أقارب يحيى بن اسحق الميورقى من ميورقة لما علموا بموت يعقوب، في أسطول كبير، الى جزيرة منرقة، وهى في طاعة محمد، ففتحوها واحتووا على أموالها، وتركوا فيها جندا يحفظونها،

(107) القسطنطينية عند النويرى والتصحيح من ابن الاثير : الكامل ج 12 ص 147.
(108) قارن ابن الاثير : الكامل ج 12 ص 146 — 147.

فاتصل ذلك بالامير محمد ، فجهز أسطولا في غير أوان ركوب البحر في كانون ، وقدم عليهم ابا زيد ، فوصل الى منرقة ففتحها عنوة بالسيف ، وقتل بعض أهلها (108 م) وتوجه الى جزيرة ميورقة ففتحها ، وقتل بعض من بها من (*) الجند، واسر ثلاثة من أقارب يحيى ابن اسحق ، وقتل منهم واحد في المعركة، وذلك كله في سنة خمس وتسعين وخمسمائة (109) .

انتهى تاريخ ابن شداد وابن الاثير في اخبار المغرب الى هذه الغاية .

وقال : غيرهما ممن ارخ للمغاربة ، وفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، قدم بالسوس رجل جزولى ، يعرف بأبى قصبة ، ودعا لنفسه واجتمع عليه خلق كثير، ثم هزمه الموحدون ، واسلمه أصحابه وقتل (110) .

وفي سنة احدى وستمائة ، تجهز محمد بن يعقوب، في جيوش عظيمة ، لقصد افريقية ، وكان يحيى بن غانية اللمتونى ، قد استولى عليها، فأخلا قسنطينة (111) وبجاية فنزل افريقية وملكها، ولم يمتنع عليه منها الا المهدية ، فأقام عليها اربعة [439] أشهر ، وكان فيها الحسن بن على بن عبد الله بن محمد بن غانية، واليا لابن عمه يحيى، فلما طال عليه الحصار، سلمها وخرج بقصد ابن عمه، ثم بدا له فراسل الامير محمدا (111 م) فقبله أحسن قبول ، ووصله بالصلات السنية ، ثم ترك بافريقية من

(108م) من فيها في ج 2 : 230، ع.
* «بها من» زيادة من ع.
(109) هذه المعلومات لا توجد بابن الاثير.
(110) يذكر ابن عذارى ثورة أبى قصبة في 598هـ. انظر البيان المغرب — القسم الثالث (الموحدون) ص 215.
(111) القسطنطينية في د، ج 2 : 230 وصحتها قسنطينة.
(111م) فقتله زيادة في كل من د، ج 2 : 230.

يقـوم بحمايتهـا، واستعمـل عليها أبـا محمد عبد الواحد (112) ورجـع الى مراكش في سنـة اربع وستمائـة، وأقـام بهـا الى أول سنـة سبـع وستمائـة .

فقصـد بـلاد الـروم بالغـزو ، ونـزل على قلعـة تسمى شلب تـرة ففتحهـا فجمـع له الادفونش جموعـا عظيمة من الاندلـس والشام (113) والقسطنطينيـة ، فالتقيا بموضع يعـرف بالعقاب (114) فدهم الادفنش المسلميـن،وهم على غير أهبـة، فانهزمـوا وقتل من الموحديـن خلـق كثير، وثبت الاميـر محمد ثباتـا لم يـر من ملك قبلـه، ولولا ذلـك لاستوصلـت تلـك الجمـوع، ثم رجع الى مراكـش، وكانت الهزيمة في يوم الاثنين منتصـف صفـر سنـة تسع وستمائة ، وانفصل الادفنش وقصـد بياسـه (115) فوجدها خاليـه ، فقصـد أبـذة (116) فوجد

(112) هو ابو محمد عبد الواحد بن ابى حفص الهنتاتى، ولمـا كانت افريقيه منذ بدايه عصر الموحدين مركزا للعناصر المعارضه لدولتهم مثل بنى غانية المسوفيين المرابطين حكام جزر البليـار، الذيـن كثيرا مـا اتحـدوا مع العنـاصر المقيمة فى افريقية مثل الاعزاز والاعراب الذين جاءوا من مصر واستقلوا بحكـم عدد من مـدن افريقيـة. رأى الخليفة الموحدى الناصر، ان سلطان الموحدين لن يستقيم فى افريقية الا اذا اقام عليهـا واليـا دائمـا من قرابته يكون مسموع الكلمة بين الموحدين، وله مطلـق التصـرف فى ادارتها كى يستطيع القيـام بأعبائها، واختار لهذا الغرض ثقته ووزيره أبا محمد عبد الواحد بن ابى حفص الهنتاتى. ابن عذارى : البيـان المغرب. القسم الثالث (الموحدون) ص 225، روض القرطاس ص 233، الحلل الموشية ص 161، ابن ابى دينار : المؤنس ص 122 — 123، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 191 .

(113) يقصد الصليبيون ببلاد الشام الذين تمكنـوا من الاستيلاء على بيـت المقـدس وتكوين امارات صليبية.

(114) العقاب : بكسر العين، بين جيان وقلعة رباح، يذكر السلاوى بانه يعرف بحصن العقبان أما ابن أبى زرع وابن عذارى فيذكران أنه «حصن العقاب»

Les Navas de Tolosa

انظر البيان المغرب، القسم الثالث ص 240، الروض القرطاس ص 238، الحميرى : الروض المعطار ص 416، الاستقصا ج 2 ص 199.

(115) بياسة : من كورة جيان يصفها ابن غالب بقوله : «وهى مدينة عظيمة طيبـة الارض كثيرة الزرع والاشجار والكرم» أما الحميرى فيقول : «بينها وبين جيان عشرون ميلا، وهى مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر» ومن أهل بياسة الاديب التاريخى أبو الحجاج يوسف بن ابراهيم البياسى مصنف كتاب «الاعلام بحروب الاسلام» انظـر فرحة الانفس فى تاريخ الاندلس ص 15، الروض المعطار ص 121 — 122 .

(116) ابذة : وهى معروفة بابذة العرب، بناها عبد الرحمن بن الحكم، واستكملها ابنه محمد بن عبد الرحمن وبينها وبين بياسة سبعة أميال . ابن غالب : فرحة الانفس ص 15، الحميرى : الروض المعطار ص 6.

فيهـا من المسلمين عـددا كثيرا من المنهزميـن، وأهل بياسة ، فأقـام عليهـا ثلاثة عشـر يومـا ، ودخلهـا عنـوة وسبا وغنـم ، فكانت هذه أشـد على المسلميـن [440] من الهزيمـة .

ذكـر وفـاة أبـي عبـد اللـه محمد وشيء من أخبـاره :

كانـت وفاته بمدينة مراكـش، لعشر خلـون وقيل لخمس خلـون من شعبـان سنـة عشـرة وستمائة (117) ، فكانت ولايتـه خمـس عشـرة سنـة وشهورا ، وكان شديد الصمـت بعيـد الغـور ، كثيـر الاطـراق ، حليما شجاعا ، عفيفـا عن الدمـاء، قليـل الخوض في ما لا يعنيه، الا انـه كان نحيلا الشـغ (118) وكـان لـه مـن الاولاد : يوسـف ، وهـو ولي عهـده، ويحيى ، واسحـق توفي يحيى في حياته، ولمـا مـات ولـي بعـده ابنـه يوسـف.

ذكر ولاية يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ابـن علـى

كانت ولايته بعد وفاة أبيه، في شعبان سنة عشر وستمائة ، وعمـره يـوم ذلك ستـة عشـر سنـة ، وقـام ببيعتـه من القرابـة، أبو موسى عيسى بن عبد المؤمن عـم جـده ، الذي دخل عليه الميورقيـون بجايـة، وهو آخر من بقـى من ولـد عبد المؤمن لصلبـه، وأبـو زكريـا يحيى بن عمـر بن عبـد المؤمـن ، بويع لـه البيعة الخاصة في يومـى

(117) توفى فى شعبان سنة ست عشرة وستمائة، عند النويرى ولكنه عاد وصحح التاريخ في السطور التالية. ويتفق كل من ابن عذارى وابن ابى زرع انه مـات مسموما، بمعرفه وزرائه الذين عاجلوه قبل قتله لهم. أمـا ابن خلكان فيذكر انه قتل بيد عبيده الذين امرهم بحراسة بستانه وقتل من يظهر به ليلا، فاراد اختبارهم فقتل. ويضيف المراكشى بأنه أصيب بورم فى دماغه منعـه من الكلام عـدة أيام ثم مـات. البيان المغرب. القسم الثالث ص 243، روض القرطاس ص 241، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 201

(118) كان نحيلا الثروة فى ج 2 : 231 وما ورد فى د اصبح لاتفاقه مع مـا ورد بالانيس المطرب بروض القرطاس ص 231 وما بعدها.

الخميس والجمعة، بايعه اشياخ الموحدين [441] والقرابة، وفي يوم السبت اذن للناس عامة ، وأبو عبد الله بن عياش الكاتب، قائم على رأسه ، يقول للناس : تبايعون أمير المؤمنين بن أمير المومنين ، على ما بايع عليه، اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من السمع والطاعة ، في المنشط والمكره، واليسر والعسر، والنصح له ، ولولاته، ولعامة المسلمين ، هذا ماله عليكم ولكم عليه ان يحمى ثغوركم، ولا يدخر عنكم شيئا ، مما تعمكم مصلحته، وان يعجل لكم عطاءكم، وان لا يحتجب دونكم، اعانكم الله على الوفاء. واعانه على ما قلده من امور‌كم.

قال المؤرخ : ولما مضى من ولاية يوسف هذا، أربعة أشهر، قبض على رجل كان قد ثار عليهم ، اسمه عبد الرحمن ادعى انه من أولاد العاضد من خلفاء المصريين ، وكان خروجه في زمن ابيه محمد بن يعقوب، والتفت عليه ببلاد صنهاجة، جماعة كبيرة وكان كثير الاطراق والصمت ، حسن الهيئة، وقصد سجلماسة في حياة محمد بن يعقوب، في جيش عظيم ، فخرج اليه متوليها سليمان ابن عمر بن عبد المومن ، فهزمه عبد الرحمن هذا، واعاده الى سجلماسة اسوا عود، ولم يزل [442] يتنقل في قبائل البربر، ولا تثبت عليه جماعته ، لانه غريب البلد ، حتى قبض عليه بظاهر فاس، فضربت عنقه، وصلب ووجه براسه الى مراكش (119) .

وثار في أيام يوسف، رجل ببلاد جزولة، يدعى انه فاطمي، فقتل وجيء برأسه.

(119) يذكر المقريزى انه فى 600هـ / 1204م ثار محمد بن عبد الله بن العاضد وهو حفيد العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بمصر، ظهر بجبال ورغة من احواز فاس بعد مدة ثلاث وثلاثين سنة من قضاء صلاح الدين الايوبى على الدولة الفاطمية الشيعية بمصر 567هـ/1171م. وبعد ان تمكن الموحدون من قتله حمل لواء الثورة من بعده ابنه عبد الرحمن وتمكن من السيطرة على جبال غمارة فى شمال المغرب ولكن الناصر تمكن من القضاء عليه فى 610هـ/1213م. انظر اتعاظ الحنفا 3 : 326، ابن ابى زرع: الانيس المطرب ص 181، السلاوى : الاستقصا 2 : 195.

وثار آخر من صنهاجة، فقتل في سنة ثماني عشرة وستمائة بعد أن أثر آثارا قبيحة، وهزم بعوثا كثيرة، وأفسد خلقا من الناس، واستمر يوسف هذا الى سنة عشرين وستمائة.

ذكر وفاة يوسف بن محمد :

كانت وفاته في شوال أو ذي القعدة سنة عشرين وستمائة، فكانت ولايته عشر سنين وثلاثة اشهر تقريبا، ولم اقف من اخباره على غير ما وضعت فاوردة (120) .

ذكر ولاية أبي محمد عبد العزيز بن يوسف بن عبد المؤمن* :

كانت ولايته في ذي القعدة سنة عشرين وستمائة ، بعد وفاة يوسف بن محمد ، وكان يوسف بن محمد ولاه مدينة اشبيلية ، حين عزل عنها أخاه أبا العلاء ادريس وولاه افريقية فلما توفي يوسف اضطرب الامر، فاجتمع معظم [443] الناس على تقديم أبي محمد عبد العزيز ، فبايعوا له وولوه امرهم، قالوا (120 م) : وكان عبد العزيز هذا، في أيام امارته قبل أن يصير الامر اليه، مجتهدا في دينه، شديد البصيرة في أمره، قوي العزيمة ، شديد الشكيمة لا تأخذه في الله لومة لائم، ارطب الناس لسانا بذكر الله، واتلاهم لكتابه مع دماثة خلق ولين جانب ، وخفض جناح لاصحابه ، مع سخاء نفس وطلاقة وجه (121) .

---

(120) ما وصفت فاوردته فى ج 2 : 233 وانظر تفاصيل فترة حكم يوسف فى ابن عذارى : البيان المغرب، القسم الثالث ص 243 ومابعدها، ابن أبى زرع : روض القرطاس ص 241 — 243، الحلل الموشية ص 161 — 162، السلاوى : الاستقصا ج 2 ص 204.

* هو والي اشبيلية، انضم الى أبى محمد عبدالله المنصور الملقب بالعادل وبايعه ولم يتول الحكم. انظر ابن خلدون : العبر 6 : 251، السلاوى : الاستقصا 2 : 229

(120م) امرة، قال فى ج 2 : 233 وما ورد فى د أصح.

(121) انظر تفاصيل هذه الفترة بابن خلدون : العبر 6 : 338 — 339، السلاوى : الاستقصا 2 : 204 — 205.

هذا ما وقفت عليه من اخبار ملوك دولة الموحدين مما دون لهم على ما فيه من الاختصار ، ثم انقطعت اخبار ملوك المغرب عن الديار المصرية فلم يصل الينا من خبرهم الا ما نتلقاه من افواه الناس ، ولم يتحقق من اخبارهم ما نورده فتكون العمدة عليه لكنا علمنا من ولى الامر من ملوك هذه الدولة بعد ابى محمد عبد العزيز هذا واحدا بعد واحد الى ان انقرضت الدولة وقامت دولة زناتة من غير ان نتحقق تاريخ ولاية احد منهم ولا وفاته فراينا ان نذكر ذلك مجردا عاريا من الاخبار والوقائع ونقلت ذلك عن ثقة اخبرني انه نقله عن ثقات ، وها أنا أورده كما [444] اخبرني.

[ذكر من تولى بعد عبد العزيز الى نهاية الدولة]

قال ولى الامر بعد أبى محمد عبد العزيز (121 م)

المستنصر بالله أبو يعقوب يوسف بن الناصر لدين الله أبى عبد الله محمد بن المنصور بالله أبى يوسف يعقوب بن أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (122).

ثم ولى أمر بعده أبو محمد عبد الواحد بن أبى يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن (123) ، ثم ولى الامر بعده العادل أبو محمد عبد الله ابن المنصور بالله أبى يوسف يعقوب بن أبى يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن (124)

(121م) محمد بن عبد العزيز في الاصول وصححها النويرى بعد ذلك في جامع أخبار دولة الموحدين.

(122) روض القرطاس ص 241 — 243، البيان المغرب ق 3 ص 243 وما بعدها، الاستقصا ج 2 ص 202، الحلل الموشية ص 161 — 162.

(123) روض القرطاس ص 243 — 245، البيان المغرب ق 3 ص 247، الاستقصا ج 2 ص 204، الحلل الموشية ص 162.

(124) روض القرطاس ص 245 — 247، البيان المغرب ق 3ص 248، الاستقصا ج2 ص 206، الحلل الموشية ص 163.

ثم ولي بعده أبو زكرياء يحيى بن الناصر لدين الله أبي عبد الله محمد وهو أخو المستنصر بالله المقدم ذكره (125).

ثم ولي بعده أبو العلاء ادريس المامون بن المنصور بن أبي يوسف يعقوب (126).

ثم ولي بعده ابنه الرشيد عبد الواحد بن المامون ادريس (127).

ثم ولي بعده أخوه السعيد أبو الحسن يحيى بن المامون ادريس (128) وهو المعروف بالبراك وانما سمي بالبراك لثبوته في الحرب، ثم ولي بعده المرتضى أبو حفص عمر بن أبي ابراهيم اسحق (129)، ثم ولي بعده الواثق بالله أبو العلا ادريس (130) ابن أبي عبد الله محمد بن عمر بن عبد المؤمن» (131) المعروف [445] بأبي دبوس لثقل دبوسه (132)

ثم ولي بعده ولده أبو مالك عبد الواحد بن أبي العلاء ادريس وعليه انقرضت دولتهم وقامت الدولة المرينية وهم زناتة وهي الدولة القائمة في عصرنا هذا، ولما انتزع من الملك انتقل الى بلاد الفرنج فكان بها الى أن ثار على بني ابى حفص، بساحل طرابلس الغرب

(125) روض القرطاس ص 247 — 249، البيان المغرب ق 3 ص 253، 318، 329، الحلل الموشيه ص 163.
(126) روض القرطاس ص 249 — 259، البيان المغرب ق 3 ص 253 ومابعدها، الاستقصا ج 2 ص 211، الحلل الموشيه ص 163 — 166.
(127) روض القرطاس ص 254 — 255، البيان المغرب ق 3 ص 282، الاستقصا ج 2 ص 210، الحلل الموشية ص 167.
(128) السعيد ابو الحسن علي بن المامون انظر روض القرطاس ص 256، 257، البيان المغرب ق 3 ص 358، الحلل الموشية ص 167.
(129) روض القرطاس ص 259 — 261، البيان المغرب ق 3 ص 389، الاستقصا ج 2 ص 227، الحلل الموشية ص 168 — 169.
(130) روض القرطاس ص 259 — 261، البيان المغرب ق 3 ص 454، الاستقصا ج 2 ص 233، الحلل الموشية ص 169 — 171.
(131) ما بين قوسين زيادة من ج 2 : 234، ع.
(132) يذكر صاحب الحلل الموشية ص 169 بأنه لقب بأبي دبوس، لانه كان في بلاد الاندلس لا يفارقه، فشهر به.

وأعانته الاعراب على ذلك ثم قتل بعد أربعة أشهر أو نحوها من نهوضه ولم يتم له ما قصده.

ثم قام بعده أخوه أبو سعيد عثمن بن ادريس وملك مدينة قابس وبلاد نفزاوة (133) وأقام بها مدة ثم اخرج منها فتوجه مع العرب الى البرية ثم ثار معهم بافريقية حتى انتهى الى جبل الريحان وهو على مرحلة من تونس ثم خذله العرب فتوجه الى بلاد الفرنج.

قال : وكان انقراض دولة الموحدين في سنة ست وستين وستمائة تقريبا .

جامع أخبار دولة الموحدين .

كانت مدة قيام هذه الدولة من حين ظهور المهدي محمد ابن تومرت ، في سنة أربع عشرة وخمسمائة، والى حين [446] انقراضها في سنة ست وستين وستمائة، مائة سنة وثلاثا وخمسين سنة بتقريبا وعدة من ملك منهم ، سبعة عشر ملكا وهم :

المهدي محمد بن تومرت الحسنى، عبد المؤمن بن على، أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، أبو يوسف يعقوب بن أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، أبو عبد الله محمد بن أبى يوسف ، ولده يوسف بن محمد، أبو محمد عبد العزيز بن أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، المستنصر بالله أبو يعقوب يوسف بن أبى عبد الله محمد ابن أبى يوسف يعقوب بن أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، أبو محمد عبد الواحد بن أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، وابو محمد عبد الله بن أبى يوسف يعقوب بن أبى يعقوب يوسف بن عبد

(133) بلاد هوارة فى ج 2 : 235.

المؤمن» (134) ، أبو زكريــا يحيى بن أبى عبد اللــه محمد بن أبى يوسف يعقـوب بن أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، أبو العــلاء ادريــس ابــن أبى يوســف يعقــوب بن أبــى يعقوب يوسف بن عبد المؤمــن ، ولــده عبد الواحــد بن ادريــس ، أخــوه أبــو الحسن يحيى بــن ادريس وهو البراك (134 م) أبو حفص عمر بن أبى ابراهيم اسحــق ، أبو العلاء ادريــس بن أبــى عبد اللــه محمد بن عمــر بن عبــد المومن ، ولــده أبو مالــك عبد الواحــد بن أبــى العــلاء ادريــس.

[447] ذكــر تسميــة ملـوك بنــى مريــن

أول من قام من ملوكهم ، أبــو بكــر عبد الحــق ، استولى على بعــض بلاد الموحدين بنى عبد المؤمــن ، ثــم مات قبل ان يخلــص لــه الامــر ببــلاد المغــرب.

فملك بعــده أخــوه يعقوب بن عبد الحــق المعروف بابن تابطويت(*) وهى أمه نسبت الى قبيلة بطويت (**) وهى قبيلة كبيرة من قبائل زناتة، وفي أيامه انقرضت دولة بنى عبد المؤمــن، وعظم شأنه واتسع ملكـــه وطالــت مدتــه ثم مــات .

فملــك بعــده ولــده يوســف ، المعروف بأبــى الزردات، وإهتز لـــه المغــرب ، وعظــم شأنــه، وهابــه ملــوك المغــرب ، ومع ذلــك لــم يأت بطائــــل ، وحاصــر تلمســـان، فمكث على حصارها نحــو أربعــة عشــر سنة ، وابتنــا عليهــا مدينة سكنهــا بجيوشــه، ومات قبل أن

---

(134) مسابين توسين زيادة من التتابع الذى أورده النويرى فى الصفحات السابقة من د ج 2 : 235. وموجود فى ع.

(134م) أبو الحسين يحيى فى د ، أبو الحسن يحيى فى ج ، ع وهو أبو الحسن على فى روض القرطاس ص 256، البيسان المغرب 3 : 358، الحلل الموشية ص 267.

* تانطويت فى د، ج.

** تطويت فى د، نطويت فى ع ويذكر السلاوى ان أم يعقوب بن عبد الحق تسمى أم اليمن وهى ابلــة على" البطوى ممــا يرجح انتسابها الى قبيلة بطوية من زناتة. انظر الاستقصا 3 : 20.

بملكها ، وذلك ان بعض خدامه ، وثب عليه فضربه، فلما تحقق الموت عهد بالملك الى ولده أبي سالم ابراهيم .

فملك بعده وخالف عليه ابن اخيه أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف أبي الزردات ، وعمه أبو يحيى أبو بكر بن يعقوب ابن عبد الحق [448] واجتمع عليهما بنو مرين ، وهم على تلمسان، فخافهما ابراهيم ، وهرب من ليلته فاتبع وقتل، واستقر الملك لعامر وعم ابيه أبي يحيى يوما واحدا، ثم قام عبد الله ابن أبي مدين المكناسي ، وزير يوسف بن يعقوب، وهو المستولي على الدولة، وعلم إن أبا يحيى ان استمر تغلب على الملك، وتحكم فيه ورأى انه اذا انفرد عامر بالملك مع صغر سنه، كان هو المتحكم في المملكة، فأغرى عامرا بأبي يحيى فأمر به فقتل في اليوم الثاني، واستقل عامر الملك مدة سنة واحدة وشهر، ثم مات بطنجة فقام لطلب الملك بعده عمه علي بن يوسف المعروف بابن زرنجة (135)، وزرنجة أمه أم ولد فلم يتم له أمر، فقام عبد الله بن أبي مدين الوزير ، وبايع لابي الربيع سليمن بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب، وهو ابن سبعة عشر سنة أو نحوها، واستقر في الملك ثلاث سنين، حتى مات بناحية تازا.

ثم ملك بعده عم أبيه عثمن بن يعقوب، وقتل ابن أبي مدين، في أيام سليمن بن عبد الله، بامره بمدينة فاس، وولى الوزارة بعده لابي الربيع سليمن، أخوه محمد بن أبي مدين ، وعثمن هذا هو الملك القائم في وقتنا هذا. [449] في سنة تسع عشرة وسبع مائة.

---

(135) ابن زرزبخة في د، ع، ابن رزيجة في ج 2 : 237، ويذكر ابن خلدون أنه ينسب الى أمه رزيكة، بينما ينسبه السلاوي الى الزرقاء أمه، أنظر العبر 7 : 238، الاستقصا 3 : 97.

وانما اقتصرنـــا من اخبارهـــم على هذه النبـــدة لانهـــم منعـــوا في ابتـــداء دولتهـــم ان نورخ لهم أو تـــدون اخبارهم وقتلوا محمد بن عبد اللــه بن أبـــي بكـــر القضاعـــي المعـــروف بابـــن الابـــار (136) **وكان قد ارخ اخبارهـــم وأخبـــار غيرهم واعدمـــوا ما وجدوه عنـــده وعند غيره من أوراق التاريـــخ المنسوبة لهم ولغيرهم فهذا هو الـــذي منع من انتشار أخبارهـــم.**

فلنذكر أخبار جزيرتي صقلية واقريطش «ان شاء الله تعالى» (137)،

(136) وابن الابار 595 ــ 658هـ وهو مؤرخ اندلسي كان كاتبا لامراء الموحدين في الاندلس وبعـــد سقوط موطنه بلنسية بأيدي نصارى الاسبان هاجر الى تونس وحظى عند الامير ابى زكريا الحفصي الذى عينه كـــاتبـــا له ثـــم عزلـــه. ولمـــا مات ابو زكريا وخلفه المستنصر الحفصي رفع من شأنه واتخذه وزيرا ولكنـــه اتهـــم بالاشتراك في مؤامرة ضد الحفصيين فغضب عليه المستنصر وأمـــر بقتله وحرق جميع مؤلفاته. والمرينيون لا علاقة لهـــم بالموضوع ولقد جانب الصواب النويري، لاعتمـــاده فيما يخص هذا الموضوع على الرواية الشفوية الفقة. أنظر بالنثيا : الفكر الاندلسي ص 277 ــ 278.

(137) ـــبين قوسين زيادة من ج 2 : 237.

ذكـر أخبار جزيـرة صقليـة (1)

ومن غزاها من المسلمين وما افتتـح منهـا ، وكيف استولت الفرنـج، خذلهـم الله تعالـى عليهـا :

قد ذكـرنا صفة جزيـرة صقلية ، وما بها من الانهار والعيـون ، والفواكه والاشجـار والنبـات والكـلاء، وما بها من المـدن المشهـورة، وأتيتنـا على ذلك مبينـا، وهو في السفـر الاول من كتابنا هذا، في أخبار الجزائـر، فلنذكـر الان في هذا الموضـع خـلاف ما قدمنـاه من اخبارها فنقـول :

أول من غـزا (3) صقليـة في الاسلام (4) **عبد الله بن قيـس** الفزاري (5) من قبل معاوية بن حديج [450] وكان قد بعثـه من افريقية،

---

(1) صقيلة : جزيرة صقلية شبيهـة بمثلث ضخـم، مساحتهـا 25460 كم مربـع، اذا حسبت معهـا الجزيرات المحدقة بها. وينفصل بينها وبين شبه الجزيرة الايطالية بوغاز عرضه 3كم فقط. واهم مدن الشاطيء الغربى المواجه لساحل افريقية : مرسى على Marsala مازر. (مرارء Mazara) واسمها عربى الصيغة ولكنه قديم يرجع الى عهد الفينيقيين والرومان وهى أول مرسى نـزل فيه فاتحو الجزيرة المسلمون. وجرجنت Agrigento امـا اهـم مـدن السـاحـل الشـمـالـى المـواجـه لايطـاليـا : طبرميـن وبلـرم عاصمة الجزيرة. أمـا أهم مدن الساحل الشرقى : من الجونب سرقوسة ومسينا فى الشمال. وتبدو صقلية فى مجموعها أرض جبال وهضاب، يتسمها أخدود عميق، كان ممرا للفاتحين وللغزاة فى كل العصور. أنظر مارتينو : المسلمون فى صقلية ص 1 — 2.

(3). سنة 33 أول من غزا جزيرة فى م ص 425.

(4) لقد كـانت صقلية من حيث موقعها الجغرافى معرضة لهجومات المسلمين من جهتين من جهة الساحل الشرقى للبحر الابيض المتوسط ومن جهة افريقية. ويذكر مارتينو ماريو مورينو أن معاوية بن أبى سفيان وهو والى على الشـام أرسل حملة من سواحل لبنان الى صقلية فى 650م وذلك اعتمـادا على الكتاب البابوى Liber pontificalis ورسائل البابا مارتين. أنظر المسلمون فى صقلية ص 6.

(5) عبد الله بن قيس بن مخلد الدرقى. فى البلاذرى : فتوح البلدان ص 233.

وذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان، ففتح وسبا وغنم ، فكان مما غنم، اصناما من ذهب وفضة، مكللة بالجواهر ، فحملها (6) الى معاوية بن أبي سفيان ، فأنفذها معاوية الى الهند ، لزيادة ثمنها ، فأنكر المسلمون ذلك عليه (7) .

ثم غزاها (8) بعد ذلك **محمد بن أبي ادريس الانصاري** ، في أيام يزيد بن عبد الملك، فقدم بغنائم وسبايا

ثم غزاها (9) **بشر بن صفوان الكلبي** ، في أيام هشام ابن عبد الملك ، فقدم بغنائم وسبايا (10) .

---

(6) وحملها. في م ص. 426.

(7) عليه ذلك في م ص 426، ومما يستلفت الانظار ما يحكيه المؤرخ تيوفانيس Theophanes ان بعض الاسرى الصقليين في هذه الحملة ارسلوا الى دمشق واعجبتهم السكنى هناك ويفصل ياقوت في كتابه مراصد الاطلاع هذا الخبر بقوله «صقليات قيل موضع بالشام» ويضيف الكاتب الصقلي أبو حفص بن خلف عمر أن قرية الصقليات في الغوطه بالقرب من دمشق. انظر المكتبة العربية الصقلية ص 129، المسلمون في صقلية ص 6، وقارن البلاذري : فتوح البلدان ص 233.

(8) سنة 102 زيادة في م ص 426 وصاحب هذه الغزوة هو محمد بن أوس الانصاري (تاريخ خليفه بن خياط 2 : 471) ويشير ابن قتيبه ان الحملات البحرية على صقليه بدأت في عهد ولاية موسى بن نصير لبلاد المغرب في 85 هـ بغزوة الاشراف، بقيادة عبد الله بن موسى بن نصير «فاصاب في غزوته تلك صقليه فافتتح مدينة فيها» ثم عقد لعياش بن اخيل على مراكب أهل افريقية، فشتا في البحر، واصاب مدينة يقال لها سرقوسة، ثم قفل في سنة 86هـ» ويضيف ابن خياط انه في سنة 86هـ «وجه موسى ابن نصير، المغيرة بن ابى بردة العبدي في مراكب فافتتح اولية، وهي أول مدائن صقلية من أرض المغرب» ويعلق سعد زغلول عبد الحميد على هذه الحملات بأنه لما كانت ولاية موسى للمغرب في سنة 86هـ ــ 705 م فيرجح أن حملة عبد الله بن موسى كانت في 95 هـ ــ 714م وقتما كان عبد الله بن موسى نائبا لوالده على افريقية انظر الامامة والسياسة 2 : 58، تاريخ خليفة بن خياط 1 : 381 ــ تاريخ المغرب العربي 2 : 190 ــ 191.

(9) سنة 109هـ زيادة في م ص 426.

(10) يرجع الفضل لتاريخ خليفة بن خياط الذي ينفرد بمعلوماته تكاد تكون سلوية عن نشاط ولاة المغرب في جزر البحر المتوسط خلال الفترة مابين سنة 102هـ الى سنة 122هـ. وذلك انه يسجل فيها "اكثر من خمسة عشر غزوة بحرية، انصبت جميعها على كل من جزيرتي صقلية وسردانية باستثناء غزوة سنة 106هـ ــ 724م التي اتى فيها ذكر قرسقة (كورسيكا)، الى جانب سردانية انظر غزوة يزيد بن مسروق اليحصبي 2 : 475، وغزوة عمرو بن مالك الكلبي 2 : 479، وغزوة محمد بن ابى بكر مولى بني جمح 2 : 490، وغزوة قثم بن عوانة الكلبي 2 : 494، وغزوة حسان بن محمد بن ابى بكر مولى بني جمح 2 :496، وغزوة عثمان بن أبي عبيدة 2 : 498، وغزوة

ثم غزاها **حبيب بن أبى عبيدة** ، في سنة اثنتين وعشرين ومائة (11) ومعه ولده عبد الرحمن بن حبيب فوجهه على الخيل، فلم يلقه أحد الا هزمه عبد الرحمن، حتى انتهى الى (12) سرقوسة، وهي دار الملك ، فقاتلوه فهزمهم، وضرب باب المدينة بسيفه ، فأثر فيه، فهابه النصارى، ورضوا بالجزية ، فأخذها منهم ثم توجه الى ابيه (13) فرجعا الى افريقية .

ثم غزاها **عبد الرحمن بن حبيب**، في سنة ثلاثين ومائة فظفر (14) ثم اشتغل ولاة افريقية بالفتن ، التى قدمنا ذكرها، في اخبارهم فأمن أهل جزيرة صقلية، وعمرها الروم [451] من كل الجهات، وبنوا بها المعاقل والحصون، ولم يتركوا جبلا الا جعلوا عليه حصنا.

وفي سنة احدى عشرة (14 م) ومائتين، ولى ملك القسطنطينية على صقلية، قسنطين البطريق الملقب بسودة، فعمر أسطولا وسيره الى بر افريقية ، وولى عليه فيمي الرومى ، وكان مقدما من بطارقته، فاختطف من بعض سواحلها تجارا (15) وبقى مدة ، فوصل كتاب صاحب القسطنطينية الى قسنطين ، بامره بعزل فيمى وان يعذبه ، لشىء بلغه عنه (16) فاتصل ذلك بفيمى فمضى الى مدينة سرقوسة.

= المستنير بن الحارث 2 : 501، وغزوة ثابت بن خيثم 2 : 504، وغزوتى عبد الملك بن قطن 2 : 506، 507. وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

(11) انظر تاريخ خليفه بن خياط 2 : 536.

(12) على فى م ص 426.

(13) أبنه فى د، ج وصححنها من ع، م ص 426.

(14) يبدو ان هذه الغزوة كانت سنة 135هـ / 754م حسب ما أورده كل من ابن الاثير : المكتبه الصقلية ص 220، وابن عذارى : البيان المغرب ج 1 ص 65 وان كلمة خمسة سقطت من ناسخ النويرى.

(14م) عشرة ، زيادة من ابن الاثير : الكامل 5 : 186، وابن خلدون : العبر 4 : 198، حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات فى الحضارة العربية بافريقية 3 : 439.

(15) نجارا عند النويرى وصححتها من م ص 427. وفيمى هو اوفيميوس Euphemins

(16) وعن أسباب ثورة فيمى تقول الرواية البيزنطية انه أحب راهبة اسمها هومونيزا وتزوجها رغم ارادتها، وعندما بلغ ذلك مسامع الامبراطور ميخائيل الثانى أمر حاكم الجزيرة قسطنطين بمعاقبة فيمى وقطع انفه؛ وفى رواية أخرى ان الوالى للجزيرة خطف من فيمى مخطوبته. انظر عزيز احمد : تاريخ صقلية الاسلامية ص 6، سعد زغول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى 2 : 213 حاشية 89، مارتينو ماريو مورينو المسلمون فى صقلية الاسلامية ص 7.

وملكها، ونزع يده من الطاعة، فخرج اليه قسنطين، فالتقوا واقتتلوا فانهزم قسنطين وقتل ، وخوطب فيمى بالملك.

وكان ممن انقطع اليه علج من الارمينين (17) يقال له بلاطة ، فقدمه وولاه على ناحية من الجزيرة ، فخالف على فيمى وخرج اليه وقاتله، فانهزم فيمي وقتل من أصحابه الف رجل ودخل بلاطه مدينة سرقوسة، وركب فيمى ومن معه في البحر، وتوجه الى افريقية الى زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب يستنصر به، فجمع زيادة الله وجوه أهل القيروان وفقهاءها واستشارهم في انفاذ الاسطول [452] الى جزيرة صقلية ، فقال بعضهم : نغزوها ولا نسكنها ولا نتخذها وطنا. فقال سحنون بن قادم (18) رحمه الله : كم بينها وبين بلاد الروم ؟ قالوا : يروح الانسان مرتين وثلاثة في النهار ويرجع قال : ومن ناحية افريقية، قالوا (19) : يوم وليلة. قال : لو كنت طائرا ما طرت عليها. وأشار من بقي بغزوها ورغبوا في ذلك، وسارعوا اليه، فخرج امر زيادة الله الى فيمى، بالتوجه الى مرسى سوسة والاقامة هناك ، الى ان يأتى (20) الاسطول .

وجمع الاسطول والمقاتلة، واستعمل عليهم القاضى اسد ابن الفرات، وأقلع الاسطول من مدينة سوسة، يوم السبت للنصف (21) من شهر ربيع الاول سنة اثنتى عشرة ومائتين، وهو نحو مائة مركب ، سوى مراكب فيمى ، وذلك في خلافة المأمون ، فوصل مازر (22) يوم الثلاثاء فامر بالخيل فأخرجت من المراكب، وكانت

(17) الامنين فى ع، ج 2 : 239 وصحتها من م ص 427.
(18) يرجح أن المقصود هو فقيه افريقية وامامها الشهير سحنون بن سعيد .
(19) فقالوا ف م ص 427.
(20) يأتيه فى ع، م ص 428.
(21) النصف ف م ص 428.
(22) مازر (Mazara) مدينة مشهورة على الساحل الصقلى الموازى لافريقية، بها واد ترسى السفن فيه، أسوارها حصينة شاهقة، منها الفقيه الامام ابو عبد الله محمد بن على بن ابراهيم التميمى المازرى صاحب «المعلم بفوائد مسلم» و «شرح التلقين» ، وعلى أن محمد الربعى اللخمى القيروانى المتوفى سنة 478 هـ، وعبد الحميد بن الصايغ، وبها توفى الاديب ابو على حسن بن رشيق القيروانى مؤلف العمدة سنة 456هـ. أنظر الادريسى ص 32، تقويم البلدان ص 189، الحميرى ص 520 ـ 521.

سبعمائة فرس وعشرة آلاف راجل ، فأقام ثلاثة أيام فلم يخرج اليه الا سرية واحدة، فأخذها فاذا هى من أصحاب فيمى فتركها،

ثم رحل من مازر على تعبئته (23) قاصدا (24) بلاطه وهو بمرج ينسب اليه، فعبأ القاضى أسد (25) أصحابه للقتال ، وأفرد فيمى ومن معه، وقتل منهم خلق كثير، وغنم المسلمون ما معهم، ولحق بلاطه بقصريانة (26) ثم غلبه الخوف فخرج منها الى ارض قلورية (27) فقتل بها ثم سار القاضى اسد الى الكنيسة، التى على البحر ، وتعرف بأفيمة (28) واستعمل على مازر ابازاكى الكنانى ثم سار الى كنيسة المسلقين (29) ، فلقيه طائفة من بطارقة سرقوسة، فسألوه الامان خديعة ومكرا، واجتمع أهل الجزيرة الى قلعة الكراث، وجمعوا فيها جميع أموال الجزيرة، وذل أهل سرقوسة والقوا بأيديهم، فلما شاهد ذلك فيمى داخلته حمية الكفر ، فأرسل اليهم ان يثبتوا وان يجدوا في الحرب ويستعدوا ، وأقام القاضى أسد في موضعه أياما، وتبين له انهم مكروا به حتى أصلحوا حصنهم وأدخلوا اليه جميع ما كان في الربض، في الكنائس من الذهب والفضة والميرة، فتقدم وناصبهم القتال وبث السرايا في كل ناحية، فغنموا (30) شيئا كثيرا واتوه بالسبى والغنائم ، واتته الاساطيل من افريقية والاندلس ، وشدد القاضى

---

(23) تعبية فى م ص 428.
(24) قاصد فى م ص 428.
(25) اسد زيادة فى د، ع عن م. ص 428.
(26) قصريانة . Castroglovanni من اعظم مدائن الروم بصقلية واكثرها جمعا وهى مدينة مرتفعة بوسط جزيرة صقلية. أنظر الادريسى ص 42، أعمال الاعلام ق 3 ص. 113 حاشية 1، الحميرى ص 754، 476.
(27) مقاطعة بجنوب ايطاليا
(28) باميمية فى م ص 428، ع.
(29) كذا فى م، المسقلين فى ع، السلفين فى د.
(30) به وسبسوا زيادة فى م ص 428، ع.

الحصـــار على مدينـــة سرقوسة (31) فسألـــوه الامـــان ، فاراد ان يفعـل فابى عليـــه المسلمون ، وعاودوا الحـــرب ، فمـــرض القاضى أسد في خلال ذلك ومات في شعبـــان سنـــة ثلاث عشـــرة ومائتين.

[454] ذكـــر ولايـــة محمـــد بـــن أبـــي الجـــواري :

قال : ولمـــا توفى القاضى اســـد بن الفـــرات، ولى المسلمـــون على انفسهم، محمد بن أبى الجواري، فضيـــق على أهل سرقوسة، فوصل مـــن القسطنطينيـــة أسطـــول كبير (32) وعساكر في البـــر ، فعزم المسلمون على العـــود الى افريقيـــة، فرحلوا عن سرقوســـة، وأصلحوا مراكبهم وركبوهـــا، فوقفت مراكب الـــروم على المرسى الكبيـــر، ومنعوهم من الخروج، فاحـــرق المسلمون مراكب نفوسهم (33) ، ورحلوا الى حصن مناو، ومعهم فيمـــي فملكوا الحصـــن وسكنـــوه ، وملكوا حصـــن جرجنت، وسكنه طائفة مـــن المسلميـــن .

---

(31) وفى نفس الوقت كان الامبراطور ميخائيل الثانى يرسل النجدات الى الجزيرة، ويعمل على اقناع دوج البندقيه جيوستنيانو بارتيسبازيو Guistiniano parteciparío بمساهمة أسطوله فى مواجهة العرب. انظر عزيز أحمد : تاريخ صقلية الاسلامية ص 8.

(32) كثير في د ، ودون نقط في ع.

(33) وردت قصة حرق المسلمون لسفنهم فى كل من ابن الاثير : الكامل احداث سنه 201، وابن خلدون، المكتبه الصقليه ص /40 بالاضافه الى النويرى، بغيه المستقبل فى الحرب. ولكن سعد زغلول عبد الحميد يعلق على ذلك بقوله : ماغنب امكن انهم ماكانوا ليضحـــوا بسفنهـــم التى تعتبـــر وسيلـــه المواصـــلات الوحيـــدة بينهـــم وبين قـــواعـــد امدادهم فى افريقيه وانهم اذا كانوا قد أحرقوا بعض سفنهم فانما يكونون قد فعلوا ذلك ضمن اجراءات الوقايه التى اتخذوها لمقاومه الوباء. الذى تفشى فى الجزيرة فى ذلك الوقت، ورغم وجاهه هذا التعليل الا ان التاريخ يقدم لنا امثلة متعددة تؤيد الرای الاول فقبيل ظهور الاسلام وقيام الحمله الحبشيه الى بلاد اليمن اليهوديه لديانه قام قائد الحمله ارياط الحبشى بحرق سفنه بعد وصوله الى اليمن وكذا القائد الفارســى وهرز الذى بعثه كسرى الفرس مع سيف بن ذى يزن الى اليمـــن لتحريره من الاحباش، فقد احرق سفنه ايضا. وفى العصر الاسلامى قصـــة حرق طارق لسفنه بعد وصوله الى الساحل الاسبانى لكى يقطع على جنوده اى تفكير فى التراجع والارتداد. وفى بدايه التاريخ الحديث قصه القائد الاسبانى ارنان كورتس Hernan cortes الذى فتح المكسيك سنه 1519م الذى حرق واغرق سفنه لكى يحول دون هروب بعض قواده والعودة الى اسبانيا. انظر الطبرى : الامم والملوك 2 : 119، جرجى زيدان : العرب قبل الاسلام. ص 148، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ص 79، أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص 24 ــ 25، تاريخ المغرب العربى 2 : 224 ــ 225.

ثم خرج فيمي الى قصريانة فخرج اليه أهلها، وبذلوا له الطاعة وخدعوه، وقالوا له : نكون نحن وانت والمسلمون على كلمة واحدة ، ونخلع طاعة الملك، وسألوه أن يرجع عنهم ذلك اليوم، لينظروا فيما يصالحون عليه، فرجع عنهم يومه ، ذلك ثم جاءهم من الغد في نفر يسير فخرجوا يقبلون الارض بين يديه، وكانوا قد دفنوا سلاحا في تلك البقعة، فلما قرب منهم، اخرجوا السلاح وثاروا به فقتلوه، ثم وصل تودط البطرك (34) من القسطنطينية في عساكر عظيمة من الارمن (35) وغيرهم وتوجه الى قصريانة [455] وخرج بجموعه للقاء المسلمين، فالتقوا فانهزم تودط وقتل من عسكره خلق كثير، وأسر من بطارقته (36) تسعون (37) بطريقا .

ثم توفي محمد بن أبي الجواري ، في أول سنة اربع عشرة ومائتين فولى المسلمون عليهم ، زهير بن برغوث (38)، وكان بينه وبين تودط حروب كثيرة ، وحاصر المسلمون في حصنهم ، وضاقت عليهم الميرة وقلت الاقوات، حتى أكلوا دوابهم، ولم يزالوا كذلك حتى قدم أصبغ بن وكيل الهواري، في مراكب كثيرة من الاندلس، قد خرجوا غزاة ، وقدم سليمن بن عافية الطرطوشي (39) بمراكب، فأرسل المسلمون اليهم، وسألوهم النصرة ، وأرسلوا اليهم دواب، فخرجوا وقصدوا تودط وهو مقيم على مناو (40) فانصرف الى قصريانة وارتفع الحصار عن المسلمين ، وذلك في جمدى الاخرة سنة خمس عشرة ومائتين .

---

(34) البطريق فى م ص 430.
(35) الامن عند د والتصحيح من م ص 430 حاشية (1).
(36) بطارقتهم فى م ص 430.
(37) كذا فى ع، م، ج وسبعون فى د.
(38) زهر فى م ص 430، زهير بن غوث فى ج 2 : 241، ابن الاثير : الكامل 6 : 336. زهير بن عوف فى ابن خلدون : العبر 4 : 199.
(39) الطرطوسى فى م ص 430.
(40) مذار عند د، ج وصحتها من م ص 430، ع.

ذكـــر فتـــح مدينـــة بلـــرم (41) :

كـان ابتداء حصارها، في جمدى الاخـرة سنة خمس عشـرة ومائتين، ودام الى شهـر رجب سنة عشرين ومائتين، وفتحت بالامـان وذلك في ولايـة محمد بن عبـد اللـه بن الاغلـب .

وفي سنـة خمس وعشرين ومائتين استأمنت قلاع كثيـرة من قـلاع [456] جزيـرة صقليـة منها حرحة (42) وقلعـة البلـوط (43) وابلاطنوا وقلعـة قـارلون (44) ومريناو (45) وغيـر ذلك.

ذكـر وفـاة محمد بن عبـد الله بن الاغلـب وولاية العباس بن الفضـل ابـن يعقـوب :

وفي سنة ست وثلاثين ومائتين ، توفي محمد بن عبد الله بن الاغلب لعشـر خلـون من شهـر رجب ، فكـانت ولايته تسعة عشر سنـة، وكان في مـدة ولايتـه ، لا يخـرج من مدينة بلـرم، بـل كـان يخرج السرايـا مـع ولاتـه، فلمـا مات اجتمع النـاس على ولايـة العبـاس بن الفضل، فولـوه وكتبـوا بذلك الى الاميـر محمد بن الاغلـب اميـر القيروان، فولاه الجزيـرة، فكان يخـرج بنفسه تـارة وبسراياه اخـرى، وهو يخـرب في بـلاد العـدو وينكـى وينـال منهم ومن بلادهـم، ويصالحونـه على الاموال والرقيـق .

---

(41) بلـرم Palermo : هى قاعدة بلاد جزيرة صقلية ومدينتها العظمى وهى مسماة عند المسلمين المدينه، وهى دار الملك فى مدة الاسلام ومدة الروم، ومنها كانت تخرج الاساطيل للغزو، وهى تقع على ساحل الجزيرة الشمالى. انظر ابن حوقل ص113، والادريسى ص 22، الحميرى ص 101، 102.

(42) حرحـه عند د، ج. وجرصه فى ع وصحتها من م ص 431.

(43) قلعة البلوط : Caltabellotta حصن منيع عالى الذرى شامخ بحسب الارتقاء، ومن هذه القلعة الى البحر اثنـا عشر ميلا ومنه الى مدينة الشاقة سبعة أميال. انظـر الادريسى 32، الحميرى ص 336.

(44) قرلون فى م ص 431، قرليون عند الادريسى، نزهة المشتاق بامارى ص 45، قاروب فى د، ج ، ع.

(45) مريا عند د، ج وكذا عند الادريسى، وعند ابن الاثير ميرو او مرنلو. انظر المكتبة العربية لامارى ص 40، 228، الكامل ج 6. ص 494.

ذكر فتح قصريانة وهي دار مملكة الروم بجزيرة صقلية :

قال المؤرخ : كانت سرقوسة دار ملك الجزيرة، الى أن فتح المسلمون بلرم ، فانتقل الروم الى قصريانة لحصانتها وجعلوها دار ملكهم ، فلما كان في سنة اربع وأربعين ومائتين، [457] خرج العباس بن الفضل ، فوصل الى قصريانة وسرقوسة، وأخرج أخاه عليا في المراكب الحربية في البحر، فلقيه الاقريطشى في اربعين شلنديا فقاتلهم أشد قتال فهزمهم (46) وأخذ منهم عشر شلنديات برجالها، ورجع ، ثم سير العباس سرية الى قصريانة فغنموا وقدموا (47) بعلج، فأمر العباس بقتله، فقال له العلج : استبقني ولك عندي نصيحة ، فخلا به وسأله ما النصيحة فقال : ادخلك قصريانة.

فعند ذلك خرج العباس في كانون في أنجاد (48) رجاله والعلج معه، وهو في الف فارس وسبعمائة راجل ، فجعل على كل عشرة مقدما، ثم سار بهم ليلا حتى نزل على مرحلة من جبل الغدير، وقدم عمه رباحا (49) في خيار اصحابه، وأقام هو بموضعه وهو مستتر، ومضى عمه رباح بمن معه يدبون دبيبا ، حتى صاروا الى جبل المدينة والعلج معهم ، فأراهم الموضع الذي ينبغى أن توضع عليه السلاليم، فتلطفوا في الصعود (50) الى الجبل ، وذلك الوقت قريب الصبح، وقد نام الحرس، فلما وصلوا الي السور، دخلوا من خوخة كانت في السور يدخل منها الماء ووضعوا السيف وفتحوا الابواب، وأقبل العباس يجد السير وقصد [458] باب المدينة، ودخلها صلاة الصبح من يوم الخميس لاربع عشرة ليلة بقيت من شوال ، وقتل من وجد بها من المقاتلة، وكان بها بنات البطارقة وابناء ملوك الروم، فوجد

(46) فضربهم فى ج 2 : 242 وتتفق نسخة د مع م.
(47) وقد اسروا فى م ص 432.
(48) انجد فى م ص 432.
(49) رياحا فى د وصححتها من م، ج، ع.
(50) بالصعود فى م ص 432.

المسلمون بها ما لا يحصـى من الاموال، وبنـى العباس فيهامسجدا في يومه ونصب فيه منبرا وخطب عليه الخطيب يوم الجمعة، وما زال العباس يداوم الغزو بنفسه الى ان توفى (51) في يوم الجمعة لثلاث خلون من جمادى الاخرة سنة سبع وأربعين ومائتين، فكانت ولايته احد عشر سنة.

قال : ولما مات العباس ، ولى (52) الناس على انفسهم احمد ابن يعقوب ، ثم ولوا عبد الله بن العباس، وكتبوا الى أمير القيروان فولى خمسة أشهر، ثم (53) وصل اليهم خفاجة بن سفيان في سنة ثمان وأربعين ومائتين، وداوم الغزو الى ان اغتاله رجل من جنده عند منصرفه من غزاة فقتله، وذلك في يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، ويقال أن الذي قتله خلفون ابن أبي زياد الهواري.

قال : ولما قتل خفاجة ، ولى الناس على انفسهم ابنه محمد ابن خفاجة ، ثم اتته الولاية من قبل أمير القيروان، ثم قتله خدامه [459] الخصيان، لثلاث خلون من شهر رجب سنة سبع وخمسين ومائتين، وهربوا فأخذوا وقتلوا، فولى الناس عليهم، محمد بن أبي الحسين وكتبوا الى افريقية، فبعث أمير افريقية بولايتها الى رباح ابن يعقوب، وولى الارض الكبيرة، عبد الله بن يعقوب ، فمات رباح في المحرم سنة ثمان وخمسين ومائتين ، ومات بعده اخوه في صفر من السنة ، فولى الناس عليهم أبا العباس بن عبد الله بن يعقوب (54) فأقام أشهرا (55) ثم مات، فولوا أخاه، ثم ولى الحسين ابن رباح من قبل امير افريقية، ثم عزله واستعمل عبد الله بن محمد ابن

(51) رحمة الله تعالى زيادة في م ص 433.
(52) ولوا في م ص 433.
(53) ثم في د بدلا منها (و) في م ص 433.
(54) ابا العباس بن يعقوب بن عبد الله ، في م ص 434.
(55) شهرا في م ص 434.

عبد اللـه (56) بن ابراهيم بن الاغلـب، في شـوال سنة تسـع وخمسين ومائتيـن.

ثم عزلـه وولى أبا مالك أحمد بن عمـر بن عبد الله بن الاغلـب (57) المعروف بحبشى، فبقـى متوليا عليهـا ستـا وعشرين سنـة، ثم وليهـا أبو العباس بن ابراهيم بن احمد في سنـة سبـع وثمانين ومائتين، فأقام الى أن انخلع له أبـوه ابراهيم بن أحمد من (58) الملك، فـرده الى افريقيـة، وسار ابراهيم الى صقلية، وغزا بنفسه كما ذكرناه في أخباره (59) آنفا ، ومات في الغزو، ثم وليها محمد بن السرقوسى مولـى ابراهيم ابن أحمد (60)، ثم ولى على بن محمد بن أبى الفوارس في سنة تسعين [460] ومائتين، «فأقام بها الى سنـة خمس وتسعين ومائتين» (61) فعزله زيـادة اللـه، واستعمـل احمـد بن أبـى الحسيـن بن رباح.

ثم بلـغ أهل صقلية ، تغلب أبى عبد اللـه الشيعى علـى بـلاد افريقية، فوثب أهل صقلية على أحمد وانتهبوا ماله وحبسوه، وولوا عليهم على بن أبـى الفـوارس لعشر خلـون من شهـر رجب سنة ست وتسعيـن ومائتيـن، وأرسلوا ابن أبى الحسين الى أبـى عبد الله الشيعـى، وكتبوا اليه كتابـا يسألونـه إبقـاء على عليهم، فأجابهم الى ذلـك، وكتب اليه ان يغـزوا بـرا وبحرا، وكان احمد بن أبـى الحسين آخر ولاة بنـى الاغلب بصقليـة ، وكان لكـل واحـد من الولاة الذيـن ذكرناهم، غزوات وسرايا وجهـاد في العـدو.

---

(56) عبـد الله زيادة فى د .
(57) ابا مالك أحمد بن يعقوب بن عمر بن عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب فى سنة 259 زيـادة فى م ص 434.
(58) من، زيادة فى م ص 434.
(59) فى اخباره، زيـادة فى م ص 434.
(60) مولى ابراهيم بن أحمـد زيادة فى م ص 434.
(61) مـابين توسين زيادة فى د ص 434.

قال : ولما ولي المهدي بعد بني الاغلب ، كتب اليه ابن أبي الفوارس يستأذنه في القدوم الى افريقية، فأذن له فخرج اليه، فلما وصل حبسه برقادة .

ذكر ولاية حسن بن أحمد بن أبي خنزير (62)

كانت ولايته من قبل المهدي، فوصل الى صقلية في عاشر ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومائتين، فثار به أهل المدينة في سنة ثمان وتسعين، وقبضوا عليه ، وكان سبب ذلك [461] ان عماله جاروا على الناس «واتفق أنه صنع طعاما ودعى اليه وجوه الناس» (63) فلما صاروا عنده، زعم بعضهم أنه رأى عبيده يتعاطون السيوف المسلولة ، فخافوا وفتحوا طاقات المجلس، وصاحوا السلاح السلاح، فثار اليهم الناس، واجتمعوا حول الدار ، واطلقوا النار في الابواب ، فأخرج اليهم من كان عنده من وجوه الناس، وأنكر ان يكون اراد بهم سوءا فلم يقبلوا منه وتألبوا عليه ، فوثب من داره الى دار رجل (64) من جيرانه ، فسقط فانكسر ساقه فأخذوه وحبسوه، وكتبوا بذلك الى المهدي فعزله واغتفر فعلهم، وضبط المدينة خليل صاحب الخمس (65).

ثم استعمل المهدي على بن عمر البلوي، فوصل الى (66) المدينة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين، فلم يرض أهل صقلية سيرته ، وكان شيخا هينا لينا رفيقا (67)

---

(62) هذا العنوان ساقط في م ص 435 وهو احمد بن على بن كنيب وقد قدم بعده اعمال ادت الى ثورة صقلية عليه : اولها اقسام اتباعه وحواشيه مقام اهل صقلية في المناصب الادارية. وثانيها أراد طرح احكام المذهب السني المالكي الجارية في صقلية والتحول الى احكام المذهب الشيعي. انظر مارتينو : المسلمون في صقلية ص 14.

(63) مابين قوسين زيادة من ع، م ص 435.

(64) لرجل في م ص 435.

(65) الخمسين في ج 2 : 245 وتتفق م مع د.

(66) الى زيادة في د عن م ص 435.

(67) رفيقة زيادة في د، رفيعة في ج 2 : 245 وغير موجودة في م ورفيقا اصح

بالرعية فألب (68) عليه احمد بن قرهب ، ودعا الناس الى طاعة المقتدر بالله ، فأجابه (69) الى ذلك جماعة وولوه على انفسهم، ووردت عليه رسل المقدر بالله العباسي في سنة ثلثمائة بكتاب الولاية والخلع والبنود وطوق ذهب وسوار، ثم عصى عليه أهل صقلية وكاتبوا المهدي واجتمعوا الى أبي الغفار ، فزحف بهم الى ابن قرهب، وقالوا : «اخرج عنا [462] واذهب حيث شئت» . فأبى ذلك وقاتلهم ثم تحصن منهم ثم قتل بعد ذلك، في آخر سنة ثلثمائة فكانت ولايته احد عشر شهرا.

ذكر ولاية أبي سعيد موسى بن أحمد (70)

قال : (71) ولما قتل ابن قرهب ارسل المهدي ، موسى ابن احمد والياء، وارسل معه جماعة ليساعدوه (72) على أهل صقلية ان ارادوا به سوءا ، فلما قدم ورد عليه رؤساء جرجنت (73) فأكرمهم وكساهم، ثم أخذ بعد ذلك أبا الغفار فقيده وحبسه، فهرب أخوه احمد الى جرجنت، فألب على موسى بن احمد فوافقه الناس عليه، وكانت بينه وبينهم حرب شديدة ، ثم طلبوا الامان فأمنهم، وكتب بذلك الى المهدي، فولى مكانه سالم بن أبي راشد (74) الكنانى، في سنة خمس (75) وثلثمائة.

---

(68) فألبه، فى م ص 435.
(69) فأجابوه فى م ص 435.
(70) هذا العنوان غير موجود فى م ص 436.
(71) المؤرخ زيادة فى م ص 436.
(72) يساعدونه فى م ص 436.
(73) جرجنت : يصفها الادريسي بقوله : «مدينة متحضرة من أشراف الحواضر عامرة بالواود والصادر وقلعتها حصينة سامية... بل هى من أعظم الحصون منعة ... وتجتمع بها السفن والرفاق وهى على ثلاثة أميال من البحر» نزهة المشتاق بامارى ص 39.
(74) اسد فى م ص 436.
(75) خمسين فى د، ج وصحتها من م ص 436.

ذكر ما فتح من بلاد قلورية (76) :

قال المؤرخ : وفي سنة ست عشرة وثلثمائة، وصل صابر (77) الصقلبي من افريقية في ثلثين مركبا (78) حربيا ، فخرج معه سالم الى أرض قلورية، ففتحها وأخذا (79) مدينة طارنت عنوه ووصلا الى مدينة اذرنت (80) وحاصراها وخربا منازلها، وأصاب الناس وخم [463] فرجعوا الى المدينة ، ثم عاودوا (81) الغزو الى ان اذعن (83) أهل قلورية لاعطاء الجزية، وآدوها مدة بقاء المهدي.

وفي سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة اخرج القائم بن المهدي ، يعقوب ابن اسحاق في اسطول الى ناحيه افرنجة (84)، ففتح مدينة جنوه (85) ومروا بسردانيه فاوقعوا باهلها، واحرقوا مراكب كثيرة. وفي هذه السنه كان الطوفان بصقليه فهدم الدور.

---

(76) هذا العنوان غير موجود فى م انظر ص 436.
(77) صارب فى م ص 436.
(78) مركبا زيادة من م ص 436.
(79) واحدا زيادة من م ص 436.
(80) ادرنت فى م ص 436.
(81) راجعوا فى د .
(83) اذعنوا فى م ص 436.
(84) افرنجية فى م ص 436.
(85) جنوة Genava, Génes : مرفأ ايطالى على خليج جنوة بالبحر المتوسط يصفها كل من الادريسى والحميرى بالاتى : «مدينة قديمة حسنة الجهات شاهقة البناء وافرة البشر كثيرة المزارع والقرى والعمارات، وهى على قرب نهر صغير واهلها تجار مياسير يسافرون برا وبحرا ويقتحمون سهلا ووعرا، ولهم اسطول ومعرفة بالحيل الحربية والالات السلطانية، ولهم بين الروم عزة انفس» — الادريسى ص 71 — 72، الروض المعطار ص 173.

ولقد ذكر فريد ريشى دونافار فى تاريخ جمهورية جنوة انه فى سنة 934م جاءت قوة بحرية اسلامية من افريقية فحصرت جنوة حصارا شديدا، لكن الجنوبيين تمكنوا من دفعها عنهم، فرجعت أدراجها وأصابها ضرر من زوبعة بحرية، ثم بعد سنتين فى 936م جاء أسطول اسلامى آخر وهاجم جنوة واشتد القتال فتغلب المسلمون ودخلوا البلدة واصابوا مغانم كثيرة واخذوا أسرى كثيرين وقتلوا. عن شكيب ارسلان : تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ص 182.

وفي سنة خمس وعشرين وثلثمائة خالف أهل جرجنت على سالم وأخرجوا عامله بن أبى حمران، فأخرج اليهم سالم عسكر، فهزموه (86) ورجعوا الى سالم فقاتلهم سالم وهزمهم ، ثم خرج على سالم أهل المدينة ، وحاربوه مع اسحاق البستاني ، ومحمد بن حمو وكانت بينهم حروب (87) فهزمهم وحصرهم بالمدينة ، واتصل الخبر بالقائم فأنفذ خليل بن اسحاق في عسكر وجماعة من القواد لقتال أهل صقلية، فورد كتاب أهل البلد على (88) القائم بطاعتهم وانهم انما (89) كرهوا افعال سالم ، فاستعمل عليهم خليل بن اسحاق، فوصل الى المدينة في آخر سنة خمس وعشرين وثلثمائة، فأطاعه أهل صقلية، فأكرمهم وعزل عنهم عمال سالم ، فاقام خليل بها اربع [464] سنين.

ثم رجع الى افريقيية فوليها محمد بن الاشعث ، «وعطاف في سنة ثلثين وثلثمائة ، فمات محمد بن الاشعث» (90) في سنة أربع وثلاثين، واستقل عطاف بالامر الى سنة ست وثلاثين ، فكتب الى المنصور يخبره بتجامل (91) أهل البلد وان امرهم يؤول الى فساد، فاستعمل المنصور بن القائم بن المهدي على صقلية، الحسن بن على ابن أبي الحسين الكلبي، وكان مكينا عند المنصور لمحبته ونصحه، وتقدم خدمة سلفه لابائه، فوصل الى صقلية وأقام بها سنتين وأشهراً (92)، ورجع الى افريقيية في ولاية المعز لدين الله ابن المنصور، فسأله تشريف ولده أبي الحسين بالولاية، فولاه في سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة .

---

(86) فهزموهم فى م ص 437.
(87) حرب فى د والتصحيح من م ص 437.
(88) الى فى م ص 437.
(89) وانما انهم فى م ص 437.
(90) مابين قوسين زيادة فى د، ع، ج.
(91) بتخايل فى م ص 437.
(92) شهرا، فى م ص 438 وتأسست بتوليه الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى، دولة الكلبيين الذين كانوا سادة صقلية المطلقين مدة مائة سنة تقريبا. وكان حكمهم ذاتيا، وقل مستقلا فعلا، لا قانونا، لانهم لم يخولوا رسميا سلطانا أوسع من سلطان الولاة السابقين. أنظر مارتينو : المسلمون فى صقلية ص 16.

ذكر فتح قلعة طبرمين (93) :

قال المؤرخ : وفي أيام أبى الحسين فتح المسلمون طبرمين، وكانت يومئذ اشد قلاع الروم شوكة، وكان فتحها لخمس بقين من ذي القعدة سنة احدى وخمسين وثلثمائة، بعد أن حوصرت سبعة اشهر ونصفا ، ونزلوا على حكم الملك دون القتل، فأمر المعز بتسميتها المعزية ، ووجه الامير أحمد الى المعز بسبيها ، وهو الف وخمس مائة وسبعون رأسا.

[465] **ذكر فتح رمطة وما كان بسبب (94) ذلك من الحروب.**

قال : لما فتح المسلمون طبرمين وسكنوها وعمرت بهم وتحصنت، خرج أهل رمطة عن الطاعة، واستنصروا بالدمستق ملك القسطنطينية، فورد كتاب المعز الى احمد يامره باخراج الحسن بن عمار الى حصار رمطة وقتال من بها وازالتهم منها، فنزل ابن عمار عليها في يوم الخميس آخر شهر رجب سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة، ونصب عليها المجانيق والعرادات ودام القتال في كل يوم، وبنا له قصرا وسكنه، وأخذ الناس في بنيان البيوت، فلما بلغ ذلك الدمستق امر بالحشود وجهز العساكر صحبة منويل، وأمرهم بالتعدية الى صقلية، فابتدئوا بالتعدية (95) يوم الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ، وأقاموا يعدون تسعة أيام في عدد عظيم، وحفروا خندقا حول مدينة مسينى ، وشيدوا أسوارها، فكاتب الحسن بن عمار بذلك، فخرج الامير احمد بالجيوش، ورحل الكفرة من مسينى قاصدين الحسن بن عمار بقلعة رمطة.

---

(93) هذا العنوان غير موجود في م ص 438.
(94) هذا العنوان غير موجود في م ص 438.
(95) في التعدية في م ص 438.

ذكـر وقعـة الحفـرة على رمطـة (96) :

[466] قـال : وفي النصـف من شوال سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة، زخف منويل بجميـع عسكـره من المجوس والارمن والروس، في جمـع لـم يدخل الجزيـرة مثله قـط، فلما علـم الحسن بن عمار بتقدمهـم استعد للقاء، وجعل عسكرا في مضيق ينفش (97) وعسكرا في مضيق دمنش فبلـغ ذلك منويـل فوجـه عسكرين بازائهما ووجـه عسكرا ثالثا الـى طريـق المدينـة ، يمتـع من يصل اليهم بنجدة، ورتب الحسن المقاتلة على القلعـة وبـرز بالعساكـر للقـاء الكفـرة، وقد عزموا على المـوت، وزحف الكفـرة في ستـة مواكـب واحاطـوا بالمسلمين من كـل ناحية، ونـزل أهل رمطـة الى من يليهـم والتقـوا وقاتلـت كل طائفـة مـن يليهـا ، فقاتلـوا (98) حتى دخـل المسلمـون خيـام (99) انفسهـم، وأيقـن العدو بالظفـر فاختار المسلمون الموت ورأوا أنه اسلم اليهم وأوفر لحظوظهـم.

فحميت الحـرب ونادى الحسن بن عمـار بأعلا صوته اللهم ان بنى آدم اسلمونـي فـلا تسلمنـي، وحمـل بمن معه حملـة رجل واحـد، فصـاح منويـل بالفكـرة ، يقـول : أيـن افتخاركم بين يدي الملـك ؟ أيـن ما ضمنتـم لـه في هذه الشرذمة القليلـة ؟ فحمى الوطيـس عند ذلك وحمـل منويـل وقتـل رجـلا من المسلمين، فطعن عدة طعنات [467] فلم تعمـل فيه شيئا لحصانـة ما عليـه من اللباس ، فحمل عليه رجـل من المسلمين فطعن فرسه فعقـره ، وقتـل، وجاءت سحابة ذات بـرق ورعـد وظلمـة، وأيد اللـه المسلمين (100) بنصره فانهـزم الكفـرة، وركبهـم المسلمـون بالقتـل، فمالوا الى موضع ظنـوه سهلا فوقعوا في الوعـر ،

(96) هذا العنوان غير موجود فى م ص 439.
(97) مقس فى ج 2 : 248 وتتفق د مع م، ع.
(98) فتاموا فى د، ج وصحتها من م ص 439. ع.
(99) دخلوا المسلمون حياء من فى د وصحتها من ج 2 : 248، م ص 439، ع.
(100) المؤمنين فى م ص 440.

وافضى بهم الى جرف خندق عظيم، كالخفرة من بعد قعنزة ، فسقطوا فيها وقتل بعضهم فيها بعضا، وامتلات الحفرة منهم على طولها وعرضها وعمقها. حتى مرت الخيل عليها (101) مسرعة، وحصل من بقى منهم في مواضع وعرة وخنادق هائلة.

وكانت الحرب من أول النهار الى بعد صلاة الظهر، وتمادت هزيمة من بقى الى الليل، وبات المسلمون يقتلونهم في كل ناحية، وأسر جماعة من أكابرهم، وغنم المسلمون من الاموال والخيل والسلاح ما لا يحد ، وبلغ القتل فوق العشرة آلاف، وكان فيما غنموه سيف فيه منقوش، هذا سيف هندي وزنه مائة وسبعون مثقالا طال ما ضرب به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث به الحسن الى المعز لدين الله مع مائتى علج من وجوههم ، ودروع وجواشن وسلاح كثيرة، ونجا من الكفرة نفر يسير ، فركبوا في المراكب. [468] وجاء الخبر الى الامير احمد بالهزيمة قبل وصوله الى ابن عمار.

وفي اثر هذه الوقعة، توفى الحسن بن على بن أبى الحسين والد الامير احمد.

قال : وبلغ الدمستق خبر هذه الوقعة وكسرة اصحابه وهو بالمصيصة (102) وقد ضيق على أهلها، فرجع مسرعا الى القسطنطينية. ودام الحصار على رمطة اشهرا فنزل منها الف نفس من شدة ما نالهم من الجوع، فوجه بهم الحسن بن عمار الى المدينة وبقيت المقاتلة ثم فتحت رمطة. وكان بين المسلمين (102 م) وبين الكفار

(101) عليهم في م ص 440؛

(102) المصيصة : يصفها الحميرى بقوله : من ثغور الشام بالقرب من انطاكية، وهى مدينتان بينهما نهر عظيم يقال لها جيحان، وهما على ضفتيه وبينهما قنطرة من حجارة، واسم الواحدة المصيصة والاخرى كفربيا، ولها بساتين وزروع ... وبين المصيصة والبحر اثنا عشر ميلا. روض المعطار ص 554، ابن حوقل ص 167، ياقوت الحموى مادة المصيصة.

(102م) بعد ذلك ،زيادة في ج 2 : 250 عن د، م.

وقائــع كثيــرة، منها وقعــة الاسطــول بالمجــاز، قتل فيهــا من الكفــار في المــاء حتى احمــر المجاز، ثم وقــع الصلــح بعد ذلك بين المعـــز والدمستــق في سنــة ست وخمسين وثلثمائة وانتــه هداياه ووصـــل كتــاب المعــز الى الاميــر أحمــد يعرفه بالصلــح ويأمـره ببناء اســوار المدينــة وتحصينهــا، ويعلمــه ان البنــاء اليــوم خيــر من غــد وان يبنــى في كل اقليم من اقاليم الجزيرة مدينة حصينة وجامعــا ومنبــرا، وان يأخــذ (103) أهل كل اقليــم يسكنى (103 م) مدينتهم، ولا يتركوا متفرقيــن في القــرى، فسارع الاميــر احمد الى ذلــك وشــرع في بنــاء ســور المدينــة ، وبعث الى جميــع الجزيــرة مشايــخ [469] ليقفـــوا على العمــارة .

ذكــر اخــلاء طبرميــن ورمطــة :

وفي سنــة ثمان وخمسيــن وثلثمائة، وصلت هدية ملــك القسطنطينية فأمــر المعز لديــن الله باخلاء طبرميــن ورمطــة، فاغتــم المسلمـــون لذلــك، فأمــر الاميــر احمــد أخــاه أبــا القاســم وعمــه جعفــرا فنزلا بينهمــا وهدمتــا وأحرقتا بالنار.

وفيها أمــر المعــز لدين اللــه، الاميــر احمــد بمفارقة صقليـــة والقدوم الى افريقية، ففارقها بجميع أهلــه وماله وأولاده واخوته، فركبوا في ثلاثيــن مركبــا ولم يبــق منهم بصقلية احــد، فكانت ولايتــه خاصة ستــة عشــر سنــة، واستخلف على صقليــة يعيش مولى أبيــه.

ذكر ولاية أبى القاسم نيابة عن أخيه أحمد واستقلاله

قــال : وفي نصف شعبان سنة تســع وخمسين وثلثمائة، وصـــل الاميــر أبــو القاســم الى صقليــة ، نيابــة عن أخيــه الاميــر احمــد، ثم توفــى الاميــر احمد في بقيــة السنــة ، فوصل سجل المعــز الى أبى

(103) يأذن ف م ص 441.
(103م) يسكن ف ج 2 : 250.

القاسم بالاستقلال، وكان (104) له غزوات كثيرة مع العدو، [470]ـ فالاولى في سنة خس وستين وثلثمائة . وفيها أمر بعمارة قلعة رمطة فعمرت ، وولى بعض عبيده عليها ، وداوم الغزو الى ان استشهد في غزاته الخامسة ، في المحرم سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة .
وولى بعده الامير جابر بن ابى القاسم ، واتاه سجل العزيز بالله ابن المعز لدين الله من مصر، فولى سنة ثم عزله العزيز، واستعمل جعفر بن محمد بن الحسين ، فوصل الى صقلية في سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة فبقى بها الى ان توفى سنة خمس (105) وسبعين.
وولي بعده أخوه عبد الله بن محمد ، الى ان توفى في شهر رمضان سنة تسع وسبعين وثلثمائة ، وولى بعده ابنه يوسف.

ذكر ولاية أبى الفتح يوسف «الملقب بثقة الدولة» (106)

كانت ولايته عند وفاة والده بعهد منه، ثم اتاه سجل العزيز بالله من مصر بالولاية، فضبط الجزيرة واحسن الى الرعايا واستمر الى ان أصابه الفالج (107) في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة فبطل شقه الايسر وضعف الايمن، فاستناب ولده جعفر، وكان بيده سجل من الحاكم بولايته بعد أبيه، ثم بعث اليه الحاكم بعد ذلك تشريفا، وعقد له لواء ولقبه تاج الدولة سيف الملة ، فضبط الاحوال الى سلخ شهر رجب سنة خمس واربعمائة، [471] فاظهر عليه أخوه الامير على بن أبى الفتح الخلاف، وخرج الى موضع بقرب المدينة ، فاجتمع اليه البربر والعبيد الذين عاقدهم على القيام معه، فأخرج اليه جعفر عسكرا، والتقوا يوم الاربعاء

(104) وكانت في م ص 442.
(105) ثلث في د والتصحيح من م ص 442، ج 2 : 251.
(106) مابين القوسين زيادة من م ص 442، ج 2 : 251.
(107) الفالج : داء يحدث في أحد شقى البدن فيبطل إحساسه وحركته، الفالخ في م ص 442.

لسبع خلون من شعبان ، فجرى بينهم قتال شديد ، قتل فيه كثير من البربر والعبيد الذين مع علي، وهرب من بقى منهم، وأسر علي وجيء به الي أخيه الامير جعفر فقتله، فكان بين خروجه وقتله ثمانية أيام فعز ذلك على أبيه ، ثم أمر جعفر بنفى من بالجزيرة من البربر بعيالاتهم فنفوا حتى لم يبق منهم احد، وامر بقتل العبيد فقتلوا عن آخرهم، وجعل جميع جنده من أهل صقلية ، فقل العسكر عنده وأدى ذلك الى وثوب أهل صقلية به واخراجه.

ذكر وثوب أهل صقلية بالامير جعفر «واخراجه» (109) :

قال المؤرخ : كان سبب ذلك انه ولى عليهم كاتبه حسن ابن محمد الباغاني، فصادر الناس وعاملهم بسوء، وأشار على جعفر أن يأخذ من صقلية الاعشار في (110) طعامهم وثمارهم على عادة البلاد. ولم يجر لهم بذلك عادة ، وانما كانت [472] العادة ان يؤخذ على الزوج البقر شيء معلوم، ولو أصاب ما أصاب، ثم أظهر جعفر الاستخفاف بأهل صقلية وشيوخ بلادها، واستطال عليهم ، فزحف اليه (111) أهل البلد صغيرهم وكبيرهم، فحاصروه في قصره، وهدموا بعض ارباضه، وباتوا ليلة الاثنين لست خلون من المحرم سنة عشر وأربعمائة ، وقد اشرفوا على أخذه، فخرج اليهم أبوه يوسف في محفة، وكانوا له مكرمين، فلطف بالناس ووعدهم انه لا يخرج عن رأيهم، فذكروا له ما أحدث ولده، فقال: أنا اكفيكم أمره واعتقله وأولى عليكم من ترضونه، فوقع اختيارهم على ولده أحمد الاكحل .

(109) سابين توسين زيادة فى د،ج عن م ص 443.
(110) بن فى م ص 443.
(111) عليه فى م ص 443.

ذكر ولاية الامير تأييد الدولة أحمد الاكحل

كانت ولايتــه في يــوم الاثنيــن السادس من المحــرم سنة عشــر واربعمائة، وتنسلــم أهل صقلية حسن الباغاى الكاتب، فقتلوه وطــافــوا برأســه وأحرقوه بالنــار، وخاف يوسف على ابنــه جعفر، فحمله في مركب حربــى الى مصــر وســار يوسف أيضــا ، ومعهما مــن الامــــوال ستمائة الــف وسبعيــن الــف دينار، وكان ليوسف ثلاثة عشر الــف [473] حجر (112) سوى البغال وغيرها، فمات بمصر وليس له الا دابة واحــــدة.

قــال : ولما ولى الاكحل اخذ امــره بالحزم والاجتهاد، فسكن الناس وصلحت أحوالهم، ثم وصل كتــاب الحاكــم ولقب الاكحل تأييد الدولة، وجمع الاكحل المقاتلــة وبث سرايــاه في بــلاد الكفــرة ، وكانــوا (113) يحرقــون ويعنمــون ويخربون البــلاد فأطاعه جميع القــلاع، وكان للاكحل ابــن اسمة جعفــر كان يستخلفه اذا سافر للغزاة ، فخالــف سيــــره ابيه في العــدل والاحســان ، ثم جمــع أهــل صقليــة، وقــال : انــى احب اخــراج اهــل افريقيــة عنكم، فانهم قد شاركوكــم في بــلادكــــم وأموالكــم . فقالــوا كيف يكــون ذلك ، وقد صاهرنــاهم، واختلطنا بهم وصرنــا شيئــا واحــدا.

فصرفهم ثم ارسل الى الافريقيين ، وقــال لهم : مثــل ذلك في حق أهــل صقليــة، فأجابــوه الى ما أراد ، فجمعهم حولــه فكــان يحمــى أملاكهــم ويأخذ الخــراج من املاك أهــل صقليــة، فسار جماعــة من اهــل صقليــة الــى المعز بن باديــس، وأعلموه بما حــل بهم، وقالوا : نحب ان نكــون في طاعتــك والا سلمنــا الجزيــرة الى الــروم. وذلك في سنة سبــع وعشرين واربعمائــة فوجه المعــز ولده عبد اللــه الى صقلية، بعسكر عدته ثلاثة آلاف فارس ، ومثلهم رجالــة (114)، [474] فســار

(112) الحجر بضم الحاء وسكون الجيم، الانثى من الخيل التي تتخذ للنسل.
(113) فكانوا في م ص 444
(114) رجال في م ص 445.

الى الجزيرة. ووقعت بينه وبين الاكحل حروب وحصره (115) في قصره بالخالصة، ثم اختلف أهل صقلية وأراد بعضهم نصرة الاكحل، فقتله الذين احضروا عبد الله بن المعز غدرا، وأتوا برأسه الى الى عبد الله، ثم رجع بعض الصقليين عن بعض وندموا على ادخال عبد الله الى الجزيرة، واجتمعوا على حربه وقاتلوه، فانهزم عسكر عبد الله وقتل منهم نحو ثلثمائة رجل ورجعوا في المراكب الى افريقية.

وولى أهل صقلية على انفسهم الصمصام أخا الاكحل، وإضطربت احوال الجزيرة وانفردت كل طائفة بجهتها ، فرجع أمر أهل المدينة الى المشائخ الذين بها، واخرجوا الصمصام، وانفرد القائد عبد الله ابن منكوت (116) بمازر، وطرابنش، (117) والشاقة ومرسى على وما حولها من البوادي، وانفرد القائد على بن نعمة المعروف بابن الجواس (118) بقلعة قصر يانة، ومدينة جرجنت، وقصر نوبو ، وما يلي ذلك، واختبطت (119) الجزيرة ثم ثار رجل يعرف بابن الثمنه. فاستولى على مدينة سرقوسة وما يليها، وخرج منها بعسكر الى مدينة قطانية (120) فدخلها وقتل ابن المكلاتى (121) وملكها . وكان ابن المكلاتى مصاهرا للقائد على بن نعمة المعروف بابن الجواس، باخته [475] ميمونة ، فلما انقضت عدتها خطبها ابن الثمنة لاخيها

(115) وحاصره من م ص 445.

(116) منكوت فى د وصحتها من م، ج.

(117) طرابنش، اطرابنش، طرابنه : (Trapani) مدينة قديمة ازلية على ساحل البحر، والبحر يحدق بها من جميع جهاتها وانما يسلك اليها على قنطرة على باب شرقيها، ومرساها بالجانب الجنوبى منها. انظر الادريسى (امارى) ص 33، رحلة ابن جبير ص 334، الحميرى ص 28، 390 .

(118) الجواش فى م ص 445، الجواشى فى ج 2 : 253.

(119) اختبطت فى د وصحتها من م، ج، ع.

(120) قطانية Catania : مدينة كبيرة فى جزيرة صقلية، وهى أولية وعليها نهر يسقى أرضها، ويقال ان مدينة قطانية كانت فى القديم سبع مدن بأسوارها... وتسمى مدينة قطانية بمدينة الفيل... نسبة الى تمثال على هيئة فيل وضع فوق احد قصورها، انظر الادريسى ص 28، والحميرى ص 465.

(121) المكلابى، الكلابى، فى نسخ ج، م.

فزوجه بها، وكانت امرأة عاقلة، فجرى بينها وبينه في بعض الايام خصام، أدى الى أن أغلظ لها (122) في القول فاجابته بمثله، وكان سكران فغضب، وأمر بفصدها في عضديها وتركها لتموت، فسمع ولده ابراهيم فحضر وأحضر الاطباء وعالجها الى أن عادت قوتها.

ولما اصبح أبوه ندم واعتذر اليها بالسكر فاظهرت قبول عذره. ثم طلبت منه بعد مدة، ان تزور اخاها فاذن لها، وسير معها التحف والهدايا، فلما وصلت اليه ذكرت له ما فعل بها، فحلف انه لا يعيدها اليه، فارسل ابن الثمنة يطلبها فلم يردها اليه، فجمع عساكره، وكان قد استولى على أكثر الجزيرة وخطب له بالمدينة، وسار لحرب ابن الجواس بقصر يانة، فخرج اليه وقاتله فانهزم ابن الثمنة وتبعه وقتل من اصحابه فأكثر، فلما رأى ابن الثمنة ان عساكره قد تمزقت اراد الانتصار بالكفار.

ذكر استيلاء الفرنج خذلهم الله تعالى على جزيرة صقلية :

[476] كان سبب ذلك انه لما وقعت الحرب بين ابن الثمنة وابن الجواس وانهزم ابن الثمنة، سار الى مدينة مالطة (123) وكانت بيد الفرنج، ملكوها في سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة، وكان ملكها حينئذ رجار الفرنجي (124) فوصل اليه وقال : انا املكك الجزيرة فسار معه في شهر رجب سنة اربع وأربعين واربعمائة، فلم يلقوا من

(122) غلط في م ص 446.

(123) تجمع النسخ على بلطية ماعدام «مليطو» بينما تتفق المصادر التاريخية حول «مالطة» ولا يستبعد أن المقصود جزيرة مليطمة التي تقع شمال صقلية.

(124) رجار الفرنجي : وهو أحد زعماء النورمان (أهل الشمال) الذى جاءوا من اقاصى أوروبة الشمالية واستوطنوا المقاطعة الفرنسية التي سميت نورماندية. اذ كانوا يمخرون البحار والانهار العميقة بسفنهم السريعة وينزلون في كل شاطىء يجدونه خاليا من الحماة. وقد تنصر النورمان في فرنسا وفي نفس الوقت استولى النورمان على أنجلترا وجنوب ايطاليا التي كانت منقسمة الى دويلات متعادية منها: صقلية التابعة للمسلمين بافريقية، وكلابريا وأبوليا التابعتين للبيزنطيين... وقدم النورمان خدماتهم المسلحة للامارات المسيحية، لهذا تارة ولذلك طورا وتمكن روجيرو Ruggero وهو رجار في المصادر العربية أحد زعمائهم من الاستيلاء على كلابريا وتطلع لمد نفوذه الى صقلية. انظر مارتينو : المسلمون في صقلية ص 17، 18.

يدافعهم واستولوا على ما مروا عليه في طريقهم، وقصدهم قصريانة، فقاتلهم ابن الجواس فهزمه الفرنج فرجع الى الحصن فرحلوا عنه واستولوا على مواضع كثيرة، ففارق الجزيرة كثير من العلماء والصالحين، وسار جماعة من أهل صقلية الى المعز بن باديس وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف وغلبة الفرنج على كثير منها، فعمر اسطولا كبيرا (125) وشحنه بالرجال والعدد، وكان الزمان شتاء فساروا الى قوصرة (126) فهاج عليهم البحر (127) فغرق اكثرهم، ولم ينج الا القليل، وكان ذهاب هذا الاسطول، مما اضعف للمعز بن بلديس، وقوي العرب عليه حتى اخذوا البلاد منه،، فملك حينئذ الفرنج اكثر البلاد على مهل وتؤده، لا يمنعهم أحد، واشتغل المعز بما دهمه من العرب، ثم مات في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة.

[477] وولى ابنه تميم، فبعث اسطولا وعسكرا الى الجزيرة، وقدم عليه ولديه ايوب وعليا، فوصلوا الى صقلية، فنزل أيوب والعسكر المدينة، ونزل على جرجنت ثم انتقل أيوب الى جرجنت فأحبه اهلها فحسده ابن الجواس فكتب الى أهلها ليخرجوه فلم يفعلوا، فسار اليه في عسكره وقاتله فقتل ابن الجواس بسهم غرب (128) أصابه، وملك أيوب ابن تميم.

ثم وقع بعد ذلك بين أهل البلد (129) وبين عسكر أيوب فتنة أدت الى القتال، ثم دار الشر بينهم وتراقى، فرجع ايوب وأخوه في الاسطول الى افريقية، وذلك في سنة احدى وستين وأربعمائة، وصحبهم

---

(125) حسيرا في م ص 447.

(126) وهسره، Pantelle : جزيرة تلى مدينه مازر من صقليه بينهما مجرى، وهى في شرقى جزيرة مليطة، ترى من الساحل التونسي (اقليبيا) لانها جبل عال جدا، ولها مرسى من جانب الشمال، وهى مقطع للخشب الجيد، ويحمل منه الى صقلية، وهى جزيرة صغيرة خصيبة وكانت مكمن الغزاة من المسلمين والروم على السواء انظر البكرى ص 226، الادريسى ص 19، الحميرى ص 485 — 486.

(127) البحر عليهم في م ص 447.

(128) اى طائش لا يدرى من راميه ولا من أين اتى.

(129) المدينة في ع.

جماعة من اعيان صقلية، فلم يبق للفرنج مانع ولا ممانع، فاستولوا على الجزيرة، ولم يثبت بين ايديهم غير قصر يانبة وجرجنت، فحصرهما الفرنج وضيقوا على المسلمين حتى أكلوا الميتة. وعدموا ما ياكلونه، فأما اهل جرجنت فسلموها إلى الفرنج في سنة احدى وثمانين واربعمائة وبقيت قصريانة بعد ذلك ثلاث سنين، فلما اشتد الامر عليهم، اذعنوا الى التسليم فتسلمها الفرنج خذلهم الله تعالى في سنة اربع وثمانين وأربعمائة .

وملك رجار (130) جميع الجزيرة واسكنها الروم والفرنج [478] مع المسلمين ، ولم يترك لاحد من اهلها حماما ولا دكانا ولا طاحونا ولا فرنا. ومات رجار (131) بعد ذلك قبل التسعين وأربعمائة. وملك بعده ولده رجار، فسلك (132) طريق ملوك المسلمين من الجنائب والسلاحية، والجاندارية، وغير ذلك، وخالف عادة الفرنج وجعل له ديوانا للمظالم ، يرفع اليه شكوى المظلومين فينصفهم، ولو من ولده، واكرم المسلمين ومنع عنهم الفرنج فأحبوه، وعمر اسطولا كبيرا وملك الجزائر التى بين المهدية وصقلية، مثل مالطة (133) وقوصرة وغيرهما، وتطاولوا بعد ذلك الى سواحل افريقية ، وملكوا المهدية وغيرها، ثم استرجعت منهم على ما ذكرناه، في اخبار عبد المؤمن بن على.

(130) وجار في د. ، وصححها من م ص 448.

(131) وجار في د، وصحتها من م ص 448، ويقيم الادريسى فى كتابه نزهة المشتاق (المكتبة العربية الصقلية) ص 26 عصر روجار الاول بقوله : ولما صار أمرها (صقلية) اليه، واستقر بها سرير ملكه، نشر سيرة العدل فى أهلها واقرهم على اديانهم وشرائعهم وامنهم فى أنفسهم وأموالهم وأهليهم وزراريهم، ثم اقام على ذلك مدة حياته الى أن وافاه الاجل المحتوم.. وتؤكد ذلك الرواية المسيحية فى كتابات غليام الابولى (Guglielmo di puglia) ، ومالاترا (Malaterra) أنظر مارتينو : المسلمون فى صقلية ص 19.

(132) وسنك فى م ص 448 والمقصود رجار الثانى.

(133) المطة : Malta : طولها ثلاثين ميلا واشجارها الصنوبر والعرعر والزيتون، فيها مراس منشأة للسفن، كان يدخلها النشاءون للسفن، فإن العود فيها أمكن ما يكون، والصيادون للحوت لكثرته فى سواحلها وطيبه ، والشائرون للعسل فانه اكثر شىء هناك. عمرها المسلمون، وبنوا مدينتها. انظر البكرى ص 225، الادريسى ص 19، القزوينى : نخبة الدهر ص 141. والحميرى ص 520.

ذكـر أخبـار جزيـرة اقريطش (134)

هذه الجزيـرة دون جزيـرة صقليـة، وهى كثيـرة الخصب مستطيلة الشكـل .

أول من غزاها في الاسـلام (135) ابن ابـى أمية الازدي (136) في أيـام معاويـة بـن أبى سفيـان، فلمـا كـان في أيـام الوليـد فتـح بعضهـا ثـم غزاهـا «حميـد بن معيـوق الهمدانى في أيـام الرشيـد ففتـح بعضهـا ثم غزاها» (137) أبـو حفص عمر بن شعيب الاندلسـى، المعروف بالاقريطشى ، في أيـام المامـون ففتـح منها حصنا واحدا، ولـم يزل يفتح شيئا بعد شيء حتى لم يبق بها من الـروم احد، واخرب [479] حصونهم (138) وتداولهـا بنـوه بعده ولما جرى لاهل قرطبة مع الحكم ابـن هشـام الاموي وقعة الربـض التى ذكرناها في سنة ثمان وسبعين ومائة، اخـرج جماعـة منهم فوصلوا الـى الاسكندرية، وأقاموا بهـا ، فعمـرت بهم وصار فيها خلـق كثير، فغلبـوا على الاسكندرية وملكوها،

---

(134) اقريطش : تعرف اليوم باسـم كريت Crète يصفها ياقوت الحموى (جزيرة كبيرة فيهـا مدن وقرى) وعن مسـاحتها وتسميتها يذكر الحميرى : وقال هرشيوش : طولها مـائة واثنـان وسبعون ميلا فى عرض خمسين ميلا.. وقـال آخرون : طولها من الشرق الى الغرب ثلاثمائة ميل.. وسميت اقريطش لان أول من عمرها رجل يقـال له قراطى، وتسمى أيضا اقريطش البتريلش وترجمته مـائة مدينة، وكذلك كان بها مـائة مدينة، وباقريطش أول مـا استنبطت صناعة الموسيقى» انظر معجم البلدان (اقريطش) والروض المعطار ص 51، القلقشندي : صبح الاعشى ج 5 : 371.

(135) يذكر الحميرى ان عبد الله بن سعد بن ابى سرح اول من افتتح جزيرة اقريطش انظر الروض المعطار ص 51.

(136) هو جنادة بن أبى أمية الازدى قائد البحرية الاسلامية. انظر البلاذرى : فتوح البلدان ص 233.

(137) مابين قوسين زيادة من ع، ج 2 : 256. ويذكر ابن الخياط انه فى سنة 175هـ غزا عبد الملك بن صالح الروم وهى غزاة اقريطية خلال خلافة الرشيد. اما البلاذرى فيرى أن حميد بن معيوق الهمذانى غزا اقريطش فى خلافة الرشيد ففتح بعضها. تاريخ خليفة ابن خياط ج 2 ص 715، فتوح البلدان ص 233 — 234.

(138) قارن رواية البلاذرى : فتوح البلدان ص 233 — 234.

الى ان جاء عبد الله بن طاهر الى الاسكندرية، واخرجهم منها كما ذكرنا ذلك في أخبار الدولة العباسية في أيام المامون بن الرشيد،

فصالحهم على مال ونقلهم الى جزيرة أقريطش فعمروها، وملكوا عليهم رجلا منهم وعمروا فيها اربعين قطعة، وغزوا جميع ما حولها من جزائر القسطنطينيه، ففتحوا اكثر الجزائر وغنموا وسبوا ، ولم يكن لملك القسطنطينيه بهم قبل فافكر في ما يفعله معهم من المكر والخديعة فاقبل الملك ارمانوس الى عبد العزيز بن حبيب بن عمرو صاحب جزيرة اقريطش ، وتقرب اليه بالهدايا والتحف واظهر له المودة والمحبة ، فلما استحكمت الوصله بينهم وتاكدت، انفذ ارمانوس رجلا من المسلمين ومعه هدية جليله، فلما حضر بين يدي صاحب اقريطش وقدم الهدية ، قال له : الملك يسلم عليك ويقول [480] لك : نحن جيران واصحاب ، وهؤلاء المساكين سكان الجزائر، قوم ضعفاء فقراء، وقد خلا اكثرها من خوفك، وقلوبهم تحن الى أوطانهم، ولي ولك بهم راحة وفائدة، فان خف عليك ان تحسب ما يحصل لك من غزوهم في كل عام وانا اضاعفه لك اضعافا، وتؤمنهم وترفع عنهم الغزو وتفتح لهم في السفر الى جزيرتك، وتتوجه التجار اليك، ويحصل لك من الحقوق اضعاف ما يحصل لك من الغزو.

فأجابه الى سؤاله وتحالفا وتصالحا واتفقا على مال يؤدي في كل عام، فوفى له ارمانوس بجميع ذلك ، والزم التجار بالسفر الى اقريطش والقسطنطينية وجميع الجزائر ، فكثرت أموال صاحبها، وأخذ في جمع الاموال واختصر العطاء للجند، ثم وقع بالقسطنطينية قحط وغلاء فانفذ الملك الى صاحب اقريطش رسولا، يقول : قد وقع بالبلاد ما اتصل بك من الجدب ولنا خيل عراب برسم النتاج تعز علينا فان رأيت ان انفذها الى الجزيرة وما نتجت من الذكور يكون للملك وما نتجت من الاناث فهو لك، فأجابه الى ذلك، فارسل الى

الجزيرة خمسمائة فـرس في المراكب . ومعها رعاتها ، فلما استقـــرت الخيل بالجزيــرة عبـأ العساكر على تلطـف واستخفاء [481] وقدم عليها نخفور (139) الدمستق وانجاد رجاله، وذلك في غـرة المحرم سنة خمسين وثلثمائة (140) فدخل الاسطول الى الجهة التى فيهـا الافراس ونزل كل فارس بسرجه ولجامه وشـدوا له على فـرس، وفاجؤوا أهل الجزيـرة على غـرة وغفلـة فملكوها، وقتلوا صاحبها ومن معه من الجند، وعفـوا عن قتل الرعية ووجدوا الاموال التـى كانـوا بذلوها مضاعفـة، فأخذوها ووسبوا نساء الاجناد وذراريهم وشحنوها بالعدد والاجناد.

ذكـر تنصـر اهـل اقـريطـش :

قـال المؤرخ : لما قـرب عيد الميـلاد امـروا اكابر الجزيـرة بالمسير الى الملـك للهنـاء بالعيـد فتوقف الاماثـل ونفذوا مائـة رجل من أوساط القـوم، فلما وصلوا الى الملـك، وسلموا عليـه امر باكرامهم وخلع عليهم، وأمـر لكل رجل نهم بعشر أوانـى من الذهب، فرجعوا فرحين ونـدم من تأخـر عن المسيـر ، فلما اقبل عيد الفصح تهيأ لكابـر اهل الجزيـرة المسيـر، واجتمـع منهم جماعة كبيـرة، فلما وصلوا الى القسطنطينية امـر الملك ان يجعلوا في موضع، وجعل عليهـم حرسا ومنعوا من الطعام والشراب الى ان ايقنوا بالهـلاك، فشكوا ذلك الى الموكلين [482] بهم، وقالوا القتـل خير لنـا من هذا، وما الذي يريـده الملك منا قال : انـه يريد دخولكـم في ديـن النصرانية ، فـان لم تجيبـوا متم على هذه الحال،

(139) القائد البيزنطى نقفور فوكاس.

(140) يذكر ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان مـادة اقريطش أن نقفـور فوكـاس اعـد حملة كبيرة مشكلة من 72 ألف مقـاتل منهم خمسة آلاف فـارس بقيـادة أرمانوس قسطنطين قـام بمحاصرة المدينة من جمـادى الاولى سنة 349هـ الى نصف المحـرم سنة 350هـ حتى تمكـن من فتح الجزيرة عنوة، ويتفق الضبى مع الحموى حول اسـم قائد الحملة وسنة الاستيلاء على الجزيرة. ويذكر الحميرى أن الطاغية غزاها سنة 345هـ تغلب على مدينتها بعد حصـاز طويل، وامتنعت عليه منها حينئـذ حصـون كثـيرة ثـم استولى على جميعها بعد حين. انظر الروض المعطار ص 51. ويتفق القلقشندى مـع الحميرى فى سنة تغلب النصارى عليها. انظر بغية الملتمس فى تـاريخ رجال الاندلس، صبح الاعشى ج 5 ص 371، شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ص 188 ــ 189.

وسبيت ذراريكم، فلما اشتد عليهم البلاء تنصروا فخلع عليهم وتوجهوا الى أهاليهم، فلما وصلوا الجزيرة، منعوا من الدخول الى بيوتهم، وقيل لهم انتم نصارى وهؤلاء مسلمون، فان دخلوا في دين الملك اجتمعتم وان ابوا ملكناهم، فتنصر الباقون في يوم واحد، ثم مات الاباء وبقى الاولاد على اشد ما يكون في دين النصرانية والبغض في المسلمين .

نسأل الله تعالى ان لا يمكر بنا ولا بأهالينا ولا بذرياتنا ولا بعقبنا ولا يمتحننا في ديننا وان يجعل عواقب امورنا خيرا من مبادئها بمنه وكرمه .

ولنصل هذا الفصل بذكر ما استولى عليه الفرنج من جزيرة الاندلس.

ذكر ما استولى عليه الفرنج خذلهم الله تعالى من البلاد الاسلامية بجزيرة الاندلس بعد أخذ طليطلة

هذه المدن التى نذكرها ، مما استولى الفرنج، خذلهم الله تعالى عليه، من اعمال جزيرة الاندلس، كان الاستلاء عليها في التواريخ **[483]** التى نذكرها ، وهى في المدة التى انقطعت فيها الاخبار وتعطلت التواريخ، فلم تصل الينا مفصلة ولا علمنا كيف اخذت، ولا ممن انتزعت من ملوك المسلمين فنذكر ذلك على وجهه وانما اطلعنا من حالها على تواريخ الاستيلاء عليها خاصة فرأينا ذكر ذلك أولى من اهماله والمدن التى اخذت هى :

مدينة **قرطبة** استولى الفرنج عليها في يوم السبت الثالث والعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة. ومدينة **بلنسية** نازلها الروم وملكوها صلحا في يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر

سنة ست وثلاثين وستمائة وجيان استولوا عليها في سنة ثلاث واربعين وستمائة وطرطوشة أخذت في سنة ثلاث وأربعين وستمائة (141) ولاردة أخذت في سنة خمس وأربعين وستمائة ، ومدينة اشبيلية اخذت في مستهل شهر رمضان سنة ست واربعين وستمائة، ولم يتأخر للمسلمين بجزيرة الاندلس الى وقتنا هذا غير الجزيرة الخضراء وما يليها وهى جزء يسير جدا بالنسبة الى ما أخذ اعاد الله ما أخذ وحمى ما بقى، وقد بلغنا [484] ان الجزيرة الخضراء حاصرها الفرنج خذلهم الله تعالى في سنة خمس عشرة وسبعمائة ونحوها ولم يصل الينا ما تجدد من ذلك فان وصل الينا من خبرها شيء أوردناه في حوادث السنين في اخبار ملوك الديار المصرية ان شاء الله تعالى .

وهذا ما امكن ايراده من اخبار بلاد المغرب فلنذكر خلاف ذلك.

كمل الجزء الثانى والعشرين من كتاب نهاية الارب في فنون الادب «يتلوه ان شاء الله تعالى في أول الجزء الثالث والعشرين منه الباب السابع من القسم الخامس من الفن الخامس في أخبار من نهض في طلب الخلافة من الطالبيين في الدولة الاموية والدولة العباسية فقتل دونها.

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وحسبنا الله ونعم الوكيل» (142).

---

(141) ما بين قوسين زيادة من ع، ج 2 : 259.
(142) ما بين قوسين زيادة في د.

مصــادر ومراجع المقدمة والتحقيق

أولا : المصادر العربية القديمة .

ثانيا : المراجع العربية الحديثة .

ثالثا : المصادر الاجنبية.

أولا : المصادر العربية القديمة .

- **ابن الآبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 658 هـ/1260م)**
- التكملة لكتاب الصلة، نشر كوديرا، الجزء 5، 6 من مجموعة المكتبة الاندلسية (مدريد 1887 م).
- الحلة السيراء، نشر حسين مؤنس. القاهرة 1963 م.
- معجم أصحاب ابى على الصدفى
- **ابن الاثير : أبو الحسن على بن محمد الجزري (ت 630هـ / 1233 م)**
- الكامل في التاريخ (بيروت 1967م)
- **الادريسى: أبوعبدالله محمد الشريف السبتى (ت حوالى 548هـ/1154م)**
- صفة المغرب وأرض السودان والاندلس من نزهة المشتاق تحقيق دوزي ودي خويه (أمستردام 1969 م).
- **الادفـوي : أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب (ت 748 هـ).**
- الطالع السعيد، الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن. القاهرة 1966 م.
- **ابن الاحمر : أبو الوليد بن الاحمر (ت 810 هـ/1407 م)**
- مستودع العلامة ومستبدع العلامة، نشر محمد التركى ومحمد بن تاويت (تطوان 1964م).
- **ابن بسام : أبو الحسن على الشنتريني (ت 543 هـ/1147م)**
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الاول (المجلد الاول)، القسم الثانى (المجلد الاول) القسم الثانى، المجلد الثانى، تحقيق احسان عباس. بيروت 1979 م.

ـ ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك. (تـ578 هـ/1183م).

ـ كتاب الصلة في ائمة الاندلس، نشر كوديرا، الاول والثانى من مجموعة المكتبة الاندلسية (مدريد 1883 م)

ـ البكري : عبد الله بن عبد العزيز المرسى. (ت 487 هـ/1094 م)

ـ المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، تحقيق دي سلان، (باريس 1965م)

ـ معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا (القاهرة 1364 ـ 1371 هـ)

ـ البلاذري : أبو الحسن أحمد بن يحيي البغدادي. (ت 279 هـ/892م) .

ـ أنساب الاشراف ج1، تحقيق محمد حميد الله، (القاهرة 1959 م)

ـ فتوح البلدان (القاهرة 1932 م)

ـ البيذق : أبو بكر الصنهاجى (ق 6 هـ/12 م).

ـ أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين. الرباط المطبعة الملكية

ـ المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب. الرباط المطبعة الملكية

ـ التجانى : أبو محمد عبد الله بن محمد. (ت حوالى 717 هـ/1317م)

ـ رحلة التجانى، تحقيق وليم مارسى، وتقديم حسن حسنى عبد الوهاب تـونس 1981.

ـ ابن تغري بردي : يوسف أبو المحاسن. (ت 874 هـ).

ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نشر دار الكتب المصرية

ـ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، نشر دار الكتب المصرية.

ـ ابن حبيب : عبد الملك الالبيري (ت 238 هـ/852م)

ـ كتاب مبتدأ خلق الدنيا المعروف بتاريخ عبد الملك بن حبيب، نشره محمود على مكى بصحيفة معهد الدراسات الاسـلامية بمدريد العـدد الخامس 1952 م.

ـ ابن حجر العسقلانى : شهاب الدين أحمد بن على (ت 852هـ/1449م)

ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أربعة أجزاء، (حيدر أباد 1350 هـ)

ـ ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد الاندلسى (ت 456 هـ/ 1064 م)

ـ جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون القاهرة 1962م

- نقط العروس في أخبار بنى أمية بالاندلس، تحقيق شوقى ضيف (مجلة كلية الاداب القاهرة 1954م).

- **الحسن بن محمد الوزان الزياتي : ليون الافريقي (ت بعد 957هـ/1550م)**
- وصف افريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة (الرياض 1399 هـ) .
- وقد قام بترجمة ثانية (جزءان) محمد حجى، ومحمد الاخضر (الرباط 1980، 1982م)

- **ابن حمـاد : أبو عبد الله محمد بن علي (ت 628 هـ/1230 م)**
- أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم، تحقيق فوندرهايدن. (الجزائر 1927م)

- **ابن حمدون : محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت 562 هـ)**
- التذكرة الحمدونية، المجلد الاول، تحقيق احسان عباس. (بيروت 1983م)

- **الحموي : أبو عبدالله ياقوت بـن عبد الله البغـدادي. (ت 626 هـ/ 1228 م) .**
- معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر في كل مكان، خمسة أجزاء (بيروت بدون تاريخ)

- **الحميدي : أبو عبد الله محمد بن ابى نصر الازدي (ت 488 هـ/1095م)**
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، رقم 3 بالمكتبـة الانـدلسيـة (القـاهـرة 1966 م).

- **الحميري : محمد عبد المنعم (ت في أواخر القرن التاسع الهجري)**
- الروض المعطار في خبر الاقطار (معجم جغرافي)، تحقيق احسان عباس (بـيروت 1980 م).

- **ابـن حيان : أبـو مروان (ت 469 هـ/1079 م)**
- المقتبس في تاريخ رجال الاندلس، القطعة الخاصة بدولة الامير عبد الله، الجزء الثالث، تحقيق ملشيور. م. أنطونية. (باريس 1937 م)
- المقتبس، القطعة الخاصة بالثلاثين سنة الاولـى من حكـم عبـد الرحمن الناصر، الجزء الخامس، تحقيق ب. شالميتا وغيره. (مدريد 1979 م).

ـ ابن خاقان : أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الاشبيلي (ت 535 هـ/ 1131 م)

ـ قلائد العقيان في محاسن الاعيان، نشر محمد العناني. (تونس 1966م)

ـ ابن الخطيب : لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله (ت 776 هـ/ 1374 م)

ـ أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام.

أ) الجزء الخاص بتاريخ اسبانيا نشره ليفي بروفنسال (بيروت 1956م).

ب) الجزء الخاص بتاريخ المغرب وصقلية نشره أحمد مختار العبادي وابراهيم الكتاني (الدار البيضاء 1964م)

ـ ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ/1405 م)

ـ كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر. نشر خليل شحادة (بيروت 1981م)

ـ ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن أبي بكر الشافعي (ت 681 هـ/ 1281 م)

ـ وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ثمانية أجزاء، تحقيق احسان عباس. (بيروت 1968 ـ 1972 م).

ـ خليفة بن خياط : أبو عمرو المعروف بشباب (ت 240 هـ/854 م)

ـ تاريخ خليفة بن خياط، رواية بقي بن بقي، تحقيق سهيل زكار (دمشق 1967 م).

ـ الدباغ : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الانصاري (696 هـ)

ـ معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، جزءان. (تونس 1320 هـ)

ـ ابن أبي دينار : محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (كان حيا في أواخر القرن الحادي عشر الهجري).

ـ المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تحقيق محمد شمام (تونس 1967م)

ـ الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود (282 هـ / 895 م)

ـ الاخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر. (القاهرة 1960 م)

- **الدينوري : ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (ت 276هـ/889م)**
- المعارف، نشره محمد اسماعيل عبد الله الصاوي (بيروت 1970 م).

- **الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. (ت 748 هـ)**
- تذكرة الحفاظ، أربعة أجزاء. (حيدر أباد 1955 م)

- **الرقيق : ابراهيم بن القاسم القيرواني (توفي بعد 423 هـ)**
- تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق المنجى الكعبي. (تونس 1967 م)
- قطب السرور في أوصاف الخمور، تحقيق أحمد الجندي.

- **ابن أبي زرع : علي بن عبد الله (ت 741 تقريبا).**
- الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فـــاس. نشر دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط 1972 م)

- **الزركشي : أبو عبد الله محمد بن ابراهيم. (من مؤرخي القرن التاسع الهجـري).**
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية. (تونس 1289 هـ)

- **أبو زكرياء : يحى بن أبي بكـر (ت 471 هـ)**
- كتاب سير الائمة وأخبارهم، المعروف بتاريخ أبي زكرياء، تحقيـق اسماعيل العربي. (الجزائر 1979 م)

- **السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ/1505 م)**
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جزءان (القاهرة 1327 هـ).
- الجامع الصغير، جزءان (القاهرة 1954 م)

- **السلاوي : أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (1315 هـ/1987 م)**
- الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، تسعة أجزاء (الدار البيضـاء 1954 م).

- **ابن شـاكر الكتبي : محمد بن شاكر بن أحمد (ت 764 هـ)**
- فوات الوفيات، جزءان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميـــد القـاهرة 1951 م.

- **الشماخي : أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد (ت 928هـ/1522م**
- سير مشايخ جبل نفوسه (قسنطينة بدون تاريخ)
- **ابن صاحب الصلاة : عبد الملك (كان حيا سنة 594 هـ/1198م)**
- المن بالامامة على المستضعفين، تحقيق عبد الهادي التازي (بيروت 1964 م)
- **ابن الصغير : (من أهل القرن الثالث الهجري).**
- أخبار الائمة الرستميين، تحقيق موتيلينسكى Motylinsuki (باريس 1907 م)
- **الضبي أبو جعفر أحمد بن يحي القرطبي (ت599 هـ/1203 م)**
- بغية الملتمس في تاريخ أهل الاندلس (مدريد 1884 م)
- **الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ/ 923 م).**
- تاريخ الامم والملوك، طبعة دار المعارف بالقاهرة.
- **ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن (ت 276 هـ/889 م)**
- فتوح افريقية والاندلس، نشر جانو (الجزائر 1948م)
- **عبد الواحد المراكشي : عبد الواحد بن علي التميمي (ت 647 هـ)**
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان (القاهرة 1963).
- **ابن عبد الملك المراكشي : أبو عبد الله محمد بن محمد (ت 703 هـ)**
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن، تحقيق محمد بن شريفة (الرباط 1984 م)
- **ابن عذاري : أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (كان حيا 712 هـ/ 1312 م)**
- البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب.

أ) الجزءان الاول والثاني، تحقيق كولان وبروفنسال (بيروت 1980م)

ب) الجزء الثالث، تحقيق بروفنسال (بيروت 1980م).

ج) الجزء الرابع، قطعة من العصر المرابطي، تحقيق احسان عباس (بيروت 1980 م).

د) القسم الثالث، عصر الموحدين، تحقيق امبروسي هويسي مرلندة ومحمد بن تاويت ومحمد ابراهيم الكتاني (تطوان 1960 م)

ـ العذري : أحمد بن عمر بن انس المعروف بابن الدلائي (ت 478 هـ/988م)

ـ ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى الممالك، تحقيق عبد العزيز الاهواني (مدريد 1965م).

ـ أبو العرب : محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي (ت 333هـ)

ـ طبقات علماء افريقية، نشر ابن شنب (الجزائر 1915 م)

ـ العماد الاصفهاني الكاتب : أبو عبد الله عماد الدين محمد (ت 597هـ / 1200 م).

ـ خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب، الجزء الاول، نشر محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلالي بن الحاج يحي (تونس 1966 م)

ـ عياض : أبو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت 467هـ/ 1083 م)

ـ تراجم أغلبية، مستخرجة من ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض، تحقيق محمد الطالبي (تونس 1968م)

ـ ابن غالب : محمد بن أيوب الاندلسي (من أهل القرن السادس الهجري)

ـ فرحة الانفس في تاريخ الاندلس، تحقيق لطفي عبد البديع، بمجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الاول ـ الجزء الثاني نوفمبر 1955 م.

ـ ابن فرحون : برهان الدين ابراهيم بن علي (ت 799 هـ/1396 م)

ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب (القاهرة 1351 هـ)

ـ ان الفرضي : أبو الوليد عبد الله بن محمد الازدي (ت403 هـ/1012م)

ـ تاريخ علماء الاندلس، المكتبة الاندلسية (القاهرة 1966 م)

ـ ابن القطان : أبو الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي (ت 628 هـ/ 1230 م).

ـ نظم الجمان في أخبار الزمان، نشر محمود مكي (الرباط 1964 م)

ـ القلقشندي : أحمد بن علي (ت 821 هـ/1418م)

ـ صبح الاعشى في صناعة الانشا. الجزء الخامس (القاهرة 1963 م)

ـ ابن القوطية : أبو بكر محمد (ت 367 هـ/927 م)

ـ تاريخ افتتاح الاندلس (مدريد 1868 م)

ـ ابن الكردبوس :

ـ كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، القسم الخاص بالاندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية (مدريد 1965 م)

ـ الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف (ت 350هـ / 961 م)

ـ الولاة والقضاة، تحقيق روفن جست Rhuven Guest (بيروت 1908م)

ـ المالكي : أبو عبد الله بن عبد الله (ت 474 هـ)

ـ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم واوصافهم الجزء الاول، تحقيق حسين مؤنس (القاهرة 1951م).

ـ مجهول :

ـ أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها (مدريد 1867 م)

ـ الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، عبد القادر زمامة، الدار البيضاء 1979م.

ـكتاب الاستبصار في عجائب الامصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب والسودان، مؤلف في القرن السادس الهجري، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد مطبوعات جامعة الاسكندرية 1958 م.

ـ المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسن بن علي (ت 345 هـ/956 م)

ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر. أربعة أجزاء في مجلدين (بيروت 1978 م)

ـ المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 388 هـ)

ـ أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ليدن 1909 م)

- **المقري : شهاب الدين أبو العباس احمد بن محمد التلمساني (ت 1041 هـ/ 1631 م)**
- نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس (بيروت 1968) .
- **المقريزي : تقى الدين أبو العباس احمد بن على (ت 845 هـ/1441 م)**
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة (القاهرة 1936 م).
- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار (بولاق 1270 هـ).
- اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة 1948 م).
- **ابن مماتي : الاسعد بن الخطير (ت 1209 م)**
- قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية (القاهرة 1943م)
- **النعمان : أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي (ت 363 هـ/947 م)**
- رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضي (بيروت 1970 م)
- **النويري : محمد بن القاسم السكندري المالكى (من مؤرخى القرن الثامن الهجري).**
- الالمام بالاعلام لما جرت به الاحكام المقضية في واقعة الاسكندرية في سنة 767هـ، وعودها الى حالتها الاولى المرضية، تحقيق عزيز سوريال عطية.
- **الواقدي : أبو محمد عبد الله بن عمر بن واقد (ت 207 هـ).**
- فتوح افريقية، جزءان، نشر النجاني المحمدي، (تونس 1966م).
- **اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284 هـ / 987 م)**
- وصف افريقية نقلا عن كتاب البلدان (ليدن 1860 م)

ثانيا : المراجع العربية الحديثة

- **أحمد أمين :**
- ضحى الاسلام، ثلاثة أجزاء، الطبعة العاشرة (بيروت بدون تاريخ).

- **ابراهيم أحمد العدوي :**

- المجتمع المغربى (القاهرة 1970 م)
- الاساطيل العربية في البحر الاسيض المتوسط (القاهرة بدون تاريخ)

- **أحمد الابياري :**

- مقاله عن نهاية الارب في فنون الادب للنويري بسلسلة تراث الانسانية؟

- **أحمد توفيق المدني :**

- كتاب الجزائر، دار المعارف (القاهرة 1963 م).

- **أحمد العبدي :**

- آسفى وما اليه قديما وحديثا (القاهرة 1353 هـ).

- **أحمد مختار العبادي :**

- دراسات في تاريخ المغرب والاندلس (الاسكندرية 1968 م).
- الصقالبة في اسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية (مدريد 1953 م)
- في التاريخ العباسى والاندلسى (بيروت 1971 م).
- قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام (بيروت 1969 م)

- **أرشيبالد لويس :**

- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الابيض المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى (القاهرة بدون تاريخ).

- **اشباخ :**

- تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان (القاهرة) .

- **بالنثيا (آنخل جنثالث)**

- تاريخ الفكر الاندلسى، ترجمة حسين مؤنس، الطبعة الاولى (القاهرة 1955 م).

- **بروكلمان (كارل)**

- تاريخ الادب العربى، الجزء السادس، ترجمة عبد الحليم النجار القاهرة .

ـ بل (ألفرد)
ـ الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، (بيروت 1981 م)
ـ جب (هاملتون) :
ـ دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة احسان عباس، ومحمد يوسف نجم، ومحمد زايد (بيروت 1974 م)
ـ جرجي زيدان :
ـ تاريخ آداب اللغة العربية (القاهرة 1911 ـ 1914 م)
ـ جواد علي :
ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، الجزء الرابع (بيروت 1969م)
ـ حاجي خليفة :
ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.
ـ حسن ابراهيم حسن :
ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، أربعة أجزاء الطبعة السابعة 1965 القاهرة.
ـ المجمل في التاريخ المصري (القاهرة 1942 م)
ـ حسن أحمد محمود :
ـ قيام دولة المرابطين (القاهرة 1957 م)
ـ حسن باشا :
ـ الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار، القاهرة 1957 م
ـ حسن حسني عبد الوهاب :
ـ خلاصة تاريخ تونس (تونس 1373 هـ).
ـ ورقات في الحضارة العربية بافريقية (تونس 1965 م)
ـ حسين مؤنس :
ـ فتح العرب للمغرب (القاهرة 1947 م)
ـ شيوخ العصر في الاندلس. العدد 146 بالمكتبة الثقافية (القاهرة 1965م)

- غارات النورمانيين على الاندلس بين سنتى 229 هـ، 245 هـ بالمجلة التاريخية المصرية مايو 1949 م عدد 1 مجلد 2.

- **حكيم أمين عبد السيد :**

- قيام دولة المماليك الثانية.

- **درويش النخيلى :**

- السفن الاسلامية على حروف المعجم، (الاسكندرية 1979 م)

- **دوزي (رينهرت) :**

- تاريخ مسلمى اسبانيا، الجزء الاول، ترجمة حسن حبشى (القاهرة 1963 م).

- **رشيد بورويبه :**

- ابن تومرت، ترجمة عبد الحميد حاجيات الجزائر 1982

- **زامباور :**

- معجم الانساب والاسرات الحاكمه في التاريخ الاسلامى.

- ترجمة زكى محمد حسن وحسن أحمد محمود (القاهرة 1951 م)

- **الزركلى : خير الدين :**

- كتاب الاعلام (القاهرة 1959 م)

- **سعاد ماهر :**

- البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية (القاهرة بدون تاريخ).

- **سعد زغلول عبد الحميد :**

- تاريخ المغرب العربى، الجزء الاول، من الفتح العربى الى بداية عصور الاستقلال ، (الاسكندرية 1979 م)

- الجزء الثانى، تاريخ الاغالبة والرستميين وبنى مدرار والادارسة حتى قيام الفاطميين، (الاسكندرية 1979 م)

- فتح المغرب بين الحقيقة التاريخيه والاسطورة الشعبية - دراسة ونقد لمخطوط فتوح افريقية، مجلة كلية الاداب بالاسكندرية، المجلد العاشر 1963 م.

- **سعيد عبد الفتاح عاشور :**
- مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك
- **شكري فيصـــل :**
- حركة الفتح الاسلامى في القرن الاول الهجري (القاهرة 1952 م)
- **شكيب أرسلان :**
- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، بيروت .
- **عباس بن ابراهيم المراكشـــي :**
- الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام، الجزء التاسع المطبعة الملكية بالربـــاط.
- **عبد الحميد العبادي :**
- صور وبحوث من التاريخ الاسلامى (الاسكندرية 1948 م)
- **عبد الحليم عـــويـــس :**
- دولة بنـــى حمـــاد (بيروت 1980 م)
- **عبد الرحمن حميدة :**
- أعلام الجغرافيين العرب .
- **عبد الرحمن محمد الجيلالى :**
- تاريخ الجزائر العام الجزء الاول (الجزائر 1971 م).
- **عبـــد العـــزيـــز بنعبـــد الله :**
- الموسوعة المغربية للاعلام المغربية والحضارية (المغرب 1975 ـ 1981م)
- **عبد العـــزيـــز ســـــالـــم : السيـــد**
- تاريخ المغرب الكبير، الجزء الثانى (العصر الاسلامى) الاسكندريـــة 1966 م.
- تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس (بيروت 1962 م)
- تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس، مع أحمد مختار العبادي (بيروت 1970 م)

ـ عبد القـــادر العافية :

ـ مقالة مع كتاب نهاية الارب في فنون الادب، مجلة البحث العلمى.

ـ عبد الله بن كنـــون :

ـ النبوغ المغربى في الادب العربى ، ثلاثة أجزاء في مجلد واحد، بيروت 1975م .

ـ عبد الله على عـــلام :

ـ الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن على (القاهرة 1971 م.)

ـ عمر رضا كحـــالـة :

ـ معجم المؤلفين (المكتبة العربية بدمشق)

ـ علـــى مبـــــــارك :

ـ الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمـــة والشهيرة (القاهرة 1306 هـ).

ـ فـرانـــز روز نشـــال :

علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلى (بغداد 1963 م)

ـ فليـــب حتـــى :

ـ تاريخ العرب، جزءان ترجمة ادورد جرجى، وجبرائيل حبور (بيروت 1965 م).

ـ كـراتشكـوفسكـى :

ـ تاريخ الادب الجغرافي العربى

ـ لقبـــال مـوســى :

ـ المغرب الاسلامى، منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج (قسنطينة 1969 م)

ـ دور كتـــامة في تاريخ الخلافة الفاطمية (الجزائر 1980 م)

ـ ليفى بروفنســال :

ـ مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية 1941م .

- **مصطفى أبو ضيف أحمد :**

- أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبنى مرين (الدار البيضاء 1982 م).
- دراسات في تاريخ الدولة العربية (الدار البيضاء 1983 م)
- القبائل العربية في الاندلس حتى سقوط الدولة الاموية (الدار البيضاء 1984 م)

- **نقولا زيادة :**

- الجغرافية والرحلات عند العرب

- **محمد ياسين الحموي :**

- تاريخ الاسطول العربى (دمشق 1945 م)

- **محمد ولد دادة :**

- مفهوم الملك في المغرب (من انتصاف القرن الاول الى انتصاف القرن السابع) بيروت 1977 م.

- **محمد عبد الله عنان :**

- دولة الطوائف (القاهرة 1969 م)
- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس (القاهرة 1964 م)

- **محمد المنوني :**

- ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بنى مرين (الرباط 1979 م)

- **مارتينو ماريو مورينو :**

- المسلمون في صقلية الاسلامية.

- **ابن أبى مضياف : أحمد (من علماء القرن الثالث عشر الهجري)**

- اتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الامان (تونس 1963 م)

ثالثا · المصادر الاجنبية.

— **ASIN (Palacios) :**

— Aben Hazam de Cordoba y su Historia critica de las ideas religiosas. Madrid, 1927-1932, 5 vols.

— **H. BASSET et H. TERRASSE :**

— Tinmel, Hespéris. 1924.

— **BEYIE (Ide) :**

— La Kalaa des Beni Hammad - une capitale Berbère de l'Afrique du Nord AU XIème siècle. Paris 1909.

— **BROCKELMANN, C. :**

— Geschichte der arabischen Literatur Weimar, 1898. Suplemento. Leiden, 1937-1938, 4 vols.

— **DOZY :** ......

— Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age. Leyde, 1849, 1881, 2 vols.

— **GAUTIER (E.F.) :**

— Le passé de l'Afrique du Nord (Paris 1942).

— **GOLDZIHER (T) :**

Introduction au livre de Mohammed Ibn Tumart. publié par D. Luciani, Alger, Fontana, 1903.

— **GEORGE MARÇAIS :**

— Manuel d'art musulman l'architecture, (Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne, Sicile). Paris 1926.

— la Berbérie musulmane et l'orient au Moyen-âge. Paris 1946.

— **HUICI MIRANDA :**
Historia politica del Imperio almohade, Tetouan 1956-1959.

— **LE TOURNEAU (R) :**
The almohad Movement in North Africa in the Twelfth and Thirteen Centuries. Princeton.

— **MOUNIRA CHAPANT - REMADI :**
An NUWAYRI, les Africains, Tome 10.

— **PROVENCAL (Levi) :**

— Histoire de l'Espagne musulmane. Paris 1944.

— Documents inédits d'histoires almohade.

— **SLANE (D) :**

— Histoire des berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionale. Paris 1925.

— Les manuscrits arabes de l'Escurial.

محتويات الكتاب

الباب الخامس :

الدولة الاموية وملوك الطوائف بالاندلس

[الدولة الاموية]

الباب السادس :

اخبار افريقيه وبلاد المغرب

صدر للمؤلف بنفس الدار

* دراسات في تاريخ الدولة العربية (عصور الجاهلية والنبوة والراشدين والأمويين) (1ـ132 هـ) الطبعة الثالثة، الدار البيضاء 1984م

* أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين، الدار البيضاء 1982م

* القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الدولة الأموية (91ـ422 هـ) الدار البيضاء 1983م.

نشر وطبع
دار النشر المغربية
5-13 زنقة الجندي روش
الهاتف: 24-51-47
الدار البيضاء

الإيداع القانوني 724 / 1984

الثمن 50 درهما